

التحقيق الجنائي والجريمة



جمال شاهين

المجموعة الثانية

١٠ – ١٥





منشورات المكتبة الخاصة

التحقيق الجنائي

والجريمة

المجموعة الثانية

١٠ = ١٥

جمال شاهين

٢٠٢٣

مسبحة اللؤلؤ

لغز القصر الصحراوي

الزواج الخطأ

نفس الشعب

لغز غابة البلدية

العالم المزيف

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

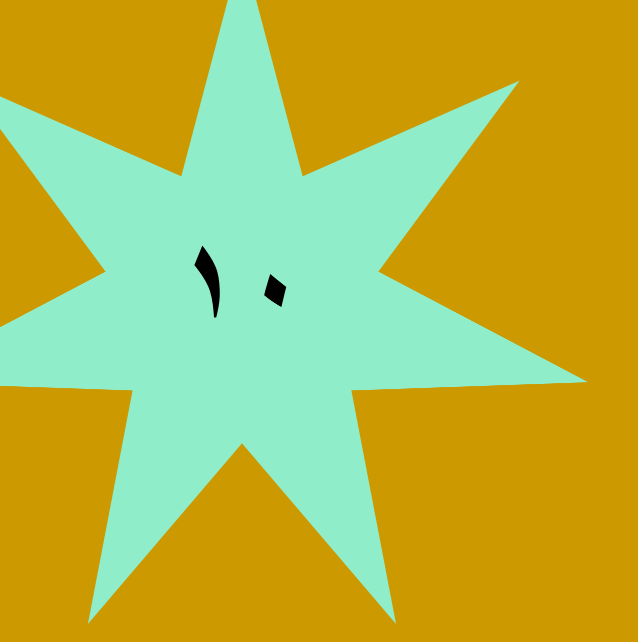
التحقيق الجنائي والجريمة





التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



١٠

مسبحة اللؤلؤ

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

مسبحة اللؤلؤ

جمال شاهين



١

لقد كان السيد رفيق حلمي البحار القديم في استقبال المحاميين مجدي حامد وفيصل حسني ، فالأول ابن صديقه أو قريبه حامد سجاد ، والآخر ضابط متقاعد من الأمن ، وقد تخرج محاميا أثناء عمله مع الشرطة .

كان رفيق حلمي يستقبلهما بنفسه مساء ذلك اليوم ، وهذا على غير عادته ، فمن المعتاد لزائريه أن تستقبلهم خادمته الآسيوية الفلبينية ، وتفتح لهم الباب ، وترحب بهم بعربيتها الركيكة ، وتجلسهم في قاعة الضيوف ، ثم تخبر سيدها بمجيء ضيوفه ، فيخرج إليهم والجلوس معهم ، أما هذه المرة وهي من النوادر قام باستقبال ضيوفه بنفسه ، والسبب أن هذا اللقاء مهم وخطير، فلما كلمه المحامي مجدي مخبرا برغبته بالمجيء بصحبة زميل ، طلب من الخادمة الاستقرار في حجرتها ، وظل هو في صالة الشقة منتظرا لضيفيه .

وشقة الرجل كائنة في الطابق الخامس ، ولا يشمل هذا الطابق إلا على شقة واحدة على خلاف الطوابق الأخرى ، فهو مالك هذه البناية ذات الطوابق الستة سوى الطابق الأرضي التي أنشاها منذ سنوات للاستثمار ، فجعل بعض الطوابق شقتين وبعضها ثلاث ، لتناسب عائلات متنوعة صغيرة وكبيرة ، وللعمارة مصعد جيد ، ومن أحدث الطرازات يوم إنشائها ، ويحيط بالمبنى حدائق غناء بالأشجار والأزهار ، وطابقه الأسفل جعل موقفا للسيارات ، وفيه حجرة التدفئة المركزية ، وعدادات الكهرباء والطاقة ، وحجرة كمخزن لأدوات الزراعة والصيانة ، وفي الطابق الأول كانت شقة لبواب العمارة وأسرته ، وأما الطابق الخامس فكان شقة واحدة للسيد رفيق سكنا ومكاتب لإدارة شركاته واستثماراته ، فهي شقة واسعة.

دخل الرجلان الزائران شقة السيد رفيق حلمي ، وصافحهما ورحب بهما ، وساقهم بعدما أغلق الباب الرئيسي للشقة بالمفتاح إلى غرفة جعل منها مكتبة ، لم يأخذهما لغرفة المكتب ولا صالة الشقة ، فلما جلسوا رحب بهم غاية الترحيب ، وقام المحامي مجدي بتعريف السيد رفيق على المحامي فيصل ، وضغط رفيق على جرس داخلي أقبلت على أثره الخادمة ، فطلب منها

إعداد القهوة لضيوفه .

والسيد رفيق حلمي في هذه الأيام عام ٢٠٠٠ قد تجاوز الستين سنة ، وكان الثلاثة يجلسون متجاورين كأنهم ملتصقون ببعضهم البعض ، فقال مخاطبا لهم : أنا رجل عشت أكثر العمر في البحر .. ما يقارب ربع القرن .. سافرت اليونان وأنا ابن خمس عشرة سنة .. كان العمل في بلادنا تلك الأيام ضعيفا .. فقد هاجر عم لي إلى أوروبا ، وفي إحدى السفرات رافقته وصحبته أنا أتقدم بهذا الكلام يا سيدي العقيد ؛ لأنه مهم في قضيتنا .

قال المحامي العقيد المتقاعد فيصل : خذ راحتك في الحديث يا سيدي !

ـ رحلت أو هاجرت واشتغلت مع عمي في البحر ، وعلى ظهر السفن كحمال وعتال وعامل ثم صرت مساعد بحار لعمي الذي يعرف البحر منذ نشأ ؛ لأن مسقط مولده مدينة بحرية .. ثم أصبحت قبطانا على السفن والبواخر الصغيرة .. ولما كبرت سني وزدت عن الأربعين هجرت البحر والسفن ، وعدت لهذا البلد بثروة كبيرة .. طبعا تنقلت في أثناء العمل بين موانئ أوروبا والعالم .. ولكن أكثر أيامي كانت في إيطاليا حيث عملت فترة مهمة من حياتي وتزوجت امرأة طليانية كانت لها مراكب عملت عليها ، قد ورثتها عن أبيها .. ولم يقدر لي الإنجاب منها .. فلما ماتت ورثت المال الكثير منها والمراكب سواء كانت للصيد أم النقل .. وبعد خمس سنوات يا سيدي ...

دخلت الخادمة بالقهوة والماء ، وقدمتها لسيدها والضيوف وانصرفت ، وبعدما أغلق الباب ، وأخذ الرجال بالرشف تابع رفيق الكلام قائلا : بعد هلاكها أي زوجتي الأجنبية بخمس سنوات بعت أملاكي ومراكبي وعدت إلى هنا حيث مسقط رأسي .. لأن والدي وإخوانه رحلوا لهذه المدينة العظيمة التي نعيش فيها اليوم .. فأنشأت مصنعا لصناعة الأحذية والحقائب .. وشركة استيراد .. وبنيت فيلا من طابقين ، وكنت قد تزوجت بعد وصولي بقليل .. وأنجبت لي زوجتي الثانية ولدا وبنتا .. الولد يدرس ويعمل في إيطاليا .. والبنت منذ سنة تخرجت من دراسة الصيدلة ، وهي تعمل في صيدلية خاصة الآن .

رشف رفيق رشفة قهوة ، وكان المحاميان يرشفان وهما مصغيان لقصة الرجل الشيخ ولم يعلقا بشيء ، فتابع الرجل قصته قائلا : أيها الكرام كنت أثناء عملي في إيطاليا ومالطة والبحار عامة قد تحصلت على مجموعة جيدة من المجوهرات والأحجار الكريمة .. تقع في أيدينا من البحارة ومن الركاب الذين يمرون في ظروف صعبة فيجبرون على بيع مثل هذه الأشياء بأثمان بخيسة إلى حد ما فيبيعونها للبحارة .

وأحضرت هذه الكمية من الجواهر معي ، لم يكن بي حاجة لبيعها بفضل ربي .. وضعت بعضها في صندوق تخزين خاص في البنك ، والقسم الآخر ظل في البيت ، وله خزائن خاصة ، أمتع نفسي بالنظر إليه ، وأتحسسه وقتما أشاء.. لهذه الجواهر سحر غريب على النفس والخيال يتكون مع الوقت وطول الزمن .. ومنها مجموعة مسابح جميلة لها لذة عجيبة أثناء التسبيح بها وهذه المسابح مصنوعة من اللؤلؤ الطبيعي أو الماس الأصلي .. وهي ثروة كبيرة بذاتها .. وهذه المسابح هي الحكاية .

أحضرت الخادمة أكواب العصير ، ولما غادرت تابع السيد رفيق الحكاية فقال : وقبل أن أترمل للمرة الثانية قمت ببناء هذه العمارة ـ وأشار بأصبعه للأسفل ـ التي نجلس في أحد طوابقها.. كما أخبرت قبل لحظات كنت احتفظ ببعض الجواهر في خزائن معدنية خاصة في البيت الأول ولما سكنت هنا أيضا أعددت لها خزائن معدنية خاصة هنا فاستقرت تلك الجواهر فيها .

وأخذ نفسا عميقا ..وهمس قائلا : وقبل أيام اختفت مسبحة مكونة من اللؤلؤ والماس الأصليين !!

ولما لم يسمع كلاما تابع قائلا : قد تكون قيمة هذه المسبحة ما يساوي خمسين ألف دولار وربما أكثر من ذلك .. سوى أنها تحفة فنية رائعة !

شرب بعضا من كوب العصير ثم قال : تحدثت مع ابن صديقي العزيز المحامي مجدي حامد عن موضوع اختفائها الغريب بعد أن بحثت بطريقتي الخاصة هنا وهناك ، ولكني لم أعثر عليها ، فأخبرته بالسر ، وأنه لا رغبة لي بإخبار البوليس في الوقت الحالي .. فأعلمني بأن له صديقا محاميا

قد خدم في الشرطة والتحقيقات الشرطية ردحا من الزمن .. وهو أنت يا ولدي يا فيصل !

قال فيصل : يا مرحبا يا سيدي وأنا في خدمتك .

ـ بارك الله بك .. وأنا لا أدري كيف اختفت ؟! لأن المفاتيح والأرقام الخاصة بهذه الخزانة معي .. ولو اختفت المفاتيح بعض الوقت فالأرقام معي ، ولا أحد يعرف الأرقام السرية إلا أنا !.. رغم ضعف بصري لم استعن يوما بأحد لفتح الخزانة .. ولكن قبل أيام كنت أتحسس هذه المجوهرات ، وأتفقد المسابح وأعد حباتها في أحيان كثيرة .. فعندي عشرة منها بعضها من اللؤلؤ ، وبعضها من الماس وبعضها من العقيق .. المهم وجدت مسبحة لؤلؤية ماسية عزيزة عليّ مفقودة .. فاضطربت وتوترت وأصابني ذهول وغضب وحيرة شديدة ..كيف فتحت الخزنة؟! .. وكيف سرقت المسبحة؟!

قال المحامي الشرطي : أمتأكد أنك لم تخرجها من الخزانة ؟

ـ طبعا متأكد .. ولو أنني أخرجتها من الخزانة لوقع في نفسي أنني نسيتها في مكان ما .. أو سقطت مني ولم أشعر بسقوطها .. ومع ذلك نقبت البيت حجرة حجرة متوهما أنني حملتها بدون وعي مني وضاعت .. أنا عادة أفتح هذه الخزانة الموجودة هنا في هذه المكتبة.

ونهض قائما وأزاح خزانة مكتبة متحركة وفي الجدار خلفها خزانة معدنية من الخزائن الثقيلة التي صممت لحفظ الأشياء المهمة وقال مخاطبا لضيفيه : أفتحها .. وأنظر إلى هذه المقتنيات المثيرة .. ربما آخذ بعضها إلى هذا المكتب ـ وأشار لمكتب صغير في وسط المكتبة ـ وآخذ بتفحصها والتأمل بها .. أو أسبح ببعض المسابح مرة أو أكثر ثم أعيدها حيث كانت .. وأتأكد من وجودها كلها وأحيانا أعد حبات المسابح ، ثم أغلق الخزانة ، ثم أتأكد من إغلاقها مرة أخرى .. ليس خوفا من السرقة بل بحكم العادة .. وكنت أيام زوجتي أسمح لها بلمس هذه الجواهر ، وقد أهديتها بعضها ، ولكنها كانت تبيعها وتتصدق بثمنها .. ومن النادر يا سيدي أن أسمح لأحد الناس برؤيتها .. فمن عادتي استقبال ضيوف العمل في مكتبي أو مكتب الشقة الثانية حيث ملفات العمل والسكرتيرة .. وزائري الآخرين أستقبلهم في غرفة الاستقبال ..

وأدخلتكم اليوم هنا لأهمية الحادث ولتروا مكان الجواهر .. ولما أجريت التجربة منذ أيام وجدت مسبحة لؤلؤية مفقودة .

وأخرج لهم البوم صور من المكتبة المتحركة ، وأخرج منه صورة لمسبحة اللؤلؤ المختفية وقال وهو يقدمها لهم : هذه صورة لها .

وتأمل الرجلان الصورة للحظات وقال فيصل : ألا تسمح لأحد من أصدقائك برؤية هذه الأشياء الثمينة ؟

ـ في الحقيقة أفعل ذلك ، وبعضهم لمسها ، ووالد محامينا حامد حصلت له هذه الفرصة مسك بعضها وداعبها .. ولكني حريص للغاية على حفظها وتفقدها .

ـ ألا يشكل هذا خطرا عليك أي ببقائها في البيت ؟!

ـ أدرك الخطر .. ولكن عملي كمغامر وبحار .. ومعايشتي المخاطر والتآمر فأصبح الخطر ضعيفا عليّ .. فكنا نحمل هذه المجوهرات شهورا ، ونصل بها مهجرنا سالمين .. وأيضا لديّ أكثر من مسدس ، وأحسن استعماله بحكم رحلاتنا البحرية

ـ ومشى إلى درج خاص في المكتبة ، وأخرج منه مسدسا، وعرضه أمام ناظريهم ـ وهو يقول : وهذا احتياط .. وهذا مرخص يا سيدي .. وفي غرفة النوم مسدس آخر .. ومنذ جئت هذه المدينة لم أصادف خطرا عليّ بسبب اقتناء هذه الجواهر .. بل بلادنا أكثر أمنا من بلاد الطليان واليونان .. لا يوجد مافيات عالمية هنا أو ما يسمى الجريمة المنظمة .. وأصدقاء البيت قلة أيها الأخوة .. ولا أقيم حفلات في الشقة .. أحب الهدوء والسكون .. لكن كيف سرقت فهذا ما يريد أن يذهب بعقلي وفكري ؟!!

ـ ولِمَ لم تلجأ للشرطة ؟!

ـ طلب مني ولدي مجدي فعل ذلك .. فالشرطة ستأخذ أقوالي .. رفع بصمات .. فسارق قطعة كهذه لا أعتقد أنه سيترك بصماته .. من سأتهم ؟!.. لا أتهم أحدا .. ولا أشك في أحد .. فالخادمة تعمل هنا وفي البيت القديم منذ عشر سنوات ؛ وربما أكثر وكيف ستفتح الخزانة ؟! لا أذكر

أنني فتحتها أمامها .. ابني مسافر .. والبنت انعزالية .. وموظفو الشركة العاملون معي هنا لا يمكن دخولهم إليّ هنا .. بحكم العادة .. فالسائق حلمي ينتظرني في الصالون عند مدخل الشقة أو يجلس في شقة العمل عند السكرتيرة ، وهو ابن صديق ، وكذلك السكرتيرة لمياء فتواجدها الدائم في الجناح الآخر.. ورفاق العمر من النادر أن يدخلوا لهذه الحجرة .. وأعتقد أنهم منذ شهور لم يدخلوا هذه الحجرة .. فمجلسنا المعتاد في الصالون .. المهم كيف فتحت الخزانة ؟!.. هذا اللغز .. البواب أبو سلمى أقصى ما يصله المطبخ إذا أحضر شيئا للخادمة والبيت .. والسائق كما قلت لا يتجاوز بهو الشقة .. هذا هو اللغز يا سيدي العقيد .. فالسيد مجدي كاشفته بهذا السر .. فلما سمع مني هذه القضية أخبرني عنك ، وأنك عملت في التحقيقات الجنائية والأمنية والتحريات .. وها أنا أطلعتك على القضية العجيبة .. وأنا جاهز لإكرامكم ودفع كل ما يلزم من أتعاب وأجور !



٢

خيم الصمت على القوم فترة ، ثم خاطب مجدي زميله فيصلا قائلا : هذه هي القصة يا أبا منذر ..الوالد أبو سامر يؤكد أن المسبحة منذ خمسة أيام كانت داخل الخزانة السرية المصفحة وتفقده لمجوهراته مستمر وأصبح متعة وعادة عنده .. وهو كما تحدث لا يسمح بدخول أحد إلى هذه الحجرة إلا نادرا .. ولم يحدث هذا النادر خلال هذه الأيام الخمسة .

فقال الضابط مستفهما: والخادمة ؟

رد أبو سامر : الخادمة تدخل لتنظيف المكتبة والغبار.. وفي المرات النادرة إذا أدخلت ضيفا هنا لا يمكن فتح الخزانة أمامه .. كيف فتحت الخزانة وسرقت المسبحة ؟! .. هذا هو المحير ويكاد أن يجنني ؟!

ـ لابد من معرفة كيف فتحت هذه الخزانة السرية ..؟!

عاد مجدي يقول : ما تقول في هذا اللغز يا أبا منذر ؟ ألم يتكوّن في فكرك وخيالك شيء ؟!

قال الرجل بعد تأمل وفكر : طبعا ، لا يمكن سرقة مسبحة من داخل الخزانة ما دام الفاعل لا يملك أحدهم المفتاح والأرقام السرية إلا في حالة السطو الخطير.. وأبو سامر هو الوحيد الذي يملك المفتاح والأرقام السرية .. ولو أن أحدهم استطاع تقليد المفتاح فكيف حصل على الأرقام ؟!.. ما دام أخونا أبو سامر لم يطلع أحدا عليها .. والسارق لماذا سرق المسبحة فقط وقد وصل لفتح الخزانة ؟!..لابد أنك راجعت معلوماتك جيدا يا سيدي ، وأنك لم تتركها خارج الخزانة ولو للحظة .. خطر في بالي الآن سؤال .. هل هناك عليها تأمين ؟

ضحك رفيق حلمي وقال : لا .. لابد أنك تشك بي يا سيدي .. أنا لست بحاجة لمال فالأمور تسير على أفضل ما يرام ..ولو أردت الاستفادة من التأمين للجأت للبوليس.. ولشركة التأمين ولشهرت بالقضية ..

قال الضابط المحامي : أنا آسف يا سيدي ! .. لم أقصد الإساءة لشخصكم ؛ ولكن التحقيق كما تعلم يأخذ كل فرض واحتمال ودراسته .. واسمح لي يا سيدي بالاستعانة بالشرطة

وبعض الزملاء لأخذ البصمات عن الخزانة وسيكون الأمر خفية كما تحب .

فقال مجدي مشجعا الاقتراح : جميل يا فيصل!.. فإذا كان هناك بصمات لغيرك يا سيد رفيق فهناك لص .

ـ لا أعتقد سارقا اليوم يترك بصماته في مكان الجريمة .. وربما تجدوا بصمات الخادمة ، وهذا لا يثبت جرمها فهي ممن يتردد على هذه الحجرة .. إنها تدان إذا وجدتم في حوزتها المسبحة .. وقد بحثت في حجرتها ولم أشعرها بذلك.. أنا شككت بنفسي أيها الناس .

قال فيصل : يا سيدي الفاضل! لابد من عمل تحريات سرية عنها .. لا يكفي دفاعك عنها وثقتك .. فهذه المسبحة لو وصلت إليها لأغنتها الدهر، وهجرت هذه المهنة ، وعادت لبلادها .. سآخذ اسمها الكامل وأعرف مسيرة حياتها منذ جاءت هذا البلد وعند من اشتغلت حتى نتأكد من براءتها .. هي صحيح قد لا تكون قادرة على فتح خزانة ؛ ولكن رجل مدرب وخبير خزائن يمكنه فتحها .. فربما التقت بمثل هذه الرجل ، وأثناء مغادرتك البيت أدخلته أو رجل يعرفك غرر بها وورطها ، واستولت على مفتاحك ورصدتك وأنت تفتح الخزانة وحفظت الأرقام من تكرارك لعملية التفقد .. أليس كذلك يا مجدي ألا يمكن ذلك ؟!

رد مجدي بحيرة : احتمالات ممكنة .

قال رفيق بحيرة وشك : امرأة عاشت بيننا كل هذه السنوات !.. ولم أحس بتغير في سلوكها منذ عرفتها ، تنقلب فجأة لتغامر هذه المغامرة الكبيرة .. لم أذكر مرة أنها سرقت دينارا واحدا بل عندما كانت تجد ولو قطعة صغيرة من العملة تعطيها لأم سامر أو لي .. أتراها تمهد الطريق لمجرم ؟! أو تتعاون معه ؟!

ـ حبة منوم يا سيدي تقدمها لك فتغرق في سبات عميق

ضحك رفيق وقال : لا داعي لهذا المنوم .. فأنا أحيانا ألجأ إليه .

ـ هي الوحيدة يا سيدي التي تعرف مستقر ومكان المجوهرات .

ـ كل الأعزاء يعرفون أن لديّ خزانة خاصة ولديّ حفنة مجوهرات .

قال فيصل : ولكنها هي وحدها التي تعلم مكان الخزانة ، وأنها خلف هذه المكتبة المتحركة .

ـ المفتاح يا سيدي معي وحدي .. والأرقام معي وحدي .

ـ المفتاح ممكن تقليده اليوم وبسهولة وبمبلغ بسيط .. والرقم أليس مكتوبا في مكان ما داخل هذا البيت؟!

ـ هو مكتوب في مكان ، ولا أعتقد أن أحدا يستطيع أن يستدل عليه ، فهو ضمن أرقام للخداع وثانيا مكان وجوده لم استعمله منذ استعملته وحفظته.

ـ الراغب في السرقة يراقب ويتابع يا سيد رفيق .. يسرق المفتاح ويطبعه على معجونة خاصة ، ويقدم لصانع مفاتيح فيصنع نسخة منه .. ويقدم له عذرا أنه فقد سلسلة المفاتيح والخزانة مهمة ولا مجال لكسرها .. والحيل كثيرة .. ولكن العقدة الرقم .. ولكن عدة محاولات ربما تؤدي الغرض ..

ـ ولكن السرقة قريبة الحدوث يا سيدي الضابط

ـ أنت يا سيدي طيب وعندك ثقة كبيرة فيمن حولك .. ولكن عند البوليس كل الناس في دائرة الاشتباه حتى المُبلغ وصاحب المصلحة حتى يخرج الكل من دائرة الشبهات .. وهناك احتمالات أخرى لسرقة الخزانة ما دام لم يستخدم العنف .. احتمال مهم وهو أنك تركت الخزانة مفتوحة لسبب ما .. ودخل أحدهم وتناول المسبحة المعروفة له .

بعد صمت ونظر قال رفيق : لا أنكر مثل هذا الاحتمال ؛ ولكن متى تركت الخزانة مفتوحة ؟! وكيف عرف السارق بهذا الوقت ؟!.. هل نسيتها مفتوحة وغادرت البيت ليأتي السارق ؟!

ـ إذا كان السارق من داخل البيت كان الأمر سهلا .. نسيتها مفتوحة ، ودخلت الحمام ..ألم تنسها يوما وتدخل الحمام أو للرد على الهاتف؟.. فهذه دقائق مهمة!

ـ الخادمة استغلت هذه الدقائق المهمة لتسرق المسبحة لماذا لم تسرق غير المسبحة ؟

ـ هذه قضية أمست معقدة !

ـ نحن يا سيدي نضع فروضا، ونرى من أقربها للصواب والتحري نحوه .. وهذا عمل

المحقق .. هل حصل أن تركت الخزانة مفتوحة وخرجت لأمر ما ؟

ـ الحق يحصل هذا .

هتف فيصل باسما : رائع !.. رائع هذا الاعتراف يا سيدي ! في الفترة التي سبقت الأيام الخمسة هذه أو ما بين آخر فتحة التي اكتشفت فيها السرقة والتي قبلها هل حصل مثل ذلك الفعل ؟

ـ حصل معي ذلك فعلا .. كان السائق حلمي في صالة المدخل كالعادة .. والخادمة في غرفتها أو في المطبخ ؛ لأنها قدمت للسائق كالعادة كوبا من الشاي أو العصير حسب رغبته .. وكانت الخزانة في ذلك الحين مفتوحة ونادتني السكرتيرة للحديث من الجناح الآخر جناح العمل والإدارة الخاصة بي ، وتحدثت بالهاتف مع مدير أحد المؤسسات .. بحدود خمس دقائق أو عشر

ـ جيد يا سيدي جيد ! ..إذن في الفترة الأخيرة قد ذهبت للحديث من الجناح الآخر ، وكانت الخادمة والسائق حلمي في البيت والخزانة السرية مفتوحة .. ما الكلام الذي تحدثته مع مدير المؤسسة الذي اضطررت للذهاب إلى هناك ؟ ولم لم تتكلم من هنا من هذه الشقة؟

فكر رفيق قليلا وقال : كنت أستعد للخروج من البيت ، فاتصلت لمياء بالسائق وحضر ، وكنت قد لبست ملابس الخروج ، وأثناء شربه للشاي كانت لمياء قد طلبت لي مدير المؤسسة وخرجت من هنا لأنظر حلميا وقلت له : هل حضرت أهلا حلمي؟ .. فنهض وسلم عليّ .. ونظرت كوب الشاي أمامه يا سيدي .. فقلت اشرب شايك إني في انتظار مكالمة .. وكنت أثناء خروجي لرؤية حلمي قد تركت الخزانة مفتوحة .. وأفعل ذلك بالعادة أجلس أتأمل هذه الجواهر وأنا في انتظار حلمي أو غيره ، ولما تخبرني الخادمة بوصوله أبدأ بإغلاقها ريثما يشرب شايه .. خرجت وتحدثت معه يومها .. وبينما أنا أكلمه نادتني لمياء للحديث مع مدير المؤسسة التي طلبتها لي .. فمشيت وتناولت السماعة.. وكان حديثنا عن تقديم معونة لعامل مات ـ وهو عامل في أحد المصانع ـ كنا نريد تقديم مبلغ من المال لأسرته .. بعد أن تحدثنا في الموضوع طلبت منه انتظاري .. وعدت لجناح النوم ، وكان حلمي جالسا مكانه وقد شرب شايه .. فأغلقت خزانة الجواهر .. وخرجنا سوية ونزلنا بالمصعد إلى الطابق الأول ومنه للسيارة .. ولا أذكر أنني

لاحظت توترا وارتباكا في تصرفات الشاب ذلك اليوم .. فكان تصرفه طبيعيا كما اعتدت عليه .. وهذا الرجل هو ابن صديق عزيز لي .. وهو يعمل معي منذ خمس سنوات .. وهو بالطبع ليس ملاكا .. ولكنه في العمل معي ملتزم بالأدب وحسن الدوام ولكن كيف تسلل لغرفة المكتبة وهو لم يدخلها قط ؟!.. هو في العادة عندما يكن الانتظار طويلا .. يجلس في الجناح الثاني .. في جناح العمل عند لمياء ، وهناك مكان للجلوس وصنع الشاي والقهوة والتدخين ..ولو كان سارقا ما أدراه أن الخزانة مفتوحة .. وما أدراه أني سأذهب للحديث من مكتب لمياء والخزانة مفتوحة ؟!

ـ السكرتيرة هل تركتك وأنت تتحدث مع مدير المؤسسة ؟

ـ أبدا ظلت بجواري لتتلقى أي تعليمات .. وهي لم تكن مكالمة سرية .. والسكرتيرة من النادر أن تدخل البيت ؛ لأن كل دفاتر العمل عندها ، وهي تدخل جناح الشركة من باب خاص ، وكذلك حلمي السائق ، والباب الذي يفصل بين الجناحين يفتح من هذا الجناح فقط .. أما الجهة الأخرى لا يفتح إلا بالمفتاح الخاص به .. فالمكتبة لا يدخلها إلا القليل .. وإذا كنت مريضا ودخلت السكرتيرة للسلام أو الحديث في شأن العمل يكون لقاؤنا في حجرة النوم أو الصالة التي في مدخل الشقة .. وهي أيضا ابنة صديق عزيز أيضا

تبسم المحاميان وقال مجدي : وأنا ابن صديق للسيد رفيق

قال فيصل : سمعت ذلك من أبي سامر في أول لقائنا .. الاتصال الذي تركت فيه الخزانة مفتوحة لبضع دقائق متى كان ؟

ـ قبل الظهر في العاشرة صباحا تقريبا .. والسائق حلمي قبل إصابتي بالجلطة أو السكتة الدماغية منذ أكثر من سنة كان عادة ينتظرني في السيارة عند مدخل العمارة .. لم يكن يصعد لهنا ..وإذا تأخر نزولي كان يصعد إلى شقة الشركة عند السيدة لمياء حتى أجهز للخروج .. ولكن بعد تلك الوعكة الحادة أصبح يرافقني حتى أدخل الشقة ثم ينقلب نازلا .. ولما نطلبه بدأ يصعد ليمسك بي أثناء هبوطنا بالمصعد ..هذه ملاحظة أحببت تبيانها .. لأن التوازن اضطرب عندي

يا سيدي بسبب المرض.. فصعوده طارئ ، ولا أذكر أنه تجاوز صالة الاستقبال لأشك فيه.. أنت عليك أن تشك بالجميع كما قلت ، ثم تبرئ من تشاء .. ولكن بحذر وسرية ؛ لأنه لا يعلم باختفاء مسبحة اللؤلؤ الأصلية سوانا نحن الثلاثة .. وأذكر الآن أيها السادة في ذلك اليوم أو الصباح الذي تركت الخزنة فيه مفتوحة ، وذهبت لأتحدث بالتلفون من عند لمياء.. أن ابنتي سامية لم تخرج لعلمها ذلك اليوم ..ولما علمت بذلك من الخادمة دخلت غرفتها وسألتها فأخبرتني أنها متعبة ومريضة .. فدعوت لها بالعافية ، وتناولت فطوري ودخلت مكتبتي هذه أتأمل مجوهراتي كالعادة التي تسري في دمي .. ولما تجهزت للخروج قلت هيا يا حلمي .. فتقدم وأخذ بيدي وغادرنا الشقة ، وأغلقت الخادمة الباب بالمفتاح خلفنا كالعادة المتبعة.. هؤلاء من كان حولي في تلك الساعة وكلهم فوق الشبهة والشك .

ـ وأنت بعد هذه القصة افتقدت المسبحة ؟

ـ نعم ، ها أنت دفعتني لتذكر هذه التفاصيل .. فالخادمة كانت في البيت وابنتي والسائق والسكرتيرة .. فكيف أسرق في هذه الدقائق ؟!

ثم عاد يقول : تذكرت أنني فتحت الخزانة ذلك الصباح أيضا لغرض آخر .. أخرجت مبلغا من المال النقدي ؛ ربما لأجل ذلك أبقيت الخزانة مفتوحة.. ولم يسرق دينارا واحدا من الخزانة

ـ وأنت متأكد أنك عندما فتحت الخزانة ذلك الصباح ، وأخذت مبلغا من المال أن المسبحة كانت موجودة .

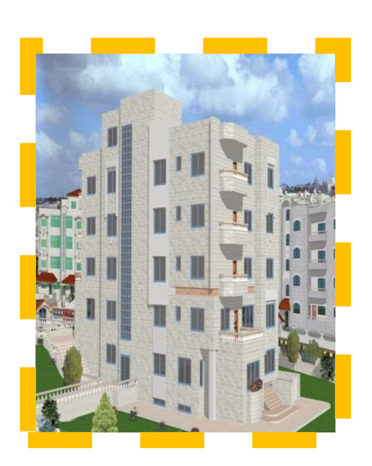
ـ أنا متأكد أنها لم تكن مختفية يومئذ لأنني سبحت بها .. وخرجت لأرى السائق والسكرتيرة .

قال فيصل حسني : لابد من وجود لص .. وكان على مسرح الحادث .. الخادمة .. السائق .. السكرتيرة ؛ ولكنك قلت إن السكرتيرة كانت معك خلال هذه الدقائق التي تركت الخزانة من غير إغلاق فلا يمكنها التسلل لهذه الغرفة .. يبقى ثلاثة هذا إذا حدثت السرقة حسب القرائن في تلك الدقائق .. الخادمة .. والابنة .. والسائق .. وهؤلاء كلهم ثقات عندك

ـ والله لا أدري كيف سأشك بهم ؟!.. وكيف عرفوا أني تركت الخزانة مفتوحة ليسرقوني بهذه

العجلة ؟!

ـ ما دام يا سيدي أن الخزانة لم تفتح من غيرك ..فهذا هو الاحتمال الواقع .. والطمع موجود بين البشر .



٣

اتفقوا على جلب عامل من المختبر الجنائي لنقل البصمات الموجودة على الخزانة الحديدية ومقارنتها ببصمات المترددين على الشقة أو الذين وجدوا في ذلك اليوم الذي تركت الخزانة فيه مفتوحة لبضع دقائق ، وعمل تحريات عن الخادمة الآسيوية ماجندا ، ثم البحث عمن حضر هذه الدقائق الخطيرة ومتابعتهم سرا .

ولما غادر المحاميان شقة رفيق حلمي ، وركبا في سيارة المحامي مجدي قال الضابط فيصل : هل صاحبنا بكامل قواه العقلية يا مجدي ؟

ـ هو عليل بحكم السن أولا .. وثانيا أصيب بجلطة دماغية كما أخبرنا .. وها هو قد احتاج لمن يمسك به أثناء ركوب المصعد ؛ ولكن بشكل متقطع .. وليس له مصلحة في إخفاء المسبحة كما قال وكما أرى .. وعدم التأمين عليها يؤكد أنه ليس في حاجة للمال .. وحسب معلوماتي الدقيقة أن وضعه المالي في العالي .. وهذه الجواهر ثروة كبيرة بين يديه .. ويخيل لي أن السارق أخذها معتقدا أن السيد لن يكتشف الأمر سريعا ..

ـ سؤالي يا سيدي عن قواه العقلية .. لأسأل هل يمكن أن يخرج المسبحة ويتركها في مكان ما وينسى أين تركها ؟

قال مجدي : من ناحية طبية لا أدري .. علينا بسؤال الطبيب المعالج له .. ولكنه ذكر لنا أنه بحث في البيت في هذا الاحتمال .. ولكن الجلطة الدماغية من الأمراض الخطيرة والصعبة كما أعلم ..وتؤثر على الذاكرة والحركة .. فالرجل الطبيعي ينسى ويذهل .. فكيف المريض بهذه العلة؟! .. ألا نضع شيئا وننسى مكانه ثم بعد حين نتذكر أين نسيناه ؟!

ـ يحصل هذا لنا كثيرا ؛ ولكن هذه مجوهرات ليست قلما أو مفتاح سيارة أو علبة دواء .

قال مجدي : أنا شخصيا أرى أنه وضعه الصحي غير مريح .. وهو يكلمنا قبل قليل كنت ألحظ عليه الشرود أحيانا ..

ـ إنه يتذكر الأحداث .. فهو غير مستوعب أن يسرقه أحد ممن حوله .. وهو لا يريد أن

يصدق أنه قد سرق .

ـ علينا بالحديث مع طبيبه الخاص أو أطبائه .. ولكننا قد نضطر لمكاشفتهم بالقضية .. ليحدثونا بصراحة .

قال فيصل : إذا لم يكن هو الجاني نسيانا أو غفلة .. فالخادمة لابد أن يكون لها دور ويد .. فهي مهما كانت طيبة .. فالجواهر تدير الرأس وتفتن العقول .. وهي بالصبر والمتابعة تعرف الأرقام وبعدة محاولات استطاعت فتح الخزانة .. وعلى الفرض الثاني كان أمامها فرصة لدخول المكتبة بحجة التنظيف ورأت الخزنة مفتوحة فتناولت المسبحة بثوان معتقدة أن السيد لن يكتشف الأمر على الفور فهي بين عدد من المسابح .. والسائق أمامه فرصة إذا أحس بأن الخزنة مفتوحة ولكن فرصة الخادمة أكثر وآمن .. فلو فاجأها السيد أمامها حجة التنظيف المعتادة وهي تعرف البيت ونظامه ..أما البنت لم أفكر فيها بعد .. ما رأيك فيها ؟

ـ سامية فتاة هادئة ولطيفة جدا .. وخجولة جدا.. هل تعلم أنني حدثت أبي بخطبتها لي من العم رفيق .. ولما علم والدها بذلك أخبر أبي بأن أخته طلبتها لأحد أولادها .. وهو ما زال لم يقطع أمرا ، ولم يحدثها أبوها بأمر ابن أخته بعد ، وهو مهندس طيران أو شيء له علاقة بالطيران .. ولا حدثها عني بالطبع فالأمر معلق بعد .

ـ يعني أنها لا يمكن أن تسرق المسبحة !

ـ لا أستطيع أن أنفي ، لا علاقة خاصة لي بها سوى التحية إذا تصادفنا .. سؤال يا صديقي .. لو وجدنا يا سيدي بصمات الخادمة على الخزانة فهذا لا يفيد كما أعتقد

ـ من الخارج لا يفيد ، أما إذا وجدت بصمة لها من الداخل داخل الخزنة .. فهذا يفيد ويدفعنا للبحث عن مكان إخفاء المسبحة ثم الاعتراف .. والبصمة تدفعنا لوضعها تحت مراقبة الشرطة

٤

رتب المحامي فيصل موعدا بين فريق البصمات والسيد رفيق، واختاروا يوم جمعة حيث لا عمل للسائق حلمي فيه إلا حسب الطلب والحاجة ، ولا عمل للسكرتيرة كذلك ، وهو يوم إجازة للخادمة فيسمح لها بالمغادرة وزيارة معارفها ، ولم يجدوا إلا بصمات السيد رفيق في الداخل والخارج ، وإذا مسحت بصمات الخارج فيكون ذلك قبل اكتشاف السرقة ، وأكد لهم الرجل أنه منذ اكتشف السرقة منع الخادمة من دخول الغرفة ؛ لأنه كان يفكر باستدعاء البحث الجنائي لرفع البصمات وإشراك الشرطة في القضية ، وكان يصحبهم خبير متخصص في الخزائن السرية ولما قام بفحصه أكد لهم هو الآخر أن الخزانة لم تفتح إلا بمفتاحها الأصلي ولم تجر أي محاولات لفتح الأرقام ، فلما ودع العقيد فيصل رجال البحث الجنائي ومعمل البصمات قال لرفيق ومجدي : ليس أمامنا إلا نعترف بأن السرقة كانت ذلك اليوم الذي نسيت أو تركت الخزنة فيه مفتوحة وتحدثت من هاتف الشركة .. لقد غامر شخص ودخل المكتبة .. هل السيدة ماجندا غادرت المنزل بعد تركك الخزانة ذلك اليوم ؟

ـ أغلب الأيام تخرج .. إذا احتاجت لشيء من شاي قهوة عصير ثوم خضار تهبط وتشتريه من المحلات القريبة .. البواب ليس مستعدا لتلبية ذلك كل الأوقات .. وإلا قضى نهاره في خدمة سكان العمارة .. فالبيت يلزمه أشياء كثيرة للطعام والمطبخ .

ـ لقد أجريت تحريات عن الخادمة .. فهي سيدة محترمة ، ولم يسجل عليها أي سرقة .. ولها تخدم البيوت عشرين سنة .. تنقلت بين عدد من الأسر .. كل من سؤل عنها أثنى عليها خير الثناء .. وسافرت لبلدها في عدد من الإجازات ، وهي أم لرجلين في الأربعينات .. عمل أحدهم فترة في البلد ثم رجع لموطنه .. ولها ثلاث بنات متزوجات في بلدها الفلبين .. وهي رغم حجمها الصغير تبلغ الخامسة والخمسين .. ومع سيرتها الحسنة يبقى بريق الذهب والجواهر مثير ومغري يسيل له اللعاب كما هو معروف .

وضع كوب العصير بعدما أفرغه في جوفه كاملا وعلى نفس واحد وقال : الحمد لله .. طيب

أما السيد حلمي سائقك الخاص .. لم نجد له أي سرقة في ملفات الشرطة .. ولكن كان له في صغره منازعات وخصومات حادة .. ولكنه لما بدأ يشتغل خفت وعاد للهدوء .. تعقل كما يقال .. وفي النهاية أقول يا سيد أبا سامر قد بذلت قصارى جهدي العقلي والشرطي لمعرفة الجاني ، ولم أوفق لمعرفته .. وأشكر الزميل مجديا على الثقة الكبيرة التي وضعها في شخصي الضعيف .. ولكن لا أقول أن القضية انتهت وقيدت ضد مجهول ..فالأمل سيظل موجودا .. وعندي اقتراح بناء على أن السارق لم يأت من فراغ .. فهو له علاقة ومعرفة بالبيت وبالسيد رفيق ..

ولما ظل الرجلان صامتين استرسل فيصل قائلا : ما رأيكم بأن نضع له طعما ؟! فالذي سرق أول مرة سيعاود الكرة ، هذه عادة أهل الشر .. فالسارق إذا لم يعرف ويعاقب فيعتقد أنه يستطيع معاودة الكرة مرة ومرات ما دام قد ظل بعيدا عن الحساب الدنيوي ..سأحضر لك مسبحة مقلدة .. وعليك إظهارها باستمرار أمام زوارك وضيوفك ؛ لعلنا بهذه الخدعة نثير شهية الفاعل ليقوم بسرقة جديدة .. ربما تتحرك غرائزه الشريرة .. غريزة الطمع والغرور .. فهو الآن مطمئن أن القضية لم تصل للشرطة ، وأنك لم تعر الأمر اهتماما ، وأنك لم تعرف بسرقة المسبحة .

قال مجدي: لم أخبر أحدا بالقضية الخاصة ولا حتى أبي .. وفكرة الطمع والإغراء فكرة ربما تفيد ولن تضر .

قال رفيق : حسنا عليّ أن أرضى بهذا الاقتراح الفيصلي .

وضحك الرجال ، وبعد أيام كان المحامي مجدي يضع بين يدي رفيق حلمي مسبحة من أحجار الماس الزيف أو الصناعي ، وهي في غاية الإتقان والجمال ، وقام رفيق بالدور المطلوب منه ، فكان يظهرها أمام مخدوميه وزائريه ، ويدعي أنه حصل عليها حديثا من أحد محلات المجوهرات في بلجيكا ، وثمنها يعادل مائة ألف دولار .. وكان يكثر من الحديث عن الجواهر وحبه لها كما كان يفعل قبل فقد المسبحة اللؤلؤية .. وكان يتظاهر أيضا بعدم اكتشاف ضياع المسبحة .. وكان يقوم بهذه الدور العجيب وهو يفكر بعمق بكيف اختفت المسبحة رغم حرصه الشديد ؟ .. وبينما هو يمارس دورا ماكرا في الحياة زاره ثلاثة رجال أجانب وعرفهم وتذكرهم

.. رجال ممن عرفهم في اليونان وإيطاليا .. رفاق البحر أيام الشباب والمغامرات .. ودار بينهم نقاش حاد في عدة جلسات .. وفي آخر لقاء طردهم شر طردة .. محذرا لهم من البقاء في البلد .. فقد جاءوا يسألونه أن يرد إليهم جوهرة هندية اشتروها قديما من أحد موانئ الهند .. وقد أكد أمامهم بأنه اشتراها ، ولا يرغب ببيعها وردها للهنود مهما بذلوا من المال .



٥

وبعد حادثة طرد الرجال الأجانب دخل رفيق المستشفى للعلاج من الضيق والتعب الذي أصابه من لقاء هؤلاء الرجال ، ووضع تحت المراقبة الطبية بطلب من طبيبه الخاص الدكتور باسم بيدو ، وكان أطباؤه عندما أصيب بالجلطة الدماغية حذروه من الانفعال الشديد والعصبية الحادة .. وكان لقاؤه بهؤلاء الرجال وتره وهيجه ، وأصابه بالغضب الشديد ، وأفقده السيطرة على أعصابه.. وعلينا أن لا ننسى أيضا الغم الذي أصابه من ضياع مسبحة اللؤلؤ .. ولما تحسنت صحته واستقرت وزالت أخطار تكرار السكتة ، وسيطروا على ضغط الدم الزائد سمحوا له بالخروج ، فعاد للبيت منهك القوى.. وكان محاميه مجدي قريبا منه ، ويكثر من التردد عليه .. ودخلت عليه السكرتيرة لمياء صباح يوم بعد تحسنه من الألم والمرض ومعه في ذلك الصباح المحامي الشاب قالت : يا سيدي .. لقد جاءت عدة دعوات من عدد من الجمعيات والنوادي تدعوك لحضور مناسباتها الخاصة ومهرجاناتها .. وأهمها الجمعية النسائية في مدينة الخد .. وهم يلحون بشدة على حضورك حفلهم السنوي .. وأنا ذكرت للسيدة الدكتورة سعيدة أنك خارج من المستشفى منذ أسبوعين ، وصحتك لم تعد تقوى على السفر البعيد .. ولكن السيدة ترغب بالحديث معك من أجل ذلك .

التفت رفيق للمحامي وقال : هذه دعوى لا ترد يا أستاذ مجدي .. بيني وبين تلك السيدة علاقة خاصة .. وأنا أحد المتبرعين لجمعيتها باستمرار .. ولكني منذ مرضت مرضي الأخير منذ عام أو أكثر لم أشارك لها في حفلة أو نشاط وهي حريصة دائما على دعوتي وحضوري .. فالمسافة إلى تلك المدينة تحتاج إلى أربع ساعات ونصف ..والعام الفائت في حفلة آخر العام اعتذرت .. وها هي تدعونا لها هذا العام .. وأنا لست على ما يرام .. والحفلة ربما تحتاج إلى أسابيع قبل أن تقام .. مرضني هؤلاء الملاعين الطليان .

كأن المحامي تفاجأ فقال : من هؤلاء الطليان الذين أمرضوك ؟!

ـ أنا لم أحدثك عنهم ؟!

وروى للمحامي زيارة الأجانب الثلاثة لحضرته ومطالبتهم له بجوهرة قديمة ، وساعدته السكرتيرة بالرواية فقالت : قبل مرضه الأخير زارنا ثلاثة من الأجانب كانوا يعملون معه في البحر والمحيطات .. وطردهم بعد أن أغضبوه حتى هددهم بالاتصال بالشرطة حتى غادروا الشقة .. ومنذ خرج من المشفى وهو يتصلون من جديد لتحديد موعد للتفاهم وحل المشكل بينهم.

فالتفت المحامي لما سكتت الفتاة لرفيق وقال : ماذا يريدون ؟ جوهرة قديمة !

قال رفيق: مشاكل قديمة منذ عشرين سنة تخيل ! .. فعلا هناك أناس مجانين في هذا العالم .. يدعون أن لهم حقوقا عندي ..صبروا كل هذه السنوات ، ثم استيقظوا .. جنون هذا !

قال : هدأ من نفسك يا أبا سامر .. لا يستحقون العناء والانفعال .. سأتصرف معهم يا سيدي

ـ لا تسمحي لهم يا ابنتي يا لمياء بالمجيء إلى هنا .. وليكن لقاؤهم بالمحامي مجدي ولينصرفوا لبلادهم خيرا لهم .. وأنا لولا العشرة القديمة وذكريات المرأة الأولى لاتصلت بالبوليس من أول اجتماع بهم .. لكن الذكريات القديمة لم تسمح لي باللجوء للبوليس .

قالت لمياء : ماذا أقول للسيدة سعيدة ؟

ـ السيدة سعيدة .. متى يكون احتفالهم هذا العام ؟

ـ سيكون يوم خميس مع وقت الظهر تاريخ ٢٥ – ٤–١٩٨٥ بعد ثلاثة أسابيع من اليوم .

ـ حسنا قبل الاحتفال سأقرر يا سيدة لمياء ! .. وسأتحدث مع سعيدة بنفسي .. هل من شيء آخر ؟ قبل الشيء الآخر .. تذكرت خبير الجواهر .. رضا هل اتصل بي ؟

فقال المحامي : خبير الجواهر .. ولماذا ؟!

ـ أنا لم أقل لك .. منذ شهور تحدثت مع صديقنا رضا شاه في بلجيكا.. عامل في متجر مجوهرات دولي .. خبير في الماس والأحجار الكريمة .. اتصلت به منذ شهور يا سيدي المحامي ، ودعوته لزيارتي ليطلع على مجموعتي من الجواهر ، ويعمل لها فحصا معتادا بين وقت وآخر.. ولكنه اعتذر لي عن المجيء في ذلك الوقت .. وقبل شهرين على ما أظن اتصل بي وقال إنه قريبا سيكون

هنا .. وها نحن منذ شهرين في انتظاره .. هل اتصل يا لمياء أثناء وجودي في المشفى؟

ردت السكرتيرة : أبدا يا سيدي .. هل تحب أن أتصل به من جديد ؟

ـ فيما بعد .. على كل حال هو سيأتي .. إذا خف عنه العمل ، لابد أن يزورني ؛ لأنني عميل قديم عنده منذ أيام إيطاليا والبحر ـ وتنهد شوقا لتلك الأيام ـ كلما كنا نعود من سفرة ببعض الجواهر إما أن نذهب إليه أو يأتينا روما أو أثينا ..ومن عادته الوفاء بالوعد ..اذهبي يا لمياء لمكتبك .

لملمت الفتاة أوراقها وملفاتها وغادرت ، ولما اختفت قال رفيق : هذه الفتاة تعمل معي منذ عشر سنوات ، وهي ابنة أحد الأصدقاء كما تعلم .. والمسكينة قد تزوجت ابن عم لها ، ثم طلقها متعلقا بامرأة أخرى .. ولكن الصحيح أنه لم يعرف أن يستفيد من أموال أبيها .. ولما عجزت على إدارة العمل من مكتبي في الشركة نقلت جزأ من المهام لهذه الشقة وجئت بها للعمل معي هنا .. فهي نشيطة وتفهمني بشكل ممتاز يا مجدي.. كما تفهمني أنت وتتعاون معي فتقدم لي تقارير دقيقة ومختصرة كأني أعيش في كل الشركات التي أملكها .. الحمد لله على توفيقه .



٦

اتصلت الدكتورة سعيدة بنفسها مع السيد رفيق حلمي ، واطمأنت على صحته ، وحثته على المجيء للمشاركة في الحفل السنوي للجمعية النسوية في مدينة الخد ، وبينت له أنهم هذا العام سوف يقدمون تكريما خاصا لبعض المحسنين الذين لهم أيادي بيضاء على تاريخ الجمعية ، ودعموا مشاريعها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وأنه على رأس المكرمين في هذا العام ، ولما رأى إلحاحها ورغبتها الملحة بمجاملته والسعادة برؤيته والحديث معه مباشرة قال لها : سأكلم طبيبي الخاص، وإذا سمح لي بهذه الرحلة الطويلة سأكون بين الحاضرين ..فسرت الرئيسة لهذا الأمل .

ولما عاينه الطبيب الخاص باسم بيدو رخص له القيام بهذه الرحلة رغم استغراقها لأربع ساعات ونصف في القطار ، فهو كلما يسافر لمدينة الخد يركب القطار ، ربما عادة أحبها أثناء وجوده في أثينا وموانئ إيطاليا وجنوب فرنسا ، وهي عادة التنقل بالقطارات ، وقطارات اليوم تمتاز بالسرعة والراحة .

فلما أخذ موافقة الطبيب على السفر اتصل بمجدي محاميه الخاص قائلا : سيكون السفر مساء الأربعاء، وقد حجزت لمياء غرفة في فندق الخزان في قلب مدينة الخد .. ما رأيك بمصاحبتي في هذه السفرة ؟

ـ لدي بعض المشاغل ؛ ولكني سأنطلق إليك صباح الخميس مبكرا ، وأكون معك أثناء الحفل وربما قبل الحفل .

ـ جيد يا ولدي !.. سأقضي ليلة أخرى في الفندق .. سأعمل على أن تتعشى معنا السيدة سعيدة في مطعم الفندق .

ـ هل أنت مسافر بالقطار كالعادة أم بالسيارة ؟

ـ في القطار إن شاء الله ..وسأترك القطار في مدينة لبى ، فهو لا يمر من مدينة الخد نفسها .. وستكون في انتظاري سيارة مرسلة من قبل السيدة سعيدة .. وبين لبى والخد حوالي خمسين

كيلو متر .. ولبى محطة القطار تابعة إداريا للخد .

ـ سأرافقك إلى محطة القطار مساء الأربعاء .. ويوم الخميس ظهرا سأكون معك بعون الله تعالى.

ـ سيكون غداؤنا بضيافة السيدة سعيدة في صالة خاصة .. صالة شرف ، فهي تقدم أفضل الوجبات في تلك البلدة .. وسأعرفك بها ، وندعوها للعشاء معنا في الفندق.

ـ إن شاء الله يا سيدي .

ـ ضروري أن تكون هناك يا مجدي .. فقد أقوم ببعض الأعمال الخيرية أيها الابن العزيز .

ـ أمرك يا سيدي .. سأكون في الفندق قبل الظهر .

ـ رائع !.. ستكون حجرتك محجوزة .. وقد حجزت لي لمياء مقصورة خاصة في القطار حتى أستطيع التمدد وحتى النوم .

٧

ركب السيد رفيق السيارة التي يقودها السائق حلمي ، وركبت السكرتيرة لمياء في المقعد الخلفي وكانت حقيبة الثياب وضعت في صندوق السيارة ، ثم أعطي السائق إشارة الانطلاق إلى محطة القطار محطة الشرق حيث سيركب قطار الساعة الخامسة والربع مساء المتجه إلى محطة لبى القريبة من مدينة الخد .. وكان قد تم حجز مقصورة خاصة للسيد رفيق .

ووجدوا المحامي مجديا في انتظارهم على رصيف المحطة ، وسلموا على بعضهم البعض ، واطمئن المحامي مجدي على صحة السيد رفيق ، وأنه جاهز لهذه الرحلة .. قام السائق بإدخال الحقيبة الخاصة بالسيد رفيق إلى مقصورته .. وصعد رفيق إلى المقصورة الخاصة المؤثثة بأثاث يليق بأصحاب الأموال ورجال الأعمال ، وكان بداخلها مقعد يتحول إلى سرير عند الحاجة، فلما استقر الرجل على المقعد المريح شكر القوم ، وذكر مجديا بموعد الغد .. وبعد دقائق انطلق القطار رويدا رويدا حتى يغادر المحطة لتزداد سرعته حتى يقترب من المحطات الأخرى فيعود للهدوء وتخفيف السرعة .

فلما ابتعد القطار قال مجدي : لماذا لم تذهب معه يا أستاذ حلمي ؟! ألا يحتاج لسائق هناك ؟

ـ قال إن السيدة سعيدة ستوفر له سيارة خاصة وسائقا .. وطلب مني أن أبقى في خدمة السيدة لمياء .

فقالت لمياء : السيد رفيق يحب السفر في المسافات البعيدة بالقطارات أو الطائرة .. والطائرة غير متيسرة لهذه الرحلة ، وصحته أيضا لا تساعد لو ركب الطائرة .. وهو يحب الاستمتاع برحلة القطار ؛ فأنها تذكره بوجوده في القطارات السريعة في أوروبا .. وهناك يستفيد من سيارات الفندق .. والدكتورة المحترمة ستدبر أمر السائق والسيارة كما علمت منه ..

وعاد حلمي السائق يقول : وأنا سائق لهم .. السيد رفيق والسيدة لمياء .

فقال المحامي مخاطبا لمياء : هل تحبين أن أوصلك للبيت أو أي مكان آخر؟

تبسمت له وقالت : شكرا يا سيدي المحامي .. سأعود لشقة العمل بعض الوقت ، ثم

انصرف لبيتي .. فالسيد حلمي سيقوم بالواجب .. أشكرك ثانية .

فودعهما قائلا : غدا بمشيئة الله سأكون في خدمة السيد رفيق في مدينة الخد .

فقال حلمي : بإذن الله رافقتك السلامة .

انطلق المحامي بسيارته نحو غايته ، وركبت لمياء بجوار حلمي ، وانطلق بها نحو شقة رفيق حلمي .



لما وصل مجدي قبل ظهر يوم الخميس فندق الخزان بمدينة الخد تفاجأ بأن السيد رفيقا لم يصل للفندق ليلة أمس .. فدهش وظن أن السيد رفيقا مرض في الطريق ونقل لأحد المستشفيات ؛ ولكن المدير أكد له أنهم كانوا في انتظاره حسب الترتيبات والتعليمات من الدكتورة سعيدة السيدة المعروفة للفندق الكبير .

أخبر المدير السيد مجديا أن أحدا اتصل بهم ليلا ، واعتذر لهم عن عدم مجيء السيد رفيق الليلة .. وكان السائق الخاص بالفندق قد ذهب إلى محطة لبى منتظرا للسيد رفيق بناء على طلب الدكتورة .. وفهمت من الاتصال أنه سيأتي اليوم .. فلما اتصل بي السائق من المحطة بأن القطار وصل وليس عليه السيد رفيق .. فطلبت من العودة .

فكر مجدي بما سمعه من المدير وقال : يا سيدي .. أمتأكد من المعلومات ؟

ـ طبعا يا عزيزي .. قلت لك إن السائق عاد من لبى من غير أن يلتقي بالسيد رفيق .. قالوا إنه نزل في محطة سابقة .. وكانت مقصورته فارغة .. واتصل بي فأخبرته أن أحدا أخبرهم أنه أجل مجيئه لليوم .. وأمرته بالرجوع .

ـ أنا يا سيدي محامي السيد رفيق ، وأنا ودعته بنفسي في محطة الشرق مساء أمس .. وموعدي معه اليوم هنا ظهرا لنذهب لصالة الشرف للغداء على شرف السيدة سعيدة .. ثم لنحضر الحفل

السنوي للجمعية النسوية التابعة للدكتورة سعيدة .. فهل الذي اتصل بك رجل أم امرأة ؟

ـ لم أتلق الاتصال بنفسي.. الاستقبال هو الذي تلقى الهاتف واعتذار السيد رفيق عن المبيت الليلة الفائتة ، وطلب عدم إرسال سيارة لمحطة لبى .. ولكن عندما جاء الاتصال كان السائق قد مشى لهناك .

اتصل مجدي بالسكرتيرة لمياء وسألها عن السيد رفيق فقالت : منذ ودعناه على رصيف المحطة لم أتكلم معه رغم أنني حاولت هذه الصباح الحديث معه ؛ ولكن لا أحد يرد من الغرفة .. فظننت أنه نائم أو مشغول بشيء ، وأجلت الاتصال إلى فترة ما بعد الظهر .

ـ ألم يبت بالشقة ؟

ـ شقته هنا ؟! كيف؟!

ـ آ!

ـ لا ، طبعا ، من أين تتكلم ؟

روى لها الموضوع باختصار ، وقالت مظهرة الاستغراب : لم يبت في الفندق ؟! هل أصابه شيء ؟ هل نزل في الطريق ؟!

ـ لا أدري .. اسألي الخادمة ماجندا ؟

وضعت السماعة وسألت الخادمة التي نفت عودته ليلا ، وأنه منذ خرج لم يتحدث معهم ولم يرجع ، ولما نقلت ذلك لمجدي قالت له : سأتحدث مع بعض المستشفيات ؛ ربما تعب في الطريق ونقلوه إلى مستشفى في أول محطة توقف فيها القطار .

ـ حسنا تابعي الأمر من عندك، وأنا سأتابعه من عندي .

تحدث المحامي مجدي مع الدكتورة سعيدة ، فأكدت أن السيد رفيقا لم يتصل بها ، بل لما اتصلت بالفندق لتتحدث مع السيد رفيق في الصباح تفاجأت من عدم مجيئه ليلة أمس ، وتركت الاستفسار لانشغالها بالإعداد للحفلة ، والترحيب بباقي الضيوف .. ثم أنهت الاتصال قائلة : الأرجح أنه دخل المستشفى .. تحدث مع مدير المحطة ربما يكون عنده الخبر اليقين .

ـ ولكن السائق سأل عنه في المحطة فلم يروه ، ويقولون ربما نزل في نقطة سابقة شكرا .

اجتمع مجدي بالسائق الذي ذهب لمحطة لبى لاستقبال السيد رفيق فقال للمحامي : يا سيدي المحامي ..قبل موعد وصول القطار بساعة تحركت للمحطة التي تبعد عنا خمسين كيلو متر .. وصلت إليها قبل وصول القطار القادم من العاصمة .. لما ذهبت للمقصورات الخاصة .. حسب إرشادات أحد موظفي المحطة ..وهناك سألت موظف المقصورات الذي كان يهبط على الرصيف فأخبرني أن أحدهم استقبله في محطة صغيرة .. ونزل الرجل معه .. فاستغربت هذا التصرف ، وعدت للفندق بعد أن اتصلت بهم وقالوا ارجع لقد اعتذر عن المجيء هذه الليلة انطلق المحامي إلى محطة لبى وتحدث مع الإدارة الصغيرة في المحطة ، وأخذ اسم العامل الذي كان يخدم مقصورة السيد رفيق ، وانطلق إلى المحطة الصغيرة التي تسبق لبى محطة (عين المها) وهناك علم منهم أن السيد كان متعبا ومجهدا ، وكانت في انتظاره سيارة (بويك أمريكية) ، وصعد السائق لمقصورته ، وقام هو والعامل (ناصر) وأحد موظفي المحطة بنقله ونقل حقيبته إلى السيارة البويك ، وعلموا من الشاب أنه سيذهب به إلى مدينة الخد وفندق الخزان .

أدرك مجدي أن هناك مؤامرة وعملية خطف مدبرة ، وأن السيد رفيقا تعرض لعملية خطف قذرة ، وتذكر الأجانب الثلاثة الذين زاروا رفيقا منذ شهر فقال : من وراء هذه اللعبة ؟! ولماذا لم يسمحوا له بالوصول للخد وحضور الحفلة ؟!

جلس مجدي في كافتيريا المحطة يتفكر بهذه الجريمة وماذا نهايتها ؟ وهل للطليان الثلاثة يد في هذه الحادثة الغريبة ؟ وبعد تناوله بعض الشراب والمأكولات اتصل بالمحامي فيصل حسني فقال له الآخر : هذا أمر خطير يا مجدي ! لماذا يرغبون منعه من الوصول لمدينة الخد ؟! لا أرى سببا لذلك .. أم أن الأمر له علاقة باختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟

ـ مسبحة اللؤلؤ ! وما علاقة ذلك باختفاء السيد رفيق يا فيصل ؟ ذلك أصبح من الألغاز الغامضة .. أنا خطر في بالي الأجانب الثلاثة .. لابد أن نلتقي .. أنا في انتظارك لتحقق في الحادث هنا ..وتبلغ الشرطة أيضا .

مع غروب يوم الخميس كان المحامي فيصل حسني عند محطة عين المها المحطة التي اختفى عندها السيد رفيق حلمي ، وكان بصحبته ضباط شرطة من تلك البلدة ، واستقبلهم مجدي وعرض القضية عليهم فقال : كنت مساء أمس الأربعاء بنفسي في وداع السيد رفيق في محطة الشرق ، وكان معي أيضا السائق الخاص به وسكرتيرته الخاصة أيضا ، وودعناه وجلس في المقصورة الخاصة المحجوزة له ضمن الجناح أو القسم الخاص .. حجزت له ليكون وحده ، وليكون في راحة تامة حتى يتمكن من النوم ، فالرحلة تحتاج لوقت وصحته ضعيفة ، والأدوية التي تقدم له فيها كثير المسكنات .. وكان في انتظاره عند الوصول إلى محطة لبى سائق من فندق الخزان حيث سيقضي ليلته فيه.. ومن ثم أجتمع به صباح هذا اليوم لنذهب للغداء على دعوة الدكتورة سعيدة رئيسة جمعية أهلية في مدينة الخد.. ولما سألت عنه قبل ظهر اليوم في الفندق أخبرني مدير الفندق في مدينة الخد أن أحد الناس اتصل بهم قبل وصول القطار لمدينة لبى بثلاث أرباع الساعة .. أن السيد رفيقا أجل المجيء هذه الليلة وسيصل صباح الغد .. يعني اليوم .. وكانوا قد أرسلوا السائق لمحطة لبى قبل حدوث الاتصال المجهول .. ولما وصل السائق إلى هناك ووصل القطار .. وجد أن الضيف غير موجود ، وأخبره عامل المقصورات الخاصة أنه نزل في محطة عين المها .. وكان متعبا وشبه نائم ، وأخذه سائق بسيارته.. ولما اتصل السائق سائق فندق الخزان بالفندق أمروه بالعودة .. لأن السيد اعتذر عن المجيء تلك الليلة .. واتصلت بالسكرتيرة لمياء، فعلمت منها أنه لم يتكلم معها منذ سافر وأنه لم يرجع للعاصمة .. وتحدثت مع السيدة سعيدة فقالت إنها كانت تنتظر الصباح للتحدث معه وتطمئن عليه .. وحاولت الاتصال به في غرفته فلم يرد أحد فظننت أنه ما زال نائما .

تكلم ضابط المنطقة مع المسؤول عن هذه النقطة فأجاب : عندما وقف القطار في المحطة لبعض الوقت كالعادة لتنزيل من يرغب وتحميل من يرغب .. كانت سيارة (بويك أمريكية) فيها رجل متوسط الطول يلبس بدلة بنية اللون واسعة نوعا ما.. يلبس نظارة خضراء .. سأل عن القطار (رقم ٢٧) .. فقلنا له سيصل بعد دقائق .. بعد مضي ربع ساعة تقريبا وصل القطار (

رقم ٢٧).. ولما توقف القطار رأينا الرجل يذهب إلى المقصورات حيث يوجد السيد رفيق ..كما عرفنا اسمه فيما بعد .. وصعد الشاب مع عامل المقصورات ناصر حامد ورجل من المحطة اسمه (خليل) .. وكان الرجل كما أخبرنا ناصر كأنه يستيقظ من النوم ، وكان مرهقا ..وقالا اقترب الرجل من رفيق وهمس في أذنه كلاما .. وقال ناصر إن الرجل كان طول الطريق شبه نائم كأنه مخدر وهذا ما لاحظه موظفنا خليل أيضا .. وأمسك الشاب ناصر والسائق بالرجل وساعدوه على النزول بناء على رغبة سائق البويك.. واستسلام رفيق له لم يظهر أي تمرد ورفض .. وحمل خليل حقيبة الرجل ..ولم يخطر في بالهم أن هناك عملية خطف ، فالأمر مشى طبيعيا .. والرجل لم يبدِ مقاومة للسائق ليثير انتباههما لشيء سيء يحدث وقاده ناصر والسائق إلى السيارة التي حضر بها الشاب .. ووضع موظفنا خليل الحقيبة في السيارة .. وعاد ناصر مسرعا لقاطرته وقال السائق لخليل مودعا : كنا نخشى عليه السفر ، فهو مصاب بجلطة .

ولما استقر الرجل في مقعده والسائق في مقعده أعطى خليلا ورقة من المال وهو يقول : إنه عمي .. شكرا لكم . وانطلق بالسيارة خارجا من المحطة كما قال العامل خليل يا سيدي .

وعاد الرجل يقول : كان الأمر طبيعيا يا سيدي .. والموظف لم يخطر بباله أن السيد يتعرض لعملية خطف .. ولما ذكر لهم أنه مريض فظنوا أن نوبة مرض جاءته أثناء الرحلة.. وناصر أعلمني أنه لم يطلب أي خدمة خلال الطريق سوى قنينة ماء مفلترة .

فلما سمع الضباط والمحاميان أقوال مدير المحطة الصغيرة قال ضابط المنطقة : سنأخذ السيد خليل لسماع أقواله .. وعلى السيد ناصر أن يقدم أقواله في أي مركز أمني ، وإذا تيسر له المجيء إلينا يكون من الأفضل .

والتفت الضابط لفيصل وقال : لماذا خطف ؟ هل يريدون مالا ؟!

فقال فيصل : سنعرف بعد ساعات إذا كانت القضية قضية مال .

عاد الضابط موسى خالد يقول : أعتقد أن خطة الخطف وضعت خيوطها في العاصمة .. هناك بدأت الجريمة يا سيدي العقيد .. لأنه لا أحد يعرف السيد رفيقا هنا ..

قال العقيد المتقاعد فيصل : إذا كانت هناك جريمة كما يلوح في الأفق إنها بدأت فعلا في العاصمة كما تقول .. لكن التنفيذ كان هنا .. هناك أسئلة كثيرة تحتاج لإجابات .. وأهمها كيف استسلم السيد رفيق للرجل الغريب وترك القطار؟ ماذا همس سائق البويك في أذنه عندما صعد المقصورة ؟ ولماذا كان متضعضعا ومتعبا ؟ وهل حقا كان مخدرا ؟ واستيقظ عند توقف القطار ! ولماذا اختار هذه المحطة بالذات فمحطات توقف القطار أكثر من خمس محطات قبل أن يصل إلى هنا أو ربما أربع ؟.. ومن الذي اتصل بفندق الخزان معتذرا عن وصوله ؟ وصل القطار هنا حوالي الثامنة والربع مساء .. وتظاهر السائق أمام موظفي المحطة بأنه بانتظار السيد رفيق وأتقن دوره .. حتى أنه لم يثير في رجال المحطة أي شبهة كما يبدو من كلام مدير أو رئيس هذه المحطة ؟ وأخبرني الأستاذ مجدي أن السيدة سعيدة الداعية له إلى مدينة الخد لا تعرف له أي أعداء في الخد .. وأن علاقته معهم علاقة دعم ومساعدة مالية للجمعية .. وكان يشارك في كثير من الأعوام في مهرجانات وحفلات الجمعية .. ولكنه السنة كان على موعد معهم رغم علته لأن الجمعية ستقوم على تكريمه ويقلدونه درع الجمعية ، هو وعدد آخر من المحسنين للجمعية وبعض رجالات المدينة من كبار الموظفين .. وحتى ولو لم يحضر بشخصه كان سيقدم له الدرع إما باليد وإما بالبريد .. ولكن لرغبتها ومحبتها للرجل كانت محبة لأن يستلمه بيده كسائر ضيوفها .. فأذن له طبيبه باسم بالسفر .. هذه معلومات جمعها الأخ مجدي .

فقال مجدي : وأنا في انتظارك عاودت الحديث مع السيدة سعيدة ، وهي في غاية الخوف والقلق على حياة الرجل .. ولهذا الحادث الغريب .

عاد فيصل محدثا الضباط وهم يجلسون في أحد مكاتب المحطة يتناقشون حول الحادث واستغراب وقوعه فقال : الجريمة مدبرة .. لكن الدافع للآن غير واضح إلا إذا كان للرجال الطليان الذين زاروه من فترة لحاجة قديمة بينهم يد في هذا الخطف ، وقد طردهم ورفض استقبالهم ، وهددهم بالشرطة.

فقال الضابط : هل كان تحت مراقبتهم ؟! .. وكيف عرفوا تحركاته يا سيدي ؟

ـ المجرم والمترصد يتابع ويرتب خططه يا سيدي .. ولكن حاله عندما نزل من القطار دون أن يسأل عامل المقصورة عن مكان الوقوف .. وإتباعه للرجل دون أي كلام يدل على أمر غامض كيف استسلم له طائعا؟ هل عرف الرجل ؟! هل ظن أنه وصل لبى ؟ وأن هذا سائق الفندق فهو تعرض لمكر .. هل خدر في الطريق تخديرا معينا حتى إذا وصل لهذه المحطة كان منهكا ومتعبا ؟! ولا يدرك ويعي من الأمر شيئا .. لا بد من سماع أقوال ناصر وغيره من عمال القطار على المحطات لعل أحدهم رأى شيئا لم يدقق فيه أثناء الرحلة .. خطة ماكرة ومعمولة بشجاعة .. عندما دخلوا مقصورته لتقديم الخدمات هل كان واعيا أم نائما ؟ .. هل قدم له طعام مدسوس فيه مخدر ما ؟

قال مجدي : ولكنني كأنني سمعت المدير يخبر عن ناصر عامل المقصورات يخبر أنه لم يطلب إلا عبوة ماء مفلترة .

قال فيصل : أمامنا شغل كبير ..وتحقيق طويل .. فهو قد بدا للشابين وللسائق المزعوم أنه منهار ومحتاج لعون عند وصوله لمحطة عين المها .. فالعامل لابد أنه يعلم أن تذكرة الرجل لمدينة لبى .. فحتى لا يحتج أو يرتبك عنده نزوله كانوا بحاجة أن يظهر بذلك الضعف ويبدو الأمر طبيعيا ، وأنه نزل مضطرا وليس مخطئا .

فقال الضابط : سنقوم بمساعدتك بهذا التحقيق ..وسنخاطب إدارة القطارات للتعاون معنا في هذا التحقيق المهم للغاية .. ومدير المحطة هنا سيقدم لنا كل العون .. ونسمع شهادة خليل وغيره من موظفي مكتب الاستعلامات ليصفوا لنا الرجل حتى نستطيع البحث عنه إذا أمكن ذلك ..ولسوف نتحدث مع عمال النظافة في المحطة لعل أحدهم لاحظ شيئا ما .

قال فيصل : نحن سنعود للعاصمة أنا والأخ مجدي .. وأنت يا موسى خالد نور الدين تابع القضية هنا ..وسنقوم بمعرفة ملابسات الحادث والبحث عن الطليان الثلاثة .. وسأتصل بدائرة الشرطة الكبرى لتكون على اتصال معنا، ونتعاون على إرسال الفاكسات والتقارير .. ستكون قصة اختفاء السيد رفيق قصة كبيرة !!

٨

صباح الجمعة يكون قد مضى يوم ونصف على اختفاء السيد رفيق ، وعلم من موظف وخادم المقصورة الخاصة في القطار (رقم ٢٧) أنه دخل مقصورة السيد رفيق بعد انطلاق القطار بنصف ساعة ، وأنه كان في كامل وعيه ، وكان ممددا على الأريكة في الحجرة ، وتحدث معه بهدوء وأخبره بأنه مسافر لمدينة الخد ، وأنه سينزل في محطة لبى ومنها للخد .. وتذكرة القطار كانت إلى محطة لبى كما فحصها ، وطلب منه عدم إزعاجه حتى يصل لتلك المحطة ، واعتذر عن وجبة الطعام وعن أي مشروبات أخرى سوى عبوة ماء قد يستخدمها عند شرب الدواء وأخبر الخادم أن مقصورته مضاءة طول الرحلة لم يرها أطفئت ..وأن القطار يتوقف على كل المحطات في الطريق للتحميل والتنزيل .. وفي إمكان أي شخص عند توقف القطار أن يدخل لمقصورة السيد رفيق ؛ لأنها لم تكن مغلقة من الداخل ..إنما الباب مردود بدون مفتاح .. وأخبر ناصر خادم ذلك الجناح أنه نظر مرة لداخل المقصورة من نافذة صغيرة أثناء تنقله في ممرات القطار .. فوجد السيد مستغرقا في النوم ، وكان نفسه مرتفعا إلى حد ما ..



والشرطة تتحرى حول صعود رجل في إحدى المحطات وإعطاءه مخدرا أو منوما .. أما ناصر فقد نفى رؤيته لشخص يدخل حجرة رفيق أثناء الرحلة .. وأكد أن أحد ركاب المقصورات الخاصة نزل قبل محطة عين المها ، وبعضهم ركب من قبلها .. فهذا شيء معتاد ..ولكنه استغرب نزول السيد رفيق في محطة عين المها .. ولكنه صعد بنفسه مع الرجل الأنيق ذي البدلة البنية ، ودخل الحجرة وشاهد الرجل يهمس في أذن السيد الذي بدأ منزعجا من دخولنا عليه ، وكان يبدو متعبا .. وقال : فأمسكنا به وقام زميلنا في المحطة بإنزال الحقيبة ، ومشينا به إلى السيارة

البويك السوداء الغامقة وهو صامت أو مريض .. الإضاءة لم تكن قوية في ساحة المحطة .. وأجلسناه بجوار مقعد السائق .. وعدت مسرعا للقطار .. لأنه ليس أمامنا وقت طويل للانتظار .. عشر دقائق فقط .. وأخبر أنه لم يفكر أن يُعلم الرجل أن هذه المحطة لم تكن محطة لبى .. اعتمادا على وجود موظف المحطة خليل ، واعتمادا على صمت رفيق وهبوطه بدون احتجاج أو رفض .

كانت الشرطة تتحرك وتتبادل المعلومات والتحريات ، واستمعوا أقوال لمياء حول زيارة الأجانب الثلاثة له ، وتطور الأحداث معهم ، ومشاجرته معهم ، مما جدد له المرض .

ومضت ثلاثة أيام ولم يظهر للسيد رفيق أثر أو سبب لعملية الخطف ، ولم يتكلم خاطفوه مع أي جهة طالبين فدية ، كما هو معتاد في عمليات الخطف ، وكُلف المقدم الأمني عبد الكريم الناصر بالتحقيق ومتابعة ملف القضية من مرتب شرطة العاصمة ، والضابط عصام باب من مرتب شرطة مدينة الخد ولبى ، وكان المكلف المدني من الادعاء العام السيد يوسف محمد يشرف على التحقيق والقضية .

وشاركهم العقيد المتقاعد فيصل حسني والمحامي مجدي ، ولما لم ينكشف لهم شيء يبدد غموض هذا الاختفاء ، كشف لهم المحاميان قصة المسبحة اللؤلؤية واختفائها ، وبحثهما السابق عنها معتقدين أن لهذه المسبحة ربما دخل وعلاقة بحادثة الاختطاف ؛ وربما الاغتيال إذا ظهرت الجثة قام وكيل النيابة يوسف محمد والمقدم عبد الكريم بزيارة شقة رفيق حلمي والقيام بالكشف الأولي ، وكان في استقبالهم سامر وسامية ابنا السيد رفيق ، وكانا على علم بتطورات الحادث من المحامي مجدي حامد ، وكان سامر قد وصل البلاد صباح الخميس يوم اكتشاف الجريمة أو بداية ظهورها فقال لهم : أنا عندما وصلت البيت فاجأتني السكرتيرة الخاصة بأبي باختفاء أبي وهو في طريقه لمدينة الخد ، فصدمت في أول الأمر ، ثم تمالكت نفسي ..أنا أدرس في روما وزيارتي للبلد أيام يسيرة .. وأنا جئت في هذه الإجازة لأن أختي سامية أخبرتني عن تجدد مرض الوالد فجئت زائرا لما تيسرت أموري ، وها أنا عدت لأسمع أنه مخطوف .. فليس لدي معلومات عن

صداقاته وعلاقاته .. ولكن السكرتيرة أخبرتني بأن ثلاثة طليان احتكوا به في الشهر الحالي ويطالبونه بكنز وجدوه معا منذ عشرين سنة زاعمين أن أبي استولى عليه وحده وفطنوا له بعد كل هذه السنوات يبدو الأمر غامضا ..وعلمت أن الوالد طردهم ، ثم مرض على أثر مشاجرته معهم .. وبعد خروجه من المستشفى حاولوا التفاهم معه فرفض سماع شكواهم ، وهددهم بإخبار البوليس عنهم .

والتفت المحقق يوسف لمكان جلوس سامية التي بدأت مذهولة وحائرة فقال لها : وأنت يا آنسة أعندك شيء يساعدنا في كشف سر اختفاء الوالد ؟

نظرت إلى أخيها سامر ثم قالت بصوت هامس : للأسف ليس عندي شيء خاص يفيد التحقيق .. أنا لا أتحدث كثيرا مع والدي .. وهو لا يطلعني على أفكاره ومشاريعه .. فعندما أخرج لعملي في الصيدلية يكون هو في غرفته .. وتقدم لي ماجندا كوب الحليب وفطيرة في الصباح ، ولا أعود إلا في الليل ، ربما أجده يجلس في هذا الصالون فأسلم عليه وعلى ضيوفه إن كان عنده زائرون ، وأدخل حجرتي فأضع الحقيبة وأرتاح قليلا ، ثم أذهب للمطبخ أو تحضر لي ماجندا الطعام لغرفتي حيث آكل وأشاهد التلفزيون من داخل حجرتي.. هكذا تعودت أيها المحقق المحترم .

ـ شكرا يا ابنتي ..ألا يوجد لديك ملاحظة شيئا سمعته صدفة يكشف بعض الغموض عن سر هذا الاختفاء ؟

تنهدت الفتاة وقالت : سوى مشكلة هؤلاء الأجانب وتعب أبي لم ألحظ شيئا مهما ..أبي لا يحب أحدا أن يتدخل في شأنه وأنا مثله .. وهو يحب مشاهدة التلفزيون باستمرار والكلام يتعبه .. ولا يحب الكلام أثناء قصة أو برنامج يتابعه .. والذي ربما يعرف أبي أكثر مني المحامي مجدي .. والأخت لمياء السكرتيرة .. ووالد مجدي من أعز أصدقاء أبي ، وكذلك والد الأخت لمياء .

ـ عملية الخطف حيكت بدقة وترتيب وتخطيط محكم .. فالذين قاموا بهذه الجريمة لديهم معلومات وافية عن حياة الرجل ، وعن أحواله ، وعن مخطط رحلته .. وعن الفندق الذي سينزل فيه .. وثبت لدينا أن دعوة السيدة سعيدة كانت عفوية وطبيعية .. وليس لها يد أو

مصلحة في الجريمة .. فلم يدفعها أحد لدعوته لحضور هذا الاحتفال ، فهي تدعوه كل سنة لمثل هذا الاحتفال الموسمي .. ولكنها السنة ضغطت عليه لرغبة منها في تكريمه هو ومجموعة من رجال الأعمال الذين يدعمون جمعيتها .. فالذين ارتكبوا هذه الجريمة لهم دراية ومعرفة بأمور خاصة بالسيد رفيق .. ولحتى الآن لم نعرف دوافع الخطف وأسبابه .. فهذا ما يدفعنا للكثير من الأسئلة لحضراتكم .. لعلنا نسمع منكم أن له أعداء ..ولكني بعد مرور هذه الأيام أقول تشجعوا على سماع أخبار سيئة عن الوالد ..رغم بحثنا الدقيق وانتشار دوريات الأمن في كثير من الأماكن .. لم نعثر على شيء مهم .. ونخشى أن نراه جثة .

هتف سامر : الأمل ضعيف بحياته ! .. ولكن لو أراد المجرمون قتله لقتلوه فور أسره أو في نفس المحطة .

ـ ربما قتلوه ، ولم نعثر الجثة بعد .. فالخاطفون عادة يتصلون بعد يوم أو يومين بأهله أي بعد تأمين مكان الأسر يتحدثون مظهرين مطالبهم .. ولكن مضى ثلاثة أيام وها نحن في الرابع ولا أي اتصال .

قالت الفتاة وهي تمسح دموعها : هذا فظيع يا سيدي !.. أبي مسالم .. أيعقل أن يقتله هؤلاء الطليان وهم بحاجة له ..فلو قتلوه لخسروا الكنز ؟!

فعلق المحقق : وهذا ما يحير في الأمر ؟! ..الذين يبحثون عن كنز لا يقتلون إلا مضطرين ..إلا إذا أصر الوالد على رفض مطالبهم وقتلوه في لحظة غضب وفقد أعصاب .. هذا ما عندنا يا أخ سامر ويا أخت سامية .. نحن نبذل جهدنا ، ولن يتوقف التحقيق حتى يظهر السيد حيا أو ميتا .. فعليكم بالصبر وتحمل الصدمة . سامر : هو لم يقتل بعد ؟

ـ نحن قلت لك لا ندري ..ولكن هناك احتمال كبير بموته .. رجالنا الآن يبحثون في الأماكن المهجورة حول لبى وحول عين مها ..فنحن نقوم بكل جهد .. وأنت يا أخ سامر عليك بتأخير إجازتك وسفرك حتى نعرف ونصل للحقيقة من وراء هذه الجريمة .. والآن سأذهب وأتحدث مع السكرتيرة في الشقة الثانية .

٩

كانت لمياء والسائق حلمي في شقة الشركة في انتظار قدوم وكيل النيابة والضابط المحقق عبد الكريم والمحاميين وفريق العمل لسماع أقوالهم في قضية اختفاء السيد رفيق حلمي ، كانت لمياء تجلس في مكتبها ، وحلمي في صالة الشقة التي يجلس فيها عادة عندما يكون في انتظار رفيق لمدة طويلة بعض الوقت ، وفيها تلفزيون وموقد لصناعة الشاي أو القهوة وبراد صغير ، دخل الرجال من الباب الفاصل بين الشقتين ، وحيا الرجال حلميا وزلفوا لمكتب لمياء التي رحبت بهم ، وأشارت لهم بالجلوس ، وقدمت لهم القهوة التي أعدتها لهم أثناء وجودهم في شقة رفيق وبعد التحية والمجاملات قال الضابط المكلف بالتحقيق : ربما أنت أكثر الناس معرفة بالرجل فأنت تعملين معه منذ سنوات وسنوات ..وأنت كنت في وداعه مساء الأربعاء إلى المقصورة الخاصة في القطار رقم ٢٧ المسافر في اتجاه مدينة لبى .

هزت منكبيها بالإيجاب وقالت : صحيح .. لما وافق السيد رفيق على السفر لمدينة الخد .. بعد تصريح الطبيب باسم بالسماح له بالسفر وأنه يستطيع ذلك .. رغب بالسفر بواسطة القطار ..وهو في غالب سفرياته لتلك المدينة يحب السفر في القطارات حنينا كما يقول لماضيه في أوروبا فكانت أكثر تنقلاته هناك بالقطارات التي تربط بين العواصم الأوروبية والمدن الكبرى ، وذلك عندما لا يكون مشغولا في رحلة بحرية .. فعندما يكون له مشوار طويل يحب الحجز على القطار .. ولم يكن هذا غريبا علينا ، والمحامي مجدي يعرف مثل هذه الطباع عن السيد .. وهو يحب الحجز في القطارات الفخمة والحديثة ، ويحرص على أخذ مقصورة خاصة به ، ومرات قليلة يأخذ حجرة مشتركة لا أدري لماذا يفعل ذلك ؟! يعني ليس بسبب مرضه أخذ الحجرة الخاصة .. إنما هي عادة فيه .. وأنا اتصلت بمكتب الرحلات الخاص بالقطارات ، وحجزت المقصورة على القطار رقم ٢٧ المسافر الأربعاء مساء من محطة الشرق حيث يكون السفر جهة مدينة الخد ويكون النزول في مدينة لبى ، ومنها لفندق الخزان حيث حجزت له غرفة هناك لمدة ثلاث ليال قابلة للتمديد بناء على تعليماته .. ويوم الأربعاء صباحا مررت على مكتب الرحلات ، ودفعت

ثمن الرحلة قبل مجيئ إلى هنا إلى العمل ، وأبلغت السيد مشافهة بأن الحجز جاهز ، والقطار في الخامسة والربع سيتحرك لمدينة لبى ، وسيكون في انتظاره سائق من قبل الفندق .. وكانت الدكتورة سعيدة أيضا تأكدت من الحجز ، ومن توفر السائق كما حدثتني بذلك .. وهي كانت فرحة بزيارة رجل الأعمال رفيق حلمي للاحتفال بالموسم السنوي عندهم ، وسعيدة بتقديم درع الجمعية له باليد وشخصيا .. وجاء حلمي في الساعة الرابعة مساء ، وكنت أنا والخادمة جهزنا حقيبة السفر من ثياب وأدوات وأدوية .. فلما حضر حلمي أمسكت بيده ، وحلمي حمل الحقيبة.. ولما تركنا المصعد كان البواب في استقبالنا ، وحيا السيد وتناول الحقيبة من حلمي الذي قرب السيارة ، وصعد السيد إلى السيارة وجلس ، ووضع البواب الحقيبة في صندوق السيارة ، وصعدت في المقعد الخلفي ، ولوحنا للبواب بالتحية ، وانطلقنا لمحطة القطار فوصلنا قبل الخامسة بدقائق يسيرة .. ووجدنا المحامي مجديا في انتظارنا ، ودار بيننا حديث سريع ، وطلب السيد من مجدي أن يلحق به نهار الخميس .. وأنا في العادة لا أسافر معه في مثل هذه الرحلات ؛ لأنها ليست رحلات عمل .. فهو يعتبرها رحلات استجمام وتغيير جو .. ولما جلس في مقصورته .. حيانا من نافذة الغرفة ..وأكد على مجيء الأستاذ مجدي ،ووعده الرجل بالسفر واللحوق به .. ولما تحرك القطار واختفى عدت للشركة هنا ؛ لأنني أنهي خدماتي اليومية في الغالب مع السادسة مساء .. حتى يومها عرض المحامي أن يوصلني إلى حيث أريد .. فأعلمته أنني عائد للشركة بسيارة حلمي .. وبعد ذلك لم أتصل بالسيد ؛ لأنني حسب الترتيب سيكون في العاشرة في المحطة ، ومنها إلى مدينة الخد .. وأجلت الاتصال للصباح .. وكان موعدنا أنا وحلمي أن نتلقاه في المحطة مساء السبت حوالي الساعة الثامنة إلا إذا مدد إقامته هناك .. وعلمت بأن السيد رفيقا لم ينم في الفندق من المحامي مجدي اتصل بي يسألني عنه ، وأخبرني أنه لم يصل الفندق ، وأنه لم يصل مدينة لبى .. وأخبرته أنه لم يعد للبيت بعدما تحدثت مع الخادمة .

قال الضابط عبد الكريم : هل تعتقدين أن للأجانب الذين زاروه منذ فترة دخل في هذه الأحداث ؟

فكرت لمياء قليلا ثم قالت : لست أدري ! ولكن كيف عرفوا بتفاصيل رحلته ؟ هي لم تكن سرية .. كنا نتصرف كالعادة .. البواب يعرف أن السيد مسافر للخد .. والخادمة تعرف .. وسامية تعرف .. وأنا .. والمحامي .. والسائق .. والدكتورة سعيدة .. وكل أصدقاء العم رفيق يعرفون بأمر هذه الرحلة .. فيمكن لهؤلاء أن يعرفوا مثل هذا الأمر .. لأننا لم نفكر بخطر محيط بالسيد رفيق .. وهذا أمر متكرر .. وبالنسبة للطليان الثلاثة هم جاءوا فجأة بدون سابق إنذار .. واستقبلهم في البداية على أنهم ضيوف ورفاق قدماء ، وفرح بمقدمهم وتذكرهم له .. ولكن لما فتحوا معه موضوع الكنوز والجواهر .. توتر اللقاء بهم ..وحاولوا لقاءه مرة ثانية للتفاهم ، وجرى بينهم نقاش وكلام حاد .. وأنا لم يتح لي سماع كل حديثهم .. لأن النقاش حدث في صالة الشقة الثانية .. ولكن كنت أتردد عليهم ، وفهمت بعض الموضوع ؛ لأن حديثهم كان بلغة الطليان .. ثم طردهم السيد رفيق ورفض اللقاء بهم من جديد .. وهو بالطبع شرح لي بعض المشادة وسبب صراخه .. واتصلوا عدة مرات للقاء الرجل ، ولكنه رفض ذلك ، ثم أصابه انهيار عصبي .. وتعب ونقل للمستشفى .. وبعد خروجه تحدثت الدكتورة سعيدة معه وبينت له رغبتها بمشاركته هذا العام باحتفال جمعيتها السنوي .. وربط موافقته بصحته عند موعد الاحتفال .. ولما حان موعد الاحتفال سمح له طبيبه الخاص على السفر والاستمتاع بالحياة ومشاركة الناس أفراحهم وحياتهم .

ـ أتشتبهين بأحد غيرهم ؟

فكرت لحظات وقالت : لم أكن أتصور أن يخطفه أحد ..ولحتى الآن الأمر محير ومربك .. لماذا يخطف ؟!

قال الضابط : استدعي السائق يا أخت لمياء واجلسي مكانه بعض الوقت رجاء .

دخل حلمي سائق رفيق وجلس على المقعد الذي أشير له إليه ، ورحب الضابط المحقق بالشاب وقال : كيف برنامج عملك يا سيد حلمي ؟

ـ برنامج عملي بسيط يا سيدي.. وأنا سائقه منذ سنوات .. منذ أن كان قويا وقبل أن يسكن

هذه العمارة .. هو يتقن القيادة .. ولكنه في السنوات الأخيرة اتخذني سائقا له .. فكنت أذهب إليه صباحا فأذهب به لمكاتب الشركات ، ويستمر عملي معه حتى الثالثة عصرا .. وإذا احتاجني في مشوار ليلي ، ولم يتدبر أمر السيارة .. يتحدث معي مباشرة أو يطلبني عن طريق السكرتيرة .. وأحيانا كان يسوق سيارة زوجته بنفسه .. لحضور سهرة.. زيارة عائلية ..ولما مرض في السنوات الأخيرة بالجلطة الدماغية .. أصبح يعاني من ركوب المصعد ، ويحتاج لمساعدة في أغلب الأحيان ، فصرت أصعد لمسك يده ومساعدته صعودا وهبوطا ، وكان الرجل كريما معي ويعطيني مكافآت خاصة سوى الراتب الذي أتقاضاه من الشركة المحسوب أنا عليها .. وأحيانا اضطر للجلوس في شقته بعض الوقت ريثما يلبس ملابس الخروج ريثما ينهي اتصال .. وخلال هذه الدقائق تتفضل عليّ ماجندا بالشاي القهوة .. الحلوى الشراب البارد .. ومرات أجلس في شقة العمل في الصالة التي وجدتموني فيها عند دخولكم ..في انتظار مشوار .. وإذا علمت السكرتيرة أن الرجل المحترم لا يريد الخروج صرفتني.. وهو بعد مرضه قلّ خروجه للشركات وتفقد الإدارات ..لأن أكثر الشغل الإداري كان يتم هنا ..

ـ أنت والدك من أصدقاء السيد رفيق ؟!

ـ منذ رجع العم رفيق للبلاد وتعرف على والدي جبر وهم أصدقاء .. وكذلك السيدة لمياء والدها من أصدقاء العم رفيق وكذلك أخونا المحامي مجدي .

ـ أمتزوج يا حلمي ؟

ـ حاولت مرة ولم يكتمل ..ولو كان معي شهادة جامعية لخطب لي والدي ابنة العم رفيق .. ولكني لم أتم تعليمي .. فتعلمت القيادة .. ثم عملت سائقا في شركات السيد رفيق بعد أن اشتغلت في أماكن أخرى .. ثم اختارني السيد للعمل معه أي سائقا لسيارته الخاصة .

ـ أسمعت السيد رفيق يوما وهو راكب معك يشكو من خطر يحيط به .. قديما أو حديثا ؟ .. أله أعداء ؟

ـ لا يا سيدي .. السيد لا يحب الكلام كثيرا .. وخاصة مع العمال والموظفين الصغار مثلنا .

ـ لا شيء عندك يفيد التحقيق ؟

ـ لا أذكر شيئا .. ونحن لم نكن نتوقع مثل هذا الحادث .

ـ شكرا .

ونهض القوم وخرجوا من المكتب إلى الصالة ، وقبل أن يتركوا مكاتب الشركة قال : اعلموا أن السيد قد يكون قد قتل .

هتفت لمياء برعب لم يبدو طبيعيا : قتل ! كيف عرفت ؟

ـ هذا متوقع يا سيدتي .. فلو أراد الخاطفون حياته لاتصلوا من أجل الفدية .. بعد أن يؤمن الخاطفون الضحية يتم الاتصال بذوي المخطوف لطلب ما يرغبون في الحصول عليه .. وما دام أن الخاطف لم يعلن ذلك .. فلابد أنهم تخلصوا منه ، وأن القصد كان القتل وليس الخطف ولكن لماذا قتل ؟! لو كان الطليان وراء ذلك كم بينت الأخت لمياء والمحامي .. فحياته خير لهم من قتله .. لأنه كما تبين لنا من أقوالكم أنه لم يأخذ شيئا ثمينا معه يدفعهم لاغتياله للحصول عليه .. بل حياته أهم لهم من أجل الكنز .. ومع ذلك نحن نبحث عن هؤلاء الأجانب الثلاثة .

١٠

عقد المهتمون بقضية رفيق حلمي اجتماعا في دائرة الشرطة لمناقشة ما اجتمع بين أيديهم من معلومات ، وكان قد مضى أسبوع على اختفاء الرجل ، ولم تظهر أي جثة مجهولة لحتى ذلك اللقاء لتثبت موت ومقتل الرجل ، والمستفيد من موته ماليا ولداه سامر وسامية ، وقد ثبت بعدهما عن مسرح الجريمة ..وطريقة ارتكاب الجريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة تنفيذ ودراية بمحطات القطار لا تتوفر في صفات ولدي رفيق .

وحتى وصية الرجل الخاصة ، لا يوجد فيها ما يغري الطامعون .. مكافأة بخمسمائة دينار للخادمة ماجندا ، وبعض الأرقام للجمعيات التي كان يهتم بها ويرعاها ، ولم يكتب شيئا للسائق والسكرتيرة ولا المحامي ، فكلهم يتقاضون رواتب من الشركات التي ينتمون إليها .

وبدأت السيدة لمياء تستعد للعودة للشركة التي كانت تعمل فيها ، والسائق حلمي كذلك ، والمحامي هو مستقل ؛ ولكنه مشرف ومتعاون مع القانونيين الذين يعملون في الشركات ، وهو صاحب مكتب خاص ، وكان محاميا خاصا للسيد رفيق .

قال المقدم الشرطي عبد الكريم : من كشوفات المطار توصلنا إلى معرفة أسماء هؤلاء الطليان وتبين أن أحدهم يوناني .. وقد نزلوا في فندق (ذهب) وقضوا فيه ثلاثة أيام .. ثم اختفوا ولم يغادروا البلد بعد حسب معلومات المخارج البرية والبحرية والجوية .. إلا إذا غادروا بجوازات سفر أخرى .. والآن أسماؤهم في جميع نقاط الحدود والمغادرة ..وعممت أسماؤهم على أهم الفنادق في البلد .. واللقاء بهم مسألة وقت .. فهناك بحث جار في الشقق المفروشة .. في العاصمة وفي مدينة الخد وعين مها.. السؤال الآن هل استطاعوا معرفة تحرك رفيق ليقوموا بهذا العمل الكبير؟ .. واختفاء الرجل ليس لمصلحتهم .. هم يريدون شيئا منه فكيف يقتلونه؟ أم هم يضغطون عليه بهذا الخطف والأسر؟ لهم أسبوع ..!

قال نائب المدعي العام : نعم ، قتله يحرمهم من مطلبهم .. وطول مدة الخطف تبعدهم عن مبتغاهم .. لأنهم لن يأخذوا ما يريدون إلا من الرجل نفسه .. فها هم لم يتكلموا مع أولاده ،

ولا مع سكرتيرته الخاصة ، ولا مع محاميه للمساومة .. علينا أن نفكر بأشخاص آخرين ، ولا نهمل أمر هؤلاء في نفس الوقت .. وأنا طلبت من زميلنا عبد الكريم أن يضع إعلانا بالصحف الأجنبية المحلية طالبا فيه من هؤلاء الأجانب مراجعة دائرة الشرطة لأمر مهم .

قال عبد الكريم : اليوم مساء سيكون بين يدي بعض الصحف الأجنبية المشهورة عندنا هذا النداء يا سيدي .

قال المحامي فيصل : ربما ظنوا بطول خطفه سيلين ، ويعطيهم الكنز المنشود .. وربما هلك بين أيديهم فاضطروا لإخفاء جثته اضطرارا في مكان ما .. مكان لم يصل إليه رجال البوليس بعد ربما حرقوا جثته .. وأما كيف عرفوا تحركاته ؟.. فهذه تكون بشراء أحد المقربين منه كالسائق أو السكرتيرة .. البواب .. الخادمة .. فعلموا تفاصيل رحلته .. ولما اختفى الرجل بهذه السرعة فهذا المشترى لن يعترف بسهولة .. فالخوف من العواقب والتحقيق والاتهام بالمشاركة دفعه للصمت .. وعلى رجال الأمن دفعه للنطق .

قال عبد الكريم : لا بأس في بحث هذه النقطة ، ولكن بالقبض على هؤلاء الرجال تحل هذه النقطة بمعرفة من المتعاون .

قال المحامي مجدي : اعلموا أن ترتيبات سفر رفيق تمت يوم الثلاثاء ..قبل السفر بيوم .. حجزت لمياء الفندق في ظهر يوم الثلاثاء .. والقطار كان الحجز عن طريق الهاتف وفي صباح الأربعاء ذهبت لمياء وأخذت التذكرة ودفعت ثمنها ، وأكدت على موعد الانطلاق .

وكيل النيابة : الحديث عن هذه الترتيبات ربما كان منذ فترة ..وهي ترتيبات متكررة كلما كان ينوي الرجل بالسفر .. فالذي يعاشر الرجل يعرف بمثل هذه الترتيبات .. فلا يبقى أمام المجرم إلا معرفة ساعة السفر .

قال مجدي : اتصل السيد رفيق بنفسه بالسيدة سعيدة وأخبرها بأمر سفره ووقته ، ورشحت له فندق الخزان كالعادة .. وقامت لمياء بالاتصال بالفندق والحجز له ..

قال عبد الكريم : الترتيبات النهائية كانت مكشوفة للمجرمين .. وقت انطلاق القطار وقت

وصول القطار لمدينة لبى ..وأن سائقا من الفندق سينتظره ..فبعد ذهاب السائق للمحطة أخبروا بإلغاء الحجز ليوم آخر .. وأنا أعتقد أنهم بعدما خطفوا الرجل اتصلوا بالفندق حتى لا تتدخل الشرطة قبل تأمين اختطاف الرجل .. ويظن أن الأمر طبيعي .. فلا يهتم الفندق بعدم مجيء السيد رفيق .. وهذا ما حصل .

قال وكيل النيابة : هذا احتمال قوي جدا يا مقدم عبد الكريم .. هذا الاتصال رتب لصرف النظر بضع ساعات .. فلو لو لم يحدث الاتصال لأخبر مدير الفندق السكرتيرة لمياء أو السيدة سعيدة .. وتدخلت الشرطة بسرعة لمعرفة الحقيقة .. أما الاتصال فأخر البحث أكثر من نصف يوم .. اثنتي عشرة ساعة .. تحروا عن السيدة سعيدة ورجال الفندق وكل من يعرف بسفر الرجل .. وليخضعوا للمتابعة والتحريات وسأصدر كتبا بذلك .. ولسوف نجد خيطا نتابع به تحرياتنا .. التخدير من خدره إذا خدر ليبدو مستسلما أمام موظفي القطار ؟ .. وكيف انقاد للرجل بدون أي مقاومة واحتجاج ؟ .. ولماذا لزم الموظف الصمت وهو يعلم أن الرجل يريد لبى وأخبره بذلك حتى إذا نام يوقظه عند تلك المحطة ؟! ومن أين خدر إذا خدر ؟ في أي محطة حصل التخدير؟

وسكت الرجل لحظات ثم قال : السيارة لم تعرف بعد ؟ لم يعرفوا رقمها .

فقال المقدم عبد الكريم : أدلوا بنوعها ولونها وهذا لا يساعد كثيرا في البحث .. وبالنسبة لصعود أحد إلى مقصورة السيد رفيق أثناء الطريق لم يثبت أن أحدا صعد ، ولا يمكن نفي صعود أحد .. فبعض الركاب ينزلون أثناء توقف القطار لشراء شيء من الأكشاك المنتشرة في المحطات .. ينزلون لتمشية الأقدام .. لتدخين سيجارة .. فهذا أمر شائع بين الناس .. ينزل الركاب .. يصعد غيرهم ..ولكن تحريات رجال الشرطة لم تصل لنتيجة مهمة أثناء الطريق .. فأهم الأحداث كانت في نقطة عين مها ..كان رجل ممتلئ الجسم يلبس نظارة خضراء ويرتدي بدلة بنية .. نزل من سيارته قبل وصول القطار بدقائق وسأل بعض الموظفين الجالسين في غرفة عن وصول القطار المقصود فأخبروه بقرب وصوله ..وابتعد عنهم ..ولما وصل القطار صحبه

موظف متطوعا .. ليدله على المقصورة ، فهو ليس من واجبه مرافقة الناس حيث يريدون .. كان العمل خفيفا ..وتقدم الرجل حيث المقصورة .. وهناك كان عامل الخدمة في تلك المقصورات المسمى ناصرا ينزل ليتمشى على الرصيف ريثما يمشي القطار .. فأخبره الموظف بحاجة الرجل فقال : نعم ، هو في المقصورة رقم ٨ .. وصعدوا وفتح ناصر المقصورة .. فوجد الرجل منهكا ويحاول الجلوس .. فتقدم إليه الشاب الأسمر وهمس في أذنه كلمات ثم قال لهم : إنه سينزل هنا فهو مريض ..وساعده ناصر بمسك الرجل .. وقام الموظف بحمل الحقيبة الوحيدة له .. ومشوا وهم يسرعون نحو السيارة .. فلم ركب الرجل المتعب والصامت .. انصرف ناصر مسرعا نحو قطاره .. وحيا الرجل السائق الموظف بيده .. وانطلق بالسيارة .. ولكن الرجل وهم يسيرون به قال لهم بأنه عمه .

وقد بين أحد الحمالين لرجال الشرطة أن السيارة سيارة سياحية .. لأنه لم نزل الرجل اقترب منها ظانا أن فيها حمولة ..ولما لم يكلمه الرجل ابتعد عنها ؛ ولكنه لاحظ لوحتها السياحية .. وهذه النقطة قد تساعدنا كثيرا ونجري تحريات حولها هنا وفي لبى ومها .. فلا نزال نبحث عنها في مكاتب السيارات السياحية .. وقام رجل الرسم برسم صورة تقريبية للسائق لتعرض على شركات تأجير السيارات .

فقال مجدي : هذا إذا استأجرها بنفسه .. ولم تكن عن طريق غيره .

قال المقدم : أكيد هذا يا سيدي .. إذا كانت جريمة مدبرة كما يظهر لنا ..لن يكون استأجرها بنفسه واسمه .. ولماذا استخدم سيارة سياحية .. فهذا تصرف خطر منه .. وللأسف الحمال لم يكن موجودا عند انصرافهم .. فنخشى أن يكون يتحدث عن سيارة أخرى .. ولكن الحادثة تنطوي على جرأة ومغامرة .. وعلينا بالاستفادة من كل معلومة ..

فقال وكيل النيابة : لا تنسوا أنه قد لا يكون في مخططهم القتل .. إنما القتل فعل طارئ .. أو تعديل للجريمة ..

فقال فيصل : نقطة استسلام رفيق للنزول بدون اعتراض في غاية الأهمية ..إذا كان واعيا وغير

مخدر .. فكيف استسلم للرجل ؟ .. إلا إذا كان يثق به أو يعرفه أو ظن أنه قد وصل محطة لبى وأنه سائق الفندق.. فهو لم يسأل أين نحن ؟

قال وكيل النيابة : نعم هذا مفتاح اللغز .. وقصة اختفاء مسبحة اللؤلؤ هل لها دخل في هذا الحادث ؟

فقال المقدم عبد الكريم : لحتى الآن لا نجد رابطا بين اختفاء المسبحة واختفاء رفيق .. المسبحة قد قام الزميل فيصل والمحامي مجدي بعمل اللازم ولم يصلوا إلى نتيجة .. فهم افترضوا أن المسبحة سرقت أثناء ترك رفيق للخزانة مفتوحة بعض الوقت .. كان يتكلم هاتفيا من شقة الإدارة .. وعلى مسرح الحادث كانت الخادمة وابنته سامية .. والسائق حلمي والفرصة أمام الخادمة أكثر للسرقة ، فلو عاد رفيق ووجدها في الغرفة لن يقع في ذهنه أنها دخلت لتسرق لأغلب على ظنه أنها تنظف الحجرة .. وهل تعمل وحدها أم أن أحدهم حرضها ؟.. وهذا لم يثبت بل ثبتت أمانتها .. والفتاة .. لماذا تسرق المسبحة ؟ وهي تملك ثروة ومجوهرات ورثتها عن أمها ..ولم يثبت لدى الزميلين هوس تعلقها بحب المجوهرات .. والسائق حلمي .. دخوله لغرفة المكتبة فيه مخاطرة كبيرة .. وهو ليس له عادة بدخول تلك الغرفة .. وقد تكون المسبحة مفقودة قبل تلك الفرصة ، وليس أمام الأخوين دليل على فقدها تلك الساعة إلا كلام رفيق .. والرجل قبل المرض ليس بعده .. وعلى الإجمال نحن نضع قضية المسبحة موضع تفكير لكن الرابط غير متوفر في نظري الآن .

فقال فيصل : نحن عرضنا موضوعها على حضاراتكم ..لعلنا نجد رابطا بين الحادثتين ..لأن احتمال وجود علاقة بين اختفاء رفيق والأجانب الثلاثة قد لا يؤدي لشيء .. لأن الذي يريد شيئا من شخص لا يقتله قبل حصوله عليه .. وإلا لماذا خطفه ؟ .. فالذي يريد أن يتخلص من خصمه يصرعه مباشرة في مكانه .. وإذا كان خائفا من الشرطة والناس .. فيبتعد به ويقتله ويظهر جثته .. فلماذا يبحث عن مخبأ لها ؟ إلا إذا كما افترضتم أن القتل كان اضطراريا وطارئا

وقال المقدم عبد الكريم : لسوف تتكشف لنا تفاصيل الجريمة ..

قال فيصل : هذا أكيد ، فلقد خدمت ربع قرن في أجهزة الشرطة والتحقيقات الجنائية، ورأينا وسمعنا وقرأنا قضايا أعقد مما نجابه ثم تحللت فجاءة .. فإذا كشف شيء سيكشف وراءه الكثير ..وقد حدثني السيد مجدي وهم يودعون السيد رفيقا في المحطة أنه دار بينهم حديث حول الخبير رضا خبير مجوهرات ، وأنه قادم لزيارته لفحص مجموعته .. فالسيد رفيق كان يشك إذن في سرقة في جواهره ومجموعته المحفوظة في البيت .. وهو لم يعرف بالسرقة قبل أيام من تفقده لمجوهراته آخر مرة .. فقد يكون ظهور رضا الجوهري هو الذي حرك الأمور وأثار السارق أو السارقين .. وأنا أرسلت برقية للسيد أخبرته فيها باختفاء السيد رفيق حلمي .. وسألته فيها إذا كان لديه معلومات عنه .. فوعدني بالمجيء .

استحسن المجتمعون هذا التصرف وقال نائب المدعي العام : رائع! .. ويبدو أن لدى الخبير شيئا وإلا تكلم على الهاتف .

ـ هذا ما أدركته أيضا .. وإذا احتاج الأمر لسفر سافرت أنا ومجديا إليه .. والذي يؤخره عن المجيء إلينا عدم ظهور جثة السيد رفيق .

فقال عبد الكريم : هذا الرجل يجب أن تبقى زيارته في طي الكتمان .. زيارة سرية لا يعلم بها أحد سوانا .

فقال وكيل النيابة : أجل ، حتى لا يعلم المجرم أو العصابة بشيء عن المسبحة والمجوهرات .. تابع الموضوع يا أستاذ فيصل ويا أستاذ مجدي .



١١

تنقل المحاميان مجدي وفيصل بين عدة مستشفيات لمشاهدة جثث مجهولة الهوية ، وجدها رجال الأمن في طول البلاد وعرضها ، ولم تكن بينها جثة السيد رفيق ، وحتى البلاغات عن أصحاب جثث وجدت في البيوت لم تسفر عن شيء يكشف غموض اختفاء السيد رفيق حلمي ، وانقضى الشهر ولم يظهر أثر للرجل ، ولما وصل الخبير رضا جناد في المجوهرات الحقيقية من المقلدة البلاد كان في استقباله المحاميان ، وأنزلاه فندقا دون الإعلان عن وصوله في صحف المجتمع ، وطلبا من عبد الكريم أن يؤمن له الحماية خلال فترة إقامته ، وفي اليوم التالي كان يجلس في مكتب وكيل النيابة يوسف محمد ، ويستمع ملخص قصة اختفاء رفيق منذ شهر من الزمن ، ولما سمع القصة تأسف الرجل على اختفائه ، وذكر شيئا عن معرفته للسيد رفيق أيام الشباب ، وكيف تعرف عليه أثناء عمله في البحار وفي شواطئ أوروبا ، ثم قال : أنا ربما كنت أكثر شخص اشترى من رفيق المجوهرات لزبائني .. فكان الرجل بحارا ممتازا وصائد جواهر رائعا ..كان يحسن الحصول على الكنوز أثناء تردده على شواطئ بحار العالم ..وكان يتقاسمها مع شركائه في المغامرات والصيد .. ثم أصبح فيما بعد يحب اقتناءها وشراءها خاصة عندما ورث زوجته التي ورثت الكثير عن أبيها البحار .. وهذه المسابح وخاصة اللؤلؤية منها حصل عليها بواسطتي .. وهي مسبحة ثمينة مجموعة من حبات اللؤلؤ والماس كانت لأمير مسلم من بلاد الهنود أصيب بمصيبة كبيرة أدت إلى بيع الكثير من ممتلكاته وممتلكات عائلته من نوادر الأحجار الكريمة والتحف الثمينة .. وجاء بلجيكا ليبيع بعضها في أهم أسواق بيع الماس والمجوهرات في العالم .. وكان رفيق يومئذ في بروكسل ، وتحدثت معه عن هذه المسبحة اللؤلؤية وجمالها وروعة صنعها بل القليل من حجارتها من الماس الأبيض حتى لا يفرق لونه عن اللؤلؤ ، ولما رآها رفيق فتن بها ، ودفع ثمنها خمسين ألف دولار أمريكي أمام عيني .. ومنذ شهور مضت اتصل بي للصداقة القديمة بيننا ..وقد استضافني مرات خلال السنوات الفائتة لفحص مجوهراته وما اشترى من جديدها ، فهو يثق بي ثقة كبيرة في فحص الجواهر لتمييز الحقيقي من المقلد.. اتصل منذ حين

يسير كما قلت بعد منتصف الليل في توقيت بلدكم ، فهو ذكي وحذر في أمر الجواهر ..وأخبرني أنه يشعر بأن المسبحة اللؤلؤية قد تغير ملمسها بين أصابعه ، ولولا حرجه كما أخبر واستحالة وصول أحدهم للخزانة الخاصة بالمجوهرات لشك في تبديلها .

فقال مجدي مستغربا : تبديلها !!

فتابع رضا جناد : فطلب مني زيارته في الوقت المناسب .. لفحص حباتها .. وأخبرني أن صحته تدهورت أكثر من اللازم .. ووعدته بالاتصال به في النهار لأنظر ظروف عملي والوقت المناسب لزيارته ، ثم جرت بيننا اتصالات حول مجيئ لهذا البلد دون أن نذكر في اتصالنا هدف الزيارة ؛ هذا الحذر من طبيعة شغلنا

فقال المحامي فيصل بعدما لزم رضا الصمت وأخذ يشرب من كأس ماء أمامه : بعد هذا الكلام الخطير جدا أيها السادة في ذهني تصور أرجو أن تسمعوه .

ولما لزموا الصمت قال : نعم .. تكلم السيد رضا كلاما قد يحل هذه الألغاز ..قد يكون صحيحا أن السيد رفيقا قد بان له أن المسبحة بدلت فعلا ؛ وكما قال السيد

رضا كان مستصعبا لوصول أحدهم إليها ..وهذا شعرنا به عندما تناقشنا معه بعد ضياعها .. وهذا كما رأينا صعبا .. رقم الخزانة السري كيف وصل للسارق ؟.. المفتاح لم يفقد .. ولكن لا شيء كامل .. فلابد من ثغرة أو ثغرات يستغلها المجرمون ، كما يستغل رجال الأمن ثغرات الجرائم والقضايا .. ولكنه للحرص الذي يتخذه والحيطة الكبيرة المتبعة لم يقتنع بالتبديل .. ربما ظن أن هناك عيبا في اللؤلؤ ، ولم يكن هناك تبديل .. فخطر في باله صديقه الجوهري رضا ليحسم الأمر .. أنتم واعون لما أقول .

فتبسموا وقال مجدي : استمر .. كلنا واعون لما تقول .

ـ تصوري أن الذين بدلوا المسبحة بواحدة مقلدة .. قد عرفوا بأن الخبير قادم لفحص المسبحة المقلدة .. وخشوا أن يُقبل الرجل الخبير، ويكشف التقليد ، فستصبح جريمة وشرطة وتحقيق وهذا يدل على أن أناسا قريبون من رفيق يعرفون بأسراره وفتح خزائنه .. فأخذ اللص أو

اللصوص المسبحة الأصلية الهندية ووضعوا المقلدة مكانها .. وربما حدثت هذه الحادثة الخطيرة منذ مرض السيد رفيق وعولج من الجلطة فقد مكث زمنا في المشفى ..أقول ربما .. مع أن هذا وقت طويل بالنسبة للأحداث الجارية .. وظن السارق أن السيد إذا مات لن يدرك الورثة أمر هذه المسبحة المقلدة .. لأنه لديه مسابح مقلدة كما أخبرنا يا أستاذ مجدي .. فلن يهتموا بنظر اللص بالمسبحة المبدلة .. ولكن الرجل لم يمت ، كما توهم السارق ؛ بل اكتشف تبديل المسبحة وهو صامت ومنتظر لوصول الخبير ليحسم الأمر ويقطع الشك باليقين .. فكانت الاتصالات بين رفيق والسيد رضا ..فلما علم اللص بهذه التطورات ..قام بسرقة المسبحة المقلدة ، وليست الأصلية ؛ لأنها معه من قبل قد سرقها من قبل .. مما دفع الرجل لكشف اختفائها لمجدي ولي .. وأخذ نفسا عميقا وقال : ثم دفعه الخوف لإخفاء السيد رفيق .. وهذا يدل على أن السارق ليس وحيدا بل هناك عصبة .. ولا يستطيع الوصول للخزانة المحمية إلا المقربون .. والمقربون هم يا مقدم عبد الكريم هم ...

قال عبد الكريم : تصور مهم ورائق فعلا ..والمقربون هم ابنه وابنته والخادمة والسكرتيرة والسائق .. وزواره الذين ستتعرف عليهم قريبا ..والأستاذ مجدي ـ وابتسم وهو ينظر للمحامي الذي بادله الابتسام ـ وقال : وله أخت وابن أخت .. ووالد مجدي ووالد حلمي ووالد لمياء ..

قال وكيل النيابة : علينا أن نتحرى عن الجميع ما عدا الأستاذ مجديا ، فهو صاحب القضية .. ولا أعتقد أن زميلنا ممثل بارع .

وضحك الجميع لمداعبة قاضي التحقيق ، وقال مجدي : بل من حقكم أن تتحروا عني ، وأنا تقدمت عن طريق أبي لطلب يد ابنته قبل الحدث الأخير .

فقال المقدم : جهودك مشكورة معنا يا سيدي المحامي .. سأدرس هذه الأسماء وغيرها ، ونعمل على المهمين أولا ، ثم نوسع دائرة التحريات عن الباقي .. هذه جرائم محكمة التدبير ولو أعادوا المسبحة الأصلية لأراحوا أدمغتهم ؛ ولكن الطمع أعمى تلك الأدمغة ..

قال فيصل : وعليكم بالتحري عن الطليان الثلاثة عن طريق البوليس الدولي .. وعليكم بجمع

المزيد من المعلومات عن العم رفيق حلمي نفسه .



بالسماع لشهادة رضا جناد خبير الجواهر الأوروبي أصبح لدى المحققين ارتباط بين اختفاء رفيق واختفاء مسبحة اللؤلؤ ، فكان المحاميان فيصل ومجدي يجلسان في أحد المطاعم يتناولان عشاء ويتحدثان حول القضية فقال فيصل : المستفيد أولا من موت رفيق ابناه ..وثبت لدى رجال البوليس أن الشاب جاء من سفره نهار الخميس ، فلم يكن في البلاد عند حدوث الخطف .. ولكن مجيئه في مثل هذا الظرف أثار شبهة حوله .. وسامية غير مكترثة لاختفاء والدها ، ويبدو أن هذا طبعها .. لا تسأل كثيرا لا تتصل بالشرطة أو بك لتتابع القضية معك وهذا فعل مثير للشبهة كذلك !

رد مجدي متأملا ما سمع : منذ الحادث سألتني مرتين وكذلك سامر .. هم يتابعون القضية عن طريق لمياء .. فلا يكاد يمضي يومان أو ثلاثة حتى تتحدث معي السكرتيرة .. فأقول لا شيء لم تظهر الجثة ..

ـ حسن ..ورغم كثرة أموال والدها فهي تعمل بعيدة عنه .. ومستقلة .. ولماذا لم تتزوج بعد يا مجدي ؟! فهي غنية والعين عليها .

تبسم مجدي وقال : أنا أعتقد أنه ليس لأبناء السيد رفيق يد في اختفاء المسبحة واختفاء الرجل فحسب معلوماتي فهم ليسوا بحاجة لمال ليسرقوا .. وعمل البنت يدل على أنها مرتاحة في عملها وليس عندها طموح كبير .. فهي منذ تخرجت لم تفكر بإنشاء صيدلية باسمها .. أو مستودع أدوية .. ومن ناحية الزواج تحدث عنها ابن عمتها وحدثت أبي عنها ، ولم يقرر والدها شيئا ..وقد ورثوا الشيء الكثير عن أمهم .. وسألت أبي عن برودة العلاقات بين الأب وابنته فقال لي إن رفيقا لم يكن يحب أمهم إنما هما زوجان فقط وعلق قائلا ربما لأنه تزوج سابقا من المرأة

الطليانية .. وتزوج هنا بحكم العادة ورغبة في الولد .. ورغم ثروته الكبيرة كان يعاملها كالخادمة في البيت ، وربما عامل الخادمة بلطف أكثر منها .. ثم قال مصرحا لي أيضا تزوجها بظروف مريبة .. عندما ملّ الغربة والبحار ورجع لبلده أخذ يستثمر ماله ، ويتعرف على رجال المال ، فالتقى بها ، وأعجب بحسنها بسرعة ، وتزوجها بسرعة ؛ ولكنه كما أخبرني أبي قال وبعد حين ندم على زواجه .. ردد ذلك أمام أبي أكثر من مرة ورغم قول ذلك لم يطلقها.. كان أبي يقول كأنه ملّ أيضا جنس النساء ..والأم كانت متعلقة بولديها أكثر منه ..وبحكم عمله الدائم كان قليل الجلوس معها ، واعتادوا على ذلك هو في العمل والسهرات وهي مع الأولاد والنزهات .. ولما شبا سافر سامر للدراسة والفتاة التحقت بالجامعة هنا .. وكانت الفتاة تشعر بظلم أبيها لأمها ولها ، وخاصة عندما مرضت الأم بمرض عضال كان الأب يرسلها للمستشفى مع السواقين ومساعديه .. وإذا أخبر باحتضارها ذهب وزارها ، ولكن إذا تعافت ولم تأت الساعة ، وعادت للبيت أمر عماله بإحضارها .. فكان أولاده يرون ذلك قسوة وظلما .. وظلت تتنقل بين البيت والمستشفى حتى رحلت إلى رحمة الله ﷺ ..وسامر كما هو معلوم بعدما أنهى الثانوية العامة سافر لروما .. وظلت البنت تتعلم هنا .. فكانت علاقتها بأبيها فاترة وقال أبي : إنه لا يمكن أن يكون لسامية دور في اختفائه وموته إذا مات ..

ـ لماذا ؟!

ـ قال طبيعة البنت هادئة لا تحب العنف .. إنها فتاة مسالمة تحب القراءة للكتب والقصص ومن أجل ذلك رغبنا بتزويجك بها

قال فيصل : الخادمة قمنا بتحريات عنها في موطنها الأصلي وهنا.. وليس لها القدرة على تدبير عملية خطف بهذه الجسارة والتدبير .. ربما يكون لها مشاركة بإخفاء المسابح .. ولحتى الآن لم يثبت عليها أي دور .

قال مجدي : والسائق حلمي ليس له مصلحة في خطف الرجل ، فهو لن يرث شيئا .. وها هو عاد ليعمل كسائق في إحدى الشركات المملوكة لرفيق .. ومثله السكرتيرة .

فقال فيصل : والحديث مع أصدقاء الرجل كما أخبرني عبد الكريم دل على أن الرجل كان يستعمل المسبحة في مجالسهم ويسبح بها بينهم.. فهم يعرفونها مع أننا فهمنا منه غير ذلك في أول لقاء لي به.. بل وكان يسمح لهم بلمسها والتسبيح بها ويقول لهم : إنها من اللؤلؤ الصناعي المتقن الصنع .. فهي معروفة لمن حوله ، وهذا كما يقول عبد الكريم يسهل عملية استبدالها إذا أدرك أحدهم أنها من اللؤلؤ الطبيعي الحقيقي .. وأنه كان يزعم أمامهم أنها من اللؤلؤ الصناعي حتى لا يتهور ويطمع أحدهم بها .. وقد أخذوا صورتها أو نسخة عن صورتها وأرسلوها إلى بعض دول أوروبا .. لتعرض على أصحاب صناعة المجوهرات إذا مررت عليهم مثل هذه المسبحة أو قلدها أحدهم .. تجار هذا البلد نفوا صنعهم لمسبحة مثلها هنا

ـ خطوة جيدة وذكية .. ولكن هذا المقلد هل يقر بتقليده لمسبحة ؟ وهذا تقدم جيد برأيي .. وهذا يحل لغز الاستبدال كما صورته لنا.. فهو لم يحتاج لرقم سري ولا مفتاح أصلي ولا تقليد ولكن كيف علم باتصالات رضا ، وقام بسرق المستبدلة .. والسيد كما أخبرنا أنه لم يكن يخرج المسبحة الحقيقية إلا لذاته ..هل عنده مسبحة مقلدة حقا ؟

ـ اللغز أيها الصديق أن اللص عرف بمجيء رضا قصدي أنه سيجيئ وقادم لاختبار وفحص مجوهرات السيد رفيق .. فقام بسرقة المسبحة المقلدة ، فهو كان قد استولى على الحقيقية قديما .. ولماذا لم يعد الأصلية ؟! .. هذا اللغز الكبير .. أم أنه لم يتمكن من إعادتها لضيق الوقت ..أم باعها وتصرف فيها عندما سرقها قبل أن يكتشف رفيق أو يشك في اختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟ فاضطر لارتكاب السرقة ، ثم اضطر لارتكاب الجريمة الكبرى ؟!

فعلق مجدي وهما يستعدان للانصراف : المصلحة الأولى في اختفاء رفيق لأبنائه واضحة وهم فوق الشبهات .. ولكن أن يقتل السارق لإخفاء جريمته فهذا قمة الإجرام .

ـ المجرم .. مجرم .. فهم سرقوها معتقدون أنه لن يعود للبيت حيا فيكسبون خمسين ألف دولار عن شغل عشرات السنين ، ولن يدرك الورثة ضياع المسبحة ..فكان يستخدمها مظهرا أنها مسبحة تقليد .. المال فتنة .. وأشكرك على هذا العشاء الطيب يا أستاذ مجدي .

١٢

تحدث المقدم عبد الكريم مع المحامي فيصل عن الطليان الثلاثة فقال : هؤلاء الثلاثة بحارة ، وهم من رفاق السيد رفيق ، وأحدهم قريب لزوجته الأجنبية .. ويؤكد البوليس الإيطالي أن حياتهم لا تخلو من شبهات واتهامات وقصص حول الاستيلاء على أموال سفن غارقة أثناء عملهم في بحار العالم.. ولما ظهرت صورهم في الصحف اتصلوا بالبوليس بواسطة سفارة بلدانهم ، ورافقهم مندوب إلى حيث وكيل النيابة يوسف محمد ، واجتمع بهم وسمع أقوالهم ، وأنهم بعد لقائهم العاصف برفيق لم يروه ، ولم يلتقوا به .. ولقد حاولوا عن طريق السكرتيرة الخاصة فأخبرتهم أنه يرفض الاجتماع معهم مجددا.. وليس لهم أي علاقة باختفائه ، ولا يعرفون لبى والخد ومها ، وأكدوا أن الجريمة عليها بصمات أناس من البلد .

فقال فيصل حسني بعد سماعه هذه الأخبار : معهم حق يا سيدي! .. ترتيب الجريمة يحتاج لشخص يعرف طبيعة البلد ..والأجانب يكشفون بسرعة بين الناس وعمال المحطات .. وتلك الرحلة كما أخبرنا مدير المحطة لم يكن على ظهرها أجنبي .. كلهم من رجال ونساء البلاد ..ولكن أين كانوا كل هذه المدة ؟! ولماذا لم يغادروا بعد انصرافهم وفشلهم مع السيد رفيق؟!

ـ هم لما يئسوا من اللقاء به ..فقد قاموا بجولة سياحية في طول البلاد وعرضها بعد أن سكنوا شقة يملكها رجل إيطالي يعرفونه ، وهم ـ وهو الأهم ـ كانوا في انتظار شخص رابع صديق عزيز لرفيق في البحر .. وذات يوم أطلعهم مسافر معهم في الجولة السياحية أن صورهم منشورة في إحدى الصحف الأجنبية في البلد .. وأن عليهم الاتصال بالبوليس المحلي .. وهم أخبرونا أن لهم مغامرات في البحث عن السفن الغارقة القديمة التي كانت تنقل الكنوز والتحف وغرقت بسبب القرصنة أو العواصف أو الحروب القديمة ..ولهم معارف حول العالم ينشطون في مثل عملهم .. فالتقطوا بعض صناديق هذه السفن الغارقة وما فيها من أدوات وأسلحة أصبحت اليوم آثارا، ولها سوق عند الأسر العريقة .. وكانوا يقتسمونها بطرق تبعدهم عن البوليس المحلي والدولي والدول صاحبة تلك السفن .. فالبحر كما يقولون مليٌ بالدفائن والكنوز

ـ هذا يعني أنهم لا دخل لهم في قضية اختفاء المسبحة وصاحب المسبحة .

ـ لم يذكروا المسبحة ولو مرة واحدة أثناء تسجيل أقوالهم .. وبدا لنا أنهم لا علم عندهم بشأنها رفيق رجل عميق .. ولكن عندي لك خبر جديد .

ـ خبر ! أي خبر ؟!

ـ زواج لمياء من حلمي السائق .

ـ سمعت ، ولم أصدق الخبر أو لم استوعبه .. هل تأكد ذلك ؟

ـ نعم ، وهم في شهر العسل في أوروبا كما أخبرنا رجال المتابعة .. فلما استقروا في أعمالهم الجديدة وتركوا شقة رفيق .. أعلنوا عن الخطوبة .. فوالد لمياء ووالد حلمي أصدقاء وأصدقاء للسيد رفيق .. وهم كما تعلم تحت المراقبة والاشتباه .

فقال فيصل : أنا حدثني مجدي عن هذا الزواج ، وقال لي حلمي شاب أمي لا يعرف في الدنيا إلا القيادة ، ولمياء فتاة مثقفة وتحمل ماجستير إدارة أعمال .. وهي لم توفق في زواجها الأول لعلها توفق بهذا الزواج .. وصديقنا مجدي لم يحضر حفلة الخطبة ولا الزواج .. وهو على وشك الاقتران من ابنة الحاج رفيق كما قال لي .

ـ كيف ؟!

ـ قال زرت الفتاة في البيت بصحبة أبي ، وتحدثنا حول اختفاء الوالد ، ثم حدثهم أبوه عن الزواج ، وأنه كان قد تحدث مع صديق العمر بالموضوع .. فشجع سامر أخته بالاقتران بمجدي فهو كان ثقة عند الوالد .. ولكنهم أجلوا ختم الموضوع حتى يعرف مصير الأب المختفي .

فقال عبد الكريم لرفيقه فيصل : هل تعلم أن المسبحة اللؤلؤية قد اختفت مرة قبل إصابة الرجل بجلطة الدماغ ؟

ـ اختفت ؟!

ـ نعم ، كانت في حوزة ابن أخت للسيد رفيق .. وهذا الشاب قد طلبت أمه ابنة رفيق لابنها قبل أن يطلب صاحبك ابنة السيد رفيق ..ولما افتقدها الرجل وحدث أخته بشكه في ابنها . .

أعادها وهو يعتذر لخاله ظانا أنها مسبحة بلاستيكية تشبه حبات اللؤلؤ .. فغضب خاله ووبخه على فعلته الشنيعة ، ثم صفح عنه من أجل أخته ، وسمح له بالعودة لزيارته وصحبة أمه معه .. فهل كانت هذه السرقة على سبيل المزح أم على سبيل الاختبار ؟ ..وسألتقي به قريبا في الدائرة وسماع أقواله .

ـ وصورة المسبحة التي أرسلت لمحلات الجواهر العالمية ما آخر أخبارها ؟

ـ ما زال البحث مستمرا ..والأمر يحتاج لوقت .

وبعد هذا الحوار غادر فيصل الدائرة الأمنية للقاء زميله المحامي مجدي لتدارس القضية والمناقشة والمحاورة .



رغم التحريات الكبيرة التي قام بها رجال المباحث لم يعثر على جثة رفيق حلمي ، وكذلك لم يعثروا على دليل يدل على أنه ما زال على قيد الحياة ، ولكن بعد مضي الشهر الثاني من الاختفاء تحركت القضية فجأة وبقوة .

الصورة التي أرسلت للبوليس الدولي صورة المسبحة المختفية أدت إلى تطور مهم في القضية ، فقد سافر المقدم عبد الكريم إلى ميونخ في ألمانيا ، والتقى بصانع جواهر تذكر أنه صنع مسبحة من اللؤلؤ الصناعي شبيهة بالصورة التي عرضت عليه ، بل أكد أنه صنع اثنتين منها تشبهان الصورة التي عرضت عليه ، فقال الرجل الألماني الصانع في شركة خاصة لتقليد وصناعة المجوهرات المقلدة : إن فتاة هي التي طلبت منه صنع هذه المسابح ، وليس رجلا ودفعت عشرة آلاف دولار لتقليد مسبحتين .

وكان من طبيعة العمل عندهم توثيق أوراق الطالب للتقليد ، فأظهر الرجل صورة لجواز سفر الفتاة ، ولما نظر عبد الكريم لصورة الفتاة عرف على الفور أنها سكرتيرة السيد رفيق السيدة لمياء

عامر ، فأرسل المقدم يطلب صورة ملونة ومكبرة للسيدة لمياء ، فلما عرضت على رجل المصنع أكد للضابط أن هذه الفتاة هي التي طلبت منه تقليد المسبحة التي في الصورة ، وصور جوازها وأنها وقعت على العقد وأراه عقد البيع وتوقيع الفتاة .. ولما اكتمل صنع المسبحتين أرسلتا بالبريد إلى عنوان الفتاة .. ولما جمع الضابط معلوماته عاد للبلد ، وطلب لمياء لسماع شهادتها حول المسابح ، فقيل له إنها ما زالت في شهر العسل ..فهي في إجازة حول العالم منذ تزوجت بحلمي وهما يتنقلان بين الأقطار ..فقد أخذوا إجازة لمدة ستة أسابيع .

وتحدث المقدم مع المحاميين ، وأطلعهم على آخر معلومات القضية وحكاية الصورة والمسابح المقلدة .

فقال فيصل : هل قابلت السيدة ؟

فقال مجدي : إنها ما زالت في شهر العسل .

فقال عبد الكريم : تحدثت مع الشركة ، فعلمت أنها في إجازة لمدة ستة أسابيع .. وهي على وشك الانتهاء .. إلا إذا مددا إجازتها.. ولكن السؤال هل لها دور في اختفاء رفيق ؟!.. هي وزوجها من المشتبه فيهم.. ولكن لحتى الآن لم يثبت شيء ضدهما .. وهي ذكية ..

فقال فيصل : هما لا يعرفان بقصة اختفاء المسبحة.. حسب معلوماتنا أليس كذلك يا مجدي ؟

ـ بلى ، عندما زرنا رفيقا لأول مرة لم تظهر الفتاة على المسرح ، ولا حلمي ..كان عملنا يجري بالخفية عنهم .. لدقة القضية .

فقال فيصل : على كل حال بعد سماع قولها حول سفرها لصناعة المسابح قد يتغير اتجاه القضية مع أن الأمر يدل على أن سفرها بالصورة قد يكون على معرفة رفيق ..لأننا علمنا بأن هناك مسبحة مقلدة كانت تظهر بين يدي رفيق أثناء تحركاته وجلوسه مع ضيوفه .. وسرقة ابن أخته لها .. فهذا الاكتشاف يؤكد وجود المسبحة المقلدة .. ولماذا اثنتان؟! .. ها هي مسبحة مقلدة أخرى تظهر في الصورة .. ولكن اللغز الأهم هو كيف سرقت المسبحة الأصلية ؟ وإذا بدلت فكيف خرجت المبدلة من الخزانة حتى لا يراها رضا شاه جناد ؟..ولماذا اختفى السيد رفيق أو

قتل على الأرجح ؟!

فقال مجدي : هل خدر رفيق والخزانة مفتوحة ؟! ..فإذا حصل هذا فيمكن للسكرتيرة السرقة فمبلغ خمسين لفتاة مثلها مهم .

فقال فيصل : ولكن الرجل لم يشر لمثل هذا الأمر .. وهو كان يتحدث معنا بكامل وعيه عن حادث الاختفاء .

فقال عبد الكريم : وفي حادثة القطار بدا الرجل أمام عمال المركبة ضعيفا مستسلما .. وذكرنا أنه ربما تعرض لتخدير معين قبل محطة مها ..مع أن عامل المقصورات ناصر وعامل محطة لبى نفوا شم رائحة دواء كتخدير وغيره في الحجرة .. ولكن هذا النفي لا ينفي حصول التخدير ؛ فربما استعمل دواء لا رائحة له .

فقال فيصل : قد يكون هناك تنسيق وتأمر بين لمياء وحلمي .. وزواجهما يثير الانتباه والشبهة.. إلا إذا كانا بريئين فأقدما على التسرع في الزواج .

فقال عبد الكريم : سأجري تحريات عنهما ليلة الحادث .. بعد توديع الرجل في محطة القطار .. كيف أمضيا تلك الساعات ؟ .. ما داما قد أصبحا موضع اتهام .

فقال مجدي متخيلا لقاءاته بهما : أنا كنت ألاحظ الانسجام بين الشاب والمرأة .. وكنت أرى ذلك بحكم العمل في السنة الأخيرة في شقة الشركة ..ولكني لم ألحظ منهما شيئا مخلا بالأدب العام .. ولم أدرك أن بينهما حكاية حب .. فلمياء متعلمة دراسات عليا .. وحلمي سائق فحسب .. ولكن القلوب كما يقال لها شأن آخر .

فقال فيصل: السرقة أسهل وأهون من جريمة الخطف والقتل .. خصوصا القتل المدبر .. فخطف وإخفاء جثة ليس كإخفاء مسبحة ..

مجدي : الخطف حصل بعد الثامنة مساء ..والليل طويل إلى حد ما ..

فقال عبد الكريم : الجثة أين ذهبت ؟ لحتى الآن لم تصل جثته للمشرحة ..حتى جثة متحللة لم تصل .. جثة مشوهة لم نبلغ عن ذلك .. صحيح نجد جثثا مجهولة الهوية .. ربما تكون لمشردين

أو غرباء ..ولكن لا بد أن يفطنوا لهم يوما ما .. قام رجالنا بالبحث بالأماكن المهجورة والبيوت المهجورة في الخد ولبى ومها .. متى سنجد الجثة هذا علمه عند ربي ؟.. سماع شهادة الفتاة حول المسابح لعله يلقي ضوءا على هذه القضية .

فقال مجدي : لو كانت مخططة لسرقة المسبحة لأخفت اسمها عن الشركة المقلدة واستخدمت وثيقة مزيفة .. ولماذا مسبحتان ؟ وتدفع عشرة آلاف دولار .

قال فيصل بحيرة : لماذا السيد رفيق لم يكشف لنا أمر المسابح المقلدة لماذا ؟!.. نحن عرفنا ذلك من رضا شاه جناد .

عبد الكريم : هؤلاء الصناع لا يقبلون صناعة شيء بدون توثيق رسمي وجواز سفر أو هوية شخصية .. لأنهم يحذرون من المشاركة في جريمة سرقة ونصب .

فيصل : وهنالك لا يخلو المكان من صناع يعملون دون هذا التوثيق ..فالراجح أن التقليد حصل بعلم رفيق .. فضاعف المبلغ لصانع ماكر فيعمل من وراء المصنع وهو يتحمل نتيجة عمله الإضافي .

قال عبد الكريم : نحن سمعنا كما قلتم عن مسبحة لماذا الآن صارتا اثنتين ؟! .. الحل أن نصبر حتى يعود العروسان من شهر العسل والفرح والحب .. أتعرف أين سافرا يا مجدي ؟

ـ عن طريق مركز عملهما نعرف .. وبما أنني محامي بعض شركات السيد رفيق سأعرف خلال ساعات مسار رحلتهما ..

وقام واتصل بمدير الموظفين في إحدى الشركات ، فعلم أنهما مسافران لأوروبا ، وأول محطة لهما كانت سويسرا في مدينة بال ..ولا يعرفون باقي المحطات وبقي على إجازتهما عشرة أيام فقط ..ولم يتصلا بالشركة منذ رحلا .

فقال عبد الكريم : سنصبر ..أي فندق نزلا في سويسرا ..؟

فيصل : لا أعتقد أن الشركة تعرف ذلك ..

ـ أفكر بإرسال رجل خلفهما .

ـ لا داعي لذلك .. لقد فات الأوان لمتابعتها في الخارج .. فلو كانا سارقي المسبحة الحقيقية لتصرفا فيها منذ وقت ..والأرجح يا صديقنا أن المسابح صنعت بعلم رفيق ..



انتهى شهر العسل كما يسمى في أيامنا، وعاد العروسان حلمي ولمياء ، واستقرا في الشقة التي تملكها لمياء عامر ، وانتظر الشرطي عبد الكريم حتى التحق الشابان بعملهم ، ثم اتصل بهما في بيتهما مهنئنا لهم الزواج والعودة لأرض الوطن ، وطلب منهما تحديد موعد للحديث معهم بشأن قضية السيد رفيق حلمي ، فلما استفسرت لمياء عما جد قال : الأفضل أن يبقى الكلام حتى نتقابل .

ولما التقيا سألها الضابط مباشرة عن قصة المسبحتين والصورة التي ذهبت إلى ألمانيا لصنعهما ، ولمح الضابط بعض الارتباك الذي ألم بها ؛ ولكنها تمالكت نفسها بسرعة فائقة وقالت : وما دخل المسابح في قضية السيد رفيق ؟! وكيف عرفتم بقصة المسبحتين ؟

تبسم الضابط وقال : نحن يا سيدتي ما زلنا نتحرى بموضوع الرجل المختفي منذ ما يزيد عن شهرين .. لم تنته القضية ما زالت الضحية مختفية .

ـ على كل حال يا سيدي! قضية المسابح الصناعية ليس لها دخل في موضوع اختفاء الرجل .

ـ نحن ـ يا سيدتي ـ الذين نقدر ما يهم وما لا يهم .

ـ لا بأس .. ذهبت لميونخ بناء على رغبة السيد رفيق حلمي.. ذكر لي اسم الشركة وسافرت وقد أعطاني السيد صورة ملونة لمسبحة عزيزة عنده وعليه كما كان يردد .. وأعطاني اسم الشركة ومصاريف الرحلة .. وصنعوا له مسبحتين مثلها بالضبط منظرا وشكلا وحجما .. أما الحبات فقد كانت من اللؤلؤ الصناعي المتقن مائة بالمائة ، وكذلك حبات الماس .. أما لماذا مسبحتان ؟ صدق يا سيدي الضابط أنني لا أدري .. فالرجل مغرم بالمجوهرات.. منذ علق في البحار كما

كان يردد ويقول .. ومرة أخفى ابن أخته إحدى هاتين المسبحتين فغضب عليه أشد الغضب .. ولولا الخوف من معاداة أخته له لما سامحه أبدا .. ولكن الشاب أعاد المسبحة معتذرا .

ـ هل أعادها نفسها الحقيقية أم أعاد المزيفة ظانا بأنها أي المسروقة من اللؤلؤ الحقيقي عندما سرقها ؟

ـ لا أدري يا سيدي .

قال الضابط : هل تسمحين بالإجابة على هذا السؤال ؟

ـ تفضل يا سيدي .. فأنا يهمني معرفة مصير السيد رفيق .

ـ سنعرف بأذن الله تعالى ..يوم توديعك للسيد رفيق في محطة القطار .. أخبرتينا أنك صعدت بالسيارة مع السائق زوجك الحالي ..وعدت لشقة العمل في عمارة رفيق .. الساعات الأربعة التالية كيف قضيتها ؟

صمتت فترة أطول من اللازم ، ثم قالت ببطء : سؤال خطير يا سيدي .. هل أنا متهمة ؟!

ـ لحتى الآن كل معارف السيد في دائرة الاشتباه ..أنت وزوجك ومجدي وابن أخت رفيق وبعض أصدقائه .. الكل مشتبه به ..وحتى الدكتورة سعيدة .. فعلى كل واحد من هؤلاء تحديد كيف مضت تلك الساعات ؟ ..فرحلة القطار .. والحجز في الفندق ..أنتم أدرى الناس بهذه المعلومات .. والطليان الأجانب ثبت بعدهم تلك الساعات عن مسرح الجريمة .. الكل مشتبه به يا سيدتي .. لم نوجه الاتهام لأحد .. حتى أبنائه في دائرة الاشتباه .

ـ حسنا يا سيدي .. ما دمت مشتبه به .. ولست متهمة فيمكنني الرد على حضرتك يا سيدي ذاكرتي جيدة رغم مرور ثلاثة أشهر على الحادثة .. فإنني أذكر أني عدت بسيارة حلمي لشقة السيد رفيق ، ثم أكملت الشغل الذي تركته، وأغلقت الشقة وعدت للبيت .. لم أسهر ليلتها

ـ ولكن ماجندا يا سيدتي لما سألناها هل عادت السيدة لمياء للشقة ذلك المساء ؟ فنفت ذلك .

ـ ماجندا ! .. يا سيدي الشقة لها مدخل خاص .. وأنا لما عدت لم أدخل من شقة ماجندا .. عملت ما يقارب النصف ساعة ثم غادرت .. وربما البواب لمحني .. لا أذكر .. عليك بسؤاله

ـ وأهل بيتك يا سيدة لمياء لم يشاهدوا ضوء بيتك إلا في ساعة متأخرة ؟

ـ الحمد لله أن لي شقة أضيئها وقتما أشاء .. أنا عندما لا أريد أن يزورني أحد لا استعمل الضوء .. واسأل أهلي عن هذه العادة ..فأستريح ساعة أو أكثر ، ثم أنير البيت لشرب قهوة أو شاي أو أكل قليل من الطعام ؛ لأنني أحيانا كثيرة أتعشى في المطاعم .. ومرات يا سيدي أصعد شقة أبي وأجلس مع أمي بعض الوقت أسمع أخبار الأسرة والأقارب .. ولكن تلك الليلة كنت أحس بالإرهاق .. نحن من اليوم السابق ونحن مشغولون بسفر السيد رفيق ..

ـ جيد .. ألم تغادري المدينة في ذلك المساء ؟

ـ لم أخرج من المدينة تلك الليلة ، ودعنا الرجل في المحطة ، ثم عدت للشركة ..ثم عدت لبيتي .. ونمت بعض الوقت ؛ ثم استيقظت ، وأكلت بعض الفاكهة وعدت للنوم ثانية .. ثم يا سيدي ما الذي أجنيه من التآمر على السيد رفيق ؟ لم يكتب وصية لي ولست وارثة .

ـ صحيح لم يكتب لك وصية .. ولست وارثة ؛ ولكن كما قلت مبررا سابقا أن الجميع في دائرة الاشتباه فحسب .. لم نتهم أحدا في هذه القضية ..ولكنك من أعرف الناس بحياة الرجل الخاصة ومن المؤكد أنك أعرفهم .. وحتى من أولاده.

ـ معك حق .

ـ والحقيقة وبكل صراحة نحن ليست لدينا أدلة على حدوث جريمة قتل ..لأن جسم الجريمة غير موجود .. واعلمي يا سيدتي أنك ممنوعة من السفر إلا بتصريح خاص من البوليس .

ـ هذا اتهام .

ـ لا ، اشتباه فقط .

ـ هل بقي شيء؟

ـ لا .. وإلى اللقاء .

ـ حياك الله يا سيدي الضابط .

ـ أرجو أن تخبري زوجك السيد حلمي بالمجيء لدائرة الشرطة لنسأله بعض الأسئلة كما سألناك

وسألنا غيرك ..فليأت وحده .. معذرة بالطبع .. نريده وحده بضع أسئلة والسلام ..

ـ سأبعثه لكم .. هو الآن في زيارة لوالده وأمه .. ولا أدري متى يعود ؟

ـ نحن في انتظاره أيتها السيدة .

ـ سأبلغه الأمر يا سيدي

ـ الأمر لله والسلام عليكم .



١٤

لما دخل المحقق عبد الكريم ضابط التحقيق في قضية اختفاء رفيق الدائرة أعلمه مساعده أن رجلا أوروبيا في انتظاره ، وهو رفيق البحارة الذين تم التحقيق معهم حول اختفاء رفيق حلمي الرجل الذي أرسلهم لمقابلة رفيق ، رحب عبد الكريم بالرجل ، وأمل أن يضيف الرجل شيئا يحلحل القضية ، وبعد التعرف والترحيب حضر الكاتب والمترجم فقال الرجل : اسمي جوهان ثيودور من أهالي صقلية الإيطالية .. وأنا من سكانها اليوم أيضا .. ولما خابرني أصحابي باختفاء السيد رفيق هذا الاختفاء الغامض .. قررت المجيء للمساعدة والإدلاء بمعلوماتي .. لعلها تساعد في معرفة الجناة .. والوصول لجثة السيد رفيق التي لم تظهر كما خابرني الرجال .

ـ شكرا لك .. ونطمع أن نستفيد حقا مما لديك من معلومات .. وهذا يدل على عمق الصداقة التي تكنها للسيد رفيق .

ـ أنا أعرف السيد رفيقا منذ وطأت قدماه صقلية ، وكان متزوجا من امرأة صقلية ، ورثت عن والدها مراكب وسفنا .. أحبت تلك المرأة الشاب رفيقا وتزوجته ، وعملنا معا في البحر .. وكانت البحار تقذفنا مرة في الشرق ومرة في الغرب .. وصلنا سواحل الهند والصين وتشيلي .. وهكذا عشنا زمنا طويلا .. ننقل البضائع والمواد حسب الطلب .. نشارك في رحلات الصيد والبحث عن الكنوز .. كانت تحدث معنا حكايات وقصص ومغامرات يا سيدي المقدم .. ونسمع من بحارة يعملون معنا على إحدى الرحلات عن سفن غارقة ، وهي تحمل ذهبا وأموالا لبلد ما وتهلكها الأعاصير وعواصف البحر ، ويختفي الذهب والمال والجواهر .. فنقوم بالبحث والغوص .. فنجد أحيانا وأحيانا كثيرة أخرى لا نجد شيئا.. ربما سبقنا ربما إشاعة ..وصرنا نشتري ونبيع الجواهر من الركاب من الصيادين .. نشتري من سواحل الهند والباكستان ونبيع في أوروبا بطرق مشروعة وطرق غير مشروعة .. هكذا السوق في مثل هذه الكنوز .. لأن بعض الدول إذا علمت أن كنوزا لها ظهرت في عاصمة ما ربما تطالب بها .. فنقع في مشاكل قانونية نحن في غنى عنها .. وصانعوا الجواهر يحبون السرية وسحر صاحبنا رفيق بالمجوهرات ،

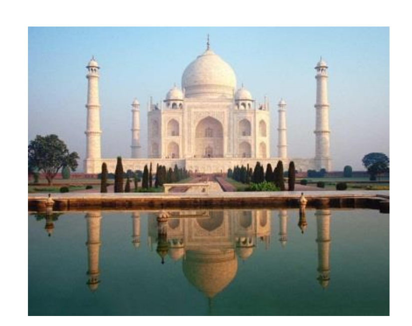
وأصابه الهوس والعشق القوي بها ولها .. فصار يبيع ما لا يناسبه ويشتري غيره أو يستبدل جوهرة قديمة بجواهر حديثة ..وربما نبيع جوهرة قديمة بثروة كبيرة لأهميتها التاريخية .. أما السيد فكان يقتني ويبيع ..أما أنا فكنت أحب المال أكثر من اقتناء الجواهر .. فيدفع رفيق حصتي ويأخذ الجوهرة كاملة ..إذا رغب باقتنائها ..وكنا نذهب لتسعيرها عند معارفنا من تجار الذهب والجواهر في بلادنا والبلاد الأخرى .. كنا حقيقة على تفاهم تام بالنسبة لهذه الجواهر .. ومرة كنا في أحد موانئ بلاد الهند ، وتقدم منا رجل رث الثياب بشكل ملفت للنظر قليل الحجم .. وعرض علينا ياقوتة بحجم (البج بن) الكرة الصغيرة .. ولما ساومناه أدركنا أنه جاهل بأسعار المجوهرات والأحجار الكريمة .. إلا إذا كانت مزيفة حتى خفيت علينا ؛ ولكننا حتى لا تفوتنا تلك الكرة دفعنا ألف دولار للرجل الذي اختفى على الفور بعد أن قبل أيدينا شاكرا .. بخبرتنا رجحنا أنها ياقوتة طبيعية ..ولكن الشك ما زال يراودنا .. وبما أننا اشتريناها في الهند فلا نستطيع فحصها عند تجار تلك البلاد .. ففي ذلك خطر شديد علينا ..لأننا لا نعرف كيف حصل عليها الرجل ؟ .. قد تكون مسروقة والبوليس يبحث عنها فنقع في سين جيم .. فلما عدنا لصقلية كالعادة بعد رحلة استغرقت شهور .. عرضناها على أهل الاختصاص فأكدوا أنها حقيقية وقدروها بعشرين ألف دولار أمريكي .. فدفع لي السيد رفيق العشرة آلاف .. تنقص خمسمائة التي دفعها للهندي الفقير.. وامتلك تلك الجوهرة الهندية .... وانتهى الموضوع حسب علمنا .. ولما ماتت زوجة السيد رفيق الصقلية صفى أعماله في بلادنا ، وباع المراكب التي ورثها بعد أن أهدى بعضها لمحبيه وعاد لموطنه الأول .. وظللنا على اتصال بحكم الصداقة الطويلة ..قبل خمس سنوات من اليوم زارني ثلاثة هنود ومترجم إيطالي ، وأخبروني أنهم يبحثون عن الياقوتة التي باعها لنا أحد الهنود في أحد موانئ الهند ..ووصفوا الياقوتة فتذكرتها وتذكرت ذلك الرجل الهندي الفقير الذي لا تنسى صورته ..وعلمت منهم أن الرجل قد سرقها من عين إله هندي من الآلهة التي تملأ معابد ودور الأغنياء في الهند .. فهي إذن عين صنم هندي .. وفهمت منهم أنهم تفقدوا إلهاهم ذات يوم فوجدوه بعين واحدة ، وأدركوا أن عين الإله قد

سرقت .. وبعد تفكير أدركوا أن أحد خدم المعبد استولى عليها في لحظة غفلة .. وبحثوا عنه حتى وجدوه وأمام التعذيب أقر بجرمه .. وأنه فعل ذلك انتقاما منهم ، وأخذها وباعها في أحد الموانئ لأصحاب السفن الأجنبية .. وبالصبر والسؤال عرفوا أنها بيعت لنا وعرفوا عنواننا في أوروبا لأن رجال أمن الميناء يعرفوننا للتعامل الدائم بيننا .. وجاءوا إليّ وقصوا قصتهم هذه ..ولم يكن أمامي إلا الإنكار بالحصول عليها .. وقلت لهم إنني لا أملكها ، وأمام إصرارهم وبكائهم وتعبهم في البحث .. ذكرت لهم أنها ليست بحوزتي وأنني أخذت نصف ثمنها ، وذكرت لهم عنوان السيد رفيق ..وقلت لهم ادفعوا له ثمنها ..فوعدوا بدفع أضعاف الثمن وجاءوا إلى هذه البلاد قبل خمس سنوات أيها السادة ، والتقوا بالسيد رفيق كما أخبرني هو بنفسه .. وأنه رفض رد الياقوتة الخاصة بصنمهم .. وهددوه بالاغتيال بعد أن دفعوا أضعاف الثمن ، ولعقدة الرجل بحب الجواهر رفض التفاهم معهم ..ولخوفه من سرقتها أرسل موظفا يثق به إلى ألمانيا ولشركة تقليد المجوهرات الحقيقية صنعوا له ياقوته مثلها وأجمل منها ولكنها صناعية .. وطلب سرعة إنجازها ولم يرجع الموظف الثقة إلا بها .. ولم يذهب بنفسه خوفا من غدرهم ولإخفاء نيته كما أخبرني بذلك أيها السادة .. فالرجل قد أدرك عنادهم وأنهم لا يفكون عنه حتى يحصلوا على الياقوتة ، وأنهم لن يغادروا البلد قبل الحصول عليها أحضرت الياقوتة المزيفة ووضعها في طريقهم وفعلا سرقوها ، وغادروا البلاد مسرعين واختفوا .. ولكنهم لما عادوا لبلادهم اكتشفوا حيلة السيد رفيق فجن جنونهم .. فجاءوني قبل شهور وعرضوا عليّ ربع مليون دولار للحصول على الياقوتة الحقيقية عين الإله .. وهذا مبلغ يسيل له اللعاب .. ورأيت أن لي فيه حقا وعلى السيد رفيق التخلي عن عقدته نحو تلك الجوهرة .. فأرسلت له ثلاثة رجال يعرفهم رفيق حق المعرفة .. ولكنه للأسف لم يقتنع بوجهة نظري ، وأساء للرجال بل طردهم أشد الطرد .. واتصلوا فقلت لهم حاولوا لابد من الإلحاح .. فمبلغ الربع مليون يحتاج لصبر .. ثم مرض الرجل .. فأرسلت إليهم المزيد من المال للبقاء .. ولكنه بعد مرضه رفض أيضا استقبالهم ..وأخبرت الهنود بأن الرجل مريض وأن الأمر يحتاج لصبر ..وأمرتهم بالبقاء هنا ،

وأنني سألحق بهم .. ثم اتصلوا وأخبروني باختفاء الرجل الغامض ، وأنهم مطلوبون لرجال البوليس وصورهم في بعض الصحف الأجنبية .. ولا يعرف هل هو حي أم ميت ؟.. فتكلمت مع صديق لي في وزارة الخارجية .. فطلب منهم أن يتصلوا بالسفارة الإيطالية هنا ، ويتقدموا لرجال البوليس ويدلوا بأقوالهم .

ـ هل ترى أنت أن لهؤلاء الهنود يدا في الموضوع وأن يضروه ويغتالوه؟

ـ لا أعتقد ، فهم يسعون للجوهرة .. وعندهم صبر ونفس طويل .. فللقصة أكثر من عشرين سنة .. وحسب معلوماتي هم في أوروبا ..



١٥

عندما انتهى المقدم عبد الكريم من رواية قصة ياقوتة المعبد والصنم الهندي للمحاميين فيصل ومجدي ، قال مجدي : لقد سمعت بعض الحديث عن قصة الهنود والياقوتة عين الصنم .. ربما سمعتها من أبي .

فقال فيصل : لمياء هي التي ذهبت لصنع الياقوتة المقلدة ؟

فقال عبد الكريم : هو ذكر موظفا ثقة .. قد تكون هي ، فقبل خمس سنوات كانت تعمل لديه

وعاد فيصل يقول : مسبحتان مقلدتان أيضا لماذا الثانية ؟! هي لم تنكر صنع اثنتين

قال مجدي : لا ، لم تنكر ولا مجال للإنكار ما دام قد وصلنا للصانع .. أبي يؤكد أنه كانت المسبحة بين يديه في غالب الأحوال .. أما أنا فقليل ما كنت أراها لذهابي في العادة لعمل ومراجعة قضية ما ..ولم تكن لقاءاتي بالرجل طويلة .. ربع ساعة .. عشر دقائق ، ثم انصرف .

قال عبد الكريم بتأن ودقة : من لقائي الأخير بالسكرتيرة أدركت أنها امرأة خطيرة وقوية على غير لقائي السابق بها عند اختفاء السيد رفيق .. وتعرف كيف ترد .. كانت حذرة للغاية .. وجوهان ورجاله ليس لهم حاجة بالمسابح .. وهي تزعم أن الرجل هو الذي كلفها بذلك العمل .. وأرسلت فاكسا للشركة للتأكد من صنع الياقوتة وهل هي نفس العميلة التي قامت بطلب صناعتها ؟ ..

فقال فيصل متهما : قد تكون هي السارقة للمسبحة الأصلية طمعا في المال ؛ ولكن الرجل يثق بها ثقة كبيرة .. ما دام يرسلها بياقوتة لتلك البلاد ..

ـ وهي أقرب الناس إليه وتعرف أسراره .. فحلمي يبدو بليدا وقليل الكلام .. لكن زواجهما يثير الريبة أي صفقة مع أنه قد يكون لمصلحتها ويدفع عنها التآمر إلى حد ما أمام القاضي ومحامي الدفاع .. ولو كان هناك شك فيهما لأخرا الزواج حتى تنجلي القضية .. فزواجهما هذه الأيام قد يفسر لبراءتهما .. وتحرياتنا عن ابن أخت شقيقة رفيق لم تسفر عن شيء .. أما عقل حلمي فلا يستطيع ترتيب جريمة خطف جريئة وذكية ..إلا إذا كان هو قام بأحد الأدوار

وكيف وافق على القيام بهذا الدور؟

ـ وعدته بالزواج !

فكر عبد الكريم قليلا ثم رد : عرض جيد !..وإغراء كبير .. ولكنها جريمة قتل .

فنهض مجدي قائلا : سأتحدث مع أبي حول ياقوتة رفيق قبل أن أنسى .. فأبي من أعز أصدقاء رفيق.

ذهب مجدي ليسمع المعلومات التي يعرفها والده عن ياقوتة المعبد الهندي فقال فيصل : لليوم لم تظهر جثة الرجل !.. أين أخفيت ؟! ..الجثث لها روائح كريهة تشم عن بعد ..هل دفنت في قبر؟!

ـ ستظهر يوما ما .. الجريمة دبرت بعناية وعلم وجراءة وفي الليل .. والبحث جرى بعد أكثر من عشر ساعات .. وعندي فكرة راودتني منذ زمن .

ـ ما هي ؟

ـ عندما أنفذها سأقول لكم .

عاد مجدي مؤكدا لقصة جوهان الصقلي ، وأن رفيقا حدثهم عن المعابد والأصنام في بلاد الهند وما يحلونها به من الجواهر والأحجار الكريمة .. وفكرة تقليد الجوهرة صحيحة ، وتحدث عنها رفيق ، ثم قال : ففكرة تقليد المجوهرات موجودة في فكره وذهنه .. وسرقة ابن أخته يؤكد هذا المعنى .. ولكن لماذا قلد المسبحة مسبحتين لماذا ؟! فالمسبحة المقلدة لم يسمع أبي عنها شيئا مهما .. ولكنه يؤكد أن من أفكار رفيق يخرج مثل ذلك ..فأعتقد أن لمياء قلدت المسبحة على رغبة السيد ولكن مسبحتان لماذا الثانية ؟!

قال فيصل متذكرا شيئا ما : يا أخي لما طلب مساعدتنا في كشف سرقة المسبحة .. وقمت بعمل مسبحة شبيهة لها ليخدع سارقه .. قبلها .. ولم يكشف لنا أنه صنع لها مسابح مقلدة ؟!

قال مجدي : فعلا ، ولكن لا يمكن أن تفعل لمياء مسبحة إلا بإذنه ..

فقال عبد الكريم : أو كانت تخطط لسرقتها ..

ـ ولكن هذا حدث قبل زمن طويل ..قبل أن يصاب بجلطة دماغية ..

فقال عبد الكريم : هذا ما يحير لحتى الآن .. هل خطط للجريمة من زمن ؟!.. نحن تصورنا أن حالة رفيق المرضية واحتمال موته دفعت السارق لسرقة المسبحة الأصلية .. معتقدا أن موت الرجل لن يفتح ذهن الورثة .. وسيعتقدون أن المسبحة المزيفة هي مسبحة رفيق ..وقلنا ظهور رضا شاه جناد .. دفعهم لسرقة المقلدة .. ثم اضطر المجرم للخطف والقتل فيما بعد .

فقال فيصل : والرجل شهوته للمجوهرات شهوة زائدة .. فالوسوسة والخوف لابد أن يتركا أثرهما على الرجل .. فهو رفض ربع مليون ثمن ياقوتة دفع فيها عشرة آلاف.. حتى أن شريكه طمع بإعادة بيع الياقوتة .

ـ ونحن نتحرى عن هؤلاء الهنود.. هل دخلوا البلاد في هذه الفترة ؟ وجوهان يساعدنا بذلك وبين لنا أنهم يمكن أن يدخلوا بجوازات مزورة غير الأسماء التي كانوا بها إيطاليا .. أنا لدي تصور للجريمة .. وأكاد أجزم أن السكرتيرة لمياء لها دور خطير في هذه الأحداث فهي أكثر الناس معرفة برفيق بحكم العمل ومجاورتها للرجل منذ سنوات .. اسمعوا لأفكاري وسددوا

قال فيصل : تفضل يا حضرة المقدم .

قال الضابط : حسب تحرياتنا عنها ..لم يسجل عليها أي قضية جنائية ..وهي تقوم بعملها المهني على أحسن ما يرام .. أيام الدراسة سجلت عليها علاقات بريئة مع بعض المدرسين .. لكنها لم تصل لقضايا أخلاقية ..أحبها مدرس كاد أن يطلق زوجته للاقتران بها .. ولكنها وجدت معارضة من أسرتها ..وانتقل المحاضر إلى كلية أخرى ..وقبل إنهاء الدراسة الجامعية كانت على صداقة مع أحد مدرسيها الجدد .. ولكنها انتهت بتخرجها .. عملت في شركة من شركات والدها ..ثم تركت العمل معهم بضغط من إخوتها ..لقد استغلها بعض كبار الموظفين وكوّنوا معها صداقات أسأت للشركة والأسرة .. فعملت عند رفيق بطلب من أبيها ثم تزوجت من ابن عم لها ..ولم تطل علاقتها الزوجية .. فقد كانت صداقاتها تغيظه ، ولم تغير من سلوكها بعد الزواج ..وكانت تدعو أصدقاءها للبيت بدون الترتيب معه .. ولم تحتمل أعصابه ذلك فاتفقا

على الطلاق بالحسنى .. فأعطاها أبوها شقة في عمارة من أملاكه .. هذا ملف حياتها الخاصة .. القصة أيها الأصدقاء .. أن هذه المرأة استغلت ثقة رفيق بها ..أي معرفتها بكثير من أموره وخاصة هوسه بالمجوهرات ومتابعة أخبارها .. وبحكم عملها معه في شقة البيت .. ومع مرضه الأخير ..والجلطات الدماغية والقلبية خطيرة على حياة الإنسان ، ويبقى صاحبها في وضع حرج لأي انفعال حاد ..وقد يذهب الشخص في غيبوبة بسب هذه المرض .. طمعت السيدة بسرقة المسبحة في تلك الفترة الحرجة من حياة رفيق حلمي ..وهي تعرف مسابح الرجل ..وأن الورثة لا يهتمون بضياع شيء .. وربما لا يعرفون بأسرار الرجل وما يملك من مجوهرات على وجه الدقة .. فلو اختفت قطعة لن ينتبهوا ..فهي صنعت مسبحتين مقلدتين .. فالثانية بدون علم الرجل .. لأنه ثبت أن طرد البريد الذي أرسلت به المسابح المقلدة كان باسمها ..

فقال فيصل : معنى هذا أنها كانت تخطط للسرقة قبل حدوث الجلطة ..!

فقال عبد الكريم: يبدو ذلك من تاريخ تقليد المسابح.. وإلا لماذا المسبحة الثانية؟.. على كل حال ..فالأولاد لا اهتمام لديهم بأشياء أبيهم كما دلت تحرياتنا .. وثانيا هناك أموال كثيرة سيرثونها فلن يهتموا بشيء مجهول مختفٍ .. ومبلغ خمسين ألف يغري ضعاف النفوس .. المهم أن السيد رفيقا أدرك أن المسبحة الأصلية فقدت وذلك ربما بعدما تحسنت صحته إلى الأفضل وعلمنا أنه كان يستخدم مسبحة مزيفة أمام الناس .. فلما خرج من المستشفى واستعمل المسبحة المخفية شك بالتبديل .. فاتصل برضا الجوهري .. ومن يستطيع معرفة هذه الاتصالات سوى لمياء القريبة منه؟! ..وكما تعلمون أن أماكن وضع نقاط الهاتف متعددة في الشقة .. فكانت الوحيدة التي تستطيع التسمع على مكالمات رفيق .. وقام الفنيون في البحث الجنائي بفحص شقة رفيق .. فتبين لهم أن أي مكانين يكون فيهما نقطة التلفونات يسمعون بعضهم البعض .. نقاط (الأباريز) مفتوحة على بعضها البعض .. فبإمكان السكرتيرة سماع مكالمات رفيق من شقة البيت بأي جهاز هاتف في شقة العمل دون أن يشعر رفيق بذلك .. في أول الأمر للسرية اتصل رفيق برضا ليلا .. ولكن تتابع الاتصال بينهم في النهار أتاح للسكرتيرة معرفة الأمر .

فقال فيصل : جميل ! فهذا يدل على أن لمياء استمعت لهم ، وعرفت بالموضوع وأن رضا قادم

ـ أحسنت ! أما كيف سرقت المسبحة بدون فتح الخزانة فهذا لم استطع تصوره بعد؟! .. ولكن افتراضك أنت ومجدي عندما بحثتم مع الرجل طريقة اختفاء المسبحة المقلدة وارد ..فهنا خافت الفتاة السارقة من افتضاح أمرها .. سرقة .. ثقة رفيق .. ثقة أبيها صديق رفيق .. فضيحة هائلة ستكون .. فإما أن تعيد المسبحة الحقيقية قبل مجيء رضا أو اختفاء رفيق .. فهي لم تكن تعلم أن الرجل تشاور معكم في أمرها .. وأن المسبحة لا أحد يدري بسرها .. فسرقت المسبحة المقلدة ربما بالطريقة التي توصلتم إليها وفي ذلك اليوم الذي تكلم الرجل من مكتبها.. فمع مجيء هؤلاء الأجانب تتطورت الأمور في نظر لمياء .. فرأت الخلاص من رفيق أفضل .. معتقدة أن الشبهة ستذهب للأجانب الثلاثة .. وأنهم قتلوه من أجل الياقوتة ..

إذن مجيء رضا خربط أوراق السارقة ..كما أعتقد .. وأعتقد أيضا أن السيد حلميا شريك لها في هذه العملية .. وأن الزواج كان أحد الإغراءات التي قامت بها الفتاة لإقناع حلمي بمساعدتها .. وعندما تورط الشاب استسلم لتخطيطها ..كل الشبهات تحوم حولهما ؛ ولكننا نحتاج لأدلة .. فالفتاة أقدر الناس على معرفة مجيء رضا وخزانة الرجل .. فحلمي عندما يصعد للشقة لمساعدة رفيق في أثناء ركوبه المصعد كان يجلس في صالة بيت رفيق فيشرب الشاي أو العصير ..وتعود الخادمة لمطبخها أو غرفتها حتى يخرجا فتخرج لإدخال كوب الشاي أو كوب العصير .. والسائق كما أكد لنا ولكم لا يصل للمكتبة حيث خزانة الجواهر .. ولكن كثرة التردد على المكان وبقليل من الوصف يستطيع الوصول للخزانة إذا كانت متروكة مفتوحة كما اعترف الرجل بأنه يتركها أحيانا بدون إغلاق ريثما يتكلم في الهاتف ..أو يرى طارقا ..وأحيانا كثيرة يذهب حلمي للجلوس في شقة الإدارة فيتاح له المجال للحديث مع لمياء ..وهي فرصة للسيطرة عليه ..والفتاة شخصيتها قوية ولعوب.

ـ كيف ستثبت ذلك الاتهام ؟

ـ الاعتراف سيد الأدلة .. سنظل نضيق عليهما الخناق حتى يقر أحدهم بالجرم .. وليس لنا إلا

الصبر ..لا أحد ثبت لدينا عنده قدرة على التخطيط سوى لمياء ..ولا يعلم بمجيء رضا إلا هي .. وهي على علم بالرجال الثلاثة طالبي الياقوتة .. السيدة سعيدة بعيدة عن مسرح الأحداث ولكن لمياء استغلت هذه السفرة لتنفيذ أفكارها الخطيرة .. ولو لم يحدث خطف وقتل ربما اعترف حلمي بأي دور كلف به ..ولكن الاعتراف معناه الموت .. فالشاهد على الخطف موجود .. عامل المقصورات في ذلك القطار .. وعامل محطة عين المها ..

ـ هل عرفوا الخاطف ؟

ـ هم ساعدوه بدون إدراك لجريمة ترتكب ..سنرتب لمقابلة بينهم وبين حلمي بدون علمه

ـ ولغز سرقة المسبحة الأصلية .. كيف استطاعت الاستيلاء عليها ؟.. والأرقام سرية والمفتاح الخاص بالخزنة .

قال عبد الكريم : هذه حلها سهل .. من تحرياتي مع أصحاب رفيق والسكرتيرة وخادمته أن الرجل قد يفتح الخزنة أكثر من مرة في اليوم الواحد ، وربما يمكث أياما لا يفتحها ..فأكدت الخادمة أن الرجل يحب إخراج كنوزه والتمتع بالنظر إليها .. عادة متكررة فيه ..وحادث الياقوتة يؤكد هوس الرجل باقتناء المجوهرات .. يرفض ربع مليون في جوهرة .. فهذا عندي جنون ..ولكن للناس فيما يهوون عجائب وغرائب .. هو في النهاية ليس بحاجة لمال ليطمع بربع المليون .. ومن كانت هذه عادته فتركه للخزنة مفتوحة وارد باستمرار .. فمن يتابعه كلمياء يمكنها تنفيذ خطتها لسرقة المسبحة ..

فقال مجدي : كأنك تؤكد ارتكابها للمؤامرة يا حضرة المقدم .

ـ تكلم مجدي أخيرا ..ظننتك ذهبت في سبات عميق .

ـ صدق أنني معك ، وأكاد أصدق كل ما توقعته ..وأستطيع أن أؤكد لك أن لمياء لها قدرة على السيطرة على من تتعامل معهم .. وحلمي رجل قوي البدن ..ولكن عقله وذكاؤه محدود لكن من الصعب التواطؤ بهذه القسوة على ولي نعمتها هذا مرعب ومخيف!

ـ هما أو هي في البداية لم يفكروا بالخطف والقتل .. كانت مجرد سرقة .. مسبحة تسرق وستمر

هذه السرقة بدون أن يلتفت أحد .. وستكسب خمسين ألف من غير أن يشعر أحد من أولاده وأنا أتخيل أن حلميا لم يكن له دور في السرقة الأولى

ـ لكن السكرتيرة نفت تركها الغرفة أثناء مكالمة رفيق من مكتبها .

ـ هذا في السرقة الثانية ..وأنا أعتقد أن لها دورا في ترتيب تلك المكالمة ، وإن بدت المكالمة بريئة لتتيح لحلمي دخول المكتبة وسرقة المسبحة المقلدة .. فهي التي رتبت لهذا اللقاء حسب رغبة رفيق ..الخزنة مفتوحة حلمي في الصالة يشرب الشاي أو القهوة .. البنت في غرفتها .. الخادمة في غرفتها .. رفيق يستعد للخروج تلفون من مكتب الشركة .. رجل مريض يحتاج لدقائق حتى يعود ويغلق الخزانة .

فقال فيصل : ذكاء شيطاني! ..وأقدر الناس عليه تلك الفتاة .. التي كانت تتحدث معنا بذكاء وحذر .. هذا تصورك للحوادث وعلينا إثبات ذلك .. لكننا نريد أن نعرف سر تقليد رفيق لمسبحتين .. لماذا لم تكن واحدة فقط ؟! ..فالفتاة اعترفت بأن الرجل كلفها بصنع باثنتين والشركة قالت اثنتان .. وأرسلت بالبريد اثنتين ..وليس لدينا دليل ينفي الاثنتين .

قال مجدي : للأسف لم يعرف أبي لماذا فعل ذلك ؟! ولا عدد ما قلد واحدة أو أكثر.. ولكن الرجل قلد الياقوتة الهندية لغاية خداع الهنود .. وهو يعلم عنادهم وتصميمهم على أخذها .. ولماذا قلدت المسابح؟! .. خوفا من السرقة .. من قبل من ؟! ..هل كان يخشى سارقا ليحتاط لذلك ؟!

فقال فيصل مذكرا : ولماذا لما أحضرنا له مسبحة رخيصة مقلدة لم يخبرنا بأن لديه مسابح مقلدة لماذا ؟!

ـ وأصحابه كانوا يرونه يستعمل المسبحة ؛ ولكنهم لا يعلمون المقلدة من الحقيقية .. عندي اقتراح وهو صانعوا هذه المسابح أليس لديهم تواريخ صنعها ؟

فقال فيصل : لماذا ؟!

فقال مجدي :إذا كانت تواريخ صنع المسابح قبل حادث الجلطة الدماغية فيكون هذا دليلا أو

قرينة على أن السيد رفيقا هو طالب صناعة هذه المسابح .. أما إذا كانت بعد حادث الجلطة فتكون الفتاة هي فاعلة ذلك ..

قال عبد الكريم : ولكن لماذا تصنع مسبحتين ؟! واحدة تكفي .. عشرة آلاف مبلغ كبير بالنسبة لها .. على كل فكرة التاريخ مهمة .. وسأبعث برقية عاجلة للشركة .. أو أتصل معهم بالهاتف ..فهي شركة عالمية .

ـ ربما هو طلب تقليد واحدة .. وهي أضافت واحدة ثانية ؛ لأنها كانت تخطط لسرقة الأصلية قبل حدوث الجلطة ..

فقال فيصل : لو ثبت أن فعلت ذلك لغاية في نفسها .. عملية الاستبدال الأولى كيف تمت؟! كيف فعلتها ؟ .. الثانية مكر وتعاون بينها وبين حلمي ..



١٦

تفاجأ الضابط عبد الكريم عندما اتصل بالشركة العالمية لصناعة المجوهرات المقلدة ، وطلب منهم معرفة تاريخ صناعة المسابح ، فأخبر أن المسبحتين لم تصنعا في وقت واحد ، وذكروا له تاريخ تسليم كل مسبحة ، فجاء تاريخ إرسال أحد الطرود قبل حادثة الجلطة الدماغية لرفيق بزمن طويل ، والثانية أرسلت أثناء مرض الرجل .. فدل هذا على أن السرقة حدثت كما تصوروا وأن المسبحة الأصلية بدلت أثناء مرض السيد رفيق ورقوده في المستشفى لأكثر من أسبوعين .. وأن السكرتيرة خلال هذه الفترة استطاعت استبدال المسبحة الأصلية بالمقلدة.. ولكن كيف فعلت ذلك ؟! هل تملك مفتاحا للخزانة وتعرف أرقامها السرية ؟ .. وكيف استطاعت التمييز بين الحقيقية والمزيفة .. وسرقت الحقيقية ..

فاضطر الضابط لمقابلة لمياء وسؤالها عن سبب اختلاف وقت صناعة المسابح فقالت ببراءة الأطفال : أنت لم تسألني عن وقت تاريخ صناعة المسابح .. أنت سألتني هل قمت بتقليد مسبحتين ؟ .. فلم أنكر فعلي ذلك ، وقلت كان ذلك رغبة للسيد رفيق .. أما لماذا فعل ذلك ؟ فلست أدري !

ـ سؤال آخر .. لماذا عندما أرسلك السيد لصناعة الياقوتة أرسل معك الياقوتة نفسها ؟ أما عند صناعة المسابح أرسلك بالصورة ؟

ـ عند صناعة الياقوتة عين الصنم الهندي لم أذهب أنا يا سيدي !

ـ ألم تكوني أنت التي قمت بالمهمة ؟!

ـ لا ، ولا أعلم من قام بذلك.. وأنا أنفذ المهام حسب رغبة السيد ، وليس حسب رغبتي .. ولكن يمكن أن أبدي ملاحظة حول ذلك .

ـ جيد .. تفضلي يا سيدتي .

قالت : كان السيد يرغب بصناعة ياقوتة متقنة مائة في المائة .. حتى يقتنع الهنود بأنها هي نفسها.. أما المسابح فليس من المهم أن يتقنا الإتقان الكامل ..لأنه كان يقصد التمويه على الطامعين

بأخذها .. ولو سرقت لكان الخطب أسهل .

تبسم عبد الكريم وهو يسمع هذا فقال : تعليل ذكي منك يا سيدتي ! ربما هو الصواب .

ـ شكرا ..ولكن لماذا تبحثون عن المسابح ولا تبحثون عن السيد رفيق ؟!

ـ سؤال جيد .. نحن نعتقد أن الرجل قتل أو خطف ثم قتل من أجل المسبحة اللؤلؤية الحقيقية

لزمت لمياء الصمت للحظات وقالت : هكذا إذن ..وكيف سرقت المسبحة ؟

ـ هذا ما نبحث عنه .. هل لديك معلومات تساعدنا في ذلك ؟

لزمت الصمت ثانية قبل أن ترد : لا ، لا أعلم أن المسبحة مسروقة .. فالسيد لم يتحدث أمامي بذلك يا سيدي الضابط .

شكرها عبد الكريم وانصرف من مكتبها ، ونقل معلوماته الأخيرة للزميل فيصل والمحامي مجدي واتفقوا على عقد لقاء جديد في نادي الأمن في سهرة عائلية ، وتناول القوم الطعام في مطعم النادي ، ثم ارتحلوا للجلوس تحت شجرة بجوارها مظلة، وجلست زوجة عبد الكريم وزوجة فيصل في مكان وحدهما ، وجلس الرجال مع بعضهم ليتناقشوا في آخر تطورات القضية فقال فيصل : لماذا جمعتنا في هذا النادي ؟

فضحك وقال : حتى نفكر جيدا ، ونعيد ترتيب المعلومات .. فالقضية طالت والأخ مجدي ينتظر النتيجة ليتزوج ابنة الرجل .

فضحك المحاميان على مداعبة عبد الكريم وتابع الرجل : لم نصل للجناة بعد .. الجريمة الثانية حدثت نتيجة لجريمة السرقة .. هذا هو الدافع وسبب جريمة الخطف ثم القتل .

فقال فيصل : ولم يتحدث أحد عن صناعة المسابح سوى لمياء .

ـ نعم ، لا أحد إلا تلك السكرتيرة وهي ليست سهلة .

فقال مجدي : عجيب هذا الرجل ! .. رغم بساطته .. فكله غموض .. ولكن صناعة مسبحة ثانية في وقت آخر فيها إشارة أن المرة الثانية لم تكن من أمر رفيق .

ـ إنها جريمة قتل يا سيدي .. نحتاج إلى أدلة مادية .. وليست عقلية وظرفية فحسب .

ـ نعم ، إنها جريمة قتل !

ـ على كل حال أنا أرتب للقاء بين الشاهدين والسيد حلمي السائق ..سوف استدعي حلمي للدائرة وأسمح للرجلين برؤيته فجأة داخل المكتب وأنظر ردة الفعل بينهم .

فقال فيصل : فكرة ممتازة يا عبد الكريم ! راودتني ذات حين .. لابد من خطأ قاتل ليقع القاتل وحلمي يخيل لي أنه الأضعف في القضية .

بعد الاطلاع على الملفات الشخصية لكل المحيطين برفيق في منزله وبعض أقربائه ترجح لدى الشرطة أن السيدة لمياء لها اليد الطولى في عملية اختفاء الرجل بالطمع في سرقة مسبحة اللؤلؤ ثم تطور الأمر للخطف والقتل ، وترجح لديهم أن الشريك المناسب لها في هذه الجرائم زوجها حلمي .

وأكدت السيدة سعيدة للشرطة أن الدعوة كانت منها شخصيا دون اتفاق بينها وبين السكرتيرة وليست بإيحاء من أحد ، وهي دعوة متكررة كل عام ، ولكن ترتيب الرحلة بالقطار من تنظيم رفيق والسكرتيرة ، وبينت أن ذلك معتاد منهم ، وهي لم تقم بتنظيم أي رحلة لرفيق لمدينة الخد .. فقالت لهم : إن هذا شيء طبيعي ، وليس بجديد ، وهو ترتيب متكرر كلما قبل السيد رفيق الدعوة لزيارتنا.. وإن الموافقة كانت منه رغم صحته العليلة ؛ ولكنه أحب أن يستلم تكريم الجمعية بنفسه .. وأذن له طبيبه كما أعلمني ذلك بنفسه.

وبعد التحليل المنطقي والفرص المتاحة والقرائن المختلفة وبعد التأمل في سير الأحداث واستغلالها ، وأن السيارة السريعة تستطيع الوصول إلى أي محطة قبل وصول القطار .. ولكن لم يشهد أحد برؤيتهم في المحطات .. إلا ما كان من عامل المقصورة في قطار الحادث ، وأحد موظفي محطة عين مها مشاركتهم في إنزال رفيق المتعب والمضعضع والقيام بتوصيله لسيارة الرجل الغامض .. وذكر أحد حمالين المحطة أن السيارة كانت سيارة مستأجرة ..ولونها كحلي ومن ناحية القامة فقامة الرجل طول قامة حلمي ..ولكن الرجل كان يلبس نظارة خضراء الزجاج وبذلة بنية فضفاضة ، ويضع على رأسه قبعة بنية ، وله شارب ضخم قربه شامة حمراء

.. وأسمر البشرة بدأ لهم .. وكان رفيق المتعب مستسلما للرجل ؛ كأنه يعرفه معرفة جيدة .. وخاصة أن الرجل همس كلاما في أذن رفيق عندما صعد للمقصورة .. وهل هذا يدل على تخدير سابق ؟ وإثبات سفر حلمي ولمياء ليس بالأمر السهل ، وهما لم يثبتا إثباتا قاطعا أين أمضيا الساعات التالية لسفر رفيق ، فلم تستطع أن تأتي بشاهد على مكثها في الشركة بعض الوقت إلا شهادة حلمي .. والبواب لا يستطيع الجزم بشيء ..والخادمة تظن أنها لم ترجع ، ولا يمكنها تأكيد عدم عودتها ..وحلمي أوصل الفتاة للشركة أو لمدخل العمارة ، وانصرف لأحد المطاعم ولكن لا أحد من أصحاب المطعم يؤكد تناوله العشاء أو الغداء فهم يذكرون ولا ينفون أيضا فهو زبون يتردد عليهم ، أما مساء الرابع والعشرين من نيسان فهم لا يذكرون هذا التاريخ بشيء.. والذهاب للسينما وحده لا يعتبر دليل نفي ..وكذلك ذكره لبعض مشاهد الفيلم فهذه الحيلة غير مجدية .. لأنه يمكن الحضور في يوم سابق والتظاهر بالحضور يوم الحادث .. فالفِلم تبين أنه عرض قبل الحادث بيومين واستمر لصباح السبت من ذلك الزمن .

لذلك كان على المقدم عبد الكريم وأعوانه إثبات الجريمة على حلمي ولمياء ، فلذلك رتب الأمور في دائرة التحقيق والأمن لمقابلة بين الشهود وحلمي دون علم حلمي .. الرجل الذي بدا لهم أنه يعمل سائقا عند أحد البيوتات الثرية .

دخل سائلا عن وصول القطار رقم (٢٧) ومتى سيصل ؟ ..وانتظر في سيارته ، ولما وصل القطار نزل باحثا عن الضيف ، وقاده الموظف بهدوء وصمت إلى المقصورات الخاصة ، وتحدث الموظف عن السيد رفيق مع عامل المقصورة الذي قادهم إلى حجرته ..ودخل الشاب واقترب من الرجل الذي كان يجلس وقد ظهر عليه الإعياء .. همس الرجل في أذنه بضع كلمات ، وعلى أثرها مسك بيده وساعده عامل المقصورة .. وحمل الموظف خليل حقيبة ثياب الرجل .. ومشوا به رويدا رويدا إلى السيارة الواقفة ، وحياهم السائق وغادر المحطة بكل هدوء .. وهو يقول :

إنه عمي ؛ ولكنه مريض .

واختفى القطار ، ثم اختفى السائق .

هكذا كان كل من الشهود يتذكر دوره ، وهم في دائرة الأمن يستعدون لروية الرجل المشتبه به

***

استدعي حلمي لدائرة الأمن ـ وهو كان يتوقع هذه الاستدعاء منذ التقى المحقق بزوجه لمياء فقد أصبحوا في دائرة الاشتباه بعد أن كشف أمر المسابح المقلدة والمسروقة ـ وقاده أحد الضباط إلى الغرفة الخاصة ، حيث سيصور ويسجل حواره ولقائه ، ويشاهده الشاهدان ، استقبله المقدم عبد الكريم مرحبا به وطمأنه أن إحضاره ليجيب على بعض الأسئلة ، وهو ـ كما ذكرنا سابقا ـ كان يترقب هذا الاستدعاء منذ التقى الضابط بلمياء مرتين ، وبين له الغاية من هذا اللقاء ، وهو الحديث حول اختفاء السيد رفيق بعد اختفاء المسبحة .

ضغط المقدم على زر خفي ، ثم نظر في ورقة أمامه وقال : أخ حلمي .. المسبحة اللؤلؤية هل حدث ورأيتها بيد السيد رفيق ؟

ـ هو يحمل المسابح باستمرار .. بل ربما كل بذلة يلبسها لها مسبحة بلونها تقريبا يا سيدي .. وأنا لا أميز اللؤلؤ الحقيقي من المزيف .. إنما أنظر إليها كخرزات فحسب .. أما إذا قصدت هل رأيته يسبح بمسبحة بيضاء كلون اللؤلؤ فقد أكون رأيت مثل هذه المسابح بين يديه .. أما المسبحة الخاصة التي تحدثت بشأنها مع زوجتي .. لا أعرفها .

ـ هل تعرف مدينة الخد ؟

ـ أجل أعرفها ، وهي بعيدة عن هنا العاصمة .. قد تحتاج إلى أربع خمس ساعات في السيارة لتصلها .. وأنا بحكم عملي في السواقة منذ صغري .. دخلت كل مدن البلاد .. وأكثرها دخلتها مرور الكرام .

ـ والدك صديق للسيد رفيق وهو الذي طلب من السيد لتعمل عنده ؟

ـ نعم ، عرفني على الرجل منذ سنوات وقال اعتبره والدك وأحسن العمل معه .

ـ جيد! .. ألم تسمع والدك يتحدث عن مسبحة اللؤلؤ أمامك ؟

ـ والدي صديق حميم للسيد رفيق .. ولكني لا أجلس كثيرا مع الأسرة .. أكثر وقتي في المقاهي

عندما أترك العمل .. أذهب للبيت وأصف سيارة الشغل أمام البيت وأذهب للقاء الأصدقاء على مقاهي المدينة .. لي أكثر من مقهى أقابل عليه الزملاء .

ضغط عبد الكريم على الزر الخفي مرة أخرى بدون أن يرى حلمي حركته ، فطرق الباب فقال الضابط : أدخل يا أحمد .

دخل أحمد وبرفقته الشهود وأمرهم بالجلوس ، وقال لحلمي الذي بدأ متوترا في تلك اللحظة : يا أخ حلمي هل رأيت هذين الرجلين في يوم من الأيام ؟ هل صادفتهما في مكان ما ؟ تأملهما جيدا .

هزّ حلمي رأسه مرارا وقال : لا أذكر أنني رأيتهما أو رأيت أحدهما .. هل رأيتني يا أخ ؟!!

لم يرد أحد من الشاهدين ، فقال عبد الكريم فجأة وبقوة : يا أخ حلمي يدع هذان الرجلان أنهما رأياك الساعة الثامنة والربع ليلا في محطة عين المها للقطارات في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر نيسان الماضي .

أغمض حلمي عينيه ثوان .. وقال : أنا رأياني يوم الأربعاء في محطة عين مها .. أي أربعاء يا سيدي ؟

ـ عفوا يا أخ حلمي الأربعاء يوم ... يوم سفر مخدومك رفيق إلى مدينة الخد .. يوم اختفاء السيد رفيق ..

ـ أنا لي سنوات لم أدخل محطة عين مها .. ولم أرهما في حياتي ..وهذا اتهام خطير يا سيدي الضابط

ـ هما يقولان ذلك .. ماذا تقول يا سيد خليل ؟

رد خليل موظف محطة عين المها : الصورة صورته .. والصوت تقريبا شبيه بصوته .. ولكن ذلك الرجل كان بشارب ضخم وشامة وبعض الخدوش في وجهه ..

قال عبد الكريم : هات شارب يا أحمد .

وكان الضابط قد أعد الشارب والشامة والقبعة حسب مواصفات الرجلين ، وحاول حلمي الاعتراض والاحتجاج فقال عبد الكريم : إذا كنت بريئا لماذا أنت خائف ؟.. هؤلاء .. هم

الذين ساعدوا السائق الخاطف لرفيق في إنزال الرجل من مقصورته وتوصيله للسيارة .

فسكت حلمي ولصق الضابط أحمد الشارب على وجه حلمي بعدما أمره بالنهوض ، ووضع الشامة حسب روية الشاهدين ..ووضع القبعة الموصوفة على رأس الرجل ونظارة خضراء ..

قال عبد الكريم : انظرا جيدا ودققا في وجهه .

فصاح حلمي بغضب : يا سيدي وهل إذا رأوني بهذه الهيئة يدل على أني قتلت السيد رفيقا ؟

ـ هذا لا يكفي طبعا ، ولدينا المزيد من التحريات .. والاعتراف أحيانا لا يكفي .. آ .. ما تقولان الآن ؟ هل هذا الرجل هو الذي قابلتموه في محطة مها ؟

بعد صمت قاتل قال أحدهم : الأمر خطير يا سيدي ! ..وأظن أن الرجل الذي ساعدته في الوصول إلى مقصورة السيد رفيق هو هذا ! قال المحقق : وأنت يا ناصر ؟

ـ رغم لبسه بدلة بنية واسعة تلك الليلة فأظن أنه هو أو أحد شبيهه .

ـ أتظن أم متأكد ؟ قال الشاهد : لا أستطيع أن أجزم ..

ـ حسنا ما تقول يا حلمي ؟

ـ لا شيء .. أنا لم أرهما قط ، ولم أكلمهما ، ولم أر محطة مها في ذلك التاريخ وتلك الساعة .

ـ أنت ذكرت لنا أنك تعشيت أو تغديت بعد سفر رفيق وتوصيلك للمياء إلى مقر عملها في مطعم (الزيتون الأسود) ثم ذهبت فترة المساء إلى السينما ، ولم يكن أحد من معارفك معك في السينما تلك الليلة ، ولا يعرفك أحد من عمال السينما .. وذكرت أنه ربما يعرفك بائعو التذاكر لكثرة دخولك تلك السينما .

ـ اسألوهم ربما يتذكرني أحد منهم .

ـ الوقت قد مضى ، ولا ينفع سؤالهم اليوم ..ألا تريد أن تعترف بشيء ؟

ـ أعترف بماذا ؟! أتريدني أن أعترف بجريمة لا يد لي فيها .

ـ هل تعلم يا حلمي أن السيارة التي ركبتها لمحطة مها مستأجرة باسم لمياء .. لكن رجال الشركة المؤجرة لم يروك معها عند الاستئجار .. فهذا يدل على شيء مرتب ومبيت.

ـ سيدي أنا أوصلت السيدة لمياء لمكان عملها .. وقد تمنيت لو التقينا بالبواب ليؤكد لك ذلك

ـ للأسف لم يشهد أحد من سكان العمارة أنه صادفكم تلك الساعة ..ولكن ثبت أن السيدة أجرت مكالمة هاتفية بعد دخولها شقة العمل ذلك المساء ..

ـ أنا علاقتي كانت بالسيدة علاقة عمل .. وكان بيننا كلام بحكم العمل عن الزواج .. ولما اختلف مكان العمل بعد اختفاء رفيق .. ولم يحدث شيء قررنا الزواج

ـ على كل وضعك يا حلمي أنت وزوجتك خطير .. فلم يكن متهيئ لأحد ارتكاب هذه الجريمة سواكما ..والدافع إليها إخفاء سرقة المسبحة اللؤلؤية الحقيقية .. فقد ثبت لدينا براءة كل من هو قريب من مسرح الحوادث سواكما .. ما زال الغموض يلف تحركاتكم ذلك المساء ولكن تأكد أننا سنبقى نترصد ونحقق حتى نصل للفاعل أو الفاعلين .. انصرف الآن .. أوصله للخارج ملازم أحمد .

ولما دخل عليه المحاميان قال بكل ثقة وخبرة : أنا متأكد أن له دورا في تلك الجرائم .. فهو يتكلم بحذر .. والتوتر بادٍ عليه رغم تظاهره بتمالك أعصابه .. فالبريء عندما يشتبه فيه بجريمة قتل يضطرب ..لم يتأثر كثيرا من رؤية الشهود ، ورؤيتهم له ليلة الحادث كانت على أضواء المحطة وبضع دقائق .. فهم غلبوا أن يكون هو بالتنكر وبدون التنكر .. ولكنها جريمة قتل .. هو لم ينكر استئجار لمياء لسيارة مستأجرة ؛ ولكنه أنكر ركوبها والذهاب بها لعين مها وهي كثيرا ما تستأجر سيارات سياحية لرحلاتها ومشواريها البعيدة .. فسيارتها الخاصة قديمة تنقلها في مشاوير داخل العاصمة وهي كما تدعي موديل قديم .. وهي زبون معروف لشركة الإيجار رشا .. جريمة محبوكة جيدا .. ولابد أن نجد ثغرة .. وسيتم فحص ممتلكات رفيق من المجوهرات الموجودة في البنك والخزانة الخاصة . ـ لماذا ؟!

ـ قد نجد المسبحة المختفية .. فقد قام رجالنا بالبحث الدقيق في البيت والشركة في العمارة عن المسبحة ؛ ربما تكون مختفية في مكان داخل البيت والشركة .. تحت كنبة تحت سجادة ..بين ملفات أو كتب .

١٧

بما أن أدلة القبض على المشتبه بهم غير متوفرة ، ولا يستطيع المحقق الجنائي تقديمهما للمحكمة وإلا أفرج عنهم لعدم كفاية الأدلة ، وكذلك لاختفاء جسم الجريمة حتى يباشر بتوجيه الاتهام فهم ما زالوا أمام قضية غياب واختفاء ، فلم يكن أمام رجال الأمن إلا مراقبة المتهمين أو المشتبه بهم حتى يقعوا على أدلة إدانة ، وكان المقدم الشرطي يرى أن زواجهما صفقة بناء على رغبة لمياء لأنه لم يجر بينهم أي حديث عن زواج قبل حادثة اختفاء رفيق ، كما تحدثت بذلك بعض صديقات لمياء ، وكذلك رفاق حلمي لم يسمعوه يحدثهم عن زواج إلا في الوقت الأخير للزواج بل وجد أن والد الفتاة قد تفاجأ بهذا الزواج ، وطلب من ابنته التفكير بعمق قبل الإقدام على زواج من شاب أمي .. ولكنها أصرت وأكملت المشروع وحصل الزواج .

فلغز تقليد المسابح لم يحل ؛ لاختفاء الرجل صاحب فكرة التقليد .. فكان الرجال يبحثون عن المسابح بكل دقة ومثابرة ..ورغم شهادة الشاهدين .. ووجود السيارة السياحية في المحطة .. فهذا كله لم يقطع القول في الاتهام .. فهم رأوا رجلا متنكرا وسيارة مجهولة الرقم ورجلا بدا طبيعيا غير مرتبك ليثير ريب العاملين .

وبينما الضابط عبد الكريم يعد كتاب تفتيش لبيت السيدة لمياء وبيت حلمي في منزل أبيه ، وينتظر موافقة المدعي العام تفاجأ بدخول والد لمياء عامر صديق رفيق يطلب الإذن بمقابلته ، ولما دخل وضع بين يديه مسبحة .. فتأمله عبد الكريم مستفهما .

فقال الرجل وهو يجلس : لم أسرقها من صديقي رفيق ـ وكان يشير بإصبعه نافيا السرقة ـ ولم أعلم بها إلا من يومين .

ـ يومان لماذا ؟!

ـ القصة يا سيدي أني كما تعلم أرمل من عدة شهور ، وأعيش في عمارة مع أغلب أولادي وبعض بناتي .. في شقتي الخاصة وعندي خادم أمينة ترعى شأني .. فكنت قبل يومين أنظر في خزانة البدلات ..لأرسل بعضها للجمعية الخيرية .. فقد كنا نستمع لمحاضرة قبل أيام ، وطلبوا منا

المساهمة بثيابنا القديمة الصالحة للبس والتوزيع .. المهم نشطت متأثرا بها سمعت لإخراج البدلات التي يمكن الاستغناء عنها وإرسالها إلى الجمعية الخيرية .. وكنت أثناء فرز البدلات التي يمكن الاستغناء عنها .. أخرج ما في جيوبها من أشياء ربما نسيتها فيها .. وفي أحدى تلك البدلات أخرجت مسبحة ظننت أنني نسيتها فيها من زمن .. ولكني لما أمعنت النظر إليها وجدتها مسبحة رفيق حلمي .. وكيف وصلت إليها فللساعة لا أدري؟! ..وهذه بذلة مهجورة من زمن ..لأنني كل شهر أو شهرين نخيط بذلة جديدة .. ولولا محاضرة الجمعية ما خطر في بالي إخراجها .. وأنا أستغرب وجود مسبحة رفيق فيها .

ـ ولماذا تأخرت في الإبلاغ عنها ؟!

ـ كنت في حيرة من أمري ! كيف وصلت إلى هذه الجاكيت ؟ ولماذا وضعت في هذه الجاكيت ؟ فبعد تفكير عميق قررت أن أضعها بين يديك ؛ لأنني لم أستطع فهم وجودها في بيتي .. وضميري لا يسمح لي بالسكوت يا سيدي .

ـ نعم الضمير ضميرك يا سيدي ! .. ولكن وجود المسبحة المفقودة ببيتك أمر خطير .

ـ أعلم !!

ـ من خطر في بالك أنه أخفاها ؟

ـ لا أستطيع الإجابة يا سيدي ولا أحب أن أدري!

ـ أتشك في أحد أبنائك أو بناتك ؟

ـ صدق لا أدري .. فالبيت يدخل فيه الأصدقاء والمعارف والأحباب .

ـ زوج ابنتك حلمي دخل شقتك ؟

ـ مرات كثيرة منذ تزوج لمياء ابنتي .. أتشك به بشأن رفيق ؟

ـ المشتبهون كثر يا سيدي ..هل يعلم أحد أنك وجدت مسبحة رفيق ؟

ـ لم أقل لأحد إلا إذا الخادمة فهمت اهتمامي وتغير ملامحي عند لقياها

ـ أشكرك يا سيد عامر .. ونحن نبحث عن ثلاث مسابح ، فوجدت واحدة وبقي اثنتان ..

واكتم الأمر حرصا على حياتك يا سيدي .. لأن هذه المسابح وراء اختفاء السيد رفيق صاحبك والذي نرجح قتله يا سيدي !

ـ أكيد مات ما دام لم يظهر لحتى اليوم!



تبين للشرطة أن المسبحة التي وجدها السيد عامر في إحدى الجاكيتات المهجورة من حب اللؤلؤ والماسي التقليدي أو الصناعي ، وتشبه صورة مسبحة رفيق كما رآها المحاميان عندما عرض عليهما السيد رفيق صورتها عندما اختفت من خزانته السرية ، وسافر أحد الضباط لألمانيا الغربية لعرض المسبحة على الشركة التي صنعتها ، وهل هي الأولى أم الثانية ؟

داهم الأمن في ليلة مفاجئة شقة لمياء بعد موافقة النيابة ومكتب الادعاء العام ، وتم تفتيشها بحثا عن المسابح ، وداهم فريق آخر غرفة حلمي في بيت والده ، ولم يسفر التفتيش في كلا البيتين عن وجود المسابح ولم يجدوا ضالتهم المنشودة .

وجاءت معلومات المسبحة من ألمانيا أنها المسبحة المقلدة الثانية التي صنعت بعد مرض رفيق فهذا دل على أنها التي وضعت في خزانة رفيق مكان المسبحة الأصلية ، وشعر أنها بدلت واتصل برضا خبير الجواهر لفحصها وفحص سائر جواهره ؛ ولكن قبل مجيء الرجل اختفت فاستعان بمجدي وفيصل ، فقابل عبد الكريم حلميا وعرض عليه المسبحة قائلا : هل رأيت هذه المسبحة يوما ما ؟

أغمض حلمي عينيه كعادته وحاول لمسها فأبعدها الضابط وقال :أرأيتها يوما ؟

ـ كنت كأني أرى مثلها مع المرحوم رفيق إذا جاز لنا أن نقول ذلك ربما مفقود أصح .

ـ مرحوم أم مفقود ؟

ـ مرحوم مفقود كله واحد .. ما دامت جثته لم تظهر فهو مفقود حسب معرفتي .

ـ شكرا .

***

في نفس الليلة ـ بعد عرض المسبحة على حلمي ـ كانت لمياء تصعد إلى شقة والدها وبصحبتها حلمي ـ وعامر كان متابعا من الشرطة ، باستبدال خادمة الرجل بخادمة أخرى خوفا على حياته كما أخبره الأمن ، ولمعرفة من دس المسبحة في ثيابه العتيقة ـ وكأنهم لما دخلوا الشقة تفاجئوا بالخادمة الجديدة فقالت لمياء : من هذه يا أبي ؟!وأين سالي ؟

ـ سافرت منذ يومين في إجازة ، وأرسلت لي شركة التخديم هذه مؤقتا .. وهي نشيطة ربما أحتفظ بها مع الأولى .

فرحبت بها لمياء وقالت : أجنبية أنت ؟

ـ لا ، عربية أنا يا سيدتي.. وأنا خادمة مؤقتة كما علمت من مكتب الاستخدام .. واسمي نهلة هل أقدم لكم الشاي أم غيره ؟

فقال عامر متظرفا : ارتحنا من استخدام الألفاظ الإنجليزية .. قدمي لابنتي لمياء ولزوجها السيد حلمي الشاي ، وابنتي تسكن في الطابق الأول في نفس هذه العمارة.

ـ تشرفنا يا سيدتي ويا سيدي حلمي .

وغادرت الفتاة إلى المطبخ وقال حلمي : كم يوم سافرت سالي ؟

ـ شهر .. اتصل بعض أهلها يخبرها بمرض أمها .. وما لكم مشغولون بالخادمة .. رجعت أم لم ترجع ليس هذا مهما .. أطلب لكم عشاء .

رد حلمي وهو يشعل سيجارته : لا داعي .. جئنا نسهر مع حضرتك بعض الوقت .. والشاي والقهوة كافيان .

قضيا ساعة مع الوالد يتحدثان ويتفرجان على التلفزيون ، ثم انصرفا .

أخبرت الخادمة الشرطية السرية البوليس أن السيدة لمياء دخلت غرفة الوالد مدعية أنها ذاهبة للحمام .

سعد جدا عبد الكريم بهذا الخبر ، وزاد يقينه أن الفتاة الرأس المدبر لهذه الجرائم ، فقد قامت بهذه الزيارة لتتأكد من وجود المسبحة .. وقعت في الفخ المنصوب ، عندما عرض الأمن على حلمي المسبحة كان من المتوقع نقل المشاهدة لزوجته بأن البوليس وجد المسبحة التي قلدت ، وهم ـ الشرطة ـ أرسلوا الخادمة الشرطية حقيقة لحماية الرجل كما زعموا ، وفي نفس الوقت لمعرفة من دس المسبحة .

من المؤكد لدى رجل التحقيق والشرطي المحقق أن السارق لا يستطيع التخلي عن سرقته بسهولة .. فهي قد فعلت الأفاعيل والخطط والمكر ودفع المال لصنع مسبحة ،وسعت لتحتفظ بسرقتها بكل قوة ، ولا يصل إليها أحد ..فقد بان لهم أن الجريمة الثانية الخطف والقتل كما يرجح كانت نتيجة الجريمة الأولى ..كانت لإخفاء السرقة .. وكانت بنظر المجرم دفاع عن النفس وعدم القدرة على التراجع عن الخطأ الكبير .. والفضيحة الكبيرة .. ما دام قد تورط الشخص فليتابع حتى النهاية .. وعلى الشرطة أن تتابع البحث والتحري حتى النهاية أيضا .

فعبد الكريم وفريق البحث معه قد وضحت الصورة أمامهم .. رفيق صنع مسبحة شبيهة بمسبحته الأصلية حذرا من شيء ما .. ربما راق له نجاحه في تضليل الهنود بصنع الياقوتة المقلدة وقد يكون شعر بطمع أحدهم بمسبحة اللؤلؤ .. فصنع المسبحة المقلدة بواسطة لمياء التي كان يثق بها ثقة مطلقة بعد طول العشرة .. فالمسبحة الأولى رفيق طلبها بنفسه.. والثانية كانت من لمياء نفسها لسرقة المسبحة الحقيقية فعلا.. لقد غلبها الطمع خلال فترة مرض رفيق بالجلطة الدماغية ، وقد رجحت موته العاجل بسبب السكتة الدماغية ، ولن يعرف أحد من الورثة اختفاءها.. وسيعتقد الورثة أن المسبحة المقلدة هي التي يملكها والدهم .. وكانت مدركة أن أبناءه غير عابئين بملك أبيهم ومجوهراته ..فطلبت من الشركة صناعة مسبحة ثانية واستطاعت استبدال الحقيقية بالمزيفة ..ثم تبين لها أن الرجل ذكي وفطن ويعرف الحقيقية من المزيفة .. أو ترجح الشك عنده في المسبحة الموجودة في خزانته .. فاتصل برضا وطلب زيارته لفحص مجوهراته ليزيل اليقين الشك .. وعلمت الفتاة بهذا الأمر ..وتعرف من هو رضا لسبق مجيئه من قبل .. فجندت حلميا واستدرجته لسرقة المسبحة من خزانة رفيق ..والأمر كان سهلا بالنسبة لحلمي .. الخزانة مفتوحة .. رفيق على التلفون في شقة العمل .. الخادمة في المطبخ أو غرفتها .. البنت في حجرتها ..ولو قابله أحد فالحجج كثيرة ولن يخطر على بال أحدهم أنه يسعى لسرقة مسبحة رفيق .. فتاة جميلة متعلمة تعرض عليه نفسها مقابل عمل بسيط .. فغامر وتورط ..

وقام بالفعل ونجح .

فقال عبد الكريم بعد تصوره لهذا السيناريو : أين أخفت المسبحة الحقيقية ؟ ولماذا أخفت المقلدة بثياب أبيها ؟ هل كانت ترغب بتوريطه معها ؟ أم توقعت أننا لن نفتش ثياب أبيها ؟ وفعلا لم يكن الرجل على قائمة التفتيش .. لبعده عن مسرح الحوادث ، وقد ثبت ذلك بالدليل القطعي وهي كانت تعتقد أننا سنفتش بيتها ما دام لم يبق في دائرة الاشتباه سواها وحلمي . . أين توجد المسبحة الحقيقية أيها الأفاضل ؟

هذا السؤال قاله عبد الكريم لشركائه في التحقيق في ملابسات هذه القضية الغامضة ، فقال فيصل : وأين المسبحة الثانية المزيفة أو التي صنعت أولا ؟!

وقال مجدي : وأين مسبحتنا التي قدمناها لرفيق لتكون طعما للسارق ؟!

ضحك الرجال وأخذوا يشربون ما قدم لهم ، ثم قال مجدي : أيها الأصدقاء الأعزاء ؛ ربما يكون عندي جواب عن سؤالي وسؤال الأخ فيصل .

استدارت العيون إليه تحثه على الجواب فقال : أظن أنها مع رفيق نفسه .. فهو يحب مسبحة اللؤلؤ ويستعملها كثيرا .. كما يقول أبي .. فعندما سافر للخد وضعها في جيوب بدلته

فقال عبد الكريم : أرأيتها وأنت تودعه على المحطة ؟

ـ لا ، ذهبت للمحطة مودعا ، ولم يكن بين يديه شيء ، وهو عندما استعان بنا كان يبحث عن الحقيقية وليس المزيفة في اعتقاده ، فهو كان ينتظر رضا ليحسم الأمر .

قال فيصل : صح .. عندما حشرنا في موضوع المسابح كان يبحث عن المسبحة التي اختفت من الخزنة السرية .. ونحن الآن نؤكد أن الحقيقية سرقت أولا أو استبدلت ثم سرقت المزيفة واحتمال وجود هذه المسابح مع رفيق أثناء السفر احتمال كبير .. المسبحة الحقيقية أين انتهت اليوم ؟!

فقال عبد الكريم : والسارق لا يمكن أن يتخلص من سرقته بسهولة ، لأنه في قضيتنا سرق وخطف وقتل فسيحافظ على سرقته حتى النهاية .. والسيد حلمي ما زال يقاوم رغم أن الشهود

شهدوا عليه رغم تنكره بشارب ضخم وشامة وبذلة وقبعة .. وهذه أدلة ضعيفة أمام الدفاع عن المجرم في المحكمة .. حركوا أدمغتكم بعض الشيء .

قال مجدي : ألها خزانة خاصة في البيت ؟

ـ لا ، فتشنا البيت بكل دقة ..وقام بالتفتيش خبراء تفتيش مهرة ولم يجدوا شيئا .

ـ خزانة في البنك ؟

ـ موجود ؛ ولكن لا يوجد بها شيء .

فقال فيصل: السارق يخفي سرقته ؛ ولكنه حريص على معرفة ومراقبة موضعها أيها السادة .. فأي مكان تتردد عليه أكثر حسب معلومات رجالكم ؟

فقال عبد الكريم : نحن فتشنا شقة رفيق ، ومكان عمل لمياء في عمارة رفيق .. وهي الآن تعمل في مكاتب الشركات الرئيسية .. وحلمي يعمل سائقا عند أحد مدراء شركات رفيق .. وهما بعيدان عن بعض أثناء العمل ؛ ولكنهما يتحدثان مع بعضهما بالتلفون، وكل كلامهما عن الأكل والسهرات .. العشاء سيكون في مطعم كذا أو في صالة كذا ..سهرة مع عائلة كذا .. مسرح كذا وهي مشتركة في نادٍ خاص من قبل زواجها بحلمي .. نادي الأحلام .

فقال مجدي : النادي أعرفه ..هل هي عضو أم لها علاقة بالإدارة ؟

فقال عبد الكريم : عضو فاعل في النادي ..وفي كل العطل تقضي بعض الوقت فيه .. وأحيانا تسهر فيه إذا دعيت من أعضائه .. وهي تحت الرقابة .. وقد كانت تعمل مع رفيق حتى السادسة مساء ..

قال فيصل : العجب في هذه القضية المجرم بين أيدينا ، وهو يعرف ذلك ، ولكن الأدلة الحاسمة غير كافية .. وعلى كلامك أنها لا يمكن أن تخفي شيئا في النادي .. ألا يوجد صندوق أمانات ؟

ـ يوجد ؛ ولكنه حفظ آني غير دائم .. حفظ أوراق وثائق أثناء وجود الشخص في النادي .. ثم يأخذها وهو مغادر .

فقال مجدي : وغير النادي والمطاعم ؟

ـ تذهب لزيارة المعارف والأصدقاء .. سهرات في حدائق عامة .. النزهة في مزارع خاصة .. وأحيانا في الشوارع يدوران بالسيارة ساعة ساعتين ثم يعودان للشقة .

***

وخيم الصمت على الرجال الثلاثة ، ولم تعد تسمع سوى صوت رشفات الفناجين وفجأة هتف فيصل؛ كأن فكرة هبطت على دماغه : أيام الزواج الأولى يا عبد الكريم عندما سافرا إلى أوروبا لعلهما أخذا المسبحة في رحلتهما تلك ، وتخلصا منها هناك بالبيع أو الإخفاء .

ضرب عبد الكريم المائدة بقوة تساقطت الأكواب على أثرها وبعضها تكسر وقال بانفعال شديد : أحسنت يا عقيد فيصل !! .. أيامها أيها الأصدقاء لم نكن نهتم بتحركهما اهتمامنا كان فيما بعد أرصدتهما هنا معروفة .. أما في الخارج فنحتاج لتعاون الإنتربول البوليس الدولي .

فقال مجدي مشككا : أترون أنها تجرأت وباعت المسبحة اللؤلؤية ؟! ..أليس في ذلك مخاطرة كبرى ؟

ـ عندما تزوجا لم يكونا المشتبه بهم الأول ، كانا في نظرنا بريئين ..وقصة المسابح كانت وما زالت تحت البحث أيها الأصدقاء ، ودافع الحادث كان غامضا .. سنخاطب البوليس الدولي ليساعدنا في كشف أرصدتهم في الخارج ، قد يساعدنا القانون الدولي في تحقيق ذلك .

وجاءت معاونة البوليس الدولي تؤكد أن المسبحة الواردة في الصورة قد بيعت في فينا عاصمة جمهورية النمسا ، وأن للسيد حلمي وزوجته حسابين في بنوك النمسا ومجموع الحسابين يصل لخمسين ألف دولار فقط .. والذي قام ببيع المسبحة امرأة اسمها ريما هشام .

ولما قام المقدم عبد الكريم بالتحري عن ريما هشام تبين أنها امرأة قد توفيت منذ سنوات بحادث سير ، وظهر لهم أنها كانت عاملة في إحدى الشركات وهي صديقة للسيدة لمياء عامر ومعرفة من أيام الجامعة ، وأن بطاقتها الشخصية استغلت لعملية البيع فقال مجدي : عجيب!! لا يعقل أنها احتفظت ببطاقتها لسرقة السيد رفيق .. فهي ميتة منذ سنوات ..

فقال عبد الكريم : صحيح ما تقول .. هي ربما احتفظت بها على سبيل الذكرى .. وليس للسرقة

فقال فيصل : وقد تكون احتفظت بها لعمليات أخرى قامت بها لا نعلم عنها شيئا.

ـ ممكن هذا أيضا !.. وعلى كل حال فصور الكاميرات في المتجر الذي ابتاع المسبحة .. تدل على أنها امرأة شرقية .. وليس لدى المحل معلومات عندما بيعت لهم أنها مسروقة ، ومعمم عليها دوليا .. ونحن لم نعمم عليها دوليا لاعتبارنا القضية محلية .. رغم وجود بعض الأطراف الأجنبية .. وسيذهب أحد الضباط للاطلاع على شريط الكاميرا ..ويحصل على نسخة منه .. أو على الصور التي تخص الفتاة إذا كانت لمياء الفاعلة حقا .. وسيحصل على صورة لمستند البيع وتوقيعها ..لابد للمجرم من غلطة مهما طال الزمن .

ـ رائع مقدم عبد الكريم! .. فعلى الأستاذ مجدي أن يستعد للدفاع عن أبناء أصدقاء أبيه .

قال مجدي ضاحكا : أبدا .. سأذهب في شهر عسل إذا تم القبض عليهما .. فنحن نؤجل الزواج لمعرفة نهاية قصة اختفاء السيد رفيق حلمي ..والمجرم حلمي .



واجه المقدم لمياء بالحقائق الجديدة ، وأن الخط الذي وقعت به على الوصل كان خطها ، وإن حاولت تغيير صورة توقيعها الذي تستخدمه في البلد ، وأضيف إليها تهمة انتحال شخصية إنسانة ميتة والإساءة إليها ، وإنها سوف ترحل لفينا لمقابلة المشتري منها المسبحة .

فلما سمعت هذه الحقائق الجديدة انهارت بسرعة غير متوقعة ، وقد تساقطت الدموع وقالت بحقد وضيق : تعبت منكم.. ومن مراقبتكم .. أنا أقر بكل ما ستوجهونه إليّ من تهم .. أنا اللصة .. أنا المجرمة .. ولكن اعلموا أن في بطني جنينا بريئا .

ـ هل تحتاجين لمحامي قبل أن نسجل الاعترافات يا سيدتي ؟

سقطت المرأة مغمى عليها ، ونقلت للمستشفى للعلاج من الصدمة ، وألقي القبض على حلمي ونقل من الشركة مكبلا إلى دائرة التحقيق ، ووقف بين يدي المقدم عبد الكريم ووكيل النيابة

يوسف محمد متهما بمساعدة زوجته بسرقة السيد رفيق حلمي وخطفه ثم قتله .

انتقلت الشرطة إلى مكان إخفاء الجثة .. حيث ألقيت في حفرة امتصاصية كانت في محجر مهجور منذ سنين قريبا من مدينة الخد .. كان قد عمل سائقا فيه أول العمر .. وأخرجت الجثة بحالة سيئة للغاية ، وأكثرها متحلل ، وكانت مضروبة برصاصة في الرأس والجمجمة .. ووجدت المسابح في ثياب الرجل الميت .

١٩

لقد كنت أحسد السيد رفيقا ، وأتمنى لو أن أمواله لي أنا.. رغم تعاملي معه عدة سنوات وثقته الكبيرة بقدراتي العملية .. كان يحتقرني أو أحس أنه يحتقرني مع أنني ابنة أحد أصدقائه المقربين لكنه كان يحس أنني مفروضة عليه ويحسسني بذلك .. ويراني مجرد موظفة تشتغل لتأخذ آخر الشهر راتبا تنفقه على زينتها وثيابها ومكياجها .. يرفع صوته أحيانا كثيرة عليّ وعلى حلمي ، ويحدثنا بحدة كأننا عبيد عنده.. ننظر في عيون بعضنا ونصمت .. رجل كبير في السن وصاحب المصلحة .. يسب ويغضب ، ورغم ذلك كان يقدر جهودي في القيام بالأعمال الموكولة إليّ .. يكافأني ببعض المال في مناسبات تمر علينا .

كنت أرى المسبحة اللؤلؤية باستمرار معه ، وكان متعلقا بها أكثر من غيرها من المسابح التي تملأ خزانته السرية ..وسمعته يردد أمام بعض الأصدقاء أن ثمنها يزيد عن الخمسين ألف دولار.. ثروة لرجل فقير .. يغنى منها للأبد ..سرقت مرة فانزعج الرجل جدا من ابن أخته ، ثم ردها الرجل بعد انفضاح أمره ..فكلفني بالسفر إلى ألمانيا لشركة يعرفها لصنع مسبحة شبيهة بها .. وسافرت كما وصف لي ، وأخذت عدة صور ملونة لها ، وتم التعاقد مع الشركة على صنعتها وأعطيتهم عنواني وعدت .. وبعد حين جاءت المسبحة المقلدة كأنها طبق الأصل فصانعوا هذه الجواهر المزيفة محترفون للغاية ..وهو يملك الكثير من المجوهرات كما أعلم وكما كنت أسمع من أمي وأبي ..فالرجل يهيم بهذه الجواهر هياما يعلمه كل من حوله .. وأعرف أن بعضها كانت في خزنة البيت السابق ، ثم رحلت لعمارته الجديدة ، وبعضها الآخر في صندوق البنك .. ولما عرف أن الناس المحيطون به عرفوا ثمنها ، وربما شعر أنهم طمعوا فيها ، وراوده الخوف من سرقتها ثانية ..قلد المسبحة ليسبح بها أمام الناس كعادته .. بدون أن يشعروا أن المسبحة الحقيقية في الخزنة ..وعرفت أيضا بعادته فتح الخزنة والنظر إلى جواهره المستمر .. من خلال المعاملة والتردد عليه وثرثرته عرفت أشياء كثيرة في هذا البيت .. أكثر من عشر سنوات وأنا اشتغل معه .. ذهبت إلى تركيا في مهمة .. وهي أنني قابلت صديقا له كان يعمل معه في

البحر ..وأعطيته الياقوتة عين الصنم الهندي فقد رغب بتقليدها ليمكر بالهنود .. وبعد زمن أقبل الرجل بالياقوتة الحقيقية والمقلدة .. هذا بالنسبة للياقوتة الخضراء وقام الهنود فعلا بالسطو على شقة رفيق ، واستولوا على الياقوتة المزيفة وهم يظنون أنهم ملكوا ياقوتتهم عين صنمهم .. وسر رفيق بالتخلص منهم بهذه الخدعة .. وقال : هؤلاء لا يمكن الخلاص منهم ما لم يستولوا على ياقوتتهم ..وإلا سيبقون هنا .. وكلفني كما قلت بصنع المسبحة ، وجاءت بعد حين بطرد بريدي .. ولما مرض الرجل قبل أكثر من سنة ، وكان وضعه خطيرا طمعت نفسي بأخذ المسبحة الحقيقية ..فمبلغ الخمسين الألف يستحق المغامرة ولما استسلمت لفكرة سرق المسبحة .. راسلت الشركة وتحدثت معهم فصمموا واحدة أخرى وأرسلوها بطرد بريدي بعد أن حولت لهم الثمن من حسابي الخاص .. وذلك أيضا بعد فشلي من الزواج بابن عمي ..وقد علمت أنه لم يكن مخلصا لي ..بل أحب صديقة لي ، ورفضت مشورة أبي بالصبر ، وكان الانفصال السريع فقلت إذا مات رفيق بمرضه الخطير .. سيكون معي رأس مال أبدأ به حياة رجال المال .. وأختار الزوج الذي أشاء .

أنا لم أفتح خزانة الرجل .. كان من عملنا أن أراجع الملفات والقرارات معه ، فقد كان السيد يتابع الأعمال بنفسه ..ويدخل بالتفاصيل .. فكان يأتي شقة العمل لمراجعة الأوراق .. فيأتي عندي كالعادة فيخلع الجاكيت ويعلقها على كرسي العمل .. وأنا بطريقة ما كنت ألمس الجاكيت باستمرار لأتأكد من وجود المسبحة فيها .. وهو يسبح عادة بالمسبحة الحقيقية عندما يكون في البيت .. ولم يكن يستقبل زوارا ..ففي يوم استطاعت القيام بعملية البدل بدون أن يحس بما فعلت .. ومر الأمر بسلام ، واعتقدت أن الرجل لو مات ، وقد عادت له الجلطة ثانية لن يدرك أحد ضياع مسبحة اللؤلؤ الحقيقية ..ومريض الجلطة الدماغية حسب ثقافتي قد تتكرر معه الحالة مرة وأخرى حتى يموت .. ولكن قبل أن تحدث هذه الجلطة .. تلقينا اتصالا خارجيا مزعجا .. وكنت أسمح لنفسي بالتنصت على مكالمات رفيق ..لأن جميع نقاط الهاتف على شبكة واحدة .. والشقتان صممتا على هاتف واحد فأينما تضع سلك الهاتف يشتغل.. ولكن فيما بعد

لما حولت الشقة لمكان عمل مد خط تلفون خاص بها ، وليس له علاقة بنقاط التلفون الأولى .. والتلفون الأول المفروض أنه خاص برفيق والبيت ؛ ولكن بالإمكان التنصت على المكالمات بجهاز داخل شقة العمل .. أما تلفون العمل شقة الإدارة لا يوجد مجال استخدام له إلا من الشقة نفسها.. سمعت حوار السيد رضا مع رفيق .. وأدركت أن الحاج رفيقا استدعى رضا ـ المعروف لي من زيارات سابقة ـ لفحص مجوهراته، وأنه شاك باستبدال المسبحة الأصلية .. كيف شك لا أدري ؟! فقد مضت شهور على عملية الاستبدال.. وهذا شكل بالنسبة لي كابوسا مرعبا جريمة ..وفضيحة .. المهم ضقت ذرعا .. ووقعت في ورطة ولكني قوية الأعصاب ، ومررت بمشاكل ونجوت منها .. كيف استرد المسبحة المزورة قبل مجيء رضا ؟ .. فكرت بإعادة المسبحة الحقيقية .. ولكني دفعت مبلغ خمسة آلاف دولار .. ثمن التقليد .. المهم عولت على سرقة المسبحة المقلدة قبل مجيء السيد رضا ، فقد علمت أنه مشغول ووعد بالمجيء ..وطمعي بموته بجلطة جديدة قبل مجيء رضا جعلني أصر على إبقاء المسبحة معي ، ولو أعدتها سأحتاج لمغامرة جديدة لعملية الاستبدال .. فاخترت حلميا شريكا لي .. هو بحكم المجاورة أصبح يتحدث معي ويحدثني عن همومه ومشاكله مع أبيه .. ولحظت ميله لي وطمعه بالاقتران بي .. وتعشينا معا أكثر من مرة .. المهم أصبح ألعوبة بيدي ..وأعتقد أنني أصبحت حبيبة له .. وأني مستعدة للزواج منه ..وأن الشهادات التي أحملها لا أهمية لها .. ولن تكون حاجزا بيننا.. وسمحت له بتقبيلي ومعانقتي فلما كمل الفيلم صارحته بورطتي ..اضطرب أول الأمر ، وربما صدم من فعلتي للسيد رفيق وتردد كطبعه وفكره المحدود ..ولما اقتنع بوجهة نظري بسرقة المسبحة .. وأنني تورطت وخشية أن أضيع منه .. وأني مستعدة للزواج منه إذا نجونا من تلك المشكلة .. فوافق على مساعدتي ومشاركتي سرقة المسبحة المقلدة ..ورتبت له الأمر والمحاولة وكان يوم قد رتب للخروج بالسيد في مهمات ..وأنا أعرف عادات رفيق .. جلس حلمي يشرب الشاي في الشقة وافتعلت المكالمة من شقة العمل ..وجاء الرجل من غرفة المكتبة ليتكلم من عندي .. خلع حلمي حذاءه وتسلل إلى المكتبة ، وأخبرته إن تفاجأ بأحد يدعي أنه سكب على

ثيابه بعض الشاي ، وهو يبحث عن المطبخ أو الحوض لغسل الشاي المسكوب .. ولو رآه أحد في المكتبة لن يخطر على باله أنه داخل ليسرق ..نجح في الوصول للخزانة وبواسطة منديل استولى على مسبحة اللؤلؤ، وعاد لكرسيه عند باب الشقة بدون أن يحس أحد بهذه الحركة .. وأكمل شرب كوب الشاي .. والخادمة من النادر أن تخرج من حجرتها أو مطبخها إلا بإذن سيدها رفيق ولما يغادر الرجلان البيت فتخرج وتأخذ الكوب وكأس الماء .. وتغلق الباب الخارجي للشقة بالمفتاح .. وأصبح حلمي شريكي ولا يستطيع التخلي عني .. ثم حضر الطليان في موضوع الياقوتة الهندية وحدث بينهم نزاع كبير .. تطور فجأة لمرض السيد ، ففرحت بذلك ، وفرحت بأني لم أعد المسبحة الحقيقية ، فدفعي للخمسة آلاف دولار أحسستني كأنها ملكي ..وتوقعت موت الرجل.. ولكنه شفي لم يمت .. ولقد ربطت مصيري بحياة هذا الرجل.. ولما جاء أمر الحفلة بمدينة الخد .. وسفر السيد إليها بالقطار سيكون ذلك فرصة للخلاص منه ، فرسمت أنا وحلميا خطة للتخلص منه ما دام موته سيغنيننا ..واتفقنا على موته ليكون زواجنا ..ولما تحدثنا عن إخفاء الجثة أين سيكون ؟.. فتش في ذاكرته حتى وجد ذلك المحجر المهجور ..وزاره وأكد لي أنه المكان المناسب لإخفاء الجثة .. ففيه آبار كانت تستعمل كحفر امتصاص أيام ما كان المحجر عامرا بالعمال .. وخططت للجريمة بأعصاب باردة ، لماذا الانتظار حتى يموت بالمرض ؟! فليمت الآن .. فرصة السفر لمدينة الخد .. فرصة لا تعوض .. وافق الرجل على السفر ..لأن الدكتورة سعيدة تكن له الاحترام ..وكانت تسعى لتزويجه بعد ترمله ..ولكن تردده وضعف قواه كان يؤجل عروضها ودعناه على المحطة وكان المحامي مجدي في وداعه معنا وكنا نخشى سفر المحامي معه بالقطار .. لو فعل لأجلنا العملية .. ولكن مجديا كان يحب السفر بالسيارة ..وأجل سفره لليوم التالي .. فاتفقنا على إكمال الخطة .. كنت قد استأجرت سيارة سياحية ولي عادة باستئجار السيارات .. استأجرتها قبل يوم السفر بيوم .. وعدت للشركة وقضيت وقت قصير وكان حلمي قد شاهد فيلما في السينما مرتين ليتظاهر أنه حضره يوم الحادث .. وذهب للسينما واشترى تذكرة لسهرة المساء ، ولكنه لم يدخل السينما انتظرني عند

مطعم آكل فيه ..وبعد أن التقينا أعطيته السيارة البويك وبعض الثياب للتنكر ..وسافر إلى محطة عين المها .. وأنا أخذت سيارة رفيق التي مع حلمي ، ووضعتها في شارع قريب من دار السينما التي سيزعم حلمي أنه قضى ليلته في مشاهدة عرضها .

وكنت قبل مغادرتنا شقة السيد رفيق لمحطة القطار قد أعددت أنا والخادمة حقيبة سفره وصندوق الأدوية التي يتعاطها ، فقد أفرغت عبوة الدواء المميع للدم من الدواء ووضعت فيها حبة منوم ، فهو سوف يتناول الدواء هذا في القطار ، وسيظن أن العلبة لم يبق فيها سوى هذه الحبة ، فسيتناولها وسيفكر أنه عندما يصل الخد سيشتري غيرها ، وأنا أتلفت الحبات التي كانت في العلبة .

وقام حلمي بدوره في محطة عين مها كما رسمته له ..وساق رفيق المضعضع من حبة المنوم والمفتر.. وذهب به إلى المحجر ؛ ولكنه قبل أن يصل اتصل بي.. وأنا اتصلت بالفندق لتأجيل الحجز .. وقد غيرت صوتي ليبدو صوت رجل ..وهناك أطلق حلمي عليه الرصاص حتى لا يتعذب كثيرا في تلك الحفرة .. وألقى المسدس في الحفرة ، وعاد للمدينة ، ولم يتصل بي إلا في الصباح .. والباقي تعرفونه وأنا مذنبة .

تمت بحمد الله

جمال شاهين



* مسبحة اللؤلؤ *

اختفت مسبحة نادرة وثمينة من خزانة سرية

كيف اختفت؟ لا أحد يدري الحيلة !

لم يقف الأمر ها هنا ؛ بل صاحب المسبحة اختفى أيضا

الشرطة في حيرة ، والأسرة والأصدقاء في حيرة !

كان الرجل في رحلة قطار متكررة بين سنة وأخرى

لم يصل الرجل إلى الفندق كما هو مرسوم

أين المسبحة ؟ أين الرجل ؟!

هذا ما ستكشف عنه سطور وكلمات القصة !



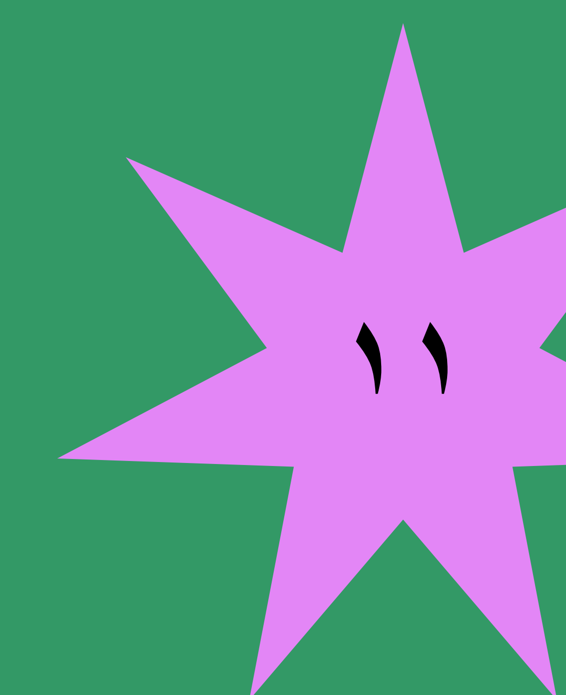
التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالمِ المزيف		



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



١١

لغز القصر الصحراوي

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

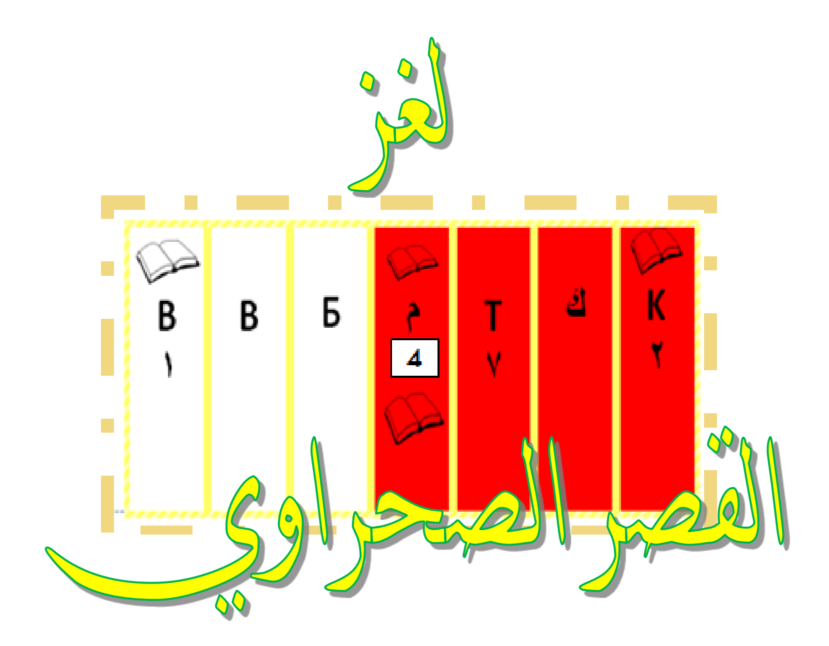
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

لغز القصر الصحراوي

جمال شاهين



١

الحوادث خطب يومي ، بل كل ثانية تحدث عشرات مئات الأحداث ، سرقة نشل احتيال قتل عمد وغير عمد اغتصاب اختلاس رشوة ، وذلك على مستوى العالم كل العالم .

وكثير من هذه الحوادث تدون وتسجل في دواوين الشرطة والأمن ، والأكثر ربما لا يسجل ولا يعرف ، وهناك حوادث وجرائم تشيع في المجتمع المحلي المجتمع الإقليمي ، والقليل في المجتمع العالمي ، فتنتشر في الصحف والكتب والمحطات الأرضية والفضائية .

وأصبحت قصتنا هذه قصة ؛ لأنها وجدت من يهتم بها ويثيرها في الإعلام والصحافة بعد انتهاء فصول أحداثها .

سعاد عيسى فتاة تزوجت حديثا من زميل لها في شركة اتصالات وتكنولوجيا الاتصالات ، هذه المرأة من سكان شوماز بلدة تقع على أطراف العاصمة ، وهي من العاصمة حسب علمي المحدود في نظام البلدات والمدن ، هذه المرأة المهندسة قد سمعت زوجها المهندس أديب يحيى بسيم الجدية يتحدث عن جده بسيم المقتول بغموض ، وهو الذي شيد قصرا عظيما في الصحراء صحراء قاحلة لا يوجد حولها عمران ، أقرب مدينة تبعد عن قصره مائة كيلو متر

شيد هذا الرجل الخطير الذي ستتعرف عليه خلال سطور وكلمات هذه القصة قصره ليحميه من أعدائه الكثر ، ولكنه قتل واغتيل فيه برصاصة واحدة فقط .. ، ومع وجود القتلة أو القاتل في القصر لم يعرفه الشرطة ، ولم يتهم أي شخص من سكان القصر بتلك الجناية .

تحقيق استمر عدة أشهر دون نهاية ، وأخبر محامي العائلة المحامي الكبير داود محمد المهندس أديبا أن التحقيق أغلق وقيد ضد مجهول أو أوقف التحقيق ، مع عدم إنهاء خدمات العاملين في القصر .

وليس هذا وحده المثير في قضية الجد بسيم الجدية ، بل المثير أن الرجل ترك كنزا من المال والوثائق الخطيرة لحفيده ، ولن يصل هذا الفتى الوارث لهذا الكنز ومذكرات جده إلا إذا حل سلسلة من المخفيات والألغاز والشيفرات .

والكنز كما حدث الجد مليء بالجواهر من الألماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأسماء للأحجار الكريمة .. وحاول هذا الشاب على أثر مقتل جده الوصول للكنز ، ولم يصل إليه مع أنه استعان برجال مهمين ومختصين في ذلك .



وكان السيد أديب يحيى قد تزوج بعد وفاة جدة بستة شهور تنقص أياما ، رفض الزواج في حياة جده ، دون أن تظهر لنا الغاية من التأخير ، قد يكون الخوف السبب أثر مقتل أفراد أسرته بحادث التفجير الذي سنتحدث عنه ، فلما سمعت سعاد عيسى حكاية القصر الصحراوي والكنز تحدثت عنه أمام أخواتها في بيت الأسرة العريقة ، وقدر الله تعالى أن تتحدث الأخوات بهذا الأمر أمام خالهنّ محمد محسن ، وشقيقهن بشر العاملين في الصحافة ، محمد محسن صحفي عجوز قد أفنى سني حياته في الصحافة والحبر والمطابع ، فهو صحفي كبير في بلده وعلى مستوى العالم أيضا ، وابن أخته في الطريق إلى ذلك ، فلما سمع ملخص قصة الكنز وغموض موت الرجل قال لابن أخته بشر : بما أن المهندس أديبا نسيبك اهتم بالموضوع .. فأنت صحافي ومحامي رد الشاب : الموضوع مثير حقا ! ولكن ليس لي اهتمام كبير بالتحقيقات البوليسية والجنائية وحتى مسألة الكنوز والدفائن والآثار .

ـ أعرف المعاناة التي يجدها الصحفي في مجال الجريمة .. هذا مسموح نشره ، وهذا غير مسموح المحكمة قد تتأثر بأقوال وتعليقات الصحفيين .. وأحيانا كثيرة المحققون لا يحبون إخراج ما في جعبتهم قبل تقديم المتهم للمحكمة .. لكن هذا كنز نسيبك ، وفي الغد كنز أولاد شقيقتك فقد علمت أن سعاد حامل .. فأنا لولا كبر سني لاهتممت بالموضوع موضوع نسيبنا أديب الجدية .

استسلم الشاب وقال : حسنا يا خال ! سأسعى لمقابلته وأسمع منه .. وأعرف لماذا قتل جده ؟

وهل للكنز دخل في مصرعه ؟ بل وأعرف لماذا قتلت أسرته من قبل ؟! .. فقد تعرض بيتهم لتفجير رهيب يا خال قتل كل العائلة الكريمة ، ولم ينج منه إلا هو وجده ؛ لأنهما لم يكونا في البيت ساعة الانفجار .

ـ سمعت به ونشرناه في صحفيتنا أذكر يومذاك .

ـ الحادث حدث سنة ٨٢ قبل خمسة عشر عاما .

ـ محرر صفحة الحوادث قد يفيدك في معلومات تلك الجريمة .. فمن العادة أن يتابع محرر الحوادث مألات الحادث .. والرجل الجدية رجل أعرفه حقيقة ؛ ولكنها معرفية سطحية .. فهو رجل سلاح تاجر سلاح مخضرم .. وتابعت حادث قتله الغامض .. وكان غريبا أن لا تعرف الشرطة القاتل.. ولكن الجريمة لفها الغموض المحيط بها ، ولم تكن جريمة سياسية لتعجز الشرطة عنها .. ربما لو شجعته أعاد الكرة للبحث عن الكنز الذي تركه له جده .. كنت قديما أول دخولي معترك الصحافة تستهويني يا ابن أختي مواضيع الكنوز والاغتيالات السياسية .. ولكن السن له دوره .. فعلى الصحفي عدم الانغلاق بلون واحد من التحرير ..

ـ سأهتم يا خالي بالقضية .. قضية الكنز ، وقد نتابع قضية الجريمة .



٢

ولد المهندس أديب عام ١٩٦٧ ، وهو العام الذي سماه العرب في العالم العربي بعام النكسة ، في هذا العام هاجمت دولة إسرائيل وليدة الاستعمار وبقاياه ثلاث دول عربية محيطة بها ، واحتلت مساحات شاسعة منها ، وقد تفوقت جيوشها على جيوش تلك الدول ، في هذا العام كانت بدايته على هذه الأرض .

وعندما بدأنا سرد فصول هذه القصة عام ١٩٩٧ كان الشاب قد دخل في أول العقد الرابع ، فقد أنهى ثلاثين سنة من عمره . وقد تخرج الشاب من الجامعة كمهندس اتصالات وتكنولوجيا حديثة ، والتحق مهندسا في شركة عالمية تعمل داخل بلده .

وهو حفيد لرجل معروف على مستوى البلد والعالم ، تاجر سلاح كبير اسمه بسيم الجدية ، وهذا الرجل ترك لحفيده الوحيد ملايين الدنانير والدولارات ، سوى الثروة التي ورثها عن أبيه وأمه ؛ ولكنها لم تكن شيئا مع ثروة الجد بسيم .

ورغم رغبة الجد القوية رؤية حفيده زوجا لم يحقق الشاب هذه الرغبة لجده في حياته ، فتزوج بعد وفاته بشهور في خريف ١٩٩٦ ، وكانت زوجته فتاة خريجة كلية الهندسة اسمها سعاد عيسى ، ومنذ شهور التحقت للعمل في شركة الاتصالات العالمية.

تعرف عليها الشاب بحكم المخالطة في العمل ، ثم حديث عن زواج وبناء أسرة جديدة ، وسهل الله الأمر ؛ فكان الزواج بفضل الله تعالى .

ومهندسنا أديب كاسمه ، قليل الكلام ، كثير التبسم ، عندما تعاشره وتخالطه لا تحس أن الشاب مهندس ، ولا تحس أنه يملك الملايين من المال والكثير من العقارات ، ويقطن قصرا ، وتتعجب إذا عرفت ذلك لماذا لا يدير الشاب شركة خاصة به ؟!

ولما استقرت سعاد في بيت زوجها قل قصره في ضاحية شوماز ـ فقد أنشأ وشيد له جده قصرا بدلا من البيت الذي دمر في حادثة تفجير مقتل ابنه يحيى والد أديب ـ فسمعت حينئذ هذه الفتاة تفاصيل مقتل والده التي تعرفت على بعضها قبل الزواج ، ثم عرفت تفاصيل عملية

قتل جده بسيم في القصر الصحراوي في آخر عام ١٩٩٥ .

وسمعته يتحدث عن الكنز والمجوهرات التي أخفاها جده في القصر ، وتركه خارطة ومفاتيح للوصول إلى الكنز ووثائق جده السرية ، ولما مات الجد فكر المهندس بالوصول لهذه الكنوز ، واستعان برجال مهتمين بمثل هذه الأمور ، ولم يفلحوا في الوصول إليه .

ولولا انشغاله بزواجه ، وعدم اهتمامه الكبير بالكنز لأخذها لزيارة القصر الذي يسميه بالقصر الصحراوي لوقوعه في قلب الصحراء الجرداء .

تكلمت سعاد أمام شقيقاتها بقصة القصر الصحراوي والكنز الخفي كما يتكلم الناس عن الكنوز بإثارة وتهييج ، والشقيقات تطرقن لهذا الكلام أمام شقيقهنّ الصحفي بشر عيسى وخالهم محمد محسن . وأثار الكلام أشجانا وذكريات لدى الرجل الشيخ محمد محسن عليان ، فتحمس للكنز ، ورغب ابن أخته المحامي الصحفي للاهتمام بموضوع هذا الكنز .

تقبل بشر عيسى اقتراح خاله ، ووافق على الاجتماع بأديب وسماع حكاية الكنز الخفي والجد المقتول .. وهل الكنز السبب في مقتله ومصرعه ؟



فبعد أيام يسيرة زار بشر المهندس في مكتبه في الشركة ، والتقى به وبسعاد وفاتحه بالموضوع وسبب هذه الزيارة ، وكانت سعاد حدثت زوجها باهتمام خالها بشأن الكنز وجريمة قتل جده فرحب أديب بالحديث المفصل عما يعرفه عن أسرار جده ليسعى بشر للكشف عن أسرار الكنز الخفي في قصر جده الصحراوي .

واحتفلت سعاد بمقدم أخيها وهيئت له عشاء مناسبا ، ولما قضوا شهوتهم من الطعام دخلوا إلى مكتبة الجد بسيم وحفيده أديب ، ليكشف لنا بعض أسرار جده وعائلته ، وكانت سعاد قد

كلفت الخادمة نور بإدخال المشروبات والفواكه إلى غرفة المكتبة والمكتب ، فجزء منها مكتب لأديب . وهذه ليست أول مرة يزور بشر بيت شقيقته سعاد ، فقد زارها عددا من المرات خلال الأشهر الماضية ، إنما هذه الزيارة لها نكهة خاصة كما يقال ، لها هدف خطير ومهم وهو البحث عن الكنز الخفي ، جاء ليسمع قصة بسيم الجدية الذي اشتهر بتهريب السلاح في أكثر أقطار العالم الرجل الذي عمل في تهريب الأسلحة في الدول العربية أثناء فترة الاستعمار في الجزائر وسوريا وفلسطين العربية . هو من عائلة هاجرت قديما للتجارة في ساحل فلسطين ، واستقر المقام بجده في العمل على سواحل شرق البحر المتوسط .



قال أديب لنسيبه شقيق سعاد : هل أبدأ منذ وجد جدي على ظهر الأرض أم عندما أصبح تحت الأرض أي عند مصرعه الغامض ؟

فقال بشر : هو قتل كما علمت منك سابقا في أواخر ١٩٩٥ .

ـ نعم ، قتل في تشرين الثاني [نوفمبر] من ذلك العام عن عمر ناهز خمس وثمانين سنة .. قتل غيلة في القصر الذي جعله قلعة وحصنا حصينا .. لقد كان جدي يتوقع قتله والغدر به ؛ وإنما خارج الملجأ والمخبأ .. هو نجا يوم مصرع أفراد أسرتي .. هو نجا وأنا ؛ لأننا ليلتها لم نكن في البيت .. لجدي أعداء كثر بحكم عمله في وسط تجارة السلاح ..الذي تمده بالسلاح يحبك.. والذي لا تبيعه السلاح يبغضك ، ويحرض عليك .

قال بشر : عليك يا أديب العزيز أن تبدأ الحكاية من البداية .. فالأفضل أن اسمعها هكذا حتى إذا كتبتها للنشر تكون شبه كاملة .. أنا أعرف أن الكثير من التفاصيل ليس لك بها علم .. وهذا عمر مديد أعطي لجدك ـ رحمه الله ـ وعند النشر نستخلص المناسب والمفيد للقارئ يا أديب ..

مسح أديب فمه بعدما قضم حبة فاكهة ، وقدم لبشر واحدة وقال : كل أيها الصديق .. جدي

بسيم الجدية من مواليد ساحل فلسطين التي اغتصبها اليهود ، وجعلوها أرض المعياد .. فلسطين كان يهاجر الناس إليها من بلدان العالم الإسلامي ، ١٩١٠ ولد بسيم الجدية من أم مغربية تزوجها والده ، فكان والده متزوجا من أكثر من امرأة طمعا ورغبة في الأولاد الذكور فوالده يعمل بالتجارة والتصدير لشواطئ أوروبا حمضيات وفواكه فلسطين ، وعمه كان صيادا وصاحب مراكب صيد ، وكان الذكر الوحيد من نساء والده .. وكانت في تلك الفترة من الزمن الدولة العثمانية التركية باسطة نفوذها على بلاد الشام والحجاز والعراق .. ولكن قبل أن يشب الفتى بسيم حدثت الحرب العالمية الأولى التي استمرت كما تعلم حوالي أربع سنوات كان من نتائجها القاتلة احتلال بريطانيا وفرنسا بلاد الشام والعراق .. وظهر علنا المشروع الصهيوني المراد إقامته على أرض فلسطين ، وتكشفت وثائق سايكس بيكو المشهورة ووعد بلفور لإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين العربية .. وانحسر النفوذ التركي العثماني عن بلاد الشام وغيرها من بلدان العرب ..

أعلن الانتداب البريطاني والوصاية على فلسطين .. وبدأت عملية التهويد .. وكان العرب في غاية الضعف في تلك الفترة ..واستسلم العرب الفلسطينيون للانتداب وحكم بريطانيا العظمى التي كانت تحكم مصر قبل ثلاثين عاما من دخولها فلسطين والأردن والعراق .. وقصة الاستعمار معروفة ومدونة في الكتب والملفات .. تعلم جدي في بعض مدارس الساحل كغيره من الأطفال ، وكانت قد ظهرت المدارس النظامية منذ عهد قريب ، وبدأت تنتشر في العالم وبلاد العرب .. وبدأ يشاهد احتكاك العرب باليهود والإنجليز .. وبدأت الثورات تظهر في العراق والشام على الإنجليز والفرنسيس ..وتظهر المظاهرات والاحتجاجات ضد الاستعمار والانتداب والتمييز بين العرب واليهود ، وبعد أحداث حادثة البراق أخذ الشعب الفلسطيني إلى التسلح السري وتشكيل الخلايا المسلحة .

أمام هذا الواقع أخذ الجد بسيم الشاب يعمل في تهريب السلاح من لبنان وسوريا من ليبيا من العراق من صحراء مصر .

لقد شارك الشاب في نقل السلاح ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت له معرفة وباع في كيفية إدخال السلاح للمناطق الملتهبة بالحروب ، وكيفية التعامل مع رجال بيع السلاح سواء سرا أو علنا . وكانت الثورات في فلسطين والبلاد العربية تزداد لهيبا من أجل الحرية والاستقلال عن الدول المستعمرة ، ومع شدة لهيب الثورات تزداد الحاجة للسلاح ذخيرة وسلاحا ، وتزداد بالتالي تجارته وتهريبه . وقام جدي وكغيره من الشباب بالثورة ضد التهويد والانتداب ، وشارك فيها ، ولما قتل القسام الشيخ السوري ـ رحمه الله ـ قامت ثورة ٣٦ المشهورة التي امتدت إلى الكثير من بلاد فلسطين .

فكان الرجل نشيطا بتهريب وتوريد السلاح للثورة ورجالها .. ومع بداية الحرب الثانية خفت الثورة وحدتها نتيجة الوعود السياسية التي تلقتها القيادات العربية والفلسطينية لحل مشكلة فلسطين والاستعمار .

وخلال سنوات الحرب ظل الجد بسيم يعمل في تجارة السلاح شراء وبيعا وتهريبا حسب الحال فتعلم كما اخبرني أسرار التهريب ، وأسرار الشراء ، وترتيب الصفقات السرية والعلنية مع الجيوش والملوك والرؤساء والعصابات الثائرة والمتمردة .

وشارك مرة أخرى في أحداث الثورة في عام ٤٨ ، ولكن حلت النكبة المؤلمة في الشعب الفلسطيني ، وخسرت الجيوش العربية المعركة ، وأعلنت دولة إسرائيلية على أرض فلسطين المسلمة والعربية .

وعلى أثر الهزيمة العربية هاجرت العوائل العربية عن أغلب الساحل الفلسطيني نحو الشام ولبنان وشرق الأردن وغزة ونابلس وما يسمى اليوم بالضفة الغربية.

وكانت أسرة جدي والده وعمه قد غادروا البلاد مع المغادرين ، فذهب عم الجد إلى مصر ؛ لأن زوجته كانت من أسرة مصرية ، وغادر والد جدي إلى منطقة رام الله والبيرة .

ولما هلك والده محمود الجدية سافر إلى البرازيل ككثير من الشباب طمعا بحياة أفضل من الوضع الصعب الذي حصل للناس عقب التشرد والنكبة . وترك زوجته التي ولدت له أبي

يحيى ، وأمه وبعض زوجات جده محمود في دار اشتراها والده في الضفة الغربية التي أصبحت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ، كما أمست غزة جزءا من مملكة الملك فاروق ملك مصر .
ولما حل الجد في البرازيل التي تقع في العالم الجديد الجنوبي وجد الحروب مستعرة في تلك القارة منها حروب داخلية ، ومنها حروب دول بينها وبين بعض ، فكان المد الماركسي الروسي أو السوفيتي متغلغلا في تلك البلاد .
فلما رأى ذلك الحال عاد لتجارة السلاح والتهريب للمنشقين للمتمردين للثائرين للعصابات وكانت هذه العصابات المسلحة تمول الكثير من الصفقات من تهريب وتجارة المخدرات ، فاضطر للاحتكاك بتلك العصابات للحصول على أموال تجارة السلاح ، فتعرف على الكثير من الزعماء للعصابات للدول للثوار .
وكان من نتيجة ذلك وجود أصدقاء منهم ، ووجود الكثير من الأعداء والخصوم ، وكان لا يشعر بالأمان حتى يعود إلى شوماز فيجد بعض الراحة من مطاردة أعدائه وخصومه ، مع الحذر الشديد أيضا .
وانتشر نشاطه أيضا في أفريقيا لاشتعال حروب الاستقلال والثورات ، وامتد لآسيا حيث الحرب الهندية والفيتنامية وكمبوديا ، فالحروب هي المكان المناسب والملائم لبيع وترتيب صفقات السلاح الخفيف والثقيل .
فأصبح معروفا على مستوى تجارة الأسلحة في العالم ، وله شركات وشركاء في عدد من القارات وكانت تقام بعض الشركات لتغطية أعمال تجارة السلاح . وأصبح السيد بسيم الجدية مالكا لثروة كبيرة ، ولكن العمر يمضي ، وكبر الجد فأخذ يفتش على الراحة والتقاعد .
فقد كانت حياة جدي مليئة بالحركة والسفر ، تارة في الشرق ، تارة في الغرب في الشمال في الجنوب .. كان كثير التنقل ، وكان يلتقي برجال الحكم والمال ورجال العصابات والثوار .. برجال المخابرات والأمن وتعرض مرات ومرات للغدر والاغتيال والخطف أيكفي هذا الليلة ؟
قال بشر : لا أنام مبكرا يا أديب ؛ ربما أبقى في الصحيفة للفجر .. تابع .



دخلت الخادمة ببعض الفواكه والشاي والمكسرات ، وأخذت توزعها على الموائد الصغيرة ، ولما غادرت قال أديب : أخبرتك أن والد جدي كان مزواجا طامعا بعدد كبير من الذكور ، فلم يرزق بسوى جدي بسيم ، أما البنات فكن تسع أخوات ، وبعضهن ما زلن على قيد الحياة ، وهن في غاية السعادة والرفاهية ، ولهن أحفاد ، وكان جدي سخيا معهن ، ومات على ذلك ، والمحامي داود محمد ما زال يتابع مخصصات جدي نحوهنّ .. مع أنهن لسن بحاجة لمال ؛ ولكن وصية محمود لبسيم .. أما نساء والد والد جدي فكلهن رحلن عن هذه الدنيا .. وكان والدي يتفقدهن ويرعاهن حتى متن جميعهن .. تزوج جدي بسيم بعدما بلغ العشرين من ابنة أحد أعيان مدينة القدس من أصدقاء والده .. وبعد سنوات من الزواج ولدت جدتي أبي وثلاثة بنات ماتت اثنتان منهم قبل نكبة الشعب الفلسطيني ، وبقيت واحدة ، وتزوجت وكانت قد تزوجت ابن عم جدي وما زالت هي وذريتها هناك ، وكان جدي يتفقدها باستمرار ؛ بل كثير من أبنائها وأحفادها تعلموا في الجامعات على نفقته .. وما زلنا نلتقي ونتقابل كلما خرجوا من البلد .. وماتت منذ سنوات قليلة ـ رحمها الله ـ وأبي تزوج بعدما استقر في مدينة بلبل العاصمة هذه التي نعيش فيها الآن .. واشترى جدي ووالدي هذه الأرض التي قام عليها هذا القصر الذي نجلس فيه الآن .. ولما رأى السيد بسيم قلة فرص العمل .. ترك أبي وأمه وهاجر جهة البرازيل ككثير من شبان العرب الطامح بالثروات .. لم تكن بلاد الخليج ظاهرة ثروتها للعيان آنذاك .. فيمم نحو أمريكا .. هو وبعض أبناء عمومته وأخواله .. ووجد سوق السلاح رائجا فعاد إليه بقوة وحقق ثروة هائلة ننعم ونرتع فيها اليوم بفضل الله تعالى .. وكان يرسل المال لابنه يحيى من هناك ولابنته الأخرى في فلسطين .. وتزوج هناك أكثر من مرة ، وأكد لي أنه لم تلد له إلا واحدة

برازيلية من أصول هندية شقيقة أحد أصدقائه وشركائه في تجارة السلاح .. عندما يتخلص من واحدة يتزوج غيرها .. وكان سعيدا بذرية أبي .. لقد ولدت أمي ثلاث بنات وولدين ، وأنا ترتيبي الخامس ، ولدت عام ١٩٦٧ في شهر آذار مارس ، وبعد الحرب أنجبت طفلة وولد ثالث .. وترك والدي بلبلا وبنى بيتا في شوماز .. وهو هذا القصر ، ولكن لم يكن قصرا كان بناء عاديا من عدة طوابق ، الأول محلات تجارية ، ونحن نعيش في الطابق الثاني ومعنا الجدة .. لم يكن والدي يعرف أن والده تاجر سلاح في الغربة .. نعرف أنه صاحب تجارة وشركاء .. ماذا يعمل لا يدري أبي ؟ وكان مجيئه للبلد قليلا جدا ، ولما يأت يأتي مسلحا ومعه حرس .. هكذا أخبرتني خالتي التي تعيش معي الآن .. وكان يتحرك بسيارة خاصة ضد الرصاص ، وصلت للبلد بسفينة وبقيت هنا في موقف خاص مجهول لأبي .. علمنا أنها ضد الرصاص .. وكان يملك عدة شقق في العاصمة بلبل وغيرها من المدن .. وكان لا يمكث كثيرا في بيتنا .. يأكل مع الأسرة ، ويطمئن على زوجته وأحوالنا ويختفي ، ثم يظهر مودعا فجأة .. وكانت جدتي كثيرة الأمراض ، وقد ماتت قبل حادث الانفجار الذي أودى بحياة ولدها يحيى .

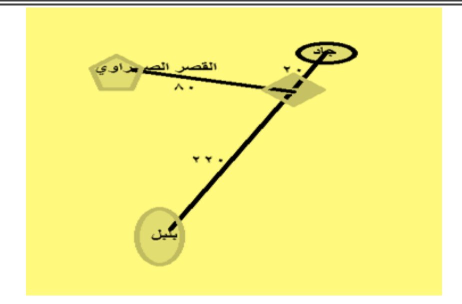


٣

عاد بشر بعد أيام لسماع المزيد من قصة بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي، فلما جلسوا في المكتبة المكتبة التي أنشاها الجد لحفيده ولنفسه ، قال أديب : انتهيت في الحديث عن موت جدتي ـ رحمها الله ـ كانت كثيرة الأمراض .. اشرب شايك يا أبا ناصر .. وكان جدي أثناء موتها متنقلا بين البلاد لعقد الصفقات وتهريب الصفقات .

كانت زياراته للبلد قصيرة لظروف عمله وتجارته ، وقبل حادثة مقتل أسرتي قد بدأ في إنشاء قصر في قلب الصحراء صحراء لغد ، وبدأ يفكر بالاستقرار في ربوع البلد ، فكان قد حفر مجموعة من الآبار في تلك الأرض الواسعة التي اشتراها وتملكها ، ووجد الماء في إحداها ، كنت صبيا وأسمعه يحدث أبي في ذلك ، وأنه سيختبأ في الصحراء في ذلك القصر عندما يجهز وكانت المسافة من مدينة بلبل إلى ذلك القصر تصل إلى ثلاثمائة كيلو متر بالسيارة .. فبين القصر والشارع الموصل بين مدينة بلبل ومدينة جاد حوالي ثمانين كيلو متر تقريبا .. ومدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر .. صحراء جرداء لا حياة فيها ، شجيرات صحراوية متفرقة هنا وهناك .. فالقصر اليوم جنة في تلك الصحراء وهو فعلا قلعة حصينة .. ولسوف تراه ـ إن شاء الله ـ وطريق القصر من الشارع الدولي إلى القصر الصحراوي ترابية فقط .

قبل موت أبي كان القصر في بداياته ، ولم يكن مهما لنا مشاهدته يا سيد بشر ، قامت بالحفر والبناء في الجزء الأول منه شركات أجنبية وذلك بعد استخراج الماء من جوف الصحراء ، فيما بعد علمت أن آبار حفرت ، ووضع فيها خزانات ماء ضخمة لتخزين الماء كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. ثم شيد تحت الأرض طابق ليستخدم كغرف تخزين مواد وأدوات ، وأنشئ فوقه قاعة استقبال كبرى ، وفيها صممت قاعة رخامية بأعمدة رخامية لاستقبال الضيوف عند وصولهم للقصر .. ستراها ـ إن شاء الله ـ ولها هنا صور .. هنا قاعة فيها صور للعائلة .. وأنشئ فوق هذا الطابق الأرضي الطابق الأول ، وفيه حوالي ثلاثين غرفة ، وهو على شكل نون مقلوبة .. هذا القسم من القصر كان جاهزا للحياة قبل حادث ٨٢ .



وأصبح هذا القصر مقر الجد في كل عودة وزيارة إلينا .. فيقضي أياما بيننا ، ثم يختفي في الصحراء أو غيرها من الشقق التي يملكها في بلبل وغيرها من مدن البلاد ، وله عمارة كبيرة في مدينة جاد القريبة من القصر الصحراوي .. أذكر أنه سمح لأبي بأخذنا لذلك القصر للفرجة كان يخشى علينا التعرض لهجوم من قبل العدو عدو جدي المجهول لنا وله .

عاد الجد للبلد في صيف ١٩٨٢ ، وكان الشرق يغرق بالحروب ، والتوترات ملتهبة في أكثر من بلد ، فكان الجد يجعل من بعض وقته في بلبل ليقضيه معنا مع الوالد معنا نحن الشباب الصغار وكان الجد في كل مجيء يتحفنا بالهدايا والأشياء الجميلة ذكورا وإناثا.. ثم ينصرف للقصر الصحراوي ، ومرات عندما يريد السفر يطلب مشاهدتنا في مكان خاص فنذهب إليه لتوديعه أو يأتي بغتة دون اتصال فيقضي معنا بعض الوقت وينصرف .

جاء صيف ٨٢ لقضاء إجازة في البلد ، وقضى في بيت الأسرة في شوماز حيث نجلس الآن يومين على غير العادة ، لا يمكث في البيت يومين متواصلين ، ساعات يبات ليلة ، ويغادر بوقت غير منتظم في الليل في النهار حسب خطته الأمنية .

ولما غادر البيت سمعناه يخبر أبي بأنه يحس بأن ناسا يطاردونه ويسعون للفتك به ، وانصرف بعد صلاة الفجر ، فقد جاءت سيارته المصفحة وأخذته .

وفي اليوم الرابع من وصول جدي إلينا أي بعد مغادرته بيومين لبيت العائلة جاءت خالتي أم سالم وتغدت معنا ، ولما صلت العصر وأرادت الانصراف طلبت من أمي أن أرافقها وأقضي الليل معها في بيتها ؛ لأن ابنها سالم في رحلة جامعية ، وسينام في الخارج مع زملائه الطلاب .. وخالتي ليس لها إلا سالم طالب في الجامعة ، وبنت أكبر من سالم ومتزوجة من ابن عم لها أو

قريب لأبيها .. اتصلت أمي بابي في المتجر في أسفل العمارة ، فوالدي كان يملك ما يسمى اليوم سوبر ماركت الكائن في الطابق الأول للعمارة الصغيرة ، فقال لي : يا أديب أمك اتصلت تريدك أن تذهب للمبيت مع خالتك هذه الليلة فسالم غير موجود .. وغدا يرجع سالم فتعود .

وكانت خالتي أرملة ، ووضع لي بعض المأكولات والمشروبات في كيس وقال : خذها وتسلى بها أنت وخالتك .

فحييته وصعدت للبيت في الطابق الأعلى ، كنت تلك الأيام ابن خمس عشرة في ذلك العام الذي لا ينسى يا أبا ناصر .. دخلت وغيرت ثيابي ، وكان الوقت عصرا .. ثم ودعت أمي ، ومن كان في البيت من الأخوة والأخوات ..وأوقفت سيارة أجرة تكسي ؛ لتنقلنا لشارع سليمان في حي النصر العربي .. وفي الصباح جاء الخبر المرعب بأن عمارتنا وقع فيها انفجار رهيب قتل فيه كل أفراد الأسرة ، ودمرت البناية تدميرا كبيرا.. لم ينجُ من الأسرة إلا أنا لمغادرتي البيت مع خالتي التي سافر ولدها مع طلاب الجامعة ، وجدي بسيم الذي لم يكن موجودا ساعة الانفجار الغادر.

وكان الانفجار في الثامن من تموز ، ذلك العام ١٩٨٢ يوم الخميس في أول ساعات ذلك اليوم لما عدت للبيت في الصباح كان المشهد مروعا ، سيارات الإسعاف ورجال المطافئ والشرطة ورجال المتفجرات والبحث الجنائي والأقارب والأصدقاء والجيران .

وبعد مشاهدتي للدمار الذي لحق بيتنا صرت أصرخ وأبكي ، فأخذني رجال إلى بيت خالتي التي أحضرت لي الطبيب ، وتقرر بقائي في بيت خالتي أم سالم .

وبعد هذه الحادثة الكبيرة ترك جدي السفر الكثير ، وكان يسافر لقضاء حاجة ، ثم يعود سريعا وقرر البقاء حولي لرعايتي أنا الباقي من سلالته ، هو له أحفاد من ابنته التي ماتت في فلسطين حيث تزوجت .

فاشترى سيارة مصفحة خاصة بي ، وكلف سائق هندي يعمل معه في القصر الصحراوي ليعمل تحت أمري .

وبعدما انتهى رجال الشرطة من التحقيق في مكان الحادث ، رفعت الأنقاض ، وقام جدي ببناء

هذا القصر ، وأيضا أضاف طابقين في قصره الصحراوي ، ووضع له وسائل حماية معقدة . وعين كادرا من بلدان شتى في ذلك القصر ، وأقام حولي هنا بعض الحرس والخدم الخاصين ، وله قسم في الطابق الأرضي فيه مكاتب خاصة به وبنشاطه ، له باب إلى القصر ، ولكنه لا يفتح إلا من داخل القصر ، وهو باب مصفح يفتح على الطاقة الكهربائية .. والحافظ هو الله وعشت في بيت خالتي تحت حماية خاصة حتى كمل هذا القصر ، وجئت للحياة فيه ، وبصحبة خالتي التي تزوج ابنها ونحن نبني هذا القصر الحصن .

وكان جدي يقول لي: يا أديب كنت أنا المقصود بالانفجار القاتل .. ولكن قدر الله لنا وأنت الحياة .. واعلم أننا ما زلنا في خطر .. خاصة حياتي أنا ، لقد تكوّن خلال سنوات هذا العمر أعداء كثر لي .. أجهل أكثرهم ؛ ولكني أحس بوجودهم .. لم يبق لي من دنياي إلا أنت .. ولولا مشيئة الله تعالى ، وذهبت تلك الليلة للمبيت عند أم سالم لحل بك ما حل بأهلك .. ولولا أنك بحاجة للدراسة لسقتك للبقاء معي في القصر القلعة .. هناك في الصحراء حيث أعيش .

فقال بشر : تحقيقات الشرطة في الحادث ماذا كانت النتيجة ؟

ـ الشرطة زعمت أن هناك عصابة وضعت المتفجرات في محل الوالد .. وأمام باب شقتنا .. وتم التفجير عن بعد .. فقد وقفت يا سيدي سيارة أمام الدكان قبل صلاة الفجر بساعتين أو آذان الفجر .. موهمون من يراهم أن سيارتهم فيها عطل فني ..لأن بعض الناس أخبروا البوليس برؤيتها تقف أمام المحل .. ففتحوا المحل وادخلوا المتفجرات والمواد المتفجرة .. وبقيت السيارة أمام المحل عند الانفجار .. لم يأخذوها معهم لماذا ؟ لا جواب .. لأن أجزاء بقيت منها ، ولم توجد فيها أي جثة إنما استخدمت لنقل القنابل كما تبين من تحليل الشرطة . واعتقد القتلة أن جدي هلك في الانفجار وأنه من ضحاياه ، ولم يصل الشرطة للقتلة ، وبعدها لحتى مقتله لم يحدث علينا اعتداء .

خلال سنوات الجامعة رغب جدي بتزويجي ليرى أحفاد ولده يحيى ، ولكني رفضت الزواج أو حتى التفكير بالزواج ، وكان خلال سنوات الجامعة يقضي بعض الأسابيع بكمالها معي ومع

خالتي ، وجل وقته في هذه المكتبة أو في مقابلة بعض الأصدقاء ، أو متابعة نشاطه مع شركائه من المكاتب التي في أسفل القصر .

جدي رجل واسع المعرفة ، ويتكلم بعدد من اللغات حسب الحاجة طبعا ، وهو يعرف الإسبانية لغة أغلب سكان أمريكا اللاتينية .. ويعرف الكثير من مفردات اللغة الهندية .. والإنجليزية يحسنها لدرجة كبيرة لكثرة ما احتاج إليها وهو يتنقل في مدن وفنادق العالم .

فكان يغيب في قصره الصحراوي عندما يحتاج للعزلة التامة ، وربما استقبل بعض الرفاق الأجانب والشركاء فيه .

وكان جدي يعطف عليّ للغاية ، ولا يبخل عليّ بشيء أنا خاصة وحتى مع كل أقاربنا .. فهو سخي بطبعه .. وطوال السنوات التي قضيناها معا كان خائفا عليّ ومن اغتيالي بيد غادرة رغم الاحترازات التي أحاطني بها .. فلما يرني عائدا للقصر .. فأحس بسعادته واطمأننه .. ولما يقض زمنا في صحرائه يتصل بي يوميا ليطمئن على عودتي للبيت ، وهو أحاطني علما بالأخطار التي تتهدده .. وربما يصيبني شيء منها .. ثم نسلم أمرنا لله .

فقال بشر : سأنصرف الآن يا سادة .. المهم أن التحقيقات لم تسفر عن شيء ..

ـ بعضهم اعتبرها جريمة سياسية .. المهم أن التحقيق فيها توقف .

٤

بعد أيام أخرى زار بشر عيسى صهره أديب يحيى لسماع قصة مقتل الجد بسيم ، فرحب الزوجان بضيفهما ، وتعشوا جميعا ، ثم انتقلوا للمكتبة حيث كان السيد بسيم يحلو له المكث عندما يلقي ترحاله في قصر أديب يحيى .

عرفنا السيد بسيما تاجر سلاح كبير في هذا العالم ، ورجلا كثير السفر والترحال ، ولما قتلت أسرة ولده الوحيد يحيى استقر في البلد بلبل ، وخف تجواله العالمي ، وجلست خالة أديب في صالة التلفزيون تقلب القنوات والمحطات التي تتزايد يوما بعد يوم ، وهذه أول مرة يصادف بشر خالة أديب منذ أقبل لسماع بعض تفاصيل حياة بسيم الجدية ..فقد كانت عند ابنتها التي ولدت في تلك الفترة ، فجاملها الرجل ودعا لها ودعت له .

وبيت أديب فيه عدد لا بأس به من الخدم والخادمات ، وأغلبهم من الهنود بدولهم المختلفة .. فالهند عند تحررها من قبضة الاستعمار انقسمت لمجموعة دول كالهند نفسها ، والباكستان قبل سنة الاستقلال ، ثم بنغلاديش بعد عشرين سنة انقسمت عن الباكستان .. ثم البنغال وسيرلانكا وربما كشمير في المستقبل .

جلسوا كالعادة في المكتبة التي تحتوي على مكتب للسيد أديب ، أحضرت القهوة المرة التي يطيب للصحفي بشر شربها ويفضلها على غيرها من القهوة وتسمى في بلاد العرب القهوة السادة ربما لخلوها من السكر أو على طبيعتها البكر .

ووضعت بين أيديهم وأفواههم أطباق الفاكهة والمكسرات ، وكانت سعاد قد اعتذرت من خالة أديب للجلوس مع شقيقها وسماع حكاية السيد بسيم ، وكانت الخادمة قد وضعت أمام الخالة بعض أطباق الفاكهة التي تحبها .

ولما جلست سعاد قال بشر : قلت إنك ستروي لي قصة مقتل جدك ـ رحمه الله ـ الذي قتل قبل سنتين ..

قال أديب وهو يمسح فمه بمنديل ورقي : مات أو قتل جدي يا أبا ناصر يوم الأربعاء أو فجر

الأربعاء ..لا .. مساء يوم الثلاثاء في أول الليل كان الشهر تشرين الثاني نوفمبر ١٤ / ١١/ ١٩٩٥

ـ منتصف شهر أحد عشر من عام ١٩٩٥ .

ـ كان المرحوم جدي يحدثني تكررا ومررا عن الأخطار المحدقة به نتيجة عمله في تجارة السلاح .. فهناك صفقات مشروعة كالتي تباع لدول معترف بها من الأمم المتحدة ، وهناك صفقات تهرب لثوار ، وحركات تحرر فتصور أنها ممنوعة ومعادية .. وكان العالم غارق بالحروب الأهلية والدولية .. وتجارتهم لا يتعامل فيها بالمبادئ والأخلاق الحسنة .. أو بالعواطف .. فالحرب مصدر رزقهم .. فيقول لي : إذا بعت سلاحا وذخيرة لباكستان ، فالمتعاطفون معهم يرونك بطلا ومناضلا ومحاربا مع أننا تجار .. والذين يقفون مع الهند في حربها يرونك مجرما قاتلا مطلوبا قتلك .. وقس على ذلك في كل الحروب .. مع أننا أحيانا كثيرة نبيع ونهرب للفريقين المتصارعين.. يأتيك تاجر يطلب منك توصيل كمية من الذخائر والصواريخ الصغيرة لمكان ما مقابل عمولة ما .. فأنت لا تدري لمن ستصل الصفقة ؟..لأنها عادة تجري في ظروف سرية بالغة التعقيد .. مهمتك نقل البضاعة .. لمن ستصل ربما لا تدري بالضبط .. ستسلمها لشخص أو أشخاص .. فنتيجة هذه التجارة تكوّن لجدي أعداء وأصدقاء .. فكان يقول يا أديب تجارة السلاح لا عواطف فيها .. أنت بياع .. هناك صفقات بيضاء وصفقات سوداء .. ونتيجة أخرى أنه يطلع على أسرار مهمة لتلك الصراعات الدولية وقال : لا أشعر بالأمان والهدوء إلا عندما آتي إلى هذه البلد المسالم الوديع إلى مدينة بلبل فأحس بالراحة والحياة الهادئة .. وأخبرني أنه نتيجة هذا العمل يخوض حروبا مع عصابات أخرى لتهريب السلاح أو تجارة المخدرات لتمويل صفقات السلاح .. فالسلاح يحتاج لأموال كثيرة ولا تنضب .. فالمخدرات تستخدم لتمويل تلك الصفقات .. لأن غالب الدول النامية فقيرة أو متحررة من قيود الاستعمار حديثا فميزانياتها مهلهلة وضعيفة .. والعصابات تخوض حربا ضروسا لتفرض سيطرتها على مناطق ما .. وتلك العصابات خاصة في أمريكا اللاتينية قوية وعنيفة ، ولها علاقات مع رجال الحكم

والسياسة كعصابات المافيا المشهورة في إيطاليا والعالم الغربي .. فكان يقول : علينا أن نتعامل مع الجميع .. فالكل يشتري السلاح .

شرب فنجان قهوة سادة قدمته له سعاد ثم عاد يقول : وأخبرني جدي الغالي أن كل أملاكه ستؤول إليّ بعد موته .. فأنا الوارث الوحيد له ؛ ولكنه أوصاني بمساعدة أفراد العائلة وأحفاد ابنته في فلسطين .. والمحامي داود محمد يعرف كل التفاصيل ..وهو ابن صديق منذ عهد الشباب .. وأن المحامي على اطلاع بكل الأشياء الهامة في الحسابات الخاصة لجدي هنا أو في أوروبا أو أمريكا .. وحتى الشركات الشريك فيها في البرازيل وغيرها .. يتابعها مكتب داود مع المحامين في الخارج أو الداخل .

ومن الأسرار التي كشفها لي الجد هو زواجه أكثر من مرة في العالم .. وكان يتزوج ولما يرحل يطلق .. لأنه لا يحل الزنا مهما كانت الظروف ، ولما نزل البرازيل في أول الشباب عند هجرته الأولى إليها تزوج امرأة برازيلية من سكان البلاد الأصليين الذين يسمون الهنود الحمر .. وأنجبت له بنتا واحدة فقط ثم طلقها .. وسماها مها اسم عربي .. وسبب تطليقها قال كثرة تنقله بين البلاد اللاتينية .. وكان يحمل جواز سفر برازيلي .. فكان كلما دخل البرازيل يمر على المرأة ، ويتفقد المرأة ويعطيها المال ويرى ابنته .. ولما جاء المرأة بعد بلوغ ابنته عشر سنوات أخبرته المرأة أن ابنته اختفت ، فتكلم مع البوليس في تلك المنطقة .. فاخبروه أن هذا أمر شائع بين الفتيات والفتيان .. ربما رافقت عصابة أولاد ..أو لحقت للعمل في ملهى أو مقهى أو حانة وقالوا له سوف تعود للبيت فجاءة كما اختفت فجأة .. وعلمت قال إن بعض العصابات تأخذهم لنقل كميات من المخدرات أو نقل رسائل .. أو خادمات في دور الدعارة ..

وقال لي إنه بعد سنوات زار تلك المرأة فوجدها قد تزوجت وولدت من جديد ، وذكرت له أن ابنتهم قد زارتها ، وقضت عندها أياما ، ثم اختفت من جديد ، وعلمت منها أن الفتاة متعلقة بشاب من شباب العصابات .. وترك لها عنوان للمراسلة عند والدتها .. فجدي كما أخبرني وذكرت لك سابقا كان كثير الحركة ، ولا يحب البقاء في بلد أو مدينة مدة طويلة حتى لا

يتعرض لخطف أو اغتيال .

فهو له معرفة برجال مال وتجار وملوك ورؤساء وأسر وعائلات وقادة وثوار وقادة عصابات ولما قتلت الأسرة استقر في البلد هنا .. وأصبحت حركته في الخارج قليلة وعند الضرورة القصوى كما قال لي .. وقد أقام القصر الصحراوي ووفر فيه وسائل الحماية ولسوف تطلع عليها إذا زرنا القصر .. ولابد من ذلك لمعرفة مخبأ الكنز .. وقبل مقتله بزمن أحسبه شهور قال لي : يا أديب احترس .. لقد علمت من بعض أصدقائنا أن أعداء لنا دخلوا البلاد .. وأنا في القصر هذا تقريبا في أمان .. لأن الأسوار عالية ، وعليها أجهزة إنذار ، ولها اتصال بشركات حماية .. والقصر بعيد عن الأسوار .. ولكن ليس هناك شيء كامل كما يقول جدي وكل نظام أمني لابد أن يكون فيه ثغرات قد يصل إليها الخصم والعدو .. ولديّ حارس هندي محترف كما يقول جدي قد خدم في بلاده في حراسة الشخصيات ومعه مساعد .. ومعهم زوجاتهم .. وهناك سائق السيارة المصفحة وهو هندي أيضا .. وحتى سكرتير جدي في قصره الصحراوي هندي ، وله زمن طويل مع الجد .. وما قتل الجد إلا في غيابه وإجازته الضرورية رغم الحس الأمني الشديد عند جدي فقد اغتيل في قصره الصحراوي .. وأولئك المجرمون لا يهتمون بالخطأ الذي يقعون فيه كما حصل لمقتل الأسرة كلها .. والشرطة كما أخبرتكم لم تصل لشيء في تلك الجريمة جريمة قتل والدي إلا أن قالوا أناس فعلوها وغادروا البلاد ولم نعرف كيف غادروها ؟ أو علم جدي ولم يحدثني عن ذلك لأني أيامها كنت دون الثامنة عشرة

وجدي يحمل عددا من جوازات السفر لعدد من الدول كاحتياطات أمنية .. تحصل عليها من خلال خدمته لبعض الدول ..

أخذت احتياطاتي كما طلب جدي ، وأخذت التحذير على محمل الجد .. واعلم أنه كان يتلقى الكثير من رسائل التهديد والوعيد .. واتصالات كذلك من الخارج والداخل .. فهو معتاد على ذلك .. وبعد هذا التحذير بشهور ثلاثة تحدث ليلا معي طبيب يزور القصر من مدينة جاد بمقتل جدي ومصرعه في حجرة من حجرات القصر برصاصة واحدة .. فصعقت للوهلة

الأولى .. وتسألت كيف قتل في القصر في الحصن ؟ ومن تجرأ على هذا ؟ كانت مفاجأة لي !

قبل موته اتصل بالطبيب جادر ، وهو طبيب متقاعد من مستشفى جاد ، وطلب منه المجيء إليه فورا ؛ لأنه يتحسس ألما في صدره ..ولجدي سوابق في طلبه عند الضرورة ، وهو يرسل المرضى العاملين في القصر إليه ابتداء ، ومن ثم يحولهم إلى أطباء الاختصاص أو المستشفى .. وقلت لك إن مدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر ، والطريق من الشارع العام إلى القصر ترابية وأصبحت شارعا من كثرة مرور السيارات عليها .. وجدي له فريق من الأطباء يتفقدونه من حين لحين .. وله علاقة خاصة بمستشفى جاد .. فالطبيب جادر طبيب طوارئ لجدي بسيم وأهل القصر..

اتصل الجد بالطبيب بعد صلاة المغرب مخبرا له بألم شديد يعتصره .. فالطبيب عندما يذهب للقصر في الليل يأخذ معه شرطيا من مركز شرطة جاد .. ويصحبه عادة طبيب مساعد وممرضة أما في النهار فيذهبون بدون سيارة شرطة أو شرطي ..ولما وصل للقصر تفاجأ الحرس بهم .. وجاءت سكرتيرة جدي الهندية وهي زوجة للسكرتير الهندي مايا ..فجدي لم يخبرها باتصاله بالطبيب .. أدخلتهم مايا القصر فهي تعرف الطبيب جادرا حق المعرفة ، فلها تعمل مع الجد منذ خمس سنوات .. ولما وصلوا لغرفة يستريح فيها الجد وجدوه مقتولا برصاصة واحدة ، وأنه فارق الحياة ..وجدوا رائحة مخدر في تلك الحجرة ، ويرجح الأطباء أنه استنشقه استنشاقا ، لم يثبت أن المخدر وضع في عشاءه .. المهم أنه لم يقاوم قاتله .. وأكد جادر وهو يسترجع الاتصال الهاتفي القصير بينهما أن الرجل عندما تحدث معه كان يعاني من حشرجة وصوته ضعيف .. وشرب جدي شرابا قبل موته ، ولم يثبت أن به مادة مخدرة .. وتساءل الشرطة والمحققون هل قتل للاتصال أم أن القاتل أو القاتلة قتلوه بعدما فشلوا بقتله بالذي أطعموه إياه أو أسقوه إياه ولما سمعوه يتحدث بالتلفون أسرعوا بقتله ؟؟ .. التشريح الطبي بين أن طعامه وشرابه لا مخدر فيهما ولا العصير الذي شربه .. فالراجح أن غازا مخدرا استعمل لإضعافه وتخديره .. وقتل من غير سم .

وجرى التحقيق في الجريمة الغامضة ، وحقق مع الخدم والحرس وكل الموجودين في القصر وهم حوالي ثلاثين فردا وعن تحركاتهم في وقت حدوث الجريمة كما حددها الأطباء الشرعيين من وقت الاتصال بالطبيب جادر حتى اكتشاف الجريمة .. ولم يستطع البوليس توجيه الاتهام لأحد .. لم يعرف الخائن بينهم لليوم ..ومن زوده بأداة القتل .. وبالمخدر إذا كان هناك مخدر .. ومن المستحيل دخول شخص من الخارج إلا إذا توطأ مع جميع الحرس .

وأنا بعد الحادث ودفن الجد حيث أراد في آخر البستان في ذلك القصر حيث وضع قبره طلبت من المحامي داود صديقنا العزيز بيع القصر إذا وجد من يشتريه ، فأخبرني الرجل أن جدي لا يحبذ بيع القصر .. وأنه لا يمكن بيعه وصرف العمال قبل إغلاق ملف التحقيق وتحديد الفاعل لأن كل العاملين في القصر من رعايا دول أخرى .. ثم أخبرني أن جدي ترك لي مجموعة من الرسائل تركها لديهم على فترات لا تسلم لي إلا عند موته .. وأن جدي ترك لي كنزا في مكان ما من القصر ووثائق خطيرة عليّ الاحتفاظ بها ..

قال بشر : كنز من المجوهرات والوثائق .

ـ نعم ، لا يمكنني بيع القصر حتى أمتلك الكنز ومذكرات وأوراق جدي المخفية .. فترك لي جدي رسائل كان يكتبها على فترات .. وفيها أنه يعلم أنني أبغض القصر ، وسيكون باكورة أعمالي بيع القصر رغم وجود قبري { أقصد قبره} في أرضه .. هكذا ذكر في أحد الرسائل .. ولكنه رخص لي بالخلاص منه إذا وصلت لذلك الكنز .. وأخبر أن لغز الوصول إليه ليس بالصعوبة التي تبدو للوهلة الأولى .. ويدعونني رغم أنني لست بحاجة للمزيد من المال إلى الاهتمام والنشاط للوصول للكنز الخفي .. حقيقة لما قرأت الرسائل تفاجأت .. وقد تعهد له المحامي بعدم دفع الرسائل لي إلا بعد موته .. رحلت للقصر مع بعض الأصدقاء المختصين في البحث عن الكنوز والدفائن وحل الشيفرات ، ومكثنا شهرا في القصر .. ولم نوفق بمعرفة موضع إخفاء الكنز .. ثم عزفت عن البحث .. وانشغلت بموضوع زواجي من سعاد .

٥

بعدما أخبر أديب بشرا شقيق زوجه سعاد فشله في العثور على كنز جده في القصر الصحراوي نهض وفتح خزانة معدنية داخل المكتبة ، وأخرج ظرفا كبيرا أصفر اللون ، وأخرج منه عددا من الرسائل ، ورتبها أمامه على طاولة صغيرة وقال : هذه صور عن رسائل جدي .. كتبها على فترات ، وأودعها مكتب شركة المحامي داود محمد ؛ ليسلمها لي على أثر وفاة الجد كما اتفق مع السيد بسيم .. فلما طلبت منه السعي في بيع القصر ، وإنهاء خدمات موظفين القصرين .. ضحك كثيرا وقال : سبحان الله ! جدك توقع ذلك منك .. فلذلك جعل فيه كنزا حتى لا تبيعه قبل إخراج الكنز .. والأهم أوراق ومذكرات جدك بسيم محمود الجدية .. أصول هذه الرسائل محفوظة في البنك يا سيدي في خزانة خاصة .. هذه صور عنها .. خشية سرقتها من أعداء الجد كما قال المحامي .

فقال بشر باسما : فلذلك جعل الجد كنزا ثمينا حتى لا تبيع قصره الصحراوي قبل استخراج ذاك الكنز المادي والورقي .

ـ والغريب أنه جعل لذريتي حقا فيه ..فإذا عجزت عن معرفة المخبأ .. فعليّ أن أورث الأبناء والأحفاد لهذا الكنز ..لا بيع البتة قبل ذلك يا أبا ناصر .. وإذا بعت قبل معرفة الكنز ؛ فإنه لن يسامحني قائلا في إحدى رسائله إن لديك مالا كثيرا ؛ فإذا لم تستطع الوصول لمذكراتي وأسراري التي أخفيتها مع الكنز فدعه للأحفاد يا ولدي العزيز ..

خذ هذه الرسالة واقرأها ، وقد تناول أديب رسالة من الظرف الذي كان أمامه وقدمها للدكتور بشر عيسى .

فأمسك بها بشر ، وسمع أديب يقول : سأدعك تقرأ الرسائل على الترتيب الزمني .. هذه كتبت بعد مقتل والديّ بحوالي عشرين شهرا ..

فالتفت بشر لشقيقته وقال : أتحبين أن تسمعي يا سعاد .. أم قرأتيها سابقا ؟

قالت : تكرم عليّ أديب بقراءتها .. فهو يعتبرني شريكته في هذه الحياة ، وفي هذا الكنز ..

فسمح لي بقراءتها وقراءة غيرها .. ولو قرأت بصوت مسموع لا حرج يا أخي فتفضل .



بسم الله الرحمن الرحيم

حفيدي الوحيد من الابن الوحيد أديب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

اعلم أن كل شيء بقدر من الله وحده .. والأعمار والموت بيده تعالى .. فموت أسرتك بقدر ، ونجاتي بقدر ، ونجاتك تلك الليلة بقدر .. وأنت ولدت وتعيش في بلد أغلب إن لم يكن كل أهلها مسلمين .. فالاستسلام للقضاء والقدر يهون من المصاب على النفس .. وإننا خلقنا للحياة الأخرى ..

وأنا كنت أتوقع فشل البوليس والأمن في معرفة الجناة ، وحتى لو قبضوا عليهم .. فما هم إلا مجرد أدوات نفذت الجريمة مقابل بعض المال .. فمخطط الجريمة بعيد جدا عن مسرح الحادث يقبع الآن في البرازيل أو كولومبيا أو البيرو ..فأعدائي كثر نتيجة عملي في تجارة السلاح وتهريب السلاح .. فهذا عالم ملتهب ، وبؤر الصراع كثيرة .. وهذا سوق على امتداد العالم .. مصانع تصنع ، وحروب تشتعل .. فمن حروب الشرق الأوسط .. حتى باكستان والهند .. وفيتنام وكمبوديا والكوريتين .. وسيلان وبورما ..حروب أفريقيا الوسطى والغربية إلى أمريكا اللاتينية .. الكل يطلب سلاح .. عن طريق شرعي أو غير شرعي .. المرء يحتار لمن يبيع وممن يشتري .. لأن الوسطاء كثر .. كنت أعمل على عقد الصفقات في البرازيل ، ويكون البيع في زائير .. أو جنوب إفريقيا .. أو الهند .. قدر لي أن أعمل في هذا العمل المؤلم .. فالسلاح يدافع

عن الحق ، والسلاح يقتل فيه الأبرياء والضعفاء .. ولكنها الحرب التي لا ترحم .. شعوب تريد أن تستقل عن الاستعمار والاستعباد .. أحيانا تعقد الصفقة لتكون في فيتنام الشمالية تجدها حطت رحلها في سيلان .. تجارة فيها الصديق ينقلب عدوا والعدو صديقا .. تجد الصفقة عندما تصل لمكان الحرب تقسم بين الخصمين المتقاتلين .. إنها تجارة صعبة فيها الرحمة والقسوة .. عملت في هذا العمل الصعب والمرعب ..تعرضت للاغتيال وللخطف مرات ومرات .. أحيانا كثيرة تجدنا في معركة مع غيرنا من مهربي السلاح .. مع عصابات المخدرات .. لديهم أموال ودولارات .. ويريدون رشاشات لأنفسهم أو لدول يدعمونها .. فكنت يا ولدي كثير التنقل والترحال .. وفقدت الكثير من الأعزاء والأصدقاء خلال تلك السنوات بالقتل والأسر .. كنا في حرب ضروس دامية .. وقد هويت هذه المغامرات منذ شبابي منذ أيام الاستعمار الإنجليزي لبلادنا .. ننام في الصحراء في الجبال في الغابات والكهوف .. ومن الوسائل المفيدة بالنسبة لي التنقل في بلدان العالم وعدم المكث طويلا في بلد حتى لا يفسح المرء لأعدائه الفرصة في اغتياله.. وبلدان أمريكا تجد المدن في كل بلد تتباعد كثيرا عن غيرها .. فيمكن للمرء أن يقضي أشهرا في دولة واحدة لكن في عدة مدن وطبيعة عملي كثرة السفر أيضا ..

أكتب لك هذه الرسالة وأنت لم تبلغ العشرين يا ولدي ..لأنني قد أموت قبل أن تكبر ؛ لتتحمل المسؤولية ، وتدير الثروة الكبيرة التي ستكون لك .. فلنا شركات في بلدان أمريكا مع شركاء ، وكذلك في الهند .. وبعض بلدان آسيا ..وفي إفريقيا ..ولنا عقارات هنا خاصة بنا لا يشاركنا فيها أحد .. وكل هذه الأمور والنشاطات يدير بعضها ويشرف عليها المكتب مكتب المحامي داود محمد .. وكان والده من قبل صديقنا ومحامينا ..وتوفاه الله من عهد قريب .. فكل شيء من أرصدة وحسابات ووكالات هي عندهم معلومة ..

اليوم أخبرك بأني أنشأت القصر الصحراوي لحاجة في نفسي ، أولا لحماية نفسي بدون إرهاق غيري ، وأنت تعرف القصر جيدا ، وأنت لا تحب زيارته .. وأنا أخذت بتصميمه بعد أن استقر الفكر عندي بالبقاء في البلد والإقلال من السفر .. وأنشأت الجزء الأول منه كما تعلم في حياة

والدك .. وها نحن أكملنا الجزء الثاني والأخير .. وكان من أهداف بنائه الحياة بعيدا عنكم حتى لا أسبب لكم المعاناة من أعدائي .. ولكن قضى الوالد وأسرته نحبهم قبل استقراري النهائي في هذه البلاد .. ولحمايتكم كنت لا أمكث بينكم إلا أياما أو ساعات .. وأتنقل في عدد من الشقق الخاصة المجهولة .. أو تسمى البيوت الآمنة ..ولكنهم وصلوا إليّ في بيتكم .. وقدر الله لي ولك النجاة تلك الليلة المشؤومة .. فهم اعتقدوا أن أبات بينكم .. وهؤلاء لا رحمة عندهم واعلم أن لأبيك كما تعلم شقيقة ماتت من سنوات .. وأنا ما زلت أهتم وأنفق على أولادها أو بناتها .. لها ثلاث بنات من زوجها يا أديب .. لا تقصر معهم ، فأمهم قد ماتت ، وتزوج زوجها وأنا أوصيت المحامي على مراعاة شؤونهم .. فتعاون مع داود محمد ..

وأنا لي بنت من امرأة برازيلية هندية كما أخبرت في عدة مناسبات .. وهذه المرأة عمتك .. ولكنها اختفت وهي بنت عشر سنوات .. وكانت تظهر كما أخبرتني مطلقتي الهندية ..ولكن منذ اختفائها لم أرها .. رغم كل جهد بذلته كلما تطأ أقدامي .. ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل القديمة .. فلي مزرعة هناك ..عليها وكلاء من قبلي .. أقول ربما تظهر هذه المرأة أو العمة في يوم ما وتطالبك بمال والدها .. ربما أزعم أنها خطفت لابتزازي .. ولكنهم لما رأوا عدم وجودي الدائم في البرازيل ..تزوج أحدهم منها .. لأن أمها أخبرتني مرة أنها تزوجت شابا منهم .. وأمها لا تعرف هذا الزوج .. وما زال وكلاء المزرعة يقدمون المساعدة للأم وزوجها .. وربما يظهر لك أولاد عمتك الهندية .. فعليك أن لا تصدق شيئا بدون وثائق رسمية غير مزورة .. وأنا وقع في قلبي أن لخاطفي عمتك يد في محاولة قتلي للاستيلاء على ثروتنا في تلك البلاد .. وأنهم حاولوا قتلنا جميعا من أجل ذلك .. ولكن الأيام لم تثبت ذلك .. ولم يتقدم أحد لمحامينا هناك بطلب مال وميراث .. أنا وأثناء البحث عنها في تلك البلاد وقع في نفسي ومن معارفي في الشرطة أنها ربما تكون عملية خطف للابتزاز .. ولم يطلب أحد فدية .. قال البوليس ربما ذهبت برغبتها .. ثم تركوها .. ولكنها لم تعد للحياة مع أمها .. كانت تطل عليها ساعات ثم تعود للاختفاء عليك الانتباه لهذا الخطر .

المشكلة يا أديب أن لنا أعداء لا نعرفهم أحس بهم وأشعر .. فالصديق قد يصير عدوا .. فالخطر عليّ وعليك .. والحافظ هو الله وحده .. لكنني أخذت بالأسباب المادية لحمايتك وحماية نفسي فأنا تهمني حياتك أكثر من حياتي .. لقد أخذت حظي من هذه الدنيا .. فإني أتمنى لك حياة سعيدة ، وأن ترزق بالذرية الصالحة يا ولدي العزيز ..

والقصر اليوم قد أصبح القلعة الحصينة أمام أي غادر .. أمام أي عصابة .. لا يقدر عليه الجيش المسلح .. وهذا بلد آمن وأهله طيبون .

وكل معلومة مهمة تحتاجها تجدها عند وكيلنا داود محمد .. فنحن أصدقاء منذ حياة أبيه ـ رحمه الله ـ وسأكتب لك بين الفينة والأخرى رسالة ..وعند موتي سيدفعها لك المحامي والسلام عليكم

جدك بسيم محمود الجدية

الأربعاء ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤

وضع بشر الرسالة ، وقال بعد صمت عميق : جدك مجهول وغامض يا أديب .. ألم يحدثك شفويا بشيء عن تلك الأيام ؟!

قال أديب وهو يترك كوب الشاي فارغا على منضدة صغيرة : كان يتحدث معي عن بعض حياته ، ولكن لم أكن أركز كثيرا على ما أسمعه من معلومات .. كان مقتل أسرتي ما زال مسيطرا على أفكاري .. وهو فعلا أقام هذا القصر لحمايتي قبل حماية نفسه .. وخف سفره للخارج بعد مصرع ولده يحيى .. فصار يعتمد كثيرا على شركائه ومساعديه .. ويستخدم وسائل الاتصال الرسائل والهاتف والفاكس والبرق .. فلذلك كان في أسفل هذا البناء جزء لمتابعة نشاطات الجد ولتوفر شبكة اتصال جيدة وعالمية في هذه العاصمة .. وكان يستقبل زواره وضيوفه في الفندق أولا ، ثم يلتقيهم في القصر الصحراوي .. الذي جعله قلعة حصينة وزوده بحماية قوية منيعة إذا زرنا القصر ستتعرف على تلك الحماية .. حثني كثيرا على الزواج بعد مقتل أبي ..ولكني رفضت فكرة الزواج المبكر .. وقبل رفضي على مضض .. ولما نجحت في الثانوية العامة ،

ولحقت بكلية الهندسة فرح بذلك .. وتمنى أن يطول به العمر ليراني مهندسا كبيرا .. وأنا في الجامعة كتب لي رسالة خاصة أخرى أودعها عند للمحامي ، وتسلم لي بعد وفاته .. وأمسك أديب برسالة أخرى وقال : هذه الرسالة يتبين من تاريخها يا بشر أنها كتبت في عام ١٩٨٧ .



٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وولدي أديب

امتد بي العمر حتى أراك في الجامعة في كلية الهندسة .. أنا قد خصصتك برسالة قبل سنوات .. كنت أرى أنها الوداع .. وإنها الأعمار بيد الله .. وأنا سعيد بأنك كبرت وأنا حي .. رغبت كثيرا أن أراك زوجا صغيرا لعل الباري يهبك ذرية تقر به العين .. طمعت برؤية الأحفاد ينسلون على الأرض .. ليمتد نسلنا في هذا الكون العظيم .. وله وحده الأمر من قبل ومن بعد .

أنا أعلم أن القصر الذي تسكنه والذي كتبته باسمك كما تعلم لا يمنع المقدور ، وأن المال لا ينقصك ، وأن الاحتياطات لازمة والتي أضفناها للحماية بعد حماية الله تعلم بها ، وتلتزم بها فالحافظ يا ولدي يقينا هو الله تعالى فالله خيرا حافظا وهو أرحم الراحمين وهو القائل في كتابه العظيم خذوا حذركم .

سبق أن حدثتك شفويا عن الابنة التي اختفت في البرازيل أو خطفت ؛ لتكون ورقة مساومة وضغط لتلك العصابات الرهيبة ، ومنذ اختفت لم أرها ، وسعيت سرا وعلنا للالتقاء بها وفشلت ..وأخبرتك أنني نكحت أكثر من امرأة خشية الزنا ، ولم تنجب إلا تلك الهندية .. وعلمت منها أن ابنتنا حية ترزق ؛ ولكنها تعيش مع رجال العصابات .. وأنا أكتب هذه الرسالة اعلم أنها ما زالت على قيد الحياة .. وقد نكحت أحد رجال العصابات ..لم أتلق خطابا بموتها وهدفهم منها استلاب أموالنا في أمريكا اللاتينية.. لأني تلقيت بعض الخطابات القصيرة في هذا الهدف ..ولكن لكثرة الحركة .. لم تجر لقاءات خاصة في هذا الموضوع .. وأنا خمنت ؛ ولست متأكدا أن محاولة قتلنا التي جرت حيث تسكن يا أديب ربها كانت من أجل أن تعلن وفاتي ، وتظهر هذا الأنثى مطالبة بحقها في مالنا .. فاستأجروا قتلة .. وليظهر الحادث ؛ كأن أعدائي وخصومي في تجارة السلاح هم الفاعلون .

وأنا كتبت الكثير من الأفكار ووضعتها في حجرة الكنز ..ولا أطلب منك نشرها .. المهم حافظ

عليها ، ودع نشرها وكشفها للأجيال الآتية بإذن الله تعالى

واعلم يا ولدي أن أجمل لحظات شيخوختي وحياتي عندما أجالسك في القصر .. وأنظر في عينيك وشبابك .. فهذه الدقائق والأيام أحسن أيام عمري بعدما كبرت سني ورق عظمي .. فكل الأمور المالية منظمة عند شركة محامينا داود ، وهو رجل فاضل وابن صديق فاضل .. فابق صديقا له ولعائلته الكبيرة في البلد .. وعمارة مدينة جاد يشرف على إدارتها محام متعاون مع صديقنا داود .. وأنا استثمرتها هناك .. لتوفير المال لموظفي القصر الصحراوي الذين يزيدون عن الثلاثين فردا بقليل ..وبعد موتي .. يمكنك إخلاءهم وإعادتهم بلادهم مع كامل حقوقهم واحتفظ بسكرتيري مايا الهندي فهو صديق قديم ومخلص ، ويعرف الكثير من أسرار العمل والصفقات .. والتي خفت وقلت حقيقة في السنوات الأخيرة .. فالدول لا تتوقف عن شراء السلاح وتجديده والتخلص من قديمه .. وهذا قدرنا ورزقنا أن نعمل بهذه التجارة .. وكثير من شركاتنا المنتشرة في بلدان العالم هي تغطية لتحقيق مثل هذه التجارة .. فلن تجد يا ولدي مشاكل تشغلك عن حياتك العملية والخاصة .. فالمحامي داود يطلع على شؤونها بشكل ممتاز ويساعده مايا على خير وجه .. ولديّ عدد من الشقق المنتشرة في العاصمة .. كانت تتخذ لحاجات أمنية لي ولضيوفي وشركائي .. وتجارة السلاح ليست خارج القانون .. ولكننا نحتاج مرات لمخالفة القوانين .. لصداقة دولة مع دولة .. نبدو أننا خارج القانون لهذه الدولة .. ونفقات قصرك مرتب أمورها ..لا تكترث لشيء عند وفاتي ..

أشرت لك سابقا في رسالة تركتها عند داود عن كنز .. وتركت بين يديه بطاقة كمفتاح لهذا الكنز .. فالكنز موجود في داخل القصر يا أديب ، وهو عبارة عن أوراق مهمة ومذكرات خطيرة خاصة بي وبعلاقاتي المتشعبة في العالم ..وهناك مجوهرات وأحجار كريمة تيسرت في رحلة الحياة وضعتها مع تلك الوثائق في المكان السري في قصرنا العامر في جوف الصحراء ووضعت مراحل وألغازا توصل إليه .. فهي ليست معقدة ؛ لتقول إن جدك يريد أن يحرمك من بيع القصر الذي ستدفن عظامه وبدنه فيه .. في مكان حددته لداود .. وهو في الجزء الثاني من القصر .. في

البستان .. وأيضا ليست تلك الأحاجي سهلة .. فقد قرأت عددا من الكتب المهمة في إخفاء الدفائن والمجوهرات والرموز والإشارات .. فبذلت جهدا متواضعا لفعل ذلك في قصرنا وأنا لا أريد حرمانك من هذه الثروة .. فلقد تركت لك كل المال ..فأنت الوارث الوحيد .. قد تظهر تلك العمة الهندية .. وأنا لم أنس ذريتك يا أديب .. فكثير منها سيكون لهؤلاء الأحفاد الذين أراهم بعين الغيب .

سأخفي الكنز الصحراوي في أسرار وخارطة سرية تعلمتها من تلك الكتب ..فلا تيأس .. فكر حاول ..

فقد طلبت من المحامي ألا يباع القصر قبل إخراج الكنز .. وأنا أمنعك أدبيا من بيعه قبل الوصول لذاك الكنز .. أنا أعلم أنك ستملك القصر بحكم الميراث الشرعي .. لكن ابحث ستصل .. وعندما تصل يحق لك أن تتخلص منه وأنني أسامحك ..

وإذا وصلت بجهدك أو بجهد غيرك .. ووصلت للوثائق لا تحاول نشرها فهي تشكل خطرا كبيرا على حياتك .. لكن عليك بالمحافظة عليها إلى زمن يصلح فيه نشرها للتاريخ .. وذلك دعه لأبنائك الذين أراهم بعين الغيب

أعود لموضوع العمة المجهولة التي لم أعرف بموتها رغم ما بذلت من جهد لرؤيتها وإنقاذها .. وقد يظهر لها أولاد يطالبون بمالهم .. فلا تغتر بما يقدم إليك من أوراق وشهادات عليك أن تتأكد من صدقها وصحتها .. فالاحتيال اليوم يتم على مستويات دولية عالية .. وعند المحامي من الأوراق والمعلومات الكافية لدحض أي افتراء يا أديب .. ولكن الشياطين حيلهم لا تنتهي ويبغون ويطمعون ويفسدون في الأرض .. فيجدون امرأة تزعم أنها ابنتي .. ليأخذوا ثروتي .

ابحث عن الكنز يا أديب قبل بيع القصر .

جدك بسيم محمود الجدية

الجمعة ١٢/ ٦/ ١٩٨٧

٧

كان هنالك رسالة أخرى مطولة كتبها جد أديب لحفيده ومما جاء فيها : أنت أديب فعلا يا أديب أنا سعدت جدا بتخرجك من الجامعة .. وكنت على استعداد لفتح شركة خاصة لك ولكنك رفضت كما تناقشنا في ذلك .. ولليوم لا أعرف سبب رفضك لذلك .. وكذلك رفضك الزواج أنا كنت أتخيل أنك ستلتقي بأنثى خلال دراستك ويحدث الزواج .. أنا حرت في أمرك يا أديب رغم هدوءك وصفاء ذهنك تتهرب من مسؤولية إدارة أملاكنا .. ما الذي في دماغك يا مهندس أديب ؟ الصمت شعار لك ..

أعلمت حضرة المحامي وأكدت له رغبتي بعدم بيع قصر جدك بسيم .. وجعلت فيه كنزا عظيما ليكون حاجزا للعجلة في الخلاص منه ..

أنا لا أخشى عليك القتل بعد وفاتي ، ولا أرى أنك ستحتاج للقصر ؛ ليكون مكانا لك ..وأنا أظن أن أعدائي بسماعهم خبر موتي سيفرحون .. وأنتهي من حياتهم .. مع أنني خففت نشاطي في تجارة الأسلحة ، وتحركاتي قلّت ..لكنهم يترصدون بي شرا ..

فقد التقيت أثناء تجوالي في بقاع الدنيا عصابات وعصابات وأوقعنا بكثير منها في شباك الحكومات الوطنية .. فكثر أعدائي بينهم .. فمنهم من أسر ، ومنهم من قتل .. فعليّ ثارات لهم لا يمكن التساهل فيها ونسيانها .. أعمالنا في الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا وأفريقيا على خير ما يرام كما أطلع على التقارير التي تأتي من شركائي ومن محامينا في بلاد العالم .. فقد صاحبنا رجال العصابات لحاجتنا لتمرير الكثير من الصفقات .. فهناك بين هذه العصابات والمنظمات السرية تصاحبنا وترافقنا .. ثم تعادينا وتخاصمنا ، ولليوم لم أعرف الطرف الذي فجرنا ببيت والدك .. رغم الشكوك التي راودتني نحو بعض الأطراف والعصابات ..

وكذلك ابنتي الهندية لم أعرف مصيرها لليوم ..رغم اختفاؤها من عشرات السنين .. ربما قتلت ولم تسجل الحكومة شهادة موتها .. ربما زالت حية ونسيت أباها وأمها .. لا تفرط يا أديب في كنزنا .. إذا لم تصل إليه فليبق لذريتك .. لعل أحدهم يصبح مثل جده بسيم الجدية تاجرا

جوالا في أنحاء العالم .. المال قوة ..

أتمنى أن تقضي حياتك بسلام وصفاء واستقرار .. وأن توهب الزوجة الطيبة التي تنجب لك الذرية الصالحة .. أنت وديع وهادي يا ولدي .. وذكي ولكنك لست بالذكاء الحاد العبقري ذكاؤك طبيعي ككثير من خلق الله .. ولكن عليك أن تحاول حل الرموز والشيفرات التي وضعتها لتصل .. سوف تصل ..

أنا سمعت رغبتك بالخلاص من القصر الصحراوي ، وتتعجب ممن يعيش بعيدا عن الناس .. فأنا أصحابي الكتب بما فيها من الشعراء والصحفيين والرجال .. هؤلاء أحياء عندي وأستمتع وأنا أقرأ ما كتبوا وعمن كتبوا ..

ووضعت أمانة في عنق المحامي ألا يباع القصر قبل كشف سري وامتلاكك للمجوهرات والوثائق .. ربما يكون من حظ أبنائك يا أديب ..

حاول يا ولدي ولا تظن أنني أسخر منك ، ولم أضع أسرارا وأفكارا لهذا الكنز .. ربما تصل لمرحلة وتقول جدي : يسخر مني .. لا حيلة ولا وسيلة للكنز .. أنا لا أمزح .. الكنز حقيقي يا أديب .. واحذر الدجالين والمحتالين .. ربما تكون هذه آخر رسالة اكتبها في شأن الكنز الخفي سأضع في طريقك مفتاحا مهما .. أشرت إليه في رسائل سابقة .. واعلم أن الكنز في القصر .. في غرفة من غرفه .. والقصر فيه ما يقارب مائة غرفة ما بين حجرة وحمام ومكتبة ومطبخ ومخزن وبئر .. وقاعة .. وخدمي كما تعلم لا يعلمون في أي غرفة أقضي ليلي .. في أي طابق في أي غرفة نوم .. حتى حرس القصر لا يعرفون مكان نومي كل ليلة .. إذا رن الهاتف رن في عدد كثير من غرف نومي فأرد من حيث أكون ..

جدك بسيم الجدية

الأربعاء ٢٩ / ٩/ ١٩٩٣

٨

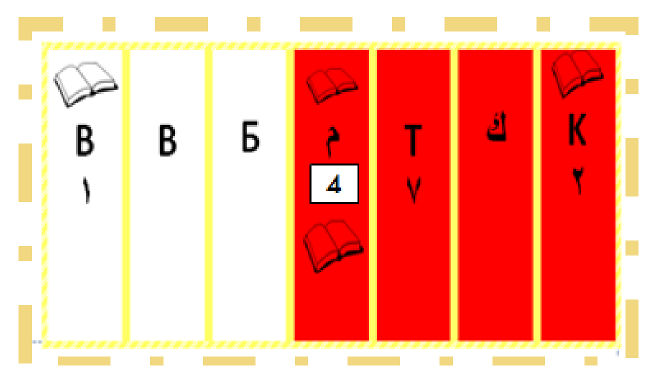
لما قرأ بشر الرسالة الثالثة ووضعها على المائدة الصغيرة قال: أين خريطة الكنز ؟

قال أديب : لا خرائط مع هذه الرسائل .. هناك ثلاث رسائل أخرى لا أهمية لها في البحث عن الكنز وهي في داخل هذا المغلف إذا رغبت بقراءتها فافعل وخذها معك واقرأها في بيتك .. فأنا وسعاد لم نر فيها امرأ يهم قضيتنا .. هي تكرار لما قرأت الآن .

ـ إذن كيف سنبحث عن الكنز ؟ كأنني فهمت أنه ترك شيئا نبدأ منه

ـ هناك بطاقة ..مثل كروت التعريف فيها رموز وحروف وأرقام .. ها هي يا سيدي !

وأظهر بين يديه بطاقة دفعها لبشر .



أمسك بشر بالبطاقة ، ونظر إليها بدقة وفكر ، هي بطاقة كالتي يستخدمها الناس للتعريف على عملهم وعناوينهم ونشاطهم وهواتفهم ، لا شيء على ظهر البطاقة بيضاء مصقولة وعلى وجهها إطار مقطع .. حروف أرقام رمز لكتاب أو كتب .. مقطعة إلى سبعة مستطيلات طولية .. برواز أصفر .. قسم منها باللون الأحمر أربعة مستطيلات ، وثلاثة باللون الأبيض ثلاثة مستطيلات

تأمل المحامي الصحفي الكرت بضع دقائق ثم قال : أنا بالطبع لم أفهم شيئا .. هل فهمتم منها شيئا ؟!

ضحك أديب وسعاد وقال : طبعا لما أعطاني المحامي داود هذه البطاقة ، ولما قرأت الرسائل أخبرته أنني لم أفقه شيئا منها .. فزارني وقرأ رسائل الجد كلها ، ونظر إلى هذه البطاقة بعض الوقت مثلك الآن وقال : هل هذا عنوان ؟ لا يوجد رقم تلفون صندوق بريد.

قال بشر : ولكن كما علمت ذهبت للقصر لفك شيفرة هذه البطاقة .

قال أديب : بعد عجزنا أنا والمحامي عن فهم شيء منها ذهبت بصحبة فريق عرفني عليهم المحامي لفك شيفرة الكرت .. أحدهم ضابط مخابرات متقاعد ، وقد قضى عمرا في صنع الشيفرات وفكها وحلها .. ورجل آخر أستاذ متقاعد ، وله اهتمام بالكنوز والشيفرات وقراءة كتب الأسرار ، ورجل ثالث متقاعد من الشرطة قسم البحث الجنائي ، وله اهتمام ونشاط في مثل هذه الأمور.. جمعهم داود وعرض عليهم المهمة .. وبعد ترتيب سافرنا للقصر الصحراوي ومكث بعضهم أسبوعا ، وبعضهم الشهر ، ولم نصل لشيء مهم ؛ ولكنهم فهموا هذا الكرت بعد تفكير عميق .. فالكرت يعني المكتبة .. انظر إلى هذه الجهة من المكتبة وأشار إلى جهة معينة من المكتبة التي يجلسون فيها .

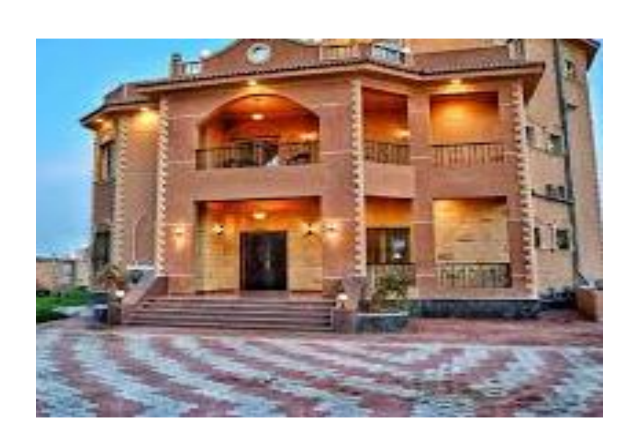
فقال بشر منفعلا : فعلا إن الكرت يشبه هذه الجهة من المكتبة !

ـ في القصر ثلاث مكتبات ، في كل مكتبة واجهة كهذه الواجهة .. كل طابق جعل جدي فيه مكتبة .. فيقول الضابط الكبير إن مكتبات الثاني والثالث صممت من أجل اللغز ، لم تصمم ابتداء .. في الواجهة المقصودة سبع خزائن، أربع باللون الأحمر وثلاث بالأبيض ، وبرواز أصفر أو ذهب أصفر ، وكل خزانة سبعة رفوف ، وكلها مليئة بالكتب ..وتبين لهم أن الحروف الظاهرة على البطاقة هي أول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات منها العربية والإنجليزية والروسية والتركية والفارسية ؛ لكن لماذا هذه اللغات السبع ؟ فالعربية مكتبة فالإنجليزية بوك شوب وهكذا .. عرفنا في هذه الرحلة الكرت ماذا يعني عندما رأينا المكتبة والرموز الحرفية ؟ علمنا ماذا تعني ؟ أما الكتاب في الخانة الأولى والرابعة مرتين والسابعة مرة والأرقام الأربعة ماذا تعني ؟ هل رمز الكتاب هو رسم مساعد أن هذه الحروف تعني كتب ؟ لم نعرف .. بعد فشلنا عدنا ، وبعد حين عاد الرجل الخبير بالأسرار وطلب الذهاب إلى القصر ثانية ، وبعد أسبوع عدنا بخفي حنين كما يقال ، لم نفقه شيئا زيادة على المرة الأولى . فقال ونحن نفترق : عليك بقراءة كل هذه الكتب أو تبحث فيها لعلك تجد ورقة رسالة أخرى .. وأنا ليس لي همة

يا أبا ناصر .. ولا أحب ذلك القصر ، وصرفت النظر عن بيع القصر احتراما لجدي ووصيته .. وترك الأمر كما هو .. حتى تحل الشرطة قضية مقتل الجد .. فأبقى المحامي القصر على ما كان ، ولم يصرف أي موظف قبل إغلاق الملف ، وله ربما سنتان ولم نعرف القاتل ولا الكنز ..فهذه قصة الجد بسيم وكنزه .

فقرر بشر قائلا : لدينا لغزان يا أديب .. لغز جريمة القتل الغريب .. ولغز الكنز المالي والوثائق المهمة والخطيرة

ـ أجل أيها الصديق .



٩

عاد بشر للالتقاء بأديب وزوجته سعاد ، ولما قضوا عشاءهم انتقلوا للجلوس كعادتهم في مكتبة القصر ـ مكتبة الجد بسيم التي كان يجلس فيها كلما حن للحياة مع حفيده الذكر الوحيد الباقي من سلالة بسيم الجدية ـ واستقرت خالة أديب في غرفة الاستقبال حيث التلفزيون والمدفأة التي تستأنس بها رغم أن التدفئة المركزية تشع الدفء في جميع أنحاء القصر

قال بشر بعدما استقر قعودهم على المقاعد الأثيرة والمريحة في جوف المكتبة ، ووضع الرسائل التي أخذها وقرأها في البيت على منضدة صغيرة وعلق : لم تضف شيئا جديدا كما قلت لي .. بعض مشاهد حياته ، والمهم فيها التركيز والتحفيز على البحث عن الكنز قبل بيع القصر .. فهي تكرار لما جاء في الرسائل الثلاث الأول .. والكرت هو مفتاح اللغز الأول للكنز .

ـ هل وجدت شيئا جديدا ؟

ضحك بشر وقال : لست بالمحترف ، ولا حتى الهاوي في مثل ذلك ، فحتى الكلمات المتقاطعة التي يهواها الكثير من قراء الصحف .. لست فهيما في حلها .. ولا حتى السودكو الياباني .. لدي ثقافة فقط يا أديب .. وقتي دائما مشغول .. اسأل سعاد عن ذلك ..

ضحك أديب وقال : لا داعي لسؤال سعاد فأنا أصدقك .. وأنا مثلك لا تستهويني هذه التسليات إلا في الحدود الدنيا .

فقالت سعاد التي لزمت الصمت منذ بدأ شقيقها في الاستماع والاهتمام بموضوع الكنز : بشر لا هواية له إلا الكتابة والقراءة .. قليل من اللعب كان يمارسه في البيت أو في النادي الذي كان يشترك فيه والدنا قبل موته .

دعوا لعيسى الذي أتوا على ذكره بالرحمة ولجميع أموات المسلمين .

وقال بشر : قلت إن الرجال الثلاثة الذين استعنت بهم أنت والمحامي الكبير الدكتور داود محمد فسروا هذا الكرت بأنه واجهة إحدى المكتبات .. ولكنهم وجدوا في القصر ثلاث مكتبات ، كل مكتبة فيها واجهة تشبه البطاقة .. وقضيتم شهرا دون الكشف عن مفتاح وشيء آخر

يبدد الظلام والغموض .

ـ نعم ، الضابط الكبير أحد رجال فك الشيفرات ، هو الذي كشف فكرة الكرت وواجهة المكتبة لما لاحظ واجهات المكتبات الثلاث ربط بين الكرت والواجهات .. ليس كل جدران المكتبة .. جهة واحدة فقط . فقال الكرت يدلنا على الواجهة التي علينا الاهتمام بها ووجدنا كل واجهة سبع خزائن ، وكل خزانة سبعة أرفف .. وكلها مليئة بالكتب ، وقسم أحمر وقسم أبيض . فقال الرجل: صممت هذه الخزائن من أجل لغز جدك بسيم يا أديب وكان واضحا أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضفن من أجل لغز الكنز .. لأن المكتبة في الطابق الأول مصممة مكتبة ابتداء ..لأن خزائنها صممت في الجدران أثناء البناء .. إنما وضع لها الخشب والديكور وإطارات للزينة والديكور .. وحولت جهة منها فيما بعد ؛ لتكون سبع خزائن ، وكل خزانة بسبعة أرفف ..كان واضحا أن التعديل كان من أجل البطاقة واللغز .

وعرفنا أيضا أن الحروف السبعة تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة بلغات سبع .. بماذا نفسر ذلك؟ ربما كما قال أحدهم للتأكيد أن بحثنا يجب أن ينصب في المكتبات فقط .. وبحثوا أيضا عن مكان يصلح لإخفاء الكنز ، فلم يجدوا مكانا لإخفاء المجوهرات .

ـ عدد الكتب كثير في مكتبات القصر .

ـ حوالي مائة ألف كتاب ومجلة .. وجدي له قدرة على التعامل بثلاث لغات يا بشر سوى العربية تعلم نصف الإنجليزية أيام انتداب بريطانيا على بلاد الشام وبعض الفرنسية .. وتعلم البرتغالية في أثناء وجوده في أول هجرته للبرازيل .. وبعض الإسبانية .. ثم الهندية لما نقل بعض نشاطه إلى الهند .. فلذلك تجد في مكتبته ، وحتى هذه التي نجلس فيها كتبا ومجلات من تلك البلاد ، وبتلك اللغات .. ومرات لا يحتاج من العاملين معه للترجمة .. المهم فسروا الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بتلك اللغات من قارات مختلفة .. فهلا وجدت شيئا تفسيرا آخر ؟

ضحك بشر وقال : يا صديقي يا أديب .. أنا لم أفكر بحل آخر ..ولن أستطيع أن أفكر به .. لست من هواة فك الشيفرات والرموز والكنوز .. فخالي محمد محسن لما سمع بعض الكلام من

شقيقاتي حول الكنز ورسائل جدك .. طلب مني الاهتمام بالموضوع والاستماع إليك .. لنعمل على معرفة مكان إخفاء الكنز .. الأرقام لم يعرف أولئك الخبراء عنها شيئا ..

ـ لأ ، لم نفهم منها شيئا رغم مكثنا الوقت الكافي والممل هناك ، وإن قال أحدهم ربما تعني كتابا في رف .. الرفوف كثيرة وممتلئة بالكتب .. أي رف في أي خزانة ؟ هناك إحدى وعشرون خزانة كل خزانة فيها سبعة رفوف .. قاموا في البحث في بعض الرفوف بدون جدوى .. لأنه غير واضح لنا عن ماذا نبحث ؟.. رسالة .. شيفرة .. كتاب بأي لغة .. يصاب المرء وهو يطلع في الكتب بالإحباط واليأس .. فقال أحدهم : لابد من التنقل في المراحل تلو البعض.. مرحلة تتبع مرحلة .. فنحن لم نعرف المرحلة التي بعد الكرت .. وهل الكرت صمم لمرحلة واحدة أو لأكثر ؟ .. وبعد عودتنا طلب أحدهم الزيارة مرة أخرى فذهبنا ولم نجد شيئا جديدا إلا مزيدا من الإحباط يا بشر .. فقال لي أسرار جدك في المكتبة ؛ ولذلك صمم في كل طابق مكتبة ، ومكتبة الطابق الأول أعظمهن وأكبرهن .. هل لدى خالك الفاضل خطة معينة نعمل عليها ؟

قال بشر وهو يرشف ما تبقى من شاي في كوبه : قال خالي لابد من زيارة القصر ومعرفة أسراره لحل هذا اللغز .. والقصر كما أخبرتنا بني على مرحلتين مرحلة في حياة والدك ومرحلة بعد الغدر به .

ـ أجل يا سيدي كنت طفلا عندما بدأ الإنشاء الأول .. وكمل بعد الحادث بسنتين .. انتهى في عام ٨٤ كنت في الصف النهائي من الدراسة الثانوية.

ـ آ يا سعاد هل عندك شيء ؟

تبسمت سعاد وقالت : سمعت كل كلامكم من اليوم الأول ، وقرأت رسائل الجد قبلك ومعك وبحماس وشوق ؛ ولكن أديبا يقول لا تتعبي فكرك حتى تضعي مولودك ، فجدي لا يريد بيع القصر ؛ فلذلك وضع هذا اللغز ، ولن يكون حله سهلا .

فضحك بشر وقال : المهم أن هناك حلا .

فقال أديب باسما : أكيد ما دام قد وضع هذا الكرت ، وهذه الرسائل بين يدي .

بعد صمت قصير عاد بشر يقول : أريد أن تعطيني عناوين الرجال الثلاثة ؛ لأقابلهم وأستمع إلى وجهات نظرهم في لغز الكنز الخفي لغز جدك بسيم

ـ حالا .. وعليك بلقاء المحامي داود محمد .

ـ شكرا ، وسأفعل بعد لقاء أولئك الرجال .. وقبل مغادرتي اسمح لي بسؤالك سؤالا خاصا ـ فأشار له برأسه أن نعم ـ لماذا لم تتزوج في حياة جدك بسيم رغم لهفته الشديدة لذلك كما يبدو في هذه الرسائل ؟!

ـ بصراحة كنت مرعوبا من ذلك الحادث المرعب يا بشر .. كنت غير راغب بربط امرأة في حياتي ذلك الوقت ..وكنت متوقعا لانفجار آخر .. كنت قلقا وما زلت قلقا .. وكان لقائي بشقيقتك الفاضلة على غير ميعاد محفزا لي على الزواج ..القصر حقيقة محصن .. والسيارة الخاصة بي محصنة والأعمار بيد الله عزّ وجل .. التوترات .. كان الجو يزعجني يا بشر .. ولكن بموت جدي ـ رحمه الله ـ خفت حدة هذه التوترات .. ولم يحدث شيء مثير بعد مقتله وعدم معرفة القاتل ما زال يؤرقني .. ولكن لابد للحياة أن تمضي .. وكما قلت قبل لحظات التقائي بالسيدة العزيزة سعاد شجعني على الإقدام على الزواج فأرسلت خالتي إليكم .. وكانت الفاضلة قد مهدت لها الطريق .. وكان قدر الله قدرا مقدورا .

نهض بشر مصافحا لسعاد وقال : حفظك الله يا أديب .. أنت إنسان فعلا كما يقال اسم على مسمى .. هادئ ووديع .. أو كما يقول جدك حمل وديع ولا تحب المشاكل ولكن العبء الذي حملك إياه جدك كبير ؛ بل يريد تحميل أبنائك جزءا منه وحادثة مقتل جدك ما آخر أخبارها ؟

ـ التحقيق أغلق حتى تظهر أدلة جديدة .. كيف ستظهر ؟! لست أدري .. هناك جريمة .. هناك اتصال الضحية بالطبيب .. الذي وصل إليه فوجده مضروبا بالرصاص .. جريمة وقاتل ورصاصة من رصاص القصر .. ولم توجد طلقة مفقودة لدى الحراس الخمسة .

قال بشر : أنت اليوم مطمئن على حياتك من الغدر والعدو الغامض !

ـ أنا ما زلت أعيش كما كنت أعيش أيام جدي لكن بحذر أقل .. لليوم لم أعرف قتلة أسرتي

قديما .. وكذلك جدي .. لماذا صرع هؤلاء وهذا ؟! هل القتل للانتقام فقط ؟ لم يحصل سطو لم يطلب أحد مالا .. لم تظهر عمتي البرازيلية ولا نعرف بحياتها وموتها .. هل لها أولاد كما يعتقد الجد ؟ .. رغم ما أعرفه عن جدي .. فحياته مليئة بالغموض والأسرار .. والحق لا يهمني معرفة هذا الغموض وهذه الأسرار .. لأن الرجل قضى جل شبابه متنقلا بين مناطق الحروب والقتال ولكن لو علمت لم قتل فذاك مقبول ومريح للنفس .

أعاد بشر مصافحة سعاد وأديبا وهما يقفون أمام البيت يودعونه فقال : رحمه الله .. رتب لي لقاء مع المحامي يا أديب .

ـ سأفعل .

قالت سعاد بعد قفلهم الباب : لن يهدأ لبشر بال حتى يحل لغز الكنز .

ابتسم أديب : أتظنين ذلك يا سيدتي الكريمة ؟! إنك متفائلة جدا .

ـ هو الآن يعتبرها قضية صحفية .. وهذا طبع أخي إذا اهتم بقضية ما .. ولا تنسى أن خالي في الموضوع .

ـ لعل الله يوفقنا هذه المرة .

ولما انطلق بشر بسيارته قال : بعون الله سنحل لغز الكنز ، ولغز جريمة القتل ما دام القاتل محبوسا في القصر لليوم !



١٠

أخذ بشر أرقام هواتف الرجال الثلاثة الذين استعان بهم أديب للمساعدة في كشف مكان الكنز الصحراوي ، فلما اتصل بهم معرفا بنفسه ، فوجد أنهم يعرفونه ويقرأون الكثير من مقالاته في الصحف والمجلات المحلية ، ويعرفون خاله محمد محسن ، وقد شاهدوه في بعض محطات التلفزة معلقا مناظرا ، فالدكتور بشر رجل معروف في الوسط الإعلامي ، وهو قد درس القانون ، ثم الصحافة ، وحصل على شهادة دكتوراه في الإعلام .

فزار أول الثلاثة اللواء المتقاعد من الأجهزة الأمنية منسي عودة ، فاستقبله الضابط الكهل ، ورحب به بكل محبة ، وقال وهما يجلسان في غرفة الضيوف في بيته الواسع : أنا سعيد باللقاء بك يا دكتور بشر .. وعجبت من حديثك حول الكنز الصحراوي واهتمامك بالموضوع ؟!

ـ أنا لي اهتمام به منذ عهد قريب يا سيدي .. فالسيد أديب منذ شهور تزوج شقيقتي الصغرى المهندسة سعاد .. وتزوجها بعد وفاة جده .. ووصل الكلام حول الكنز لي ولخالي محمد محسن فطلب مني خالي الاهتمام بقضية مقتل السيد بسيم الجدية وكنزه الصحراوي .. وقابلت المهندس أديبا ، وقرأت الرسائل الخاصة بموضوع الكنز ، ورأيت الكرت المفتاح ، وسمعت منه عن جهودكم الجبارة ..

دخل الشاي إلى الغرفة فسكب الضابط الأكواب وقال : يا أهلا بك يا ولدي العزيز !

فشكره بشر ، ورشف رشفات متتابعات من كوبه ، ثم عاد يقول : وصلت لي أخبار الكنز كما قلت ، وتحدثت مع أديب .. فالرجل الميت تعلم من خلال قراءة رسائله لحفيده أديب مليء بالغموض والأسرار ..والسيد أديب تأثر جدا بحادث مقتل أبيه وأمه في ذلك الانفجار المرعب وصدم ونأ بنفسه عن مغامرات جده .. فلما لمس الجد من الحفيد الذكر الباقي له من صلبه تهربه من الزواج ، وتحمل المسؤوليات الكبيرة لإدارة الثروة التي يملكها ذكر له القليل من المعلومات حتى يحافظ على نفسه ويحذر .

ـ كلامك في محله يا أستاذ بشر .. فالمهندس من الواضح أنه قليل الاهتمام بحياة جده كما تقول

والجد أنا أعرفه أثناء عملي في المخابرات .. فهو رجل قوي وشجاع ومغامر ، وله أصدقاء على مستوى رؤساء دول .. فهو تاجر أسلحة كبير .. وتنقل في مشارق الأرض ومغاربها .. وهو قد استقر هنا رغم صغر بلادنا سكانا وأرضا ؛ لأنه وجد الأمان هنا أكثر من تلك البلاد .. هنا العصابات الدولية المنظمة ضعيفة ..رغم أجهزة الأمن القوية عندهم ؛ لكن البلاد والسكان أكثر فيسهل الإجرام المنظم .. وله هنا عدد كثير من الأقارب من أبناء العم والخال ..وهو مغامر جيد .. وهو رجل يراعي القانون، ويعمل في حدود القوانين المحلية والدولية .. لكن لا تخلو مغامراتهم وتجاراتهم من صفقات مريبة ؛ لكنها تقولب بشكل قانوني مثلا يمنع تصدير السلاح والذخيرة لبلد معين .. هم يلتزمون بهذا القانون ظاهرا .. فعن طريق طرف ثالث يبيعون السلاح .. وهذا الطرف الثالث يظهر أنه محايد .. فيأخذ السلاح ، ثم يهربه للممنوع بيعه له .. وربما في مثل هذه الصفقات تتضاعف أموالهم .. إنها تجارة كما يقولون ولو أنك التزمت الحظر فغيرك سيظهر ويبرز ليسد الفراغ .. تجارة ذكية ومعقدة .. والحروب لا تعرف القانون إلا شكلا .. فكيف إذا كانت الحرب أهلية ؟ .. فلا قانون دولي يحكمها .. وهذه الحروب توفر لهم سوقا كبيرة .. فيجد التاجر منهم أنه يبيع للفريقين بعلم أو لا يعلم ..ومجال الصفقات السرية متاح .. وهؤلاء التجار إذا علمت أسماؤهم أصبحوا في خطر شديد .. فهم أعداء للطرفين .. مع أن همهم هو المال فقط ..لا يهمهم من انتصر ومن انهزم ..وهذا يا أستاذ بشر لا ينكره السيد بسيم ..وهو كان خائفا على أديب خوفا واضحا للعيان في رسائله ..وأن الخطر محيط بهم .. وحماه بماله بإنشاء القصر المحصن وأجهزة الحماية .. والسيارة المصفحة ، وبعض الحرس ..لأنه لا يستطيع حبسه .. بل كانت الدولة تحمي الرجلين بنوع من الحماية الخفية ..لا تكاد ليلة تمضي إلا وتقف سيارات النجدة قرب القصر بدون أن يشعر أديب وغيره بذلك ، وربما ما زالت المنطقة من وظائف رجال البوليس .. فالسيد بسيم قدم لها الكثير من الخدمات السرية والخفية من أهمها صفقات سلاح جيدة بأثمان بخسة ..فحمايتنا سرية للغاية وأنا نفسي التقيت به عدة مرات بحكم الوظيفة .. أما هو لم يطلب منا لشخصه أي حماية حسب معلوماتي

؛ لأنه ذكي الفكر وكثير التنقل ..وعندما تطلع على حماية القصر الصحراوي سوف تقر بفطنته وذكائه .. ومع ذلك صرع في قصره ، ولليوم لم يحدد شخص القاتل ممن يرقدون في ذلك القصر

ـ فعلا ، رجل كان يتوقع أن يصرع في شارع عام في سيارة في تفجير .. قتل برصاصة واحدة فقط !

قال منسي : فعلا غريب هذا ؛ لكنه الأجل !..أنا لما تعرفت على المهندس أديب بواسطة المحامي داود محمد .. وقرأت الرسائل التي كتبها السيد بسيم لحفيده للكشف عن الكنز ، وتلك المذكرات التي أثارت شهية رجال الأمن عندنا أكثر من الذهب اطلعت على محاضر التحقيق والطب الشرعي وملف التحقيق الجنائي .. وجدت أن مقتله غامض .. ورغم مرور أكثر من سنة على معرفتي بالسيد المهندس ، وعلى تدخلي في تلك القصة ؛ فإنها ما زالت تؤرقني وتشغل فكري كثيرا ؛ ولكنني لم أصل لشيء يا سيدي الصحفي .. والرجل الميت كما تعلم له شركات في أمريكا اللاتينية .. وهو شريك مهم طبعا .

ـ أعلم بالعموم عنها .. وهي ما زالت تدر على حفيده المال .. وأعلم أن أرصدته هنا أسهم في شركات كبرى وأرصدة حسابية ، ومجموعة من العقارات في العاصمة ومدن أخرى كجاد أقرب مدينة على القصر الصحراوي .. لم ينشئ السيد أي شركة تجارية هنا .. مع أني سمعت أختي سعاد زوج المهندس تتحدث أن السيد بسيما كان يهم ببناء فندق سياحي ..

قال منسي : ربما رأى وجود شركة خاصة أنه يعرضه للخطر ..أو لأنه ليس له ذرية تهتم بهذه المشاريع .. وله أرصدة في ألمانيا والنمسا ..هو رجل مليونير إن لم يكن ملياردير .. الذي فهمته من المحامي لصهرك أنهم لا يعرفون كل ما يملك .. لم يحصر بعد ..

قال بشر : إذن في قضية مقتله لم تصل الشرطة لشيء يوصل للجاني ..

ـ المنفذ أحد الناس في القصر ..هذا يؤكده التحقيق لكن من هو ؟ لم تتوفر أدلة واعترافات من جميع ساكني القصر .. والعقل المدبر خارج القصر .. فحسب التقارير والتحقيقات لم تصل الشرطة لشيء .. فكيف قتل ؟!..أسوار القصر عالية للغاية ومكهربة من أعلى وعليها أجهزة

إنذار .. وغرف النوم المخصصة للرجل كثيرة في القصر .. وحتى خادم الغرفة لا يعرف أين ينام السيد تلك الليلة ؟ .. فعندما يحتاجه السيد للمجيء إلى غرفته يستخدم جهاز خاص بينهما .. فيهرع الرجل إليه .. هو في الغالب ينام في الطابق الثاني والثالث .. لأن أكثر عمال القصر يسكنون في الطابق الأول .. وفي ساعة من الليل تنعزل الطوابق عن بعضها يصبح الجميع كأنهم في سجن أو أقفاص مغلقة .. أنا اطلعت على نظام الحماية المعقد هناك .. فكيف وصل الجناة إلى غرفة النوم تلك الليلة ؟.. لن يعرف حتى يعترف الجاني .. فكل غرف نوم السيد في ذاك القصر لها هاتف واحد ..فيستطيع أن يرد دون أن تعرف الغرفة التي تكلم منها إذا رن الجرس يرن في كل الحجرات .. رغم دقة التحصين وصل إليه الجناة ونالوا منه .. القصر فيه يا أستاذ بشر ما يقارب الثلاثين نفرا .. يقومون بأعمال مختلفة .. وهم من جنسيات مختلفة .. فتآمرهم ليس سهلا فهم من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .. ولا يتكلمون العربية ، لا يتكلمها بطلاقة سوى سكرتيره الخاص مايا .. وليلة الجريمة كان في الهند ، وجاء بعد مقتل السيد على تلفون من زوجته رامان الهندية ..وكان كما قال لي أحد الضباط غاضبا ومعتبرا أن غيابه سبب مقتل السيد وأن القاتل استغل فرصة إجازته وسفره العاجل والضروري .. فالشرطة بذلت جهدها ، وإن توقفوا عن التحقيق فما زالت القضية تحت الاهتمام .. وانتظار تطور ما يحرك القضية .

ـ والكنز ؟!

ـ والكنز ـ يا دكتور بشر كما تعلم من الرسائل ـ وضع كحجر عثرة في طريق بيع القصر فور موته .. وكان لدى الجد بسيم أمل أن يولد لحفيده ذرية تهتم بآثار السيد بسيم .. فهو قد مات وقد ترك حفيده الذكر أعزب ..فالرجل يطمع أن يولد من سلالته ابن شجاعا مغامرا كجده بسيم .. وهذا في علم الغيب .. وأن يتوارث كثير من الأبناء مهنة الآباء .. أو قل بعضهم .

قال بشر مؤكدا المعنى : هذا لمسته فعلا في رسائله ، ومن همساته للمحامي كما نقل لي بعضها أديب ، وقد التقيت بالمحامي داود محمد ، ولكن لقاؤنا لم يمتد بسبب ضغط العمل لديهم ، وقررت أن أخصه بزيارة كهذه في بيته لأسمع منه .

عاد منسي يقول : الكنز!.. قرأت مثلك رسائل السيد بسيم التي كتبها على فترات متباعدة .. وفي الرسالة الثالثة الأمر كان واضحا بأن الكنز خبئ من زمن طويل .. أو بدئ بإخفاء الجواهر والوثائق مع إنشاء القسم الأول من القصر والبناء .. قبل أن تسيطر فكرة اللغز على فكر السيد وربما أضيف إليه أشياء أخرى فيما بعد .. لا نعرف ، وحاولنا الحديث مع الخدم في القصر ؛ لكنهم أجانب لا يفهمون اللغة العربية ، ومجموعاتهم أقارب لبعض .. زوج وزوجته .. وزوج وزوجته .. فهم لا علم لهم بوجود كنز ، ولجهلنا بلغتهم لا نثق بكلامهم وصدقهم .. فبعضهم له سنوات طويلة في القصر منذ أسس ..وكلهم متزوجون .. ما عدا ابنة عامل الغسيل والكوي فهي حديثة العمل معهم .. كانت متورطة في تعاطي المخدرات رغم تخرجها من الجامعة .. ووافق السيد على إلحاقها بالعمل أمام دموع والديها .. بل ادخلها مركز معالجة الإدمان حين أتت من أمريكا اللاتينية ..وحتى سكرتيره الهندي تعجب من حديثنا عن الكنز .. فلم يجر بينهما حديث حوله .. فلم نعرف منهم شيئا يساعد في الوصول للكنز .. والشرطة لم تعرف منهم شيئا يساعد في فهم الجريمة .. الكل كان متفاجأ من الجريمة ..ومعنى ذلك أن خدمتهم انتهت في القصر ..أطباء القصر فقط من العرب .. وبعضهم يأتي من العاصمة ، وبعضهم من المستشفى الصحراوي في جاد .. أو ممن عملوا فيه ، وفتحوا عيادات بعد تركهم للمستشفى .. والطريق بين القصر ومدينة جاد مائة كيلو متر تقريبا تحتاج لساعة وبعض الساعة .. لأنها طريق ترابية .. ومن هنا المسافة تزيد على مائتي كيلو متر .. فالقصر يشكل واحة في قلب تلك الصحراء .. ولولا الفلوس الكثيرة ما استطاع الرجل بناءه .. فكان بين اتصال بسيم المختنق كما بدا للطبيب وفهمه بعد مصرعه ، والوصول للقصر يحتاج لزمن يزيد عن الساعة والنصف .. والطبيب يعرف المكان والطريق .. فالسيد بسيم له عمارة ؛ كأنها سبع طوابق في مركز مدينة جاد ، يؤجرها له محامي متعاقد معه ، وهو رجل قانون متقاعد من القضاء يبلغ الستين سنة .. لما تقاعد من عمله في المدينة هذه كقاضي عاد لبلدته جاد ، وفتح مكتبا مع شريك له .. وصل الطبيب للقصر ومعه شرطي وشخص آخر ؛ كأنه طبيب ..استقبلهم حارس البوابة بدهشة ، فهم لم يبلغوا عن

قدوم زائرين كالعادة والنظام المتبع ..اتصل الحارس بالداخل ففتحوا البوابة الإلكترونية من غرفة السيطرة .. ودخلت سيارة الطبيب المعروفة للحراس ، وأصبحت بين السورين الخارجي والداخلي .. لابد من زيارة للقصر لتتعرف عليه يا سيد بشر .. لتعرف حل لغز الكنز ومقتل الرجل .

ـ سأفعل إن شاء الله .

ـ تحدث الطبيب مع خادم غرفة السيد بسيم .. فأخبر الخادم الطبيب أن الرجل صلى المغرب ، وتناول طعامه في المكتبة في الطابق الأول ، ثم وجد ميتا في الطابق الثالث .. وأما المكتبة فهي مكتبة عظيمة بالنسبة لقصر وبيت خاص ؛ كأنها مكتبة عدة جامعات .. وكثرة الكتب فيها ؛ لأنها بأكثر من لغة .. وله في كل طابق مكتبة كما في قصر أديب واحدة أيضا .. تزيد الكتب عن مائة ألف كتاب كما فهمت من السكرتير الهندي مايا .. وفيها كتب بعدة لغات كما قلت قبل لحظات .. فالرجل يقرأ ويكتب بلغات مختلفة .. والرجل قارئ كبير .. ولكني لا أعتقد أنه قرأ كل ما ملك من كتب .. المكتبة الرئيسية في الطابق الذي تناول فيه عشاءه الأخير ـ رحمه الله ـ فالمكتبات في الثاني والثالث أضيفت من أجل لغز الكنز يا بشر .. لم تصمم مكتبات أثناء الإنشاء والبناء .. ففي الطابق مخازن تابعة للمكتبة .. وصممت في كل مكتبة واجهة بسبع خزائن وسبعة رفوف .. لتكون على شكل واجهة الكرت المفتاح الأول في لغز الكنز .. فلما شاهدت تلك الواجهات أدركت أن الكرت أو البطاقة هو إشارة لهذه الخزائن .. ثم فسرنا أنا والزميلان الآخران الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات .. منها العربية كحرف الميم .. بوك شوب الباء الحرف الأول من مكتبة باللغة الإنجليزية .. وكذلك سائر الحروف منها الروسية التركية الفارسية .. لكن لم نفقه ماذا يريد من إدخال هذه اللغات ؟! إلا إذا أراد التأكيد على أن الحل في المكتبة .. أي أن البحث في المكتبة أو المكتبات.. أو التشويش على الذي يفكر في حل اللغز .. لأننا كما عملت في قسم الشفرة .. نستخدم مرات حروفا وأرقاما للتضليل لا يهتم بها الذي يريد حل الشفرة .. إنها لتضليل العدو إذا لقط هذه الشفرة ..فربما استخدم

بسيم هذه الفكرة للتشويش والإعاقة فقط .. تأملت المكتبات بشكل جيد ودقيق لعلي اكتشف إشارة منهنّ .. المكتبة في الطابق الأول هي الكبرى .. ومصممة مكتبة ؛ لأن الخزائن من نفس جدران البناء والتصميم .. ثم وضعت الإطارات الخشبية والرفوف الجميلة لها .. ثم حولت جهة منها لتناسب البطاقة عند وضع اللغز فأزيلت بعض الخزائن لتبقى سبع منها فقط أربع حمراء الإطارات وثلاث بيضاء .. والأطراف فارغة إلا من بعض الموائد وأجهزة الحاسوب والطابعات .. وفي الطابق الثاني حولت حجرة لمكتبة صغيرة بواجهتين ، وضعت لهما خزائن خشبية ثمينة من أجود أنواع الخشب والألمنيوم ..إحداهما تشبه البطاقة بسبع خزائن وسبعة رفوف.. والمقابلة ست خزائن وبينهما موائد للقراءة والغرفة مفتوحة من الجهتين بأبواب زجاجية .. وخالية تلك الجهات من رفوف الكتب .. في الحجرة لوحات فنية معلقة فوق الخزائن وهي مناظر طبيعية .. أشجار وبحار .. وغابات .. ومكتبة الطابق الثالث مثل مكتبة الطابق الثاني شكلا وديكورا وهندسة .. وأنا اعتقد أنهما صممتا هاتين المكتبتين من أجل اللغز والكنز .. وهذا ما أكده مايا الهندي .. فهو يعمل في القصر منذ بداية إنشائه ..أو بالضبط كما قال لي عندما انتهى القسم الأول منه .. وهو قد شيد على مراحل المرحلة الأولى كانت الحفر عن الماء .. وتم اكتشاف الآبار ثم وضع خزانات ضخمة للماء والبدء بالبستان .. الذي خلف القصر .. ثم عملت المخازن الأرضية .. والقاعة الجميلة قاعة الطيور .. أو النسور .. وصمم الطابق الأول وبني .. وبعد وفاة ابنه يحيى أضيف سور آخر بعلو طابق ونصف .. والطابق الثاني والثالث .. والرسائل تدل على أنه وضع الكنز قديما منذ عام ٨٤ .. فكرت في الألوان الحمراء والبيضاء ، فلم ألهم شيئا نحوها .. ولكن لما شاهدنا الكرت والخزائن في الطوابق أدركنا أن الكنز له علاقة بالمكتبات .. ولما فهمنا الحروف تأكد لنا هذا المعنى .. ولكن بعد ذلك عجزنا عن فهم شيء إضافي .. أما الأرقام الموجودة على الكرت فلم أفهمها .. ربما تكون رقم رف ؛ ولكن في أي خزانة .. حاولنا تنفيذ ذلك الفهم فلم نعرف عن ماذا نبحث ؟ وبعد مكث أسابيع اعتذرنا للسيد المهندس وعبرنا عن فشلنا .. أعدت قراءة الرسالة الثالثة فلم يضف فيها شيئا

جديدا ، ولم يضف شيئا بعد ٨٧ و ٨٩ وربما أضاف مجوهرات ووثائق أخرى ؛ ولكن العجيب في الأمر أن السكرتير وأهل القصر لم يلحظوا شيئا مما نتحدث به وعنه .. وهذا يدل على حرص وذكاء الرجل

فقال بشر : أشكرك يا سيدي اللواء على تعاونك معي ، وعلى هذه المعلومات القيمة ، وعلى الوقت الذي منحته لي .. وعندما اجتمع بزملائك في البحث عن كنز الجد بسيم ؛ ربما نشكل فريق عمل جديد لنحاول مرة أخرى .. ونناقش الأفكار المناسبة لحل هذه الألغاز .

ـ على الرحب والسعة يا ولدي الغالي! .. المتقاعد من الخدمة يسر ويسعد عندما يجد شيئا يشتغل به كهذا اللغز .



١١

استقبل شاهر المدرس المتقاعد الصحفي بشر عيسى بصدر رحب ، ولما عرف أسباب اهتمامه بكنز القصر الصحراوي قال باسما : يا مرحبا بك يا دكتور بشر .. فالمهندس أديب هو أديب حقا ، ونعم الصهر لكم .. حياك الله وبياك في بيت أخيك الأكبر .

ـ أشكرك يا سيدي .. أنت تعرفت على أديب عن طريق المحامي داود محمد ؟

ـ نعم ، استعان بي الرجل مرة في قضية من قضايا مكتبه ..وعرف هوايتي في قراءة الشيفرات والألغاز ، وأنني أملك أرشيفا جيدا في البحث عن الدفائن والكنوز والقبور والسفن الغارقة فطلب مني المشاركة في كشف أسرار هذا الكنز .. ولكن القراءة والبحث الحقيقي لا يستويان ولكن القراءة قد تساعد إلى حد ما

ـ أكيد ؛ لأن السيد بسيما جاءته هذه الأفكار من قراءة مثل هذه الكتب التي اطلعت عليها وقرأتها .

ـ أحسنت ! ولكننا لم نفك أسرار الخريطة التي رسمها للوصول للكنز حتى أنني شككت أنها لعبة أو حيلة ؛ ليمنع نهائيا بأسلوب ناعم بيع القصر.. ويظل الرجل يفكر في الكنز والوثائق وبعد نظر وتأمل رفضت هذه الفكرة ، فرجل خبير عاقل كبسيم لا يعقل أن يلبس ويسخر من حفيده ..

ـ ربما يطمع الرجل بولادة أحد من أحفاده يهتم بتراثه وأسراره والسير على دربه في المدى البعيد

ـ فكرة ! وهذا للتاريخ

ـ حسن يا سيدي !.. هل فكرت أو كونت فكرة عن مصرع الرجل في قصره ؟!

فقال شاهر : تحدثنا مع اللواء منسي ، وحدثنا عن استنجاده بطبيب البلدة القريبة من القصر بعد صلاة المغرب .. والحقيقة رغم حبي لقراءة قصص الجريمة والحوادث العالمية والمحلية .. لم أفكر كثيرا بالجريمة ، وقد عجزت الشرطة عن تحديد شخص الجاني رغم إقرارهم أن الجاني أحد الموجودين في القصر لاستحالة دخول غريب القصر كما يقولون .. فأنا يا سيدي اشتغل

ذهني في الوصول إلى الكنز أكثر من الجريمة .. فتشت في الغرف والحمامات والمطابخ والبستان وخارج الأسوار ، بحثت عن نفق سرداب فلم أصل لمكان إخفاء الكنز .. سررنا بكشف اللواء لواجهة من واجهات المكتبة المطابقة للبطاقة .. ولكن لم نتجاوز تحديد مكان اللغز أنه المكتبة .. الحروف السبعة أكدت لنا أن العمل في المكتبة ؛ لكن أين بالضبط وكيف ؟!.. هل للخزائن السبع دلائل ما ؟.. هل للخزانة الواحدة المكونة من سبعة أرفف دلائل معينة؟ .. هل للون الأحمر والأبيض دلالة ما ؟ .. عجزنا عن فهم شيء آخر يا صديقنا الفاضل .. جمعنا الحروف لنخرج منها بكلمة بإشارة .. فكرنا شهرا .. فلم نجد إلا أن تلك الحروف الحرف الأول من كلمة مكتبة بعدة لغات .. لماذا هذه اللغات ؟! لم نرسُ على بر .. الأرقام لم نفقه منها شيئا إلا إنها لمرحلة أخرى .. لم نصل لتلك المرحلة ..

قال بشر : ولكن الكرت دل على الواجهة التي يجب أن يهتم بها ، فتشابهه مع واجهات المكتبات الثلاث يؤكد أن له دلالة عليها ، وتجزئته لسبعة مستطيلات إشارة على الخزائن السبع والألوان للكرت ؛ ربما لها دلالات أخرى والله اعلم

ـ صحيح ولكن الأرقام ماذا تعني ؟! فسرها بالرفوف أي رفوف .. فتنشنا عن شيء في تلك الرفوف عن ماذا نبحث فيها ؟ هناك حلقة مفقودة لم نعرفها .. نبحث عن كتاب .. ما اسم الكتاب ؟ عن بطاقة أخرى ؟

قال بشر : يرى اللواء أنه يجب البحث عن المراحل مرحلة مرحلة ..عندما ننتهي من مرحلة نبحث عن التي تليها ..فالترتيب خطوة خطوة هو الأفضل

قال شاهر : أكيد هذا، لابد من التسلسل في الانتقال .. فمرحلة البطاقة التي تركها الرجل بين أيدينا دلتنا لحتى ذلك الوقت على أن نشاطنا يجب أن يحصر في المكتبة .. في واجهة معينة .. هذه آلاف الكتب في الواجهات الثلاثة .. فاستعراضها صعب وقراءتها أصعب وأعقد ، وفيها كتب بلغات أجنبية كالبرتغالية والإسبانية .. فلم نفهم ماذا يريد منا فهمه في المكتبة ؟ الحروف دلت على لفظ مكتبة بلغات سبع .. لماذا اللغات السبع ؟

ـ يا سيدي الكريم بعد أن أسمع أقوال حسن عبد الرحمن سنعمل على اجتماع مائدة مستديرة وسيكون معنا خالي محمد محسن الصحفي المعروف .. ونفكر بحل هذا اللغز .

ـ أنا تحت أمرك يا أخ بشر ، ويسرني المشاركة في هذا اللقاء ، والمساعدة في حل لغز قصر السيد بسيم الجدية .. فأنا بعدما قضيت شهرا في ضيافة صهرك أديب المحترم عدت للقصر مرة أخرى بعدما راجعت عددا من كتب تهتم في مثل هذه المواضيع .. وعجزت أيضا عن فهم شيء .

وتحدثا في أحوال عامة ، ثم استأذن بشر عيسى بالانصراف على أمل اللقاء .



تابع بشر تحركاته حول قضية الكنز الخفي التي تعهد لخاله بمتابعتها وحلها أو يصلون لطريق مسدود .

استقبله حسن عبد الرحمن المشارك الثالث في محاولة الوصول لمقر الكنز النهائي ، وبعدما تم التعارف بينهما ، وقد ذكر بشر أسباب اهتمامه في الموضوع ، فسر حسن لمعرفته ببشر ، والمصاهرة التي بينه وبين أديب المهندس ، فعقب قائلا : هو شاب أديب كاسمه .. وأعطاني انطباعا أنه مهتم بالأمر لرغبته على إظهار حبه لجده بسيم الذي يسر له كل هذه الأموال والحماية .

وحسن شرطي ضابط صف خدم في الشرطة في جهاز المختبر الجنائي ، وكان بارزا في عمله ، ولما أنهى خدمته من فريق الشرطة عمل في أمن خاص أهلي أو مدني ، وكان من ضمن عمال الأمن في المجمع الذي توجد فيه شركة محاماة داود ، فتعرف على المحامي وموظفي المكتب ، وأصبح بينهم ود وعلاقة خاصة فترة من الزمن ، ولما تغير مكان عمل حسن ظل على اتصال بين الحين والآخر بالسيد داود .

قال بشر : أنت ذهبت معهم للقصر بصفتك هاو في البحث عن الدفائن ؟

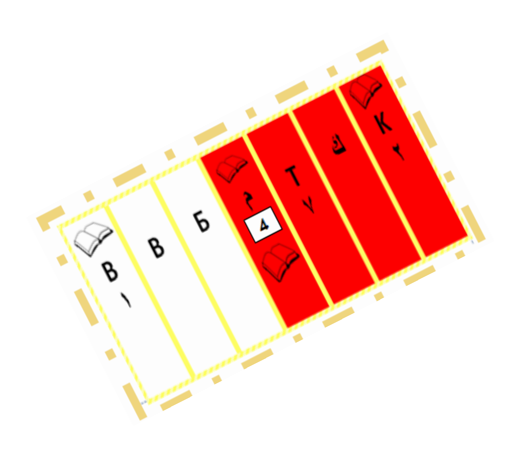
ـ عرفت هذه الهواية أيام خدمتي في الشرطة ، واطلعت على الكثير من وثائق ودفاتر يهتم بها

الباحثون عن الكنوز .. فعرفت رموز حيات دواب طيور .. استخدمها أصحاب الدفائن للدلالة على أماكن دفن الكنوز .. وقد كنت حدثت المحامي عن بعض هذه المغامرات .. فلما تعرض لقصة الكنز الصحراوي تذكرني وتحدث معي .

ـ طيب .. ماذا تقول في كنز القصر الصحراوي ؟

ـ ضمني المحامي للفريق .. وأخذت معنا جهاز الكشف عن الذهب والمعادن .. ولكن لم نوفق لم نجد رسومات معينة على الجدران.. القضية لم تكن سهلة .. نحن بحاجة لمفاتيح أكثر للوصول إلى الكنز .. رغم فهمنا أن الكنز مربوط بالمكتبة .. بحثنا في المكتبة بين الرفوف يوجد آلاف الكتب والمجلات ، وجدنا بعض الكتب تهتم بالشيفرات السرية ، ولم نجد فيها شيئا مهما يساعدنا على الوصول للكنز .

ـ على كل حال سنعيد الكرة مرة أخرى .. وخالي محمد محسن مهتم في الأمر .. ولسوف ندعوك لاجتماع لمناقشة خطوات العمل ؛ لعلنا أن نصل لشيء هذه المرة .



١٢

عقد الاجتماع المنتظر في قصر أديب على مائدة العشاء ، فبعد أن تناول الضيوف الطعام المقدم لهم جلسوا في غرفة استقبال واسعة ، ووضع أمامهم خدم البيت الفاكهة الطازجة والمكسرات والقهوة المرة وأنواعا مختلفة من علب العصير والكولا .. والخالة أم سالم عادت تجلس في غرفة التلفزيون ، وأمامها هي الأخرى سلة الفواكه والمشروبات الساخنة ، وقدامها أو قريب منها مدفأة خاصة .. وجلست النساء في قاعة خاصة قريبة من قاعة الرجال .

رحب السيد أديب بضيوفه من جديد أحر ترحيب ، وشكرهم على الاهتمام بقضيته وتعاطفهم معه ، ولما انتهت المجاملات والدعوات لخص لهم بشر القضية التي يلتقون من أجلها ، وشكر لهم تعاونهم وجهدهم للمساعدة في حل لغز الكنز الصحراوي ثم قال : كلنا اطلع على رسائل السيد بسيم ـ رحمه الله ـ خاصة الرسائل الثلاثة المهمة .. ونحن نجتمع هذا المساء للبحث عن الكنز الذي أراد الرجل أن يصل إليه حفيده قبل أن يتمكن من الخلاص من القصر الصحراوي بالبيع أو غيره .. واتفقنا أن الجد الجدية وضع هذا الكنز عقبة أمام حفيده ليمنعه من بيعه سريعا وترك لنا الجد كرتا أو بطاقة صغيرة كمفتاح لحل موضع الكنز الخفي .. وكلنا على ما اعتقد نقر أن الرجل امتاز بالذكاء والشجاعة ومقارعة أماكن الخطر والعصابات في أمريكا اللاتينية وآسيا وقد توصلتم أن الكرت رمز وإشارة لواجهة أو واجهات المكتبات في القصر الصحراوي والأحرف السبعة تؤكد هذا المعنى ، وأن المكتبة فيها خريطة الكنز السؤال لكن أين ؟ لم تصلوا للكتاب أو الرسالة للخطوة التالية .. هذا ملخص القضية الأولى التي اجتمعنا من أجلها أيها الرجال .. فماذا عندكم من اقتراحات من ملاحظات بارك الله فيكم ؟

خيم عليهم الصمت للحظات ثم قال اللواء منسي : أنا أقترح أن نذهب جميعا إلى القصر الصحراوي لقضاء نهار فيه .. نخرج مبكرين في يوم عطلة ، ونتناقش هناك ؛ لعل شيئا يحدث من جلوسنا جميعا هناك ؛ لأن الرجل أكد لنا أن كنزه في القصر ؛ بل داخل القصر في إحدى الغرف الكثيرة التي قد تصل إلى مائة ما بين حمام وغرفة .. ما رأيكم بهذا الاقتراح ؟

قال المحامي : أيها السادة الكرام ..حادث مقتل صاحب الكنز السيد بسيم الجدية خلال بضعة أشهر سيكمل موته السنتين .. ولليوم لم نعرف الجاني الغادر الأثيم من بين سكان القصر .. ولليوم لم يتصل أحد يطلب شيئا .. سوى أنني تلقيت بعض الرسائل من المحامين في البرازيل ومدن أمريكية جنوبية يعرضون بيع حصص بسيم في تلك الشركات .. وصديقنا المهندس يرى أن تباع وتحول الأموال للاستثمار هنا ؛ لأنه لا يحلم يوما بالسفر لتلك البلاد ..أو تحول إلى بنوك أوروبا والبلاد العربية .. وأنا أخذت الكلام على شكل جدي ، وأسعى على تنفيذه .. ولا أعتقد أن هذا الطلب له دخل في الجريمة .. لأننا إذا بعنا سنضطر لصرف سكان القصر الصحراوي ، وبعض من يعمل هنا .. وسنلجأ لعمالة محلية .. فعلينا إغلاق ملف جريمة القتل مع ملف الكنز

قال محمد محسن الصحفي الكبير : أنا تحدثت مع بعض الأصدقاء الذين لهم باع في التحقيقات الجنائية والبوليسية ..ووقع الاختيار على العقيد المتقاعد حاتم بُس ، فهو كما أخبرت من أفاضل وأكفاء ضباط التحقيقات في الجرائم خاصة القتل .. وربما أخونا الفاضل اللواء منسي يعرفه .

ـ نعم أعرفه معرفة جيدة ، وهو كما ذكرت ، وهو من أكفأ الضباط الذين عملوا في قسم الجنايات الكبرى على مستوى البلد والمنطقة العربية

عاد محمد يقول : والسيد أديب بعد حديث معه وافق على تكليفه بكشف الجاني لإغلاق ملف القضية بالتزامن مع ملف الكنز والقصر .. وسيساعده في التحقيق كما أخبرني العقيد حاتم زميل له اسمه مالح رشيد .. فهم يحققون في الجريمة ، ونحن نحقق في الكنز .

ودار نقاش وحوار بينهم حول القضيتين ، وحول اقتراح منسي بزيارة القصر الصحراوي على صورة نزهة صحراوية ، وختم الصحفي بشر اللقاء قائلا : جميل كل ما قلناه ـ أيها الكرام ـ الليلة !.. وتغمرنا السعادة بالتعرف على حضراتكم واللقاء بكم.. وعليّ أن أرتب معكم في أي جمعة سنرحل إلى القصر العتيد .

قال منسي : رتب الأمر يا دكتور بشر .. فهذا الأمر سيسلينا خاصة نحن المتقاعدين ، فنجد شيئا منشطا لأدمغتنا .

ثم أخذ الضيوف بالانسحاب رويدا رويدا ، والمهندس أديب يشكرهم ويصافحهم ومعتذرا لإزعاجهم في قضاياه الخاصة ، ولما انصرف الجميع وأغلق باب الطابق التفت إلى زوجته سعاد التي كانت تقف خلفه مودعة لشقيقها وزوجته وخالها وزوجته وقال باسما : كيف حالك بعد هذا الاجتماع الحاسم ؟ ومتى ننتهي يا سعاد ؟!

تبسمت لزوجها وقالت : قل هل بدأنا يا عزيزي ؟

ـ أعتقد هذا .



رتب بشر الرحلة وحدد الجمعة المناسبة ، ووافق الجميع عليها ، وكان التجمع في السادسة صباحا أمام بوابة قصر أديب الجدية ، ولأن الرحلة جماعية ستكون في باص حافلة سياحية صغيرة ، وسيقودها سائق أديب الهندي نور ، وهو من رجال وأعوان السيد بسيم ، فهو سائق وحارس في نفس الحين ، ومعه زوجته وأطفاله الثلاثة ، ويسكنون في الطابق الأول من القصر وكان داود قد اتصل بزميله المحامي في مدينة جاد ـ المدينة القريبة من قصر بسيم الصحراوي ـ اتصل به ليلة الجمعة ليرتب لهم وليمة من أحد مطاعم تلك البلدة ، فعرض الرجل ضيافتهم ؛ ولكن المحامي شكره واعتذر له ، ودعاه لمشاركتهم الطعام في القصر ، وبين له رغبة الضيوف بأكل طعام خاص دون طعام القصر المتوفر فيه طهاة وخدم ، وابتاع أديب وبشر مجموعات من صناديق العصير والمثلجات والماء وكميات من الفواكه الطازجة ، وحضرت ترموسات الشاي والقهوة ، واشتريت المكسرات والموالح ، فقد جعلها القوم نزهة ورحلة إلى الصحراء وزيارة للقصر العتيد .

ولما تجمع القوم في ذلك الصباح الربيعي الجميل ، وصعدوا للحافلة السياحية التي استأجرها لهم المحامي ، وقد ركنوا سياراتهم الخاصة بجوار القصر ، ولما كمل ركوبهم ، وصعد معهم

أحد الخدم ليقدم لهم المشروبات أثناء الرحلة التي قد تستغرق أكثر من ساعتين إلى ثلاث ساعات .. أمر السائق بالانطلاق إلى الصحراء صحراء لغد ، فهو يعرف طريقه جيدا لفعله ذلك من قبل ، ونظر بشر لساعته وقال: السابعة والنصف أيها الأصدقاء نتمنى لكم رحلة طيبة ونزهة ممتعة إلى قلب الصحراء ..

وبعد ما يقارب ساعات ثلاث كانوا يقفون أمام القصر الصحراوي ، وكانت سيارة مطعم تقف قبلهم أمام القصر تحمل لهم فطورهم ، فتح حارس القصر الباب الرئيسي لهم ، وهو يفتح أوتوماتيكيا بواسطة محرك كهرباء ، وكان السكرتير الهندي مايا ، وزوجته رامان في استقبالهم وجاء بعض الخدم يدخلون الطعام إلى داخل القصر ، وادخلوا صناديق الماء المعلب والعصائر والفواكه وترموسات القهوة والشاي ، ولما انصرفت سيارة المطعم دخل الرجال التسعة القصر ثم تبعهم السائق نور ، والخادم اللذان اندمجا مع السكرتير الهندي وزوجته بالحديث عن أخبارهم وبلادهم .

وبعد أن دخلوا السور الأول .. كان البوابة الثانية في السور الثاني مفتوحة لهم ، وكان الرجال الجدد يتأملون عمارة القصر بفضول وتعجب .

فهو قصر كالقلعة أو الحصن في قلب هذه الصحراء القاحلة ، فهو كذلك جنة فيها أو واحة ، فكان بشر يقول في نفسه هذا يحتاج لجيش لاجتياحه ! وعقب قائلا ورغم هذا التعملق لقد نال أعداؤه منه .. رحم الله السيد بسيما .. نالوا منه في عقر داره وحصنه !.. من هو المجرم الذي استطاع اقتحام هذا العرين واغتياله برصاصة واحدة بعد تحذيره ؟ !

وقبل أن نسير مع الضيوف القادمين لحل لغز القتل ، ولغز الكنز فلندع صديقنا بشرا يصف لنا القصر كما شاهده ورآه .

قصر شاهق في جوف الصحراء ، يذكرك بقصور الصيد القديمة ، مبنيٌ بالحجارة البيضاء الملساء ، نفس الحجارة التي يبنى بها في المدن المعاصرة ، يرتفع عن الأرض بطوابق ثلاثة وأسفله طابق أرضي وتحته طابق كمخازن طعام وماء وبذور وكوي وغسيل ثياب .

سوره الخارجي يرتفع لمحاذاة الطابق الأول ، وهو يحيط بالقصر والبستان الكبير الخلفي للقصر وعلمت أن تحت الأرض خزانات ماء ضخمة كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. وأن في بستانه بئر الماء الرئيسية التي ينقل منها الماء لتلك الخزانات الضخمة في أرض البستان ، وكذلك الخزانات الواقعة بين السورين .. السور المحيط بالعمران مركب عليه أضواء كهربائية قوية كالتي تستخدم في إضاءة ملاعب الرياضة ، وهي كما قيل لي تجعل الصحراء في الليل كالنهار وتكشف كل قادم للقصر حتى مسافة بعيدة ، وتضاء من شبكة داخلية ومولدات كهرباء ضخمة ومتطورة تقبع في غرفة كبيرة خلف القصر .. ولها غرفة تحكم خلف حجرة الحارس على يمين الداخل من البوابة الأولى.. ومعها غرفة السيطرة على التدفئة المركزية والمكيفات .. ويوجد على السور أو أعلاه أجهزة إنذار ، وعليه من أعلى أيضا أجهزة صعق تمنع اجتيازه عند تفعليها.

هذا بالنسبة للسور الأول وله بوابة واحدة فولاذية ضخمة تفتح أوتوماتيكيا من غرفة سيطرة وتحكم في الطابق الأول مشرفة على البوابات وفضاء القصر الخارجي ، والذي يجلس فيها يرى البوابة ، وتفتح بأمر من حارس البوابة الذي يجلس في غرفة صغيرة تتسع لسرير واحد .. وفي قلب البوابة نافذة صغيرة يستخدمها الحارس لمخاطبة من في الخارج .

منذ زمن يسير وصلت شبكة كهرباء الدولة للقصر ، فكانت هناك أعمدة كهربائية في طريق القصر كأنها آتية من مدينة جاد ، ومثلها شبكة أعمدة هاتف كلها أقيمت على نفقة السيد بسيم وبالنسبة لشبكة الهاتف وصلت منذ شيد المكان ، ولكن أكثر اعتماد القصر على الشبكة الداخلية في الإنارة للقصر نفسه .

أما الصرف الصحي فقد صممت عده حفر امتصاصية خارج القصر ؛ ولكنها ضمن أرض السيد بسيم ، ولها أنابيب لا يمكن لأحد التسلل منها لداخل القصر

عندما ندخل القصر من البوابة الضخمة والمرتفعة إلى حوالي ثلاثة أمتار ثم فوقها قوس وبناء حتى يتصل بارتفاع السور العالي ، نجد غرفة الحارس على يمين الداخل للبوابة.. وفي نفس

الجهة غرفة تستخدم كغرفة نوم وفيها حمام ومطبخ .. وعلى نفس الامتداد غرفة التحكم الكهربائي والتدفئة المركزية ، وتجد أحواض من الأزهار منتشرة بين هذه الغرف .. وعلى يسار البوابة للداخل .. أرض مزروعة كأحواض ومواقف سيارات .. وتوصلك حيث فتحات الخزانات المائية الضخمة المحيطة بالقصر .

السور الثاني أقل ارتفاعا من الأول .. وله بوابة حديدية عليها رسومات نحاسية جميلة لحيوانات الغابة ، وأيضا تفتح أوتوماتيكيا من غرفة التحكم في الطابق الأول حيث يكون أحد الحرس يديرها ، والمسافة بين البوابتين حوالي تسعة أمتار .

ويوجد على ظهر أو سطح القصر عدة أبراج صغيرة للحراس ؛ ولكن لم يكن فيها حراس ، ولم تستخدم منذ إنشاء القصر لهذا الغرض ، لكنها واضحة للعيان موهمة للناظر أن فيها حراسا .

للسور الداخلي المحيط ببناء القصر بوابة خلفية ينفذ منها الشخص إلى البساتين الخلفية حيث الشجر والثمار الممتدة على أرض واسعة بين السورين ، ولون السورين على صفار كلون رمال الصحراء رغم أنه مشيد من حجارة ملساء بيضاء ، قد طليت باللون الصحراوي في كثير من الأماكن .

تستطيع السيارة الدخول من الباب الرئيسي إلى الداخل ، فهناك أكثر من سيارة تقف كل منها في موقف خاص بها ، سيارات خاصة بالقصر ، وسيارات مصفحة للسيد بسيم .

بعد اجتياز البوابة الثانية يقابلك مدخل القصر نفسه حيث يواجهك مدخل الطابق الأرضي بعد صعود لسبع درجات من الرخام ، ويوجد على يمينك ممر يؤدي إلى المسير نحو البستان من جهة اليمين ويصعد بك إلى مدخل الدرج حتى الطابق الثالث أو الطابق الأرضي والقبو الذي تحته ..وممر اليسار أيضا يدور بك من جهة اليسار إلى البستان أو الصعود للطوابق من جهة اليسار كنظام بعض المستشفيات والفنادق لها أكثر من مدخل .

وبوابة السور الثاني الداخلي فيها باب صغير لدخول الأفراد بدون فتح الباب الكامل ، وهو يفتح أوتوماتيكيا كسائر أبواب القصر ، بل وجدنا أن طوابق القصر تعزل كل طابق لحدة في

الليل .. يغلق الطابق بأبواب متحركة ، لا يستطيع أحد الانتقال من طابق إلى آخر خاصة الطوابق الثلاثة في ساعة معينة من الليل.

دخلنا من الباب المؤدي للطابق الأرضي حيث وجدنا صالة واسعة ، بعد صعودنا الدرجات السبع.. ولما تصبح فيها ترى قاعة رخامية في الجهة المقابلة للداخل وتلمس الهواء البارد .

همس لي أديب : هناك بوابة سرية للقصر من سرداب متصل بالصحراء ؛ ولكني لم أرها ، ولا أظن أن أحدا يعرفها .. ربما من البستان أو داخل القصر .. ربما من طابق المخازن .. ولكننا لما قدمنا قبل سنوات للبحث عن كنز جدي .. لم نجدها ولم نعرف مكانها .

ـ ولا السكرتير الهندي مايا !

ـ ولا مايا .. سمعت جدي يتحدث لي عنها مرة .. عندما قلت لو حصرت يا جداه من جيش أو عصابة قوية .. فقال هناك منفذ سري لقلب الصحراء .

فهززت رأسي طبعا متعجبا من ذكاء هذا الرجل في إنشاء هذا البناء الشاهق هنا في هذه الصحراء .

دخلنا الطابق الصالة الكبرى ، وعلمنا أن تحتها طابق يعتبر كمخازن للقصر ، فيه مواد الطعام وفيه حجرة كبئر ماء يأتي إليها الماء من الآبار الضخمة ، ومنها تصعد لخزانات مياه على ظهر القصر وتوزع على حمامات ومطابخ القصر .. وهذا الطابق أنشئ في أول البناء أثناء الحفر للآبار ثم أقيم الطابق الذي دخلناه ، وهو على مستوى الأرض ، ثم أقيم الطابق الأول .. وبعد حين يسير بعد حادث موت والد أديب زاد بسيم فيه الطابق الثاني والثالث فصار بناء من خمسة أدوار والطابق الأول بعد أن تصعد الدرج وتدخله من الباب الأيمن أو الأيسر تجد مجموعة من الغرف والأجنحة تمتد على شكل حرف نون معكوسة .. حتى تصل الدرج من الجهة اليسرى إذا دخلته من اليمين.. ومكان النقطة النونية مجموعة من الحجرات ، منها غرفة التحكم والمراقبة الأمامية .. وضمنها المكتبة الضخمة.. وبعض الحجرات كمكاتب للإدارة .. والمطبخ الرئيسي وقاعة الطعام ، وهناك صالتان كناديين .. وسكان القصر موزعون في أغلب غرف الطابق الأول

والقليل منهم في الطابق الثاني .. فهم قريب من ثلاثين موظفا وعاملا وصالة الطعام العامة في الطابق الأول .. وعلمت أن الغرف كثيرة ؛ ويقع في كل طابق حوالي ثلاثين غرفة بين مطبخ وحمام وحجرة نوم .. وأكثر بقاء السيد كان في الطابق الثالث حيث يعيش بمفرده .. وله غرف نوم قليلة في الأول .. لا أحد يعرف أين ينام في كل ليلة ؟ .. مع بعضهم أجهزة إلكترونية خاصة يتصل بهم ويذكر لهم مكان نومه عند حاجته لخادمه أو سكرتيره .. وفي هذه الغرف المخصصة لنوم السيد الكبير تلفون متصل بمقسم داخلي .. فعندما يحتاجونه يرن في جميع الغرف الخاصة به .. فيتكلم معهم دون أن يعرفوا مكانه بالضبط وهناك خط تلفون لا يمر عبر المقسم متوفر في بعض الأماكن كمكتبه الخاص في الطابق الثالث والمكتبة في الثالث والثاني والأول .

قال بشر : باب هذه القاعة ـ قاعة الطيور في الطابق الأرضي حيث يستقبل الزائر بعد قطعه مسافة الصحراء ـ يعد الباب تحفة فنية من أجود أنواع الخشب كالأبنوس أو الماهوجني ، وملصق عليه صور لبعض الطيور الصغيرة من الأمام والخلف ، وهي داخل إطار من النحاس الطبيعي ، وهذا الباب تحت مظلة من القرميد الأحمر حتى الدرج الذي صعدناه ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وارتفاعه متران ونصف تقريبا .. الباب لوحة فنية كبيرة وجميلة .

وتابع الرجل قائلا : لما أصبحنا في القاعة الكبرى رأينا في الصدر مجموعة من الأعمدة الرخامية الضخمة تذكرك بالأعمدة الرومانية والإيطالية ترتفع لأكثر من خمسة أمتار تشكل قاعة داخل القاعة ، وفيها مقاعد وثيرة من الأرائك والكنبات الراقية ومساندها على شكل طيور ، وهذه الأعمدة الرخامية عددها تسعة ، أي كل ثلاثة تشكل خط مستقيم ، بين كل عمود والأخر ثلاث أمتار ، والعمود بسمك متر.. فتصبح القاعة تسعة في تسعة ، وعلى أعلى رأس كل عمود ثلاثة طيور جارحة ، عمود مجسم عليه نسور ، وآخر صقور ، وآخر عقبان ، وآخر غربان ، وآخر طواويس ، وآخر طير البوم ، وآخر باز أبيض ونسر الكوندور وصقر الشاهين .. بعضها ينشر أجنحته ، وبعضها يضمها ، وبعضها فاتح فمه ، وبعضها مغلقه .. وسقف القاعة سماء مليئة بالطيور ، والأعمدة الرخامية على جدرانها أشجار عليها صور عصافير وسناجب

وبومات ..

وقال بشر : وعلى يمين المدخل للطابق الأرضي ممر يتجه لدرج الطابق الأول ، ، وهناك مدخل يقودك للدرج الذي على اليسار حيث البستان أو الصعود للطوابق العليا .. وتجد حجرات سوى قاعة الطيور إحداها لتغيير الملابس أو خلعها ، وغرفة كمطبخ صغير ، وحمام ومرحاض وأحواض للغسل مغاسل .. وفي جدار قاعة الطيور أو الأعمدة التسعة باب لا يستخدم إلا نادرا كقطعة من جدار تلك القاعة الرخامية وخلفه مصعد يصل للطابق الثالث ، وقد أضيف من سنوات قريبة كما قال السيد المحامي ، ويوصل إليه أيضا من أبواب جانبية ، وفي داخل القاعة ممر خاص يوصل إليه ، وغالبا يستخدم من الطوابق العليا ؛ لأنه يغلق في الليل مع إغلاق أبواب الطوابق حتى لا يستخدمه أحد للصعود للطوابق العليا .

القاعة الرخامية مثيرة للدهشة والإعجاب ، وأنت جالس فيها تشعر كأنك في غابة مليئة بالطيور المتنوعة .. وهي خاصة لاستراحة الضيوف والزوار .

قال بشر معجبا : عندما تجلس فيها تشعر براحة وسعادة بعد رحلة الصحراء ، فيذهب عن نفسك الإرهاق والتعب والكآبة التي أحاطت بك وأنت تجتاز الثمانين كيلو مترا في الصحراء الجرداء الحارة .. هذا كان شعور كل من رافقنا في تلك الرحلة ، فجلسنا على المقاعد الوثيرة المستوردة ، ومكيفات التبريد تملأ الصالة هواء باردا منعشا .. وكانت الأعمدة تسعة ووسطها في نصف القاعة عمود بالرخام الإيطالي الأسود فتسألت ونحن نشرب المثلجات لماذا تسعة ؟ ولماذا هذا أسود ؟ وفي أعلاه ثلاثة نسور تكاد تطير .

قال الصحفي بشر : حقيقة الجلوس في تلك القاعة بين الأعمدة الرخامية التسعة المزخرفة بالأشجار والطيور وتلك الطيور الكبيرة في أعلى الأعمدة .. يشعرك بالسعادة ، وكأنك بغابة وبين الأشجار العملاقة الممتدة إلى السماء ، قدمت لنا الفواكه والفطور والشاي في تلك القاعة.. وشرق القوم وغربوا بالمديح والإعجاب بالسيد بسيم .. وتعجبنا نحن الجدد الزوار الجدد من العمود الأسود في وسط تلك الحجرة ، والأغلب تسأل عن سبب توسطه فيها ولونه الأسود ..

حتى أنك عندما تحدق في عين بعض الطيور تحس أنه سينقض عليك ليؤذيك أو يداعبك .. وتتعجب من صنع مجسمها .. بعد الفطور قمت بتصوير تلك القاعة من جوانب متعددة .. ووعدني أديب بإعطائي المزيد من الصور التي صورت للقصر ومقتنياته .. وأخبرني أديب أيضا أن هناك قاعة مليئة بالصور والرسومات في الطابق الثاني .

وقال أديب ممازحا : يبدو أن سعاد لم تخبرك جيدا عن قصر الجد بسيم !

ـ لم تفصل لي شيئا .. هل رأته هي ؟

ـ قضينا فيه بضعة أيام بعد زواجنا .

ـ سأعمل جولة ـ أنا ومن رغب من الأخوة الأفاضل ـ في القصر وبستانه .. المرء لا تتكرر زيارته لمثل هذه الأشياء العظيمة .. جدك سواح عالمي .. فهذا العمران يدل على خبرة كبيرة له في أنحاء العالم .

١٣

ما زلنا نحن وإياكم في القصر ، وكان الصحفي بشر متعجبا جدا من قاعة الأعمدة الرخامية في الطابق الأرضي للقصر وعلم من السكرتير الهندي أن الصور والتماثيل من تصميم فنانين إيطاليين ويونانيين

فقال لنفسه : فقد وفق السيد في وضع هذه القاعة في استقبال الضيوف بعد مسير طويل في طريق مترب إلى هذه القصر .. جميل أن يجد الإنسان نفسه في غابة بين الطيور والأشجار !

وقد أثارت القاعة بجمالها وحسنها وبردها متعة الزوار الجدد ، وقد بهرتهم هذه الغابة ، فجرى بينهم تلقائيا حديث عن كيفية بناء وتشييد القصر ، ومن وضع الرسوم الهندسية له ؟ وعن شركات الإعمار والبناء التي بنته . وأجاب المهندس أديب : حسب معلوماتي البسيطة .. أن القصر بني على مراحل .. تم الحفر عن الماء ، ولما أخرجت المياه من أعماق الأرض ، وضعت لها خزانات تخزين ضخمة .. بعضها على الجهة اليسرى بين السورين .. ثم بدئ ببناء السور الخارجي وإنشاء البستان الخلفي للقصر ، وفي نفس الوقت بناء الطابق الذي تحتنا .. ثم الطابق هذا حيث هذه القاعة .. والطابق الأول .. وعلمت أن شركات أجنبية التي اشتغلت في هذا البناء .. ثم الطابق الثاني والثالث .. قامت ببنائه شركة هندية عالمية .. وشاركت شركات حماية وأمنية بوضع الأبواب الخاصة وحماية الأسوار .

فقال محمد محسن مادحا : جدك ذكي جدا يا أديب ! ولم أكن أتصوره بهذا الذكاء والخبرة .. لابد أنه الذي كان يتخيل القصر ، ثم يطلب من المهندسين بوضع رسوماتهم .. فهذه القاعة لابد أنه أخذ فكرتها من إحدى القصص والكتب .

ـ تقريبا كما قلت يا دكتور .. كان جدي مستغلا لوقته في المطالعة والثقافة .. ويتأثر بما يقرأ فصنعت المياه المستخرجة هذه الواحة في هذه الصحراء الصفراء.. وكمل بناؤه في الأربع والثمانين أي قبل عشر سنوات تزيد قليلا .

كانت أجهزة الهاتف موزعة في الصالة وبكثرة ، وبعضها له أشكال وصور طيور وحيوان ،

بعضها معلق على حامل ذي شكل معين ، وبعضها على رف بارز وبعضها داخل كوة صغيرة وعلل أديب كثرة الهواتف في هذه الصالة حتى يرد الشخص أو يتصل حيثما يقف أو يجلس ، وأن جده لم يحدثه بسر كثرة هذه الأجهزة المنتشرة في هذه القاعة .

تطرق الحديث بينهم حول صلاة الجمعة ، أين سيؤدونها ؟ وقد اقترب وقتها فقال أحدهم : هل سنصليها هنا أم نسير إلى مدينة جاد إلى أحد مساجدها ؟

مدينة جاد تبعد عن القصر الصحراوي حوالي مائة كيلو متر ، فقال اللواء منسي : يا قوم نحن في حالة سفر .. والمسافر حسب ثقافتي البسيطة يحق له ترك الجمعة ويصليها ظهرا ويجوز لنا قصر صلاة الظهر الرباعية إلى ركعتين .

وقال المحامي داود : ويحق لكم جمع صلاة العصر معها .

فقال منسي : صدقت ، فعندما يحين وقت الصلاة .. نؤذن لأنفسنا ، ونصلي إن شاء الله .. فالأستاذ حسن كان شيخنا في الزيارة السابقة يا أستاذ بشر .

فاستحسن الضيوف إفتاء واختيار اللواء.. فأغلب الضيوف كبار السن ما عدا بشر وأديب والمحامي .

قال بشر : بعدما رتبنا أمر الصلاة صعدنا للطابق الأول حيث المكتبة .. وكان الرخام يغطي جدران البناء من الداخل .. والحجرات والغرف حيث يسكن عمال القصر مبنية على شكل حرف نون مقلوبة ..والنقطة تشكل المكتبة وغرفة التحكم ومكاتب القصر .. وهناك صالة طعام واستراحة ومطبخ رئيسي .. وغرفة واسعة تشكل قاعة جلوس ونادي .. مشينا نحو قاعة المكتبة الكبيرة في القصر .. حيث كانت قاعة جميلة وفيها ديكورات مثيرة .. وسقفها مشيد بالجبص والصور ذات الألوان الممتعة .. وهي من صنع مهرة في الجبص والتصوير من الأجانب ووجدنا الواجهة التي تشكل الخزائن السبع التي يرمز لها الكرت حقيقة .. قسم أحمر وقسم أبيض ، وكل خزانة بسبعة رفوف ، ومصنوعة من أثمن الخشب والدهان .. وفيها طاولات جميلة للمطالعة وآلات تصوير ، وعدد من الحواسيب وبجوارها غرفة نوم للسيد بسيم كان

يجلس فيها ليستريح ، وقال الهندي مايا من النادر أن ينام فيها ليلا ، كان يستخدمها للنوم في النهار ، وهي مغلقة كغيرها من غرف نوم السيد ، وللمكتبة مدخلان متقابلان وبجوارها مخزن خاص بالمكتبة وهو غرفة كبيرة ، وفيه مشغل صغير لتجليد الكتب .

جلسنا في المكتبة وبعضنا أخذ ينظر في رفوف وأسماء الكتب وقال أديب : معظم غرف هذا الطابق مشغولة ومسكونة برجال القصر وموظفيه .. كل رجل وزوجته يسكنان جناح أو شقة والأكل جماعي .. ثلاث وجبات يوميا .. ومع ذلك كل شقة فيها مطبخ صغير للشاي والقهوة وبراد { ثلاجة صغيرة}.. وتلفزيون .. شقة مفروشة .

قصر متوفر فيه أفضل الأشياء المادية ووسائل الراحة ، حتى أن فيه مسابح ماء حيث البستان والأرض المزروعة .. وعرائش من القماش وعرائش الشجر خاصة شجر العنب .. فلم يبخل السيد بسيم بماله وثروته على هذا البناء بالجمال وبوسائل اللهو والمرح ، وبكثرة الغرف ، وكافة وسائل الحماية التي قرأ عنها أو علمها والتي ذكرنا بعضها ، وسنطلع على الباقي خلال سردنا لحل لغز مقتله في جوف قصره هذا ، وكشف سر كنزه .

لقد وافاه الأجل في قصره المشيد في حجرة في الطابق الثالث بعد تناوله العشاء وصلاته لصلاة المغرب .

لقد وصل إليه العدو رغم الأمن والحذر فكيف كان ذلك ؟! فهذا ما ستعرفه بإذن الله تعالى في الورقات القادمة .

لقد وصلوا إليه في النهاية ونالوا منه ، وكيف سيصل التحقيق إليهم ؟ فريق سيصل للقاتل الرهيب في جوف القصر ، وفريق سيصل للكنز والمذكرات الخطيرة .. مذكرات تاجر السلاح المخضرم !


جناح نوم
مصعد
جناح نوم
غرف نوم
غرف نوم
مطبخ
قاعة
قاعة
طعام
حمام
حمام
قاعة جلوس
المكتبة الكبرى
قاعة
جلوس
مكتب
مكتب
غرفة التحكم
مكتب
مدخل
مدخل

١٤

قمنا نحن الزائرين الجدد بجولة في طوابق القصر ، وصعدنا إلى سطح القصر ونظرنا الصحراء المهيبة ورأينا البستان الخلفي للقصر أو قل الغابة الجميلة ورأينا بعض سكان القصر ينتشرون فيها ولمحنا بعضهم عند مسابح الماء يلهون ويسبحون .

ولما هبطنا للطابق الثالث قادنا اللواء منسي إلى الحجرة التي اغتيل فيها جد أديب الجدية .. كانت غرفة يستريح فيها الرجل إذا ترك المكتبة وهي مجاورة لمكتبة الطابق الثالث .

وواضح للعيان أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضيفتا من أجل لغز الكنز .. فهما عبارة عن حجرات نوم حولتا لمكتبتين بمهارة وفن أيضا .

والغرفة المجاورة للمكتبة غرفة نوم بحمام ، فكان فيها السرير الذي هلك عليه الرجل ، ولها نافذة تطل على البستان الكبير ، ولها نافذة أخرى تطل على مساحة فارغة ..أو ردهة صغيرة بين غرف أخرى وللردهة تلك نافذة تطل على البستان أيضا .

قال منسي لنا ونحن نقف في الغرفة : هنا قتل الرجل !

وشرح لنا منسي كيف وجدت الجثة بناء على أقوال وتحقيقات الشرطة والطبيب المعالج .. فقال : بعد تناوله العشاء وانصراف الخدم ..استلقى السيد على هذا السرير أو جلس عليه .. انتشرت في الغرفة مادة مخدرة فاتصل بالهاتف بالطبيب جادور ..هو لم يقل له إنه يتعرض لخطر داهم .. إنما طلب من الدكتور المجيء فورا .. والدكتور زعم أن في صوته حشرجة .. ووجدت الشرطة آثار قرص ينبعث منه مادة غازية ؛ ولكن الجاني الذي خدر الرجل بواسطة هذا القرص فتح نوافذ الغرفة بعد ارتكاب جريمته .. فلما وصل الطبيب ومعاونوه استنشق القليل من بقايا الغاز المستخدم .. وهو غاز مخدر ..لأنه لم يبق له أثر عند التشريح وسبب الموت الرصاص لا الغاز .. والرجل وجد نائما على ظهره والرصاصة في جبينه .. واخترقت الجمجمة واستقرت في أرض الغرفة أسفل السرير .. ولم يكن هناك مقاومة فدل هذا على أنه كان مخدرا .

فقال العقيد حاتم : لم يقل للدكتور عما ألم به ؟

ـ ربما لم يدرك السيد أنه يتعرض لتخدير ، أو لم يكن يظن أنه يتعرض لمؤامرة داخلية .. فشك في شيء عارض ، ويبدو أنه يحفظ رقم الطبيب ، فضرب رقم الطبيب .. ولكن التخدير أفقده الصواب .. أو أن القاتل منعه من إكمال الاتصال

ـ ولكن تقرير الطب الشرعي يفيد أنه قتل بعدما خدر .. فقولك أنه فقد الوعي أصح والله اعلم أيمكن أن يخدر بواسطة طعام العشاء ؟

ـ ممكن ؛ ولكن كما أشرت لتقرير الطب الشرعي لم يكن التخدير عن طريق المعدة والجوف .. كان التخدير عن طريق الرئة والهواء .. غاز خاص دخل الغرفة أفقده الوعي .. لذلك فتح الجاني النوافذ وأزاح الستائر لتبادل الهواء .

قال العقيد : لكن الطبيب غير متأكد من وجود غاز في الحجرة عندما اقتحمها .

ـ لا تنسى أنه وصل بعد الاتصال بساعتين تقريبا يا سيدي .. والغرفة معروفة للحارس الذي يتفقد الأبراج قبل إغلاق الطوابق ..عندما شاهده أمامها لم يكن قد نام بعد ولم يصل العشاء فالجريمة وقعت بعد صلاة المغرب ، وبعد تناول طعام العشاء ..

قال حاتم : علمت أنه كان يجلس في المكتبة يتحدث بالتلفون ، وكانت المكالمة مع الأرجنتين ، واستمرت نصف ساعة ، وبعدها طلب العشاء ، وأكله في غرفة الطعام ، وليس التي وجد فيها ميتا برصاصة واحدة .. وكان التلفزيون مفتوحا وبغير صوت كان مكتوما .. خادمه الخاص قدم لها الطعام والشاي ، ثم انصرف حسب العادة .. ومن العادة إذا احتاجه ليلا أن يستخدم جهاز الاتصال الذي بينهما ، ويذكر له المكان المتواجد فيه .. فالتصور الشرطي أن الرجل كان يتفرج على التلفزيون ..فأحس بألم أو بالرائحة .. وتضايقت نفسه ، فاتصل بالطبيب مباشرة دون سنترال القصر ..وأثناء المكالمة فقد الوعي كاملا .. ولم توجد بصمات هنا إلا للخادم وخادمات تنظيف الغرف وللرجل بسيم ..

قال منسي : عليك بلقاء الطبيب والشرطي الذي صحبه عند اكتشاف الجريمة ..

ـ سأفعل يا سيدي .. وسنقرأ ملفات التحقيق التي جرت هنا في شرطة المدينة جاد .. وسيكون

لنا مكتبا في عمارة السيد في المدينة .

تحدث منسي عن معلوماته التي اطلع عليها من ملفات التحقيق وتمنى التوفيق للعقيد حاتم ورفيقه مالح .

ولما نزلنا إلى مكتبة الطابق الأول المكتبة الرئيسية خاطب العقيد حاتم المحامي : لم يغادر أحد الموظفين البلاد ؟

رد المحامي : لحتى الآن لا رغم موت الرجل من سنتين ، ولكن إذا تم تصفية شركاته الخارجية أي أخذ نصيبه منها سنضطر إلى إنهاء خدمات كل العاملين هنا وسنقدم لهم حقوقهم المالية المناسبة .. فسيد القصر لم يعد بحاجة إليهم .. والشرطة لم تسمح لهم بمغادرة البلاد قبل القبض على الفاعلين .. والسكرتير الهندي أو الباكستاني عند مقتل السيد كان في إجازة ولما بلغ بالجريمة حضر بأسرع وقت ، وأدلى بشهادته ، وأخبر أن حياة السيد كانت في خطر ، وقد تلقى تهديدات بالتلفون وبالبريد ؛ ولكن السيد لم يعرها الاهتمام الكافي ، وكان يقابلها بعدم الاكتراث ويقول :سيد مايا لم يبق من العمر الكثير ويبتسم

فقال حاتم :إذن كل الخدم والعمال ما زالوا يعملون هنا .

ـ أجل

ـ وحضرة السكرتير الذي استقبلنا هو نفسه مايا .

ـ نعم ، هو لم يكن هنا ليلة الحادث ، كانت زوجته هنا لم تسافر معه .

ـ أيوجد أطفال هنا ؟

ـ نعم ، يوجد أطفال وإذا حان وقت دخول المدراس يرسلون لبلادهم ، ويتعلمون على حساب السيد في مدارس داخلية في بلادهم ، ويأتون في الإجازات الصيفية لوالديهم ، ويرتب سفرهم وإجازاتهم مايا الهندي أو يسافر الوالدان لقضاء الإجازة عندهم .. السيد يراعي العواطف والحاجة الإنسانية ..أما الصغار دون سن المدرسة يبقون مع ذويهم هنا .. والرجل كان يستقبل ويستضيف في هذا القصر ضيوفه الأجانب وشركائه .

ـ هو من غير زوجة كما فهمنا ؟

ـ زوجته الأولى أم يحيى جدة المهندس ماتت قديما قبل موت ابنها يحيى ..ولما هاجر البرازيل أول مرة تزوج امرأة من هناك ، ولدت له بنتا ثم طلقها ؛ ولكنه كان يتردد عليها من أجل البنت والبنت لما بلغت عشر سنوات اختفت أو خطفت ..ولما رجع بعد حين يسأل عنها أخبرته أمها أنها عادت لبعض الوقت .. ولكن لظروف عمله وسفره المتكرر لم يتمكن من رؤيتها ، ولم يلتقيا بعد اختفائها ..وكان يترك لها بعض المال عند أمها ويغادر .. وهو لا يعرف هل هي حية أم ميتة ليوم وفاته ؟ وهل لها ذرية أم لا ؟ كله مجهول

عاد حاتم يقول للمحامي الذي تابع تحقيقات الشرطة سابقا : الشرطة لم تشتبه في أي فرد من هؤلاء ؟

ـ هؤلاء كلهم رعايا أجانب ، ولم تجد الشرطة لدى أحدهم دافعا وسببا لارتكاب الجريمة إلا إذا كان الدافع الانتقام ..

بعد لحظات صمت خيمت على السامعين قال حاتم : كم عدد الموظفين في القصر إذا كان عندك علم بذلك ؟

قال داود : نعم عندي علم يا سيدي ..لأن مكتبنا القانوني هو المكتب الرئيس لمعاملات السيد بسيم منذ أيام والدي ـ رحمه الله ـ فحسب معلوماتي هنا حوالي ثلاثين فردا ربما يزيدون واحدا أو اثنين ..وتوثيق عقودهم لدينا في المكتب .. ونحن نصرف لهم رواتبهم الشهرية أو السنوية أو نصف السنوية حسب رغبة المتعاقد .. وهناك مصاريف أخرى كالتعليم العلاج السفر كان السيد سخيا .. والحقيقة أن رواتبهم تحول من مصارف في البرازيل والأرجنتين من استثمارات الرجل هناك .

ـ سنأخذ كشفا بأسمائهم وتوصيف عملهم ، ونطلع على جوازات سفرهم لنعرف بلدانهم وحياتهم الاجتماعية .. قد نحتاج يا أبا محمد فريقا من المترجمين .

قال داود : استعان البوليس بمترجمين ، ولم يستفيدوا شيئا من أقوالهم .

قال حاتم : حسب معلومات اللواء منسي أن القاتل منهم من داخل القصر ، ولا يمكن أن يأتي من الخارج ولم يكشف .

ـ هذا قول الشرطة هنا ، وفي العاصمة بلبل ولكن من هو ؟ وهل ينفذ أوامر من الخارج ؟ وكيف حدث الاختراق ؟ فاغلبهم يعمل من سنوات طويلة ..وهذا ما حير البوليس يا سيدي الكريم مَن مِن هؤلاء الناس ؟! لم يطلب أحد منهم منذ الجريمة ترك العمل ..مع أن الكل يدرك أن عملهم هنا انتهى .. حتى أننا أوقفنا الإجازات حتى يغلق الملف ويظهر الجاني الغادر .. ولما أغلقت الشرطة التحقيق بدون تحديد شخص المجرمين سمحنا لبعضهم بالسفر والإجازات بحكم الاضطرار .

دهش حاتم وقال: وكم سافر منهم بعد موت بسيم ؟

ـ عدد قليل .. ويشرف على سفرهم وإجازاتهم فعليا السكرتير مايا وزوجته مساعدته ..فنحن لم نفصل أحدا بل نشيع أنهم قد يستمرون في العمل حتى يقرر السيد الجديد أديب إنهاء خدماتهم ، ولدينا كشوفات تبين ترتيب سفرهم ورحلاتهم الخارجية قبل موت السيد .. والسكرتير الهندي هو منسق رحلاتهم وتذاكرهم ومصروفاتهم ، فهو يحسن الإنجليزية ، وكذلك زوجته ، فهما يحسنان الاتصال بهم .. واعلم يا أخي الكريم أن أغلبهم له زوجة هنا عائلات.

قال العقيد : لابد لنا من جلسة مطولة معك يا دكتور داود .. وذلك بعد قراءتي لملف القضية لدى دوائر شرطة جاد وبلبل ..وبعد سماعنا لشهادة الطب الشرعي وكذلك الطبيب جادور مكتشف الجريمة وسأتخذ مكتبا في جاد .

ـ لدينا عمارة كبيرة سنوفر لك فيها مكتبا .

ـ في الغالب سأمضى جل الوقت في القصر خاصة النهار ، وليلنا في المدينة لإجراء الاتصالات الخاصة دون سماع أحد لها من هؤلاء المشتبه فيهم .

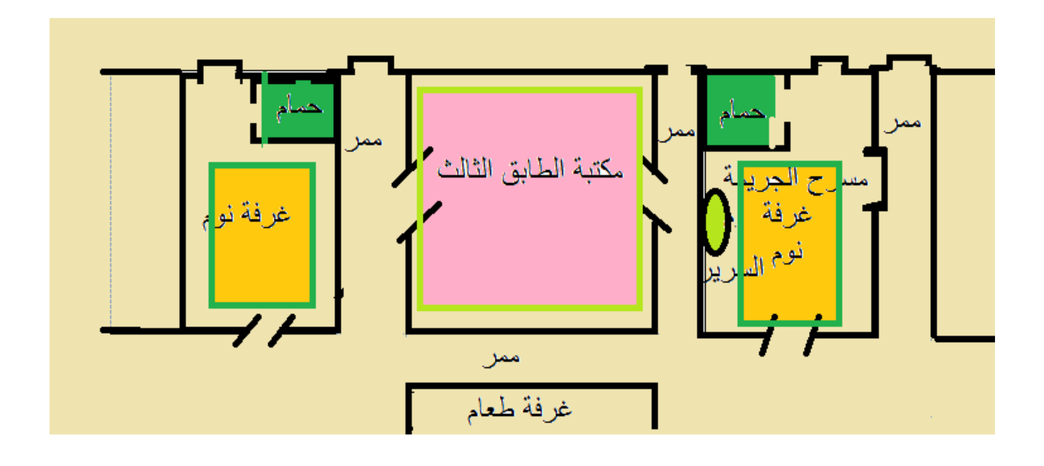
ـ نحن جاهزون لأي خدمة ..وأجرة الفندق وأي تكاليف مهما بلغت نحن مستعدون لتسديدها

ـ نعم ، سكنى الفندق أفضل من العمارة خدمة الطعام والاتصال .

ـ المهندس أديب قال لي قدم كل المساعدة والتسهيلات للعقيد حاتم وزميله .. سنضع تحت أيديكم غرفة في العمارة كمكتب للتحقيق وإدارة التحقيق .. وسيتم الحجز لكم الليلة في الفندق حجرة لكل واحد منكما .. وأي أموال تلزم فنحن جاهزون لها .. فالسيد ترك الكثير منها فهو يستحق منا أن نبذلها لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالته ..بل يرى المهندس أن القبض على المجرم أكبر وأهم من البحث عن الكنز .. فهو وحيد جده أيها السادة ووارث كل ثروته فأنا أدير ثروته هنا أي أتابع تحركات المال وأتابع إيجار العقارات والسكرتير الهندي مايا يتابع استثماراته في أنحاء العالم .. فالمال والنفقات لا تحسب لها حساب ..اختبارات فحوص رسائل مترجمون خبراء تنقلات .

فقال حاتم : سأفعل أنا والزميل مالح كل ما في وسعنا إن شاء الله ﷻ ..وسنصل لليد الخائنة بتوفيق الله تعالى

ـ أرجو من كل قلبي التوفيق لكما بالقبض على الجاني أو الجناة .



١٥

كان اللواء منسي وزملاؤه المكلفون بالبحث عن الكنز يجلسون في المكتبة في الطابق الأول ـ وهي المكتبة الكبرى في القصر ـ يتحدثون عن كيفية حل لغز الكنز ، وكان الشاي يقدم لهم ، ويتذكرون ما أنجزوه في المرة السابقة ، وكان البعض يتأمل في المكتبة والرفوف والكتب ؛ لعلها توحي إليه بمفتاح جديد بفكرة جديدة .. يفكرون بالطريقة التي رسم بها السيد إخفاء الكنز وكان الصحفي محمد محسن يفكر في المكان المناسب لإخفاء الكنز في هذا القصر الواسع الكثير الحجرات ؛ كأنه فندق ضخم وقال لبشر : كثير من الأماكن تصلح لإخفاء الكنز .. كل باب من أبواب القصر يمكن إخفاء الجواهر فيه خاصة الأبواب السميكة الجدران تصلح لذلك .. خلف بلاطة رخامية ..لابد من خريطة تسهل الوصول إليه .

فقال بشر : نعم ، لابد من خريطة يا خال .. فهذه المكتبة وحدها تحتاج لوقت كبير قبل تفتيش هذه الكتب ..وهذه المكتبة بالذات الخزائن في الحائط فيمكن أن يكون وراء كل خزانة مكان سري ، لا يرى فيها من الخشب إلا الرفوف والإطارات المزخرفة .. وكل خزانة عشرة رفوف حتى السقف المزخرف كأنه سماء فوق بحر أزرق .. فهذه الكتب العليا تحتاج لهذا السلم لتناولها ـ وأشار لسلم معدني على شكل رقم ثمانية مركون في الحجرة المكتبة ـ الرجل لديه نظرة جمالية أو ربما شاهد مثلها في إحدى بلدان العالم التي تنقل بينها .

القاعة كلها خزائن مليئة بالكتب ، وفي وسطها موائد أنيقة للمطالعة والجلوس إليها على مقاعد مريحة ، وللقاعة ثلاثة أبواب للدخول والخروج ، وفي إحدى الجهات تلفزيون ، وفي الزاوية الأخرى أجهزة طباعة وتصوير ، وعلى إحدى موائد القراءة جهاز حاسوب شخصي وفي زاوية ثالثة جهاز حاسوب آخر .

تأمل الزائرون الرفوف والجهة التي تشبه الكرت المفتاح ، واتفقوا على إعادة قراءة رسائل السيد ودراستها ؛ لعلهم يكتشفون من خلال سطورها إيحاء معينا معنى جديدا .

فقال محسن : فكرة طيبة ! فلننزل إلى قاعة الطيور نصلي الظهر أو الجمعة إذا أحب أحدنا أن

يخطب فينا .. ثم يقرأ البعض علينا رسائل السيد .

قال منسي : نعم الاقتراح ؛ لأننا لو مكثنا هنا سنة لن نجد شيئا حتى نجد الخطوة أو المرحلة التالية .. فكلنا أتصور يقر للرجل بالخبرة العملية والذكاء والحيلة .

فعاد محسن يقول : وتحت نضع التصورات والاقتراحات لإتمام هذه المهمة .. لا شيء غريب في نظري في هذه المكتبة .. رفوف عليها الكتب كسائر المكتبات .. صح .. سقف القاعة جميل ولوحة فنية .. سماء صافية وغيوم صيفية ، ولا أعتقد أن في رسومها حل اللغز ، ولا أظن أن لها علاقة بكنز السيد الجدية .

فعلق منسي متبسما: هذا فكرنا فيه ، لم نستطع أن نخرج من النظر في السقف برسالة ما .. بشيء ما .. واقتراح السيد محسن اقتراح جميل ..لقد عددنا الرفوف وعددنا الخزائن فلم تكشف لنا أسرارها ..تأملنا مواضيع الكتب والمجموعات فهي كأي مكتبة عامة وخاصة .. لا يوجد فيها شيء مثير وملفت للنظر والفكر .. مكثنا شهرا ها هنا مع الأخوة الكرام فلم نجد شيئا مهما .. حتى وقع في خلدي أنه لا كنز نبحث عنه ؛ لكن لا يعقل أن الجدية ساخر من حفيده وليمنعه من بيعه والاستفادة من بيعه بقصة الكنز ؛ لأنه يعلم أن الحفيد غير مهتم بالحياة في الصحراء .. لا أعتقد أنه يكذب .

فأيد الرجال قول منسي بوجود الكنز حقيقة ، وقال أحدهم : العجيب أن السكرتير التاريخي السيد مايا لم يسمع بالكنز والوثائق السرية الخاصة.

قال أديب معقبا : استغرب الرجل هذه الحكاية ؛ ولكنه اعترف بقدرة الجد على كتم الكثير من الأشياء والأسرار ، فالرجل كما قال يحب الغموض والرموز في أعماله ، وكل الصفقات تعطى رموزا سرية ..كودا معينا .. فهذا من ضمن الصفقات للأسلحة .. وحتى أثناء الاتصالات تستخدم الشيفرات والكلمات السرية للدلالة على الأشخاص أو البضاعة .

هبط الضيوف إلى قاعة الرخام الواسعة وتوضؤا ثم صلوا الظهر والعصر جمعا وقصرا .. وعند الثانية ظهرا كانت سيارة المطعم تقف أمام القصر .. وقام عمال المطعم بإعداد السفرة .. ولما أكل

الضيوف الخروف المشوي والمحشي بالأرز واللحم الناعم والمكسرات ..قدمت لهم المثلجات والقهوة السادة ، ولملم العمال بقايا الطعام وغادروا المكان ، وقام خادم أديب بتنظيف المكان ، ولما عاد الهدوء تابعوا التخطيط والتفكير ، واتفقوا أن يبقوا على تواصل إلى أن يفتح على أحدهم فكرة جديدة ، ثم استعدوا للعودة ومغادرة المكان .. ولكنهم رافقوا المحامي والعقيد حاتم والمقدم مالح إلى مدينة جاد ، والتقوا بمحامي السيد القاضي المتقاعد الذي رحب بهم ، ودعاهم لقضاء الليل في ضيافته .. لكن الزميل داود بين له الهدف من اللقاء به وأبدى الرجل استعداده لخدمة المحققين في القضية من جديد .

ووعدهم بإعداد غرفة في العمارة كمكتب لهما ، ووضع هاتف تحت خدمتهم ، وعامل خدمة ، وإذا احتاجوا لكاتبة فوعدهم بتوفير ذلك .. وأنه سيبذل أقصى طاقة للتعاون للوصول للجاني وسيرتب لهم لقاء مع الطبيب جادور ..وكان العقيد قد طلب تأجيل اللقاء به ريثما يعودان للمكث في الفندق.

ورجعوا للعاصمة في الليل بعد قضاء نزهة في الصحراء ومشاهدة مكان إخفاء الكنز ومسرح جريمة اغتيال السيد بسيم الجدية الرجل الغامض الواضح .



١٦

راجع العقيد حاتم وزارة الداخلية والأمن الداخلي ، وقابل السيد الوزير وشرح له مهمته والهدف من الزيارة بكل إيجاز ووضوح ، فرحب به الوزير وأبدى تعاونه الكامل معه ، واتصل أمامه بمدير الأمن العام وقال له وهو يودعه : نحن يهمنا معرفة كل مجرم يا سيدي العقيد .. والمدير محمد راشد هو نفس المدير في نفس فترة الجريمة ، وستجد عنده ما يفيد ، وأتمنى لك النجاح .

وغادره إلى دائرة الأمن الرئيسية ، ورحب به المدير ترحيبا طيبا ـ وهم زملاء ويعرفان بعضهما بحكم عمل العقيد حاتم في الشرطة ـ وحدثه حاتم عن المهمة التي كلف بها .

فرحب محمد راشد به مرة أخرى وهما يشربان القهوة وقال : أنا اطلعت على تقارير القضية ، ورغم اكتشاف الجريمة فور حدوثها .. فهي يكتنفها الغموض ، ومع أن الضباط المحققين اكدوا أن المجرم من داخل القصر لم يعرفوا من هو الخائن بالضبط ؟ ملابسات تمنع اتهام شخص ما ..وإرسال شخص للمحكمة الجنائية بدون أدلة قوية كلام فارغ سيخرج براءة من أول جلسة ..وسكان القصر كلهم رعايا دول أجنبية ، فهم من جنسيات متنوعة الأمريكي الإفريقي الآسيوي .. ولم نجد شاهدا واحدا رأى القتل ..أنا أذكر تلك الجريمة بشكل جيد لأهمية الرجل المقتول ، وأذكر أنني كنت على اتصال دائم بمدير شرطة منطقة جاد .. لأنهم المكلفون بحكم الاختصاص في التحقيق في الجريمة .. ستجد عندنا الملفات والتقارير التي ترسل لنا نسخ منها وعليك زيارة الدائرة هنالك والالتقاء بفريق التحقيق والطبيب الشرعي والطبيب جادور .. وأنا أعرف حق المعرفة قدراتك الشرطية والتحقيقية في الجنايات الكبرى وإذا وفقت في كشف الغموض أكون أنا وسعادة الوزير من أسعد الناس بمعرفة الجاني الأثيم.. وكما طلب السيد الوزير سنقدم لك كل المعونة والمساعدة لخدمة العدالة .. وكلنا في خدمة العدالة يا حاتم .. والأخ مالح رجل كفء أيضا .

مشى العقيد حاتم إلى أرشيف الدائرة ، واطلع على ملف القضية والتقارير المرسلة حول

القضية ، وبعد قراءتها وجد أن نشاطه سيكون في القصر الصحراوي ومدينة جاد .. زار المحامي داود واطلع على جوازات سفر سكان القصر ..ووجد كشفا معدا عن أسماء كل من يعمل في القصر ورقم جوازه وجنسيته وطبيعة عمله داخل القصر ، وحالته الاجتماعية متزوج أو اعزب هل أطفاله معه أو ببلده ؟.. رحلاته للخارج عددها وتاريخ سفره في كل رحلة وتاريخ العودة كشف فيه الكثير من المعلومات المتوفرة عن كل فرد .

وكان في الكشوفات أيضا وقت التحاق الشخص بالقصر والعمل ، فكان الحرس خمسة أفراد فقط ، أحدهم إفريقي ، واثنان من أمريكيا اللاتينية أحدهما بوليفي والآخر تشيلي ، واثنان من آسيا أحدهما فيتنامي والآخر هندي باكستاني .. فتعجب العقيد من هذه التشكيلة فسأل المحامي عن صفة اختيارهم .

فرد المحامي قائلا : قد تجد عند صاحبنا الهندي مايا الجواب أو بعضه .. ومعظمهم معه زوجته كعاملة أو خادمة تنظيف .

وجد أن السكرتير مايا من قدماء العاملين مع السيد ..وأن زوجته الهندية تعمل منذ خمس سنوات فقط ، وكانت أولى سنوات عمله في القصر بدون زوجة رغم أن عمره يقارب الخمسين عاما .

وهناك ثلاثة رجال يعملون كخدم للقصر ومعهم زوجاتهم وهم من جنسيات فليبينية .. وطاهيان ذكران ومعهما زوجاتهم يعملون في مطابخ القصر أحدهما لاتيني أمريكي، والآخر آسيوي .. وفهم من المحامي سبب تنوعهما لأن أكثر ضيوف الرجل من أمريكيا اللاتينية ومن آسيا .. ووجد في الكشف خادم خاص بالسيد آسيوي وزوجته لخدمة السيد شخصيا بتقديم الطعام الشراب تنظيف مكان نومه وجلوسه .. وهناك مسؤول عن المخازن وتوفير المواد بتقديم المطلوب للسكرتير الهندي .. من أطعمة وزيوت ومواد تنظيف وغسيل .. فهو يطلب ما ينقص ويتفقد المخازن وتعمل معه زوجته .. وهناك غرفة غسيل يديرها رجل هندي أحمر وزوجته وابنته الشابة ، وهم من أمريكا الجنوبية ..يغسلون ملابس سكان القصر ثم يكّونها ويسلمونها

لأصحابها ..أما بالنسبة لثياب السيد بسيم فهو متعاقد مع شركة في مدينة جاد لغسل ملابسه وكويها .. وهناك موظف البستان .. وإذا احتاج لمزيد من العمال يذهب لمدينة جاد ويستأجر المناسب للعمل .. وسنتعرف على المزيد من عمال القصر في الصفحات التالية .

يوجد في القصر سيارتان مصفحتان قديمة وحديثة يستخدمهما السيد بسيم ، ولدى السكرتير سيارة خاصة ، وهناك سيارة يستخدمها أهل القصر عند الحاجة ، وتوفر الأشياء للقصر عن طريق موردين ومتعاقدين .

ولما سأل حاتم المحامي عن صفة اكتشاف الجريمة رد المحامي : ألم تزر دائرة الأمن يا سيدي وتطلع على الملفات ؟

ـ فعلت يا سيدي المحامي ..ولكن هنا تقارير مختصرة .. التفاصيل كما تعلم تبقى في دائرة التحقيق والمنطقة التي تتبع لها الجريمة .. وسأسافر خلال أيام .. ولما نستقر في الفندق سأتصل بك لتأكد لهم الحجز لي وللزميل مالح .. وهل جهز مكتب العمارة ؟

قال داود : نعم ، المكتب جاهز .. وضع فيه جهازا حاسوب .. وطابعة وآلة تصوير وخزانة ملفات .. وأوراق وهاتف وفاكس .. وعامل خدمة .

ـ أحسنت يا دكتور داود ..أنا كلفت مكتب ترجمة بتزويدي بعدد من المترجمين .. وسأطلب مساعدتك لنقلهم لجاد عند الاحتياج لسفرهم .

ـ نحن تحت الأمر ؛ لأنه من التقدير والواجب علينا للرجل الميت أن نعرف قاتله ونقدمه للعدالة والقانون .. وأنت تعلم أكثر منا أن البوليس يضيق به الحال لكثرة الحوادث وضيق الوقت فتعلق القضايا إلى حين

ـ شكرا ، كيف عرفتم أنتم بالجريمة ؟

ـ نحن كان الرجل يحدثنا عن الخطر أو الأخطار المحدقة به من العصابات والمنظمات السرية وحتى الدول .. أعداء الرجل كثر وأصدقاؤه أكثر .. فمهنة تجارة السلاح مهنة تصنع الأصدقاء والأعداء في آن واحد فالذي تبيعه السلاح صديق والذي لا تبيعه عدو ؛ ولكنها تدر أموالا

كثيرة .. فكان القصر الصحراوي مستقر الرجل .. وهو شرع في بنائه حقيقة قبل محاولة اغتياله بتفجير بيت ابنه يحيى والد أديب المهندس حيث قصره .

ـ نعم ، اذكر ذلك الحادث الرهيب لقد قتلت فيه أسرة كاملة ، ولم ينج إلا شاب صغير فهو صاحبنا أديب

ـ نعم ، نجا بقدر من الله ؛ لأنه لم يبت تلك الليلة في البيت .. وكان المقصود بالانفجار السيد بسيم الجدية .

ـ كنت على رأس عملي أيام ذلك الانفجار ؛ كأنه كان سنة ١٩٨٢ .

ـ يوم خميس في الثامن من شهر تموز .. المهم أن الرجل عمل الاحتياطات اللازمة التي اطلعت عليها بزيارتنا السابقة للقصر تلك الجمعة .. فعل كل ذلك لينام هادئا .. والمال متوفر بين يديه وهو من مواليد ١٩١٠م ..فقد أخذ عمرا كافيا كما كان يردد أمامي ، ولا أدري هل يصح هذا التعبير ؟ فقد تجاوز السيد الثمانين سنة ، وكانت صحته جيدة إلا من بعض عيوب وسقم الكبر في العمر.. وكان يتعامل مع فريق أطباء هنا في بلبل وفي جاد ، وعلى رأسهم الأخصائي جادور وقد عمل الدكتور جراحا في المستشفى الصحراوي ـ وهو جراح معروف ـ وكان الدكتور متعاقدا مع السيد ..ويذهب للقصر كل شهر مرة ليطمئن على الرجل صحيا ويصحبه طبيب آخر وممرضة ..وإذا اتصل السيد أو السكرتير لبى النداء بأسرع وقت ممكن .. فهو جاهز للخدمة والطوارئ في أي وقت من ليل ونهار .. ويوم عيادته الشهرية يذهب مع مساعده وممرضة عيادته ، ويتناولون الغداء على مائدة السيد ، ويقضون نهارهم بصحبته حتى صلاة العصر .. بل ينزلون البستان أيام الثمار ويأكلون ، وربما يحملون لأهليهم ..وقال لي الدكتور عندما التقيه لدفع أجرته إنه يسر بذهابه ذلك النهار إلى القصر .. وهو يعمل معنا منذ أكثر من عشر سنوات .. أما مساعدوه فهم يتبدلون سواء الدكتور العام أو طبيب الأسنان أو الممرضة فهم لهم عيادة كبيرة في مدينة جاد .

ـ ومرضى القصر الآخرون ؟

ـ يوجد في القصر صيدلية عامة يا عقيد حاتم ..فبعض العاملين لديهم خبرة طبية بسيطة فيقدمون الإسعافات الأولية عند الحاجة ، وإذا احتاجوا لمستشفى فيبعث السكرتير الهندي سائقا ومرافقا للمريض إلى المستشفى ، ويكون قد اتصل بالمستشفى ونسق لاستقبال الحالة أو الحالات ويرسل المريض إما بسيارة الهندي مايا أو سيارة القصر .. وإذا احتاجوا لطبيب ليلي فالدكتور جادور يؤمنه أو يسير بنفسه لمعاينة الحالة .. وإذا كان الطلب ليلا يصحبه شرطي لحمايته ومرافقته.. وهذا بتعاون بين السيد والشرطة؛ لأن السيد يقدم المال والتبرعات لتلك المدينة .. ويذهب الشرطي لحماية الطبيب من الوحوش واللصوص فقد يظهر اللصوص في تلك المناطق بين الفينة والأخرى ..وفي فترة من الفترات داوم طبيب في القصر كطبيب مقيم ؛ ولكن لقلة العمل طلب الإقالة فأقاله السيد أو السيد مايا

فقال العقيد : أيفهم الرجل على هؤلاء الناس ؟

ـ يفهم على البرازيليين بشكل جيد ، وأما الآخرون فيتعامل معهم بالإنجليزية .. فقد تعلم الإنجليزية منذ صغره أيام الاستعمار أو الانتداب ..فالحاجة أم الاختراع .. عندما بدأ التجارة في السلاح أخذ يتعلمها

قال المحقق حاتم: نعود يا سيدي لليلة الجريمة كيف علمتم بها ؟

ـ نعم ، علمنا يا سيدي من الدكتور جادور نفسه اتصل بي مخبرا باغتيال الرجل في قصره ، قال إن السيد اتصل به بعد آذان المغرب مساء يوم الثلاثاء من شهر تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٥م قبل أكثر من عام .. وأذكر كان التاريخ ١٤ من ذلك الشهر اتصل السيد به على الخط الخاص وطلب مساعدته وأنه متعب ، وقال الطبيب إن الرجل كان بدون صوت كأنه يختنق يتحشرج فكان متعبا للغاية كما بدا للطبيب ، فاتصل جادور بمساعده الدكتور حازم صنو هو يعمل مع الدكتور في مجمعه الطبي في جاد ، واتصل بمركز الأمن طالبا مرافقا .. ولما تجهزوا انطلقوا إلى القصر في ذلك الليل البارد ، وكانت أمطار خفيفة تتساقط ذلك الليل .. والمغرب في ذلك الفصل يهبط مبكرا لقصر ساعات النهار عن الليل .. فربما كانت الساعة الخامسة والنصف

عندما انطلقوا المهم وصلوا قبل الثامنة بقليل ، ولما اطمئن الحارس تلك الليلة لهم أدخلهم ، وتحدث مع السكرتيرة رامان زوجة مايا ؛ لأن السيد مايا كان مسافرا لبلده في إجازة طارئة وعاجلة ، فاستقبلتهم الزوجة التي لم تصحب زوجها في رحلته مستغربة ، فهي لم تعلم بمرض الرجل ، ولم يتحدث معها ، وتبين أنه تحدث من الهاتف المباشر بدون المرور على مقسم القصر ، اتصلوا بالغرفة التي يمكن أن يكون فيها .. فالسيد عندما يقصد النوم لا أحد يعرف في أي حجرة يرقد تلك الليلة ، فله عدد من غرف النوم ، وكلها لها شبكة هاتف مشترك ، فعندما يرن الهاتف يرن فيها جميعها ، وكلها تفتح على مفتاح واحد أو اثنين كما فهمت من الهندي .. وهناك مفاتيح لها مع السكرتير تستخدم لتنظيف الغرف .. يفتحها السكرتير لهم لتنظيفها وترتيبها .. فعندما يرن التلفون فيها فيتكلم السيد إذا كان مستيقظا ويرد على الاتصال ..وكل من يريد الاتصال من عمال وخدم القصر يكون عن طريق سنترال داخلي موجود في مكتب السكرتير وزوجته .. والمكالمات تسجل وتحفظ لحين من الزمن ربما ستة أشهر ؛ وربما تتلف أشرطة التخزين أو تحفظ في المخزن ، وربما يعاد التسجيل عليها .. فالسكرتير مايا وزوجته هما مديرا القصر .. لم ترد أي حجرة ليحددوا مكان وجود السيد .. فسألت السيدة الخدم والعاملين في قاعة السهر وقاعة الطعام فذكروا أنه تناول طعامه في الطابق الثالث في قاعة الطعام وشرب شايه فيها ، فالرجل مغرم في الشاي رغم كبر سنه ؛ بل يأخذ ترمس شاي لحجرة نومه ، ويفضله السيد على سائر المشروبات من المثلجات وغيرها .. وأثناء الاستفهام أخبر أحد الحرس أنه شاهده يخرج من المكتبة إلى غرفة بجوارها ، وألقى عليه تحية المساء ، وقال : ربما دخلها للصلاة فهي غرفة يقيل فيها عادة في النهار عندما يتعب من الجلوس في المكتبة ، ويصلي فيها الصلوات لأن فيها حماما ومغسلة للوضوء ..وهي لا تستخدم للنوم في العادة إلا للاسترخاء في النهار مع أنها غرفة نوم كما بينت رامان عائلة السكرتير .. فصعد القوم إليها تصحبهم السكرتيرة رامان كان الطابق الثالث مطفي الإنارة إلا من أضواء خفيفة في بعض الزوايا والأطراف ..أضاءت السكرتيرة الأنوار وعند الغرفة المشار إليها من قبل الحارس وشاهده يدخلها ، وجدوها مقفلة

وطرقت السكرتيرة الباب ثم فتحتها .

وأضاءت النور ، وكان الرجل مقتولا برصاصة في رأسه ودمه على السرير والوسادة وثيابه والسجاد .

وبعد لحظات صمت وحزن قال العقيد : وهذا المبلغ الحارس ألم يشتبه فيه رجال الشرطة ؟ وماذا كان يفعل في الطابق الثالث ؟

ـ تبين لنا أنه كان يتفقد السطح في مهمة روتينية ، وذلك مهمة من مهمات الحرس قبل إغلاق أبواب الطوابق على ساكنيها ..لأنه إذا أغلقت الأبواب سينعزل كل أهل طابق في طابقهم ويتواصلون ليلا بالهاتف الداخلي .. فيقوم أحد الحرس بجولة مراقبة سريعة من على ظهر القصر وإنزال من يكون يسهر على السطح .. وهذه الجولة حسب ما أذكر تكون بين الصلاتين المغرب والعشاء .. وأثناء نزوله لمح السيد خارجا من المكتبة نحو الغرفة المجاورة .. فحياه وتابع نزوله للطابق الأول حيث غرفة السيطرة .

ـ أتكلم مع السيد بسيم ؟

ـ قال بالإشارة حياه .. وفحص الشرطة ثيابه بحثا عن نقطة دم فلم يثبت ذلك .. والسلاح المستخدم في الجريمة يمتلك الحرس مثله .. وفحصت الأسلحة الموجودة لدى الحرس ورصاصاتهم وأعدادها فوجدت كما هي مثبتة عند السكرتير .. لم تستخدم المسدسات منذ زمن وقامت الشرطة والمختبر الجنائي بكل ما يلزم .. وستجد ذلك في ملفات شرطة جاد

ـ ما اسم هذا الحارس ؟

ـ هو الحارس الإفريقي (سينكالا كامارا)

ـ رأيته يوم زيارتنا للقصر .. فهو الذي فتح لنا البوابة الرئيسية

ـ صدقت أيها العقيد

١٧

عقد حاتم ومالح اجتماعا ناقشوا فيه الجريمة قبل الرحيل لمدينة جاد وقال حاتم : الرجل كان يشعر بتهديد مستمر لطبيعة عمله في تجارة السلاح ، فتعرض لعصابات تعمل ضد بعضها خاصة في دول أمريكا اللاتينية .. وكذلك من أجهزة مخابرات الدول التي كان يورد لخصومها الأسلحة والمتفجرات .. وتعرض منذ زمن بيت ابنه يحيى والد المهندس أديب لانفجار كبير ونجيا منه لعدم وجودها تلك الليلة في المنزل .

فقال مالح : ومن مقتله إلى محاولة القتل السابقة زمن طويل من ٨٢ إلى ٩٥

قال حاتم : لم يحدث بعدها أي محاولة هنا حسب المعلومات المتوفرة ؛ ولكنه ظل يلازم الحذر والحيطة ، ويستخدم السيارة المصفحة في تنقلاته داخل البلاد ، وقلّ حضوره في اللقاءات العامة والقصر الصحراوي اتخذت فيه الوسائل والأدوات الأمنية اللازمة حتى وصلوا إليه في نهاية الأمر ، ووقع ما كان يحذره .

قال مالح : إذن ترى أن الخائن في القصر كما ترى الشرطة .

قال حاتم : لأنه يا سيدي لم يثبت وجود أحد دخل القصر ذلك اليوم ، وشاهد اكتشاف الجثة أربعة أشخاص أحدهم شرطي .. والقصر مسرح الجريمة ، والحارس الإفريقي سينكالا كان آخر من رآه قبل الجريمة حسب التحقيقات التي أخبرني بها المحامي .. والدكتور جادور هو سبب اكتشاف الجريمة ، وهو ذهب للقصر استجابة لاستغاثة الرجل به .

قال مالح : نعم ، قرأت ذلك .. اتصل به بعد غروب الشمس حين صلاة المغرب قائلا يا دكتور إنني أموت أنا بسيم وكان صوته مخنوقا ومحشرجا وانتهت المكالمة ، وجمع الدكتور أعوانه وذهب وبعد ساعتين كان هناك ، وارتبك أهل القصر لمجيء الدكتور دون علمهم بهاتف النجدة ، وصعدوا برفقة السكرتيرة رامان بعد أن لم يرد على الهاتف ، فوجدوه مضروبا برصاصة واحدة من نفس أسلحة الحرس الشخصية ، والغرفة مغلقة ولا تفتح من الخارج إلا بمفتاحها الأصلي ..ولما فتحتها السكرتيرة بعد إحضار المفتاح الخاص بالسكرتير كانت الجثة والتشريح

الطبي لم يثبت وجود مخدر مع الطعام ؛ وربما استنشق غازا مخدرا كما رجح الشهود

قال حاتم : فهذا يدل على أن القاتل الفاعل من داخل القصر أو نقول المنفذ للجريمة من الداخل وهو يعرف نظام القصر الأمني ، ويعرف الثغرات فيه .. فتحقيقات الشرطة كما فهمت من المحامي لم تثبت دخول شخص من الخارج ذلك اليوم ..ولم يشاهد شخص يختفي داخل القصر ويخرج منه بعد اكتشاف الحادثة .. ولكن الرجل قتل في إجازة السكرتير المدير مايا الهندي لماذا؟؟! هل لغيابه دلالة معينة ؟ دلالة لتنفيذ الجريمة .. هل استغل غيابة لتنفيذ القتل ؟ أم هو له دور في القضاء على سيد القصر ؟ هل جرى بينهم سوء تفاهم دفعه ليشارك في هذه الجناية ؟ وهل غيابه مبرر ؟ أسئلة سوف نحاول الإجابة عليها

قال مالح: علينا يا سيدي أن نحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط لنعرف أين كان كل شخص وقت الجريمة في تلك الدقائق الحاسمة .. وكل من يتوفر له الشهود في الوقت المحدد يبعد من قائمة الاشتباه .. فوقت الاتصال على الدكتور جادور علينا تحديده لنقصر المدة التي ارتكبت فيها الحادثة ؛ لأن الجريمة بدأت قبل الاتصال عندما استنشق الغاز المخدر .

ـ عندما نلتقي حضرة الطبيب نستطيع تعيين ساعة الاتصال ، ونستعين بسجلات الاتصالات إذا ما زالت محفوظة لدى الشركة .. هم يحفظونها لزمن معين ؛ ربما خزنوها على أقراص صلبة وسيرافقنا فريق من المترجمين أثناء الاستجواب لسكان القصر تعاقدت معهم أنا والمحامي ، وسيكون رحلينا غدا ظهرا يا أخ مالح وسنقضي أول ليلة بالفندق مع ضيوفنا المترجمين والكاتب وسنقابل ضباط التحقيق في القضية الموجودين هناك ، وسنطلع على تحقيقات شرطة جاد .. وسنجتمع بالطبيب الشرعي للمنطقة ، ورجال المختبر الجنائي ، وصور مسرح الجريمة سنطلع عليها .. وبعدها سنقابل جادور الطبيب ومساعده والشرطي المرافق لهم تلك الليلة .. جهز نفسك يا صديقي .. وسيكون لقاؤنا عند مكتب المحامي داود محمد .

قال المقدم مالح : أنا جهزت حقيبتي، وأنتظر ساعة الصفر ، ونسأل الله تعالى أن نوفق في الوصول للجاني والجناة في هذه الجريمة الغادرة التي لم يعرف دافعها بعد

قال حاتم : الدافع لحتى الآن مجهول إلا إذا كان الانتقام فقط ، هل هناك لحتى الساعة أشخاص أعداء يحقدون على الرجل وسعوا للانتقام ؟ .. ينتقمون لأشخاص كان له دور في موتهم أو تسليمهم للشرطة .. وإما خسروا معه صفقات فحقدوا عليه نسأل الله تعالى أن نوفق في كشف غموض هذه الجناية الكبرى يا أخ مالح .



وصل العقيد حاتم وفريقه عصرا لمدينة جاد ، ونزلوا الفندق (أبيض جاد) ، وكان المحامي عبد الحي محمد في استقبالهم ومرحبا بهم ، وتم تجديد التعارف بينهم ، ونزلوا غرفهم ، وبعد أن وضعوا حقائبهم في غرفهم رافقهم المحامي إلى المطعم حيث أعد لهم مائدة من أطايب الطعام حسب ترتيبات المحامي داود ، وأقسم المحامي على غدائهم في اليوم التالي في نفس المكان وبعد الغداء عادوا للفندق الذي لا يبعد عن المطعم سوى عشرات الأمتار ، وعند الغروب تمشى حاتم ورفيقه إلى عمارة السيد بسيم .. والعمارة أيضا تقع في نفس منطقة الفندق وهي عمارة من عدة أدوار ، وكان المحامي المتعاون مع مكتب داود في انتظارهم حسب الاتفاق وقادهم إلى المكتب الذي أعد لهم لإدارة عملية التحقيق ، وسلم عليهم بواب العمارة ، ومشى أمامهم إلى المكتب الذي كان مفتوحا حسب اتصال المحامي به ، وهم التقوا به في المرة السابقة فوجدوا المكتب معدا بشكل مناسب من طاولات مكاتب حاسوب الآت طباعة وتصوير خزانة ملفات خزانة معدنية صلبة .. ومكثوا ساعة من الزمن استلموا خلالها مفتاح الخزانة المعدنية ومفاتيح الأبواب ، والمحامي يقول : سيفتح لكم الأقفال السيد ماهر عواد (البواب) وستكون غدا صباحا سكرتيرة طابعة وعامل خدمة في هذا المكتب.

قدم الرجلان الشكر الجزيل لحضرة المحامي على جهده الكبير معهم ، واتفقوا على أن يبقوا على اتصال بينهم وقال لهما : أنا تحت أمركم أيها السادة ولا تنسوا موعدنا على الغداء غدا إن شاء

الله .. وأتمنى لكم التوفيق .. فنحن يهمنا معرفة الجاني والانتهاء من هذه القضية التي ذهب ضحيتها السيد الكريم ..كان نعم الأخ والصديق .

ـ شكرا لكم يا سيدي القاضي .. أنا أعرفك جيدا .. ورأيتك أكثر من مرة في المدينة العاصمة أثناء عملك في سلك القضاء قبل تقاعدك .. وأنا في المرة الماضية عندما التقينا أقول لنفسي إنني رأيت هذا الوجه .. حتى وضح لي داود أنك عملت فعلا في القضاء ، ولما تقاعدت تشاركت مع قريب أو صديق لك في مكتب محاماة .. يا أهلا ومرحبا بك يا سيدي وأخي عبد الحي .. وكلنا يعمل لتحقيق العدالة في الأرض قدر الإمكان .

ـ أنا يا سيادة العقيد حاتم من أهالي هذه المدينة جاد ، فلما تقاعدت من سلك الدولة قلت بدلا من الجلوس على المقاهي أو في النوادي أشغل الوقت بالمحاماة خاصة لما التقيت بالصديق والشريك المناسب عامر ياسين .

ـ بوركت والآن اسمح لنا بالانصراف للفندق ، وتصبح على خير، وجزاك الله خيرا

ـ رافقتكم السلامة ..

ولما دخلوا الفندق مشوا إلى صالة الطعام الخاصة في الفندق وتناولوا عشاء خفيفا .. وكان زملاء الرحلة قد تعشوا وهم يجلسون في صالة الفندق يتسلون ويسمرون وطلبوا شايا ثم قهوة .. وكان التلفزيون ينقل مباراة كرة قدم على الهواء ، فكان رواد الصالة يتابعون بصمت وترقب وشغف ، ولا تسمع سوى رشفات الشاربين .. والذي لا يهتم بالرياضة صامت احتراما للآخرين .. وكان التهامس يسمع بين الفينة والتي تليها .. وكان التهامس حول الرياضة وتعلق الشباب في هذه الأيام في كرة القدم تعلقا كبيرا حتى الهوس .. ثم صعدوا بعد حين للمبيت على أمل الاجتماع في الصباح عند الساعة العاشرة .

ولما كان الاجتماع قال حاتم للمترجمين الثلاثة: سأذهب والمقدم مالح إلى مديرية الأمن ، وأقابل الضباط الذين شاركوا في التحقيق وتلك القضية ، ونسعى لسماع الطبيب الشرعي القائم على تلك الجثة هو ورفاقه .. وأنتم خذوا حريتكم في الحركة ، ونلتقي على مائدة القاضي عبد الحي

محمد حمدان ، وفي المساء نعقد اجتماعا لترتيب زيارة القصر ، ونبدأ بمقابلة العاملين داخل القصر .. وأنت يا محمد { الكاتب} اذهب للمكتب حتى موعد الغداء فتأتينا إلى المطعم فالرجل يحب إكرامنا من أجل خاطر السيد بسيم والمحامي داود .. هيا أيها الزميل مالح .

كان الفندق قد أمن لهم سيارة بسائق فاعتذروا عن السائق وقبلوا السيارة ؛لأنه سوف يسوق بنفسه هذا اليوم ، وتناول المفاتيح من مدير الفندق شاكرا ، وتسلم السيارة المخصصة لهم ، فكانت سيارة حديثة وحالتها ممتازة وجاهزة للانطلاق ، فانطلقت نحو دائرة أمن جاد الرئيسية حيث طلب لقاء مدير الدائرة وأعلمه بسبب الزيارة ، ورحب المدير بحضرتهم وأعلمه أن الوزير حدثه بذلك ، وكذلك رئيس الشرطة وأنه كان في انتظار اللقاء بهم ، فشكره الضابطان المتقاعدان ، وعاد المدير يكرر رغبة الوزير بالتعاون معهم وتسهيل المهمة أمامهم ، وأثنى المدير على العقيد حاتم وذكر أنه كان كنزا في الشرطة ، وأنه كان فارس الميدان في التحقيقات الجنائية أثناء خدمته .

فقال العقيد : أشكرك يا سيدي .. وهذه سنة الحياة والخدمة الوظيفية ؛ ولنترك الفرصة للأجيال الجديدة .

ورحب المدير كذلك بالزميل مالح وقال : الأخ مالح لا يقل فطنة عنك يا عقيد حاتم .

وحضرت القهوة وقدمت للضيوف ، وطلب المدير الضباط الموجودين أثناء التحقيق في قضية مقتل السيد بسيم الجدية ، وقال المدير : السيد بسيم كانت علاقته جيدة معنا ، وكان تحت الحماية غير المباشرة من جهاز الأمن .. وذلك عن رغبة المسؤولين في توفير الحماية الخفية له خاصة عندما يخرج من القصور والمباني .. فهو صديق لعدد كبير من رجال البلد والدولة .. فكنا على تعاون تام معه ؛ ولكنه في ذلك القصر كان تحت حماية نفسه بعد حماية الله ﷻ فحماية القصر تحتاج لكادر ضخم كما تعلم ؛ وقد كنا نسير بعض دوريات الشرطة لتلك الصحراء بين الحين والآخر والحقيقة لم نسجل أي محاولة للتسلل للقصر أو حتى الاقتراب منه .. وأحيانا يتحدث أفراد الدورية مع عناصر القصر ، ويشربون معهم الشاي والمثلجات سواء في دوريات الليل أو النهار

وهذا الجهد البسيط يثير الفزع في المتربصين .. وسبحان الله تعالى كان موته داخل الحصن .. فبيننا صداقة ومعرفة وكان يزورنا ويشرب الشاي معنا ونزوره ونتغدى على مائدته هنا وهناك وكان يأتي بزواره الأجانب لجاد ويتغدى معهم أو يتعشى .. وكان الرجل معروفا على مستوى المنطقة ويتبرع للجمعيات والمؤسسات الخيرية النشطة في جاد وقراها .. وما زال المحامي داود يقدم لها العون والمساعدة .. فحفيده أديب الذي لابد أنكم التقيت به كما قال لي المحامي القاضي حمدان إنه طلب منهم الاستمرار في تقديم المساعدات التي يقدمها جده سواء للأفراد أو الجمعيات أو النوادي الرياضية .. لذلك الكل في هذه المدينة يرغب برؤية الغادر في قفص العدالة .. والرجل ـ رحمه الله ـ له عمارة ضخمة هنا يستثمرها .. وهو أنشأها كما قال لي شخصيا للاحتكاك بأهل هذه المدينة القريبة من قصره والمجيء إليها .. واعلموا أني كنت ألحظ انزعاجه عند وجود أجانب في مدينة جاد .. وكان يتحسس عن جنسياتهم في بعض الأحيان .. وكان قلقا أكثر من اللازم من وجود أجانب من أمريكا الجنوبية

ولما انتهوا من شرب الضيافة دخل بعض ضباط فريق التحقيق وجرى التعارف التقليدي بينهم وبعضهم وجد نفسه قد خدم مع العقيد حاتم والمقدم مالح وجرت أحاديث الذكريات والمواقف الإيجابية والسلبية ، وبين لهم المدير الهدف من هذه اللقاء ، وشرحوا للمحققين ملابسات تلك الجريمة ، ولم تزد عما وضحه له المحامي داود محمد ، ولكن العقيد بعد سردهم وسماع ملاحظاتهم طلب الاطلاع على محاضر التحقيق والتقارير الجنائية والطبية .

فتركوا مكتب المدير حيث الأرشيف ، واطلع الضابطان المحققان على محاضر الاستجواب التي قامت بها الشرطة في القصر ، ثم قابلوا مدير المختبر الجنائي في أمن جاد ، ورأوا أشرطة فيديو تصوير الجريمة أو مسرح الجريمة ، ورأوا الصور الفوتوغرافية لمسرح الجريمة ؛ لأن القانون الجنائي اليوم يسمح بتصوير مسرح الجريمة ثابت وحركي ، ولما انتهى الاطلاع وسماع رأي الضباط في الجريمة عقد اجتماع خاص لتبادل المعلومات فقال حاتم : أيها السادة ماذا كانت انطباعاتكم عن الحادث ؟

قال المحقق مرزوق : ذهبنا لمكان الحادث كأي حادث ، وكانت سيارات النجدة والشرطة قد سبقتنا لتحريز المكان ، وكان ذلك ليلا فعند نصف الليل بقليل ، وصلنا هناك للكشف على مسرح الجريمة .. عاينا المكان ، وكان المجني عليه مستلقيا على ظهره فوق سريره ، وقد نزف من الدماء الكثير ، ورصاصة واضحة اطلقت على جبهته ، وكان المسدس قد وضع على جبينه وضغط على الجبين واطلقت الرصاصة الوحيدة ، والحرق واضح على حواف الفتحة .. ويبدو كما أثبت التشريح فيما بعد أنه كان في حالة تخدير بغاز استنشقه لم نحدده ، وهو ظن أنه في حالة مرض فاستغاث بالطبيب الخاص مباشرة .. تلفون متصل بالشبكة دون المقسم الداخلي للقصر كانت ملابسه العليا غارقة بالدم والسرير والمخدة والأرض حيث تساقط قبل أن يتخثر .. وقد اخترقت الرصاصة جمجمته والسرير .. وقد مات على الفور كما بين التشريح الطبي والرصاصة سبب الوفاة وتهتك الدماغ .. وكان الرجل مقتولا بملابسه الرسمية لم يكن يلبس ملابس النوم ثم علمنا أنه تعشى عشاءه الخفيف في قاعة الطعام وشرب الشاي ومشى لتلك الحجرة للصلاة والرجل يحب السهر يقضي وقتا طويلا وراء التلفزيون أو القراءة والكتابة ، ثم ينام في مكان مجهول تماما للموظفين كلهم داخل حجرات النوم الخاصة به .. وكانت الجاكيت معلقة على حمالة في نفس الغرفة التي وجد بها مقتولا .. لم يلحظ أي مقاومة بينه وبين القاتل ، ولم يوجد في بطنه مادة مخدرة ..ويرجح الطبيب أنه استنشق غازا مخدرا وفحصنا الغرفة فحصا دقيقا فلم نكتشف آثار للغاز المستخدم سوى علامة على مدخل الغرفة قد تكون علامة قرص تخدير وجدت نافذة الغرفة مفتوحة فهذا يدل ويشير أن أحدهم فتح الشباك ليذهب أثر الغاز.. فهذه قرينة دلت على استخدام غاز تخدير .. ونحن وصلنا بعد أكثر من خمس ساعات على موته واغتياله .. والتحاليل أفادت وجود شيء في رئته لكنهم لم يعينوا ماهيته وما الغاز الذي خدره ؟ فتح القاتل النافذة وغادر .. وثبت أن الرجل فتح لقاتله ولكن كيف ؟ لم نجد تفسيرا ؛ لأن الباب لا يفتح من الخارج إلا بمفتاح .. ولم يثبت أن أحدهم استخدم مفتاحا إلا إذا فتح هو للقاتل وخدره القاتل .. لكن ليس هناك مقاومة .. لأن الرجل طلب النجدة من الطبيب جادور

ثم سكت الاتصال .. حققنا مع الجميع وشددنا مع الحارس الذي عرف الحجرة التي كان فيها السيد بسيم .. والاعتراف فيه إدانة وفيه براءة ؛ ولكن لم تنقص عهدة الرصاص التي لديه ، ولم يستخدم سلاحه منذ عهد بعيد .. في القصر نظام حراسة معقد وجيد هل اطلعتم عليه ؟

رد حاتم : سمعنا عنه ولم نختبره ؛لأننا لم نزر القصر إلا مرة واحدة .

ـ في الطابق الأول هناك غرفة الحراسة والمراقبة الرئيسية حيث يرى الجالس فيها مدخل القصر وحارس البوابة وتشاهد الفضاء من الجهة الأمامية .. وفيها مقربات تلسكوبات .. ومنها تشغل أجهزة الإنذار المنتشرة على السور ، ولديهم آلات صعق تعمل حسب الطلب ففي لحظات يتحول السلك في أعلى السور إلى أداة صعق بالكهرباء القوية .. ويقوم على الحراسة خمسة أفراد من جنسيات خمس .. يتبادل الحراسة على البوابة الرئيسة يوميا ثلاثة أفراد من السابعة صباحا وحتى السابعة مساء .. وترتيب عملهم مع السكرتير الهندي ويقضي الاثنان الباقيان اليوم بدون عمل رسمي داخل القصر .. فيجلس أحد الثلاثة في غرفة التحكم بالبوابة الرئيسية في الطابق الأول فإذا أشار له البواب بفتح البوابة فتح البوابة الأولى فقط ، وهناك زر يضغط عليه البواب مع إشارة بيده .. فيرتفع صوت منبه في الغرفة .. فيفتح للداخل أو الخارج .. وهؤلاء يتبادلون العمل بين البوابة والمراقب .. وفي الساعة التاسعة ليلا في فصل الشتاء والعاشرة صيفا يعزل كل طابق عن الأخر هيدروليكيا ميكانيكيا ، ولا يسمح لعامل أو موظف أن ينتقل لطابق أعلى بدون علم السكرتير أو يكون مكلفا بمهمة صيانة تنظيف خدمة للسيد .. فتنقل الأفراد في الطابق الأول في الأماكن المخصصة لهم وأماكن العمل ويسمح لهم بالذهاب للبستان واللعب في مؤخرة القصر .. وإذا احتاج السيد شخصا بعد إغلاق الطوابق على ساكنيها فيكون عن طريق المصعد وبعلم السكرتير والحرس ، فيشغل المصعد عن طريق غرفة السيطرة فيصعد الخادم الخاص .. فالجريمة محبوكة ومخطط لها من زمن ورغم تحقيقنا مع كل أفراد القصر وسؤالهم لم نستطع اتهام أي شخص منهم ولا حتى الاشتباه بشخص معين لعدم وجود أدلة مادية .. فالكل مشتبه به والكل غير مشتبه به ، والحارس الإفريقي لو كان قاتلا لما دلنا على مكان

رؤيته الرجل ..لم يتردد بتقديم شهادته وكان من الطبيعي أن يصعد لسطح القصر فذلك من ضمن أعمالهم الروتينية القيام بجولة سريعة من على ظهر القصر قبل إغلاق الأبواب على سكان القصر ليلا ، وحارس البوابة الرئيسية بعد السابعة يصعد لغرفة المراقبة ويقتسمون ساعات الليل ، ولديهم تلفزيون فيها كسائر الغرف الموزعة على العمال وزوجاتهم .. بل في كل غرفة تلفزيون وفيديو وأشرطة فيديو حسب بلدانهم .. المهم رغم بحثنا ونظرنا في الوجوه والناس عجزنا عن تحديد شخصية القاتل من بينهم ، لم يدل أي أحد بشهادة تتهم أحدا .. ومن اليقين في نظرنا أن الجريمة أو قل منفذها من داخل المكان .. واحد أو أكثر لسنا ندري ، وكلهم يسكن في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته يسكنون في الطابق الثاني .

اثنى الضابطان على زميليهم خير الثناء وطلبوا لقاء الطبيب الشرعي .

وقال حاتم : وسنقابل الطبيب جادور الذي وصل لمسرح الجريمة أولا

فقال مرزوق شارحا : هو تحدث عن اتصال من الرجل المقتول قبل مقتله .. وثبت لدينا صحة هذا الاتصال وأن مصدره القصر وأن الرجل يطلب المساعدة .. وفهم الدكتور أنها مساعدة طبية ، ولم يتحدث عن نجدة وجريمة .

رحب الدكتور جادور بالعقيد حاتم والمقدم مالح وكان لقاؤهم بعد تلبية دعوة الغداء التي دعاهم إليها المحامي عبد الحي حمدان ، فقال الطبيب بحماس بين : لقد سررت جدا لما علمت بأن التحقيق سيتجدد في قضية موت السيد بسيم الجدية ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الجريمة الغامضة وكيف حصل الاختراق القاتل ؟ .. فلما حدثني مدير أمن جاد بأنك راغب باللقاء بي أصابني الحبور .. فهذا الرجل الباسل لا يجب أن يفلت قاتله من العدالة الدنيوية .. فمرحبا بكم .. فالرجل عزيز عليّ ..

وقدمت لهم القهوة الترحيبية والماء البارد ، ولما ابتعد خادم الدكتور في عيادته في مجمعه الطبي في جاد قال الطبيب : ما المطلوب مني ؟

قال حاتم : نحن قرأنا أقوالك في محضر البوليس ، وأن السيد بسيما اتصل بك طالبا مساعدتك

لألم ألم به ، وأن صوته بدا لك مخنوقا ضعيفا .. أتذكر اليوم شيئا يا سيدي عن تلك اللحظة الدقيقة ؟

بعد صمت وتفكير قال جادور : مكالمة لا تنسى ، اتصل الرجل بي على رقم البيت وهو المستخدم نادرا بيننا .. وهذا يدل على أن الرجل كان واعيا ؛ ولكن بدا لي صوته مخنوقا مبحوحا وضعيفا يا دكتور جادور إني متعب أسرع إليّ ، إنني أموت أنا بسيم بهذا المعنى وانقطع الاتصال ، ولم أسمع صوت رصاص تلك اللحظة .

وضعت السماعة وأدركت أن الرجل مريض جدا ، وكانت هذه أقصر مكالمة بيننا .. عادة نتحدث ، ويذكر لي متاعبه حتى آخذ معي بعض الأدوية التي قد تنفعه .. لم يخطر في بالي القتل والاغتيال رغم أنه كان يتحدث عن ذلك في بعض الأحيان أما أن يحدث ذلك في القصر لم أكن أتصوره أيها السادة الكرام !!

وبعد صمت تابع فقال : اتصلت بالدكتور (حازم صنو) طبيب يعمل معي في هذا المجمع .. والممرضة اعتذرت لانشغالها بمرض والدتها أو والدها .. وذهبت لنقطة الشرطة ، ولما وافق شرطي على مصاحبتنا انطلقنا بسيارتي .. وكان بين الاتصال وبين وصولنا القصر حوالي ساعتين ، ولما علمت السكرتيرة الهندية غرضنا تعجبت أولا ، وأخبرتنا أن السيد لم يتحدث معها معلما لهم بطلب الطبيب ؛ ليستعدوا لاستقباله لفتح البوابة ومراقبة الطريق من قبل الحراس ، فحدث ارتباك واضطراب ، واتصلت الفتاة من مكتبها في الطابق الأول ، والرجل لا يعرف أحد أين يقضي ليلته ؟وذلك على مدار الأيام .. فالتلفون يرن في كل حجرات النوم المخصصة له في جميع الطوابق .. وهواتف غرف الموظفين تستقبل وترسل عن طريق السنترال الموجود في غرفة أو مكتب السكرتير والسكرتيرة .. لم يرد بالطبع السيد بسيم لوفاته، ولا يوجد كاميرات في الغرف أضيفت بعض الكاميرات منذ عهد قريب من موته لمراقبة الممرات والبوابة الخارجية وتصوير الداخل والخارج ، والمسؤول عن متابعة الكاميرات وكل نظام الحماية السكرتير مايا وزوجته رامان ، فهم أعرف الناس بذلك النظام المعقد داخل القصر وخارجه ، وبينما نحن نبحث عن

طريقة لمعرفة مكان السيد بعدما علمنا أنه تعشى في الطابق الثالث وشرب شايه فيه .. تحدث الحارس الإفريقي أنه رآه يدخل حجرة قرب مكتبة الطابق الثالث ، وذلك أثناء عودته من تفقد السطح وإلقاء نظرة على الصحراء المحيطة بالقصر كان يهبط عن السطح متجها للمصعد فرأى السيد يدخل الغرفة المجاورة للمكتبة ، وهو عادة يصلي فيها عندما يكون في الطابق الثالث قرب المكتبة فحياه بابتسامة وركب المصعد ، ولم ير أحدا في ذلك الطابق سوى السيد .. فأخذت السكرتيرة المفاتيح وصعدنا مسرعين للطابق الثالث ، ووجدنا الغرفة مغلقة ففتحتها السكرتيرة المدربة ودخلت وأضاءت النور .. وكلنا متوجس خيفة يا سادة من تلفونه المختصر بي ، ومن عدم اتصاله بالسكرتيرة لتخبر الحرس بمجيئ وأنه طلب الطبيب ، وأيضا عدم رده على تلفون القصر زاد القلق في نفسي ..وقع في نفسي أنه في غيبوبة وربما الموت الطبيعي .. ولم يخطر في بالي الاغتيال والقتل أضيئت الحجرة .. ولما نظرت للسرير ظنته للوهلة الأولى نائما .. ثم لمحت الدماء فصرخت صرخة مكتومة وقالت : دماء وهي تشير لوجهه !.. كان يضع على منضدة كتاب عن تاريخ المسلمين في الأندلس نسيت عنوان الكتاب .. وكان بجوار الكتاب كوب عصير فارغ أو ربما ماء .. ونافذة الغرفة مفتوحة وألقيت أنا وزميلي نظرة سريعة عليه ، فكان ميتا فاتصلنا بدائرة الشرطة في جاد ، وجلسنا أمام الغرفة ننتظر قدوم شرطة التحقيق ، وطلبت لنا السكرتيرة شايا ، وأمرت بعدم إغلاق أبواب الطوابق ؛ لأن وقت الإغلاق لم يحن بعد ، ففي فصل الشتاء تنعزل الطوابق في التاسعة ليلا ويصبح السيد وحيدا ، وكان مقتله في فصل الشتاء عام ٩٥ أو قل في الخريف تشرين الثاني / نوفمبر .. حقيقة كنت حزينا للغاية ، وربما ذرفت بعض الدموع ألما وتنفيسا ؛ ولكني أقول إن الخائن لابد أن يكون من سكان القصر ، وله معرفة في تفاصيل ونظام الحماية في القصر ، وله معرفة بالثغرات الأمنية .. وحسب الطب الشرعي وفحص المكان والجثة أن الرجل استنشق غازا مخدرا .. فلما أحس وشعر بالضيق اتصل بي ظانا أنه مريض ، ولم يخطر بباله أنه يخدر لاستبعاد ذلك من فكره وعقله ، وخاصة في قصره المحصن وأن يغدر به أحد العاملين معه لطول العشرة بهؤلاء العمال والخدم ، وكذلك أخبرت السكرتيرة

قلة اختلاط الرجل بالكثير منهم رجالا ونساء ، وربما لا يعرف الكثير منهم شخصيا ، إنهم يتعاملون مع السكرتاريا ، وكما قيل لا ينفع حذر من قدر .. فدس عليه خائن أو أكثر وصبروا حتى وثق بهم السكرتير وزوجته فغدروا به .. وبالنسبة للنافذة المفتوحة في حجرة الموت في فصل الخريف وفي الصحراء فبعد التشريح فُهم لي ولغيري سبب فتحها هي ونافذة أخرى في ردهة مجاورة للغرفة التي اغتيل فيها .. فُهم أنها فتحت ليزول أثر المخدر الغازي من الغرفة بهواء طارد أو ربما استخدمت لإدخال الغاز المخدر .. والراجح أنه فتحت بعد الجريمة لطرد رائحة الغاز ، ولم يستطع الطبيب الشرعي والمختبر تحديد نوع الغاز المستعمل بدقة ، وجدت بقايا منه في الرئة أدت إلى إضعاف الرجل وشله .. استطاع القاتل قتله بدون مقاومة كان مخدرا ولكن من فتح له الباب؟ لا ندري .

فقال مالح : هل مع القاتل مفتاح ؟ !وكيف عرف أنه في هذه الغرفة بالذات ؟!

قال جادور : تابعت التحقيق مع رجال الشرطة .. فهناك أشياء محيرة .. فالسكرتيرة الهندية كانت مثلنا في دهشة وحيرة وذهول وخوف.. والتحقيقات لم تثبت شبهة على أحد من أهل القصر ، ومع ذلك يجب أن يكون القاتل من الداخل لصعوبة دخول غريب القصر ، ويعرف ترتيبات الأمن والحماية ، ويصل للرجل ويفتح الغرفة ويغتاله .. أسيادي في الداخل قاتل ذكي من هو ؟ من هو ؟ كم أنا محب ومتشوق لأن أعرفه ؟! .. أرجو أرجو من الله تعالى أن توفقوا في معرفته وتقديمه للعدالة والقانون .. فصاحبنا بسيم يستحق منا ذلك رحمك الله أيها السيد بسيم .

١٩

رتب العقيد حاتم والمقدم مالح مع مدير أمن جاد أن يقدم لهما مجموعة من أفراد الشرطة لمرافقتهم إلى القصر الصحراوي ؛ لإحداث الرعب في نفس أو نفوس الجناة ، فاستجاب المدير لذلك ، وكلف سيارة نجدة لمرافقتهم ومجموعة مسلحة من دوريات الأمن ، ولما وصلوا للقصر بعد حين فتح لهم الحارس البوابة ، واستقبلهم السكرتير مايا ورامان زوجته ـ وقد كانا على علم بمجيئهم ـ وانتشر الشرطة على باب قاعة الطيور ومداخل الطابق الأول بأسلحتهم ، ووقفت سيارة عند بوابة القصر ، وكان العقيد ليلة أمس طلب من السكرتير إخبار الموظفين بفتح التحقيق من جديد لإغلاق ملف القضية ، وأن الشرطة مصرة وعازمة على اكتشاف الجاني وفي غرفة في الطابق الأول أعدت للتحقيق وقف أمامها شرطيان بلباسهما الرسمي ، وأسلحتهم الألية ، وجلس فيها العقيد حاتم ومساعده مالح والكاتب محمد والمترجمون الثلاثة وفنيو التسجيل ، وقائد فصيل الشرطة المرافقة والسكرتير مايا فقال العقيد : سنبدأ بالحديث معك يا سيد مايا . فجلس مايا على مقعد مقابل لحاتم وقال : تفضل يا سيدي إني أحسن العربية .. وكان موته صاعقة بالنسبة لي ، وتمنيت لو لم أسافر تلك الأيام .

قال العقيد : كيف التقيت بالسيد بسيم الجدية ؟

سكت لحظات وتردد في الإجابة أو كان يفكر ، ثم قال له حاتم : أنت من القارة الهندية .. العمر ٥٣ .. هكذا يقول جواز سفرك الموجود لدى المحامي داود .. ولك أكثر من عشرين سنة تعمل مع السيد بسيم !

وكان العقيد يقرأ من كشف أعده له المحامي داود محمد قبل أن يغادره لجاد ، وقد أشرنا إليه سابقا .

ترك مايا السيجارة على منفضة السجائر وقال بحزن ظاهر للرائي : اعلم سيدي الضابط أن المجرم حقق جريمته وأنا في إجازة ، وندمت أشد الندم ؛ لأننا كنا على علم بخطر محدق بالسيد لكن موت أبي في الهند دفعني للسفر لترتيب أمر الأسرة ، فاستغل المتآمرون غيابي ونفذوا مأربهم

وأنا متأكد أن بيننا قاتل.. ولكن ظهور حكاية الكنز المخفي في هذا القصر وعدم بيع القصر حتى يظهر الكنز هي التي أثبتت أن القاتل موجود بيننا .. كانوا يظنون أنه بعد مقتل الرجل سيمكث القاتل الخفي شهرا شهورا ، ثم يقوم الوارث بالتخلص من القصر والتخلص من موظفي القصر ، فلم يعد لنا فائدة بعد الفشل في حماية السيد الكبير .. وأنا حاولت منذ عدت بالوصول للقاتل فلم أصل لشيء ..ولكن القاتل المنفذ للجريمة له أسياد في الخارج ، وأرى أنهم يسكنون في جاد أو يترددون عليها ، وأعتقد أن الآمر للجريمة من خارج البلاد .. دعني أشرح لكم نظام الحراسة والأمن في هذا القصر قبل أن أتحدث عن معرفتي وصلتي بالسيد الكبير لتعلموا أن الاختراق أمر ليس بالهين .

ـ تفضل يا مايا نحن مهمتنا الاستماع فكلامك جميل ومهم .

قال مايا بعد تنفسه العميق : السور الخارجي المحيط بجميع القصر بناء وبستانا مرتفع كما شاهدتم في الزيارة الأولى ، والأضواء الكاشفة المنتشرة والقائمة عليه قوية تكاد تضيء الصحراء بالليل ، ولا تعتمد على مصدر طاقة واحد إذا تعطل أحدها لا تتعطل كلها ، فحتى البستان يبدو نهارا في الليل ، فلا يمكن لشخص أن يتسلق الأسوار ويدخل دون أن يكشف والسور عليه أجهزة إنذار سرية من أفضل الأجهزة في العالم ، وحُدث الكثير منها من سنوات قليلة قد مضت والسور الداخلي مرتفع وإن كان أقل ارتفاعا من الخارجي ، وهو الآخر عليه نقاط إضاءة حادة ونقاط إنذار ، فلو وقف عليهما طائر تضيء الأجهزة في غرفة التحكم والسيطرة المتطورة باستمرار.. ولقد ألقيتم نظرة عليها سابقا .

ـ نعم يا مايا

ـ خط الدفاع الأول البوابة وهي ضد الرصاص ، وبعض القنابل اليدوية ، وتفتح من غرفة السيطرة أوتوماتيكيا بالتيار الكهربائي .. لا يمكن لحارس البوابة فتحها باليد .. والأسوار عند الحاجة مكهربة تصعق كل كائن حي ، وكذلك البوابات تصبح مكهربة عند الاضطرار والحاجة الخطيرة .. ولدينا حراس خمسة من جنسيات خمس يتناوبون على البوابة الرئيسية ولا

منفذ للقصر إلا منها .. وفي الليل يتناوبون على غرفة السيطرة ، وإذا احتجنا لفتح البوابة لطارق يوقظ أحدهم حسب النظام لفتح البوابة .. لا تترك غرفة السيطرة بدون حارس منهم حتى ولو أراد الذهاب للمرحاض أو الطعام يجب أن يبقى واحد فيها .. ويسمح له فيها بمشاهدة التلفزيون والدخان إن كان من المدخنين .. ومنذ أنشئ هذا القصر حقيقة لم تختبر فعليا هذه الإجراءات .. لأن وصول الأجانب إلى هذه الصحراء أمر صعب ؛ ولكنه غير معجز ..ونحن كل ستة أشهر نجري تمرينا وتدريبا لهذه الأجهزة والأدوات .. ويعمل في اليوم الواحد ثلاثة حراس واثنان لهما استراحة كاملة داخل القصر أو خارجه ، والذي يحرس عند البوابة له النوم داخل كوخه أو غرفة البوابة ولديه جهاز تلفزيون للتسلية ، أما في غرفة السيطرة فممنوع للمكلف بالحراسة والمراقبة النوم ؛ لأنه هو الأصل فإذا رأى شيئا يقترب من القصر ضغط زرا لتنبيه الحارس للبوابة فيتلقى إشارة أنه مستيقظ ، وإذا كان نائما استخدم لتنبيهه جرسا صوتيا مزعجا ..فيستيقظ ويعطي الإشارة ويستعد لفتح البوابة .. فيراعى في النظام الحاجات الإنسانية البدنية .. وتراعى مصلحة السيد في الحماية والحراسة .

ـ تابع أيها السيد .

ـ عندنا أبراج على سطح البنيان لا تستخدم ولا يوجد فيها حراسة ؛ لأننا بصراحة لم نحتاج إليها يوما .. ويصعد أحد الحرس يوميا يتفقد السطح وحول القصر من الأعلى .. ويخلي السطح من أفراد القصر إذا كان أحدهم في الأعلى ، ويتفقد الأبراج وخلوها ممن يختفي فيها .. ومعه جهاز متصل بغرفة السيطرة إذا واجه شيئا عليه أن يستخدمه لإرسال إشارة سريعة أن هناك خطرا .. ولما ينته التفتيش يغلق باب السطح بمفتاح خاص يكون مع الحارس ، وهو يغلق آليا عند الاضطرار .. لأن السيد يسمح لسكان القصر بالصعود لظهر المكان خلال ساعات النهار وعلى السطح خزانات مياه تحتاج لتفقد وصيانة وكذلك شبكات التلفزيون والأطباق الفضائية في الفترة الأخيرة .. وعلى ظهر القصر مقراب لمراقبة الصحراء عند الضرورة .. واعلم أن كل طابق في وقت محدد كل ليلة يغلق ويعزل عن الطوابق العليا الأخرى ، وقاعة الطيور والطابق

الأرضي لا يسمح لأحد بدخولها إلا لضيوف القصر .. وهما مغلقان باستمرار إلا عند التنظيف والحاجة .. وأبواب الطوابق مصفحة ضد الرصاص والمصعد عند إغلاق أبواب الطوابق يتوقف عن العمل البتة ، وتفصل عنه الطاقة الكهربائية من حجرة السيطرة والتحكم .. فكل ساكن يبقى في طابقه حتى أنا وزوجتي ننعزل في الطابق الثاني ، لأننا الوحيدون من نعيش فيه ، وأيضا ممنوع عليهم الصعود للطوابق العليا بدون عمل معين ؛ ولكن ضبط ذلك فيه مشقة بسبب أنه يصعد البعض للنظافة لخدمة السيد لتوصيل شيء لغرفة لطلب شيء من السيد مباشرة ..وهذه أضعف نقاط الحماية في القصر ؛ لأن المهام تختلط لحاجة القصر إلى نظافة متكررة فنرسل عددا من العمال فربما يلحق بهم آخرون لمساعدة من يحتاجهم ، وعادة مثل هذه الأعمال تكون في الصباح حتى فترة الظهر لكن عند إغلاق الأبواب لا يمكن لأحد التسلل للأعلى ، من أجل هذا أقول أن القاتل من سكان القصر وعاش بيننا للقتل ، وقتل بدم بارد ؛ لأنه عاشر الشيخ ، وأكل من طعامه ، وأخذ مالا من خزنته ، ويعرف نظام القصر الأمني أو يعرف بعضه وارتكب جريمته قبل إغلاق الأبواب .. يا سيدي المحقق عند انتهاء الدوام اليومي لهم النزول للبساتين والمسابح والألعاب .. ولكل أسرة شقة خاصة بها ، والأكل جماعي يقدم لهم في صالة الطعام في أوقات محددة ، وهنا صالة السهر واللهو ، وفي كل شقة أو جناح حمام ومطبخ صغير ويمكن للعامل أن يدخل المطبخ العام للمزيد من الطعام والشاي والقهوة والمثلجات فهو غير مغلق .. الخمر ممنوعة داخل القصر من أراد الشراب فليذهب في إجازته الأسبوعية لمدينة جاد أو غيرها ليشرب الخمر .. وممنوع إدخالها للقصر ولو سرا .

وإذا مرض شخص عليه أن يتصل بي أو بزوجتي رامان ، وأنا أقدر الحاجة إلى طبيب خارجي وربما يعطى بعض المسكنات لتخفيف الألم ، فلدينا صيدلية إسعاف أولي في الطابق الذي نجلس فيه ، يشرف عليها صيدلي من مدينة جاد يمر علينا كل نهاية شهر ليتفقدها وهو جاهز عند الطلب ، وفرنا قديما طبيبا للقصر ، ثم رأينا عدم الحاجة إليه .. لأننا عند الضرورة نطلب سيارة الإسعاف من المستشفى في جاد أو المستشفى الخاص الصغير في آخر جاد .. ولدينا مجمع الدكتور

جادور فيه قسم طوارئ صغير .

أشعل الرجل سيجارة وقال : مقتل السيد الكبير حدث في فترة غيابي أولا وثانيا في فترة لم تغلق فيها الأبواب للطوابق فيمكن للمتربص الاستفادة من ذلك .. واعلموا أن توظيف هؤلاء الأفراد ليس بالهين والسهل .. والكثير له زمن طويل معنا ..لكن النفوس تتغير وتشترى .. الآن سأتكلم عن نفسي وعلاقتي بالسيد بسيم الجدية .. السيد الكبير كما تعلمون من كبار تجار السلاح في العالم ، وهو ضمن شركات خاصة بهذه التجارة أي لا يعمل بمفرده والحروب هي مصدر ثروتهم وتجارتهم ؛ ربما يبيعون للطرفين المتقاتلين ؛ لأن العواطف والانحياز لا يجب أن يدخل في عملهم .. فهم لهم علاقات تجارية مع كبرى شركات إنتاج الأسلحة والرصاص والقنابل والألغام والصواريخ وحتى الطائرات الحربية تجارة كغيرها من التجارة ، وإن تديرها دول وتشرف عليها لكن هناك شركات ومصانع ليس لها ارتباط بدول ، فالرجل له علاقات بعصابات دولية تتجر بالذخيرة والرشاشات وغيرها من قطع الغيار ، وحتى عصابات المخدرات تتقاطع مصالحها مع تجار السلاح ؛ لأن بعض الدول والمتمردين يدفعون ثمن السلاح من أموال المخدرات ؛لأنهم ليسوا دولا عندهم ضرائب وميزانيات ، تجارة السلاح إجمالا معقدة وفيها سماسرة كثر .. وله شركاء في الهند مسقط رأسي أنا ، والهند بعد الحرب العالمية الثانية كانت بؤرة حرب وقتال خاصة بعد خروج الإنجليز المستعمرين وتقسيم البلاد إلى دويلات مثل الباكستان .. فكانت بلادنا بؤرة صراع دولي ، ثم ظهرت دولة بنغلاديش للعيان ونيبال وسيرلانكا وكشمير .. فهي مرتع خصب لتجار وسماسرة الأسلحة .. قرأت مرة إعلانا في جريدة هندية عن طلب رجل أعمال لسكرتير وكنت أعمل سكرتيرا في شركة هندية خاصة ، فقابلت الرجل بسيم الجدية وهو يجيد الحديث والحوار باللغة الإنجليزية رغم أنه لم يدرس في جامعة ؛ لكن الحياة علمته ذلك ، ووقع عليّ الاختيار ، وفهمت ووعيت طبيعة العمل والأخطار المحدقة بي وبعملي ، وبعد تردد وافقت على العمل وقدمت استقالتي من شركة بلدي.. فالأجر كان كبيرا في شركة السيد بسيم وشركائه ، وعلمت أن عملي سيكون عمل سكرتير خاص

بالرجل ، وإن كان راتبي سآخذه من الشركة القابعة في الهند ، وعلمت منه أن حركته دائمة ، فصرت أتنقل معه عبر قارات العالم يوما في البرازيل حيث لهم مجموعة من الشركات والأسماء التجارية ؛ ربما تكون الشركة مسجلة لتجارة الدقيق أو الحليب وهي تتاجر بالأسلحة، فيكون الحليب أسلحة والدقيق أسلحة .. ويوما آخر في فرنسا خاصة أيام حرب فيتنام الفرنسية .. ويوما في دولة عربية .. ولما كان يأتي لهذا البلد كان يسمح لي بزيارة أهلي وزوجتي ، لقد كان لي زوجة قبل هذه التي معي هنا ؛ ولكنها ماتت في فيضان أصاب منطقتنا في بلادنا الكبيرة كما تعلمون .. وأما زوجتي رامان فقد تزوجتها منذ سنوات قليلة ، فهي فتاة متعلمة في الجامعة وجيدة .. فهذه بداياتي مع الشيخ الكبير بسيم الجدية رحمه الله الرحمة الكبيرة .. أما عن استقراري في هذه المدينة والبلاد فخيرني الرجل بين البقاء والاستقالة فآثرت مرافقته إلى الأبد ، فقد كان الرجل كريما معي ، وأعرف الخطر المحدق به من الأصدقاء والأعداء خاصة بعدما نجا من حادث تفجير رهيب قبل سنوات من موته .

فقال العقيد : أتشك في أحد معين يا مايا ؟

ـ حقيقة أشك في كل موظف يعمل معنا من أمريكا اللاتينية .. فهم الأكثر عداء للرجل أقصد عصابات تلك البلاد ، ولديهم غريزة الحقد والانتقام والثأر ، وله أعداء أشداء من عصابات المخدرات والتهريب .. فأمريكا بجبروتها العالمي عاجزة على القضاء على عصابات المخدرات والمهربين الزاحفين من المكسيك وكولومبيا ، وقد خطفوا ابنة له قديما في البرازيل ، وعمرها عشر سنوات للمساومة ولم يفلحوا في ذلك ، وقيل إن أحدهم تزوجها أحد أفراد العصابات أما أحد معين لا أستطيع ذلك أيها السادة صدقوا أنني بعد عودتي حاولت أن أجعل من نفسي مخبرا سريا فلم أنجح ، وأنا على استعداد للتعاون الكامل .

ـ وباقي الموظفين كيف تختارونهم ؟

ـ كلهم أجانب بالنسبة لهذا البلد ، وهم من عدة جنسيات .. التنوع من وسائل الحماية وعدم الاختراق للقصر ، وثانيا ليبق هؤلاء في القصر على طول أو أغلب أيام السنة .. فالمواطن المحلي

سيصعب عليه البقاء هنا باستمرار .. له أهل وأقارب وزيارات .. قضية أمنية حسب علمي .. فهؤلاء ستبقى حركتهم قليلة .. هذه وجهة نظره يا سيدي .. وتنوعهم يصعب عملية التواطؤ عليه .. فالحراس الخمسة من بلاد خمس ، أحدهم برازيلي والثاني بوليفي والثالث من فيتنام والرابع من الباكستان والخامس من أفريقيا .. لغاتهم مختلفة لا يفهمون على بعض إلا بلغة وسيطة كالإنجليزية مثلا .. فهذا في رأيه يضعف تآمرهم وخيانتهم .. وهكذا سائر الموظفين في القصر .

فقال العقيد مبتسما : وهذا خط دفاع آخر !

فقال الهندي مايا بحزن وأسف : ومع ذلك أيها السادة وصلوا إليه .. وأنا مثلكم متلهف لمعرفة اليد الآثمة الجبانة الغادرة مع يقيني أن العقل المدبر لهذه الجريمة من خارج القصر ؛ وربما يجلس الآن مع عشيقته في بلاده يحدث الناس عن انتصاره واغتياله لخصم له .. وهم أغروا القاتل بفعلته ونجاته ، وأن القصر سيغلق بعد الجريمة بأيام ، وربما أشهر ..وسينتهي بسيم الجدية من التاريخ .. ومع ظهور الكنز وبقاء القصر انحشر الجاني ، واضطر للصمت حتى لا يكتشف .. ولا أحد طلب طلب إخلاء حتى لا يشتبه به.

٢٠

استطاع العقيد حاتم إثارة الرعب والقلق في نفوس العاملين في قصر السيد بسيم بإظهار الشرطة المسلحة والإيحاء بأن الشرطة عازمة ومصممة على معرفة الجاني الخائن الغادر رغم مرور ما يقارب السنتين على الجريمة .

استدعيت رامان زوج مايا بعد مغادرة مايا للاستجواب ، وبعد الترحيب وقرأ العقيد المعلومات الموجودة في الكشف المعد بأسماء ووظائف سكان القصر ، ذكرت أنها التحقت بالعمل في القصر بعد اقترانها بمايا في أثناء إحدى إجازاته ، التقيا في مناسبة زواج عن طريق قريبة له ، ثم تزوجا ، وجاء بها إلى القصر بعد موافقة السيد الكبير ، وهي متعلمة ومتخرجة من قسم إدارة الأعمال ، وذكرت أنها لم تأخذ إجازة خارج القطر منذ التحقت بالعمل ، ولها طفل واحد ، وذكرت نشاطها ليلة الحادث فقالت : كانت الأمور تسير كالمعتاد ، لم ألحظ شيئا متغيرا خلال النهار عما ألفناه .. كل شخص في موقعه ، وتحدث معي السيد في فترة الصباح على الهاتف وسألني عن وضع القصر ، فقلت له كل شيء على ما يرام .. لم يشكُ مرضا ، ولا ألما .. وتابعت نشاطي المكتبي كسائر الأيام ، ومررت على المطبخ وتحدثت مع الطهاة ، ودخلت غرفة التحكم المجاورة لمكتبي أنا وزوجي ، وتحدثت مع الحرس .. وتابعت شغل الخدم في تنظيف الطابق الأول والثاني الغرف المفتوحة طبعا كقاعة الاجتماعات والمحاضرات والمكتبة .. فالمكتبات لا تغلق أبوابها حتى مكتبة الطابق الأول الرئيسية ، ويسمح لمن يرغب بالقراءة الجلوس فيها ، وبعد العصر زرت البستان ورأيت عددا لا بأس به من الموظفين هناك وعدت لمكتبي ، وكنت أقرأ في كتاب عن إندونيسيا أكثر دولة فيها مسلمون ، وصدمت عندما تحدث معي الحرس عن قدوم الطبيب ، وكنا قرب الساعة الثامنة إلا ربع مساء ، فالسيد لم يتحدث معي عن طلبه الطبيب ؛ ولكنه في العادة عندما لم يكن مايا في القصر يستخدم الهاتف المباشر {دايركت} يستغني عن المقسم في اتصالاته الطبية ، فتركت المكتب ونزلت حيث البوابة ـ وكان الحارس يفتح لهم الباب بعد موافقتي على فتحها قبل الهبوط للبوابة ـ فلم يخبرني السيد باستدعاء

الطبيب ، وأنا لم أعلم بمرض أحد ذلك النهار وأول ذلك الليل .. فنحن لم نطلب طبيبا وعادة استدعاء الطبيب من ضمن عملي أنا ومايا ..قمنا باللازم اتصلت بغرف النوم الخاصة بالسيد لنعرف في أي غرفة هو موجود ، فلم نتلقَ ردا ، فزاد رعبي ووقع في قلبي موت الرجل بسبب الشيخوخة والهرم ، فتكلمت مع الحرس عن رؤيتهم للسيد مساء اليوم فأخبرني أحدهم عن رؤيته له وهو يغادر السطح ، وكنت سأطلب منهم جلب خادمه الخاص لي ـ والخادم بعد أن يتعشى السيد لا يعرف أين يبات السيد ؟ عندما يحتاجه يضغط على جهاز خاص بينهما ، فيذكر له أين هو ؟ لكن الحارس الإفريقي سينكالا كامارا اختصر الخطوة ، وذكر أنا رآه عندما كان يفتش السطح ويغلق بابه .. رآه في غرفة بجوار مكتبة الطابق الثالث ، فأخذت مفاتيح غرف الطابق الثالث كلها ، وركبنا المصعد والخوف والقلق على حياة السيد ينتابني .. وصلنا الغرفة حركت أكرة الباب فكان مغلقا ، فتحت الباب بالمفاتيح التي حملتها معي ، أضاءت النور والتفت نحو السرير ، وكانت الصاعقة .. الرجل كأنه نائم ؛ ولكنّ الدم يملأ وجه وسريره ، وقام الدكتور جادور بالواجب الطبي ، ثم تحدث مع البوليس المحلي ، وبعد ساعات كان المكان يمتلأ برجال الأمن والبوليس ، وانتشر خبر مقتل السيد في القصر ، وبدأ التصوير والتحقيق الأولي .. وقمت أنا بالاتصال بمايا ناقلا له الخبر ومعزيا ، وأعطيت الشرطة هاتف المحاميين داود وحمدان وهاتف السيد أديب حفيد الرجل ، وكنا قد أغلقنا الطابق الأول والثاني فور اكتشاف الجريمة .

فقال العقيد : إذن اتصال السيد بسيم بجادور لم يتم عبر مقسم القصر .

ردت رامان: لدى السيد خط هاتف لا يمر عبر المقسم ؛ لذلك تجدون في بعض الغرف أكثر من هاتف متجاورين ..فالسيد يحب أن يتصل أحيانا دون المقسم الداخلي زيادة في الأمان والسرية ومكالمات سكان القصر كلهم ما عدا السيد تمر عبر مقسم القصر الموجود في مكتب السكرتاريا بجوار غرفة السيطرة ، ونستقبل الاتصالات الخارجية عن طريق المقسم خاصة لموظفي القصر وتسجل المكالمات كلها ما عدا مكالمات خط السيد الخاص وهناك إجراءات أمنية أخرى تتبع

ـ أتشكين يا سيدة رامان بشخص معين ؟

ـ أغلب سكان القصر من قدامى العاملين .. فبعضهم منذ أنشئ القصر ، وبعضهم له أكثر من عشر سنوات ، وأقلهم ثلاث سنوات قبل ليلة الجريمة ، فالحارس الإفريقي عند الحادث كان له في الخدمة تقريبا ثلاث سنوات ؛ ولكنه عمل حارسا للسيد الكبير في أحد بلدان أفريقيا ، وكان يعمل هنا قبله حارس أفريقي ، فلما مات أثناء إجازة في بلده ، أحضر سينكالا كامارا للعمل مكانه أو نقل للعمل هنا ، وأذكر أيضا أن ابنة رجل الكوي والغسيل (ماريانا توماس برينو) التحقت بنا هنا منذ ثلاث سنوات ، الشابة الصغيرة عندما انتهت من جامعتها ، ووافق السيد على عملها مع أمها وأبيها في القصر قل حالة إنسانية خاصة ، وهناك السائق الهندي {بكار} له ثلاث سنوات أيضا عند وقت الحادث .. فهؤلاء أقل الناس خدمة وعملا هنا .. فالكوى {توماس} وزوجته يعملان في القصر منذ بني القصر ، وقبل سنوات تعلقت ابنته المتخرجة من الجامعة بالمخدرات ، ولما كانوا في زيارة لبلدهم ورأوا حالها ترجوا السيد أن يسمح لها بالبقاء معهم ، فجاءت وأرسلها لمركز علاج الإدمان بضعة شهور ثم ألحقها بالعمل مع والديها في غرفة الغسيل والكوي ، وهي دائما كئيبة وحزينة ، وتدخن بشراهة وكثرة ، وتصرف كل دخلها على الشراب والدخان ، وحاولت إدخال الخمر على القصر ، فرفض السيد ذلك ؛ فلذلك تخرج كل أسبوع للعاصمة أو جاد لشرب الخمر ؛ وربما تعاطي المخدرات ولا أدري كيف تحصل عليها ؟! وعندنا نظام رحلات ونزهات للموظفين والعاملين معنا ، والذي يراه السيد كثير السكر فيصرفه من العمل وينهي عقده ، وكان السيد ينتظر إنهاء خدمات الكوى وزوجته بانتهاء عقدهم مع شركة الضمان الاجتماعي ليصرف الفتاة معهم .. وقد حاولت مرة إدخال المخدرات للقصر لتتعاطها .

ـ من أين تحصل عليها ؟

ـ لا أعرف بالضبط يا سيدي .. فالتفتيش عند العودة لابد منه ، كل من يخرج في رحلة في إجازة في مشوار في علاج يفتش بكل دقة عند عودته .. ممنوع إدخال مواد مسكرة ومخدرة وأسلحة

وذخيرة بأنواعها المختلفة .. ومرات نطلب رجال مكافحة المخدرات ونستعين بهم لعمل جولة في القصر .

فقال حاتم : هذه الفتاة لابد من رؤيتها لنعرف من أين تحصل على المخدرات ؟ .. فهل يسمح بخروجهم يوميا أسبوعيا ؟

قالت : إن لم يكن أحدهم مريضا يرتب لهم المحامي داود زيارات ورحلات قد تأخذ يوما أو أكثر إلى أماكن سياحية أو إلى حدائق عامة ومتنزهات .. ونسمح لهم يوم الأحد بزيارة المدينة بضع ساعات مدينة جاد طبعا .. يذهبون لمن يرغب بحافلة صغيرة تأتي من المدينة منذ الصباح وعلى التاسعة ينطلقون ،وقبل المغرب يقفلون إلا من استأذن للنزول للعاصمة على رغبته ونفقته ولا يذهب الجميع طبعا في نفس الوقت .. والكل هنا عائلات يا سيدي .

ـ هل يمكن تجنيد شخص أثناء رحلات العاملين ؟

قالت : عندما ينزلون المدينة يتفرقون ويخبرهم السائق بأن وقت العودة الساعة كذا ، ويذكر لهم مكان التجمع ، ومن يتأخر عن موعد الحافلة يعود وحده أو من معه أو ينام في المدينة على نفقته الخاصة ، ويقبل في الصباح بسيارة أجرة ، وعليه أن يتصل بالقصر مخبرا لنا بتأخره ورغبته بقضاء الليل في مكان كذا .. السيد يوم الإجازة يترك لهم الحرية في السهر واللهو .. القصر ليس سجنا .. فإمكانية تجنيد شخص واردة ؛ ولكن إدخال شيء مما سبق وذكرته لكم من الممنوعات لا يمكن إدخاله ، وإلا الحرس كلهم يتحملون المسؤولية على وجود شيء لا يسمح في وجوده .. والاتصالات كما أخبرتم تحت المراقبة وتسجل ، ورغم طول العهد كنا نتابع المهام

ـ شكرا سيدة رامان .. وعلينا أيضا مقابلة الحارس الإفريقي أيها السادة .. فهو آخر من رأى السيد حيا عدا قاتله .. لو أرسلتيه لنا من فضلك .

وجاء الحارس سينكالا كامارا وبعد جلوسه والترحيب به قال المحقق : كان دورك تلك الليلة المؤلمة على قلبك أن تتفقد السطح وتغلق الباب أليس كذلك؟

تبسم الرجل وبانت الأسنان البيضاء اللامعة وقال : نعم ، حزنت جدا لمقتل الرجل الطيب لقد

عاشرته سنوات وسنوات قبل أن أسكن معه في هذا القصر ، لقد بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي عندما مات ..عندما نزلت الدرج متجها للمصعد كان السيد يترك المكتبة ويدخل الغرفة المقابلة لها .. هي غرفة استراحة وقيلولة للرجل ومعدة للنوم ، فأحس بي فالتفت إليّ فأشرت بيدي للأعلى ففهم أني كنت أتفقد السطح وحول القصر من الأعلى ، وأغلقت الباب للسطح فحييته ، ورد التحية ودخل الغرفة ، وتابعت مشيي إلى المصعد ونزلت لغرفة السيطرة ووقعت على دفتر إغلاق السطح ، وجلست قليلا مع (السيدة رامان) ثم ذهبت لقاعة الطعام وطلبت عشائي .

ـ إذن تكلمت معه بالسلام.

ـ نعم يا سيدي ، ودخل الغرفة أمامي وكان طبيعيا ، لا يبدو عليه القلق والانزعاج ، وأنا أعرفه جيدا يا سيدي .. ولما جاء الطبيب جادور أصبح عندنا طوارئ كما يقال أخبرنا رامان ونزلت لاستقبال الطبيب ومعرفة سبب حضوره ، وكان أحد الزملاء نزل لفتح البوابة عندما رأينا السيارة تدخل طريق القصر أو بوابة القصر الرئيسية ، ولما علمت أنهم فشلوا بالاتصال بالسيد أخبرتهم أني رأيته في الطابق الثالث يدخل غرفة استراحة المكتبة ، وذهبوا لهناك ، وكانت المفاجأة المؤلمة كما قلتم يا سيدي .. وهذا قلته بدون تردد لرجال البوليس في التحقيق القديم .

ـ ذكرت أن الرجل كان طبيعيا كما تعودت عليه ؟

ـ أجل يا سيدي كما كنت أراه دائما.

ـ شكرا سيد كامارا

ـ عفوا سيدي .

٢١

التقى فريق التحقيق بباقي أفراد الحرس ، ولم يضف أحدهم شيئا مهما للتحقيق ، ودخل الطهاة وخدم القصر وزوجات الحرس ، كان العقيد ينظر للشخص ويقرأ المعلومات المكتوبة بالكشف عنه ، ومسماه العملي أي مهنته في القصر ، ووجد أن أغلبهم قريب من الخمسين سنة عمرا ، وطال الحديث مع الخادم الخاص الأسيوي عزيز الباكستاني الذي قال إنه ترك السيد في قاعة الطعام بعد أن قدم له العشاء الخفيف والشاي ، وبعدما انهى السيد طعامه أخذ صينية الطعام ، وترك له وعاء الشاي الساخن ترموس ونزل للعشاء في قاعة الطعام ، وبين أن السيد عندما يحتاجه شخصيا يتصل به بواسطة جهاز خاص بينهم ، وجلس في صالة الطعام يتعشى مع زوجته التي كانت تنتظره فيها ، وذكر أنه وجد في الصالة الطهاة الأربعة الرجلين وزوجاتهم ، وكان المسؤول عن الغسيل والكوي السيد توماس البرازيلي يتناول طعامه هو وزوجته أيضا دون ابنتهما فقالا إنها أكلت لقيمات وذهبت لتدخن ، وأخبر الرجل أن السيد بعد تقديم وجبة العشاء له لم يتصل به ؛ لأنه ترك الشاي عنده ، وصعق الرجل لما سمع الخبر وصدم وذرف بعض الدمع تأثرا على اغتيال الرجل ، وكان ينتظر إنهاء خدماتهم بعد انتهاء التحقيق ، لأنه لم يعد له عمل مخصص بعد موته السيد .

فقال العقيد لمن معه بعد سماع أقوال الخادم وأين كان وقت حدوث الجريمة كما بينه لهم الدكتور جادور ؟ فبعض الموظفين كانوا في قاعة الطعام يأكلون ، وبعضهم يجلس في صالة السهر يشرب القهوة والمشروبات ،وبعض آخر يجلس في غرفة التدخين يدخن : سبحان الله رغم كل الاحتياطات الأمنية والتكنولوجيا المتيسرة وصلوا للسيد بسيم !

كان العقيد حاتم يركز في السماع على تحديد مكان وجود الشخص ساعة مقتل السيد التي حصرها العقيد في وقت الاتصال بجادور بعد آذان المغرب بقليل وانقطاع المكالمة الخطيرة .

كان يتصور المحققان أن انشغال أهل القصر بوجبة العشاء عند موعد صلاة المغرب ساعد على ارتكاب الحادث ، فلما ترك الخادم الآسيوي عزيز السيد تسلل القاتل إلى أعلى ولم يلتقِ بالحارس

الإفريقي أو كان مختبئا في الطابق الثالث .. استطاع الوصول لغرفة السيد حيث دخل السيد يصلي .. استطاع إدخال الغاز للغرفة ، فتعب السيد من الرائحة فاتصل بجادور ، ودخل القاتل وتابع جريمته هكذا كان تصور المحققين للجريمة .

جاء الكوا توماس وزوجته وابنته الذي بين لهم أنه يعمل مع السيد منذ بدأ السيد توظيف الموظفين والعاملين لخدمة القصر ، وكان يبلغ الخمسين عاما عند حدوث الجريمة ، وهو من مدينة ريو البرازيلية ، وأنه عمل في شركة من شركاته في البرازيل ، وكانت الشركة تعمل في استيراد الثياب وتصديرها لدول أمريكيا اللاتينية الأخرى ، وكانت وظيفته فيها الكي والغسيل ثم تعرف على زوجته من خلال الشركة ، وهي مواطنة قدمت من ريف العاصمة وبعد حين تزوجا حسب تقاليد البلاد ، وهما من أصول هندية حمراء ، وذكر أنه قبل العمل في شركة السيد بسيم عمل في أحد فنادق العاصمة سان باولو ، وذات يوم أخبره رئيسه في العمل عن حاجة الشركة لعمال غسيل وكوي الثياب ، فانتقل إليها ، ثم جاء للعمل مع السيد في قصره النائي ، وكانوا يستوردون ملابس من أوروبا مستعملة وغير مستعملة وقال : وعلمت ـ فيما بعد ـ أن هذه التجارة واجهة لترتيب صفقات السلاح لا أدري كيف ؟ فإنما كان عملي الغسيل والكوي ولا أدري كيف كانوا يبيعون السلاح من خلال الشركة ؟ لكن كان من المعروف لي ولزوجتي أن السيد تاجر سلاح.

تابع قائلا : جئت لهنا لفترة قصيرة للتجربة ، ثم طاب لي المكث فظللت مع السيد الجدية حتى مات ، وأنتظر إنهاء خدماتي والعودة للبرازيل ، وقبل مجيء إلى هنا كان لديّ ثلاثة مواليد أكبرهم عندما جئنا كان عمره عشرين سنة ، فشل في المدرسة وترك الأسرة ، وتعلق في المخدرات تعاطيا وترويجا ، وعجزت عن معالجته فتركته لمصيره ، والبنت التي تصغره لما بلغت سن المراهقة تركت البيت للحياة مع أصدقائها في المدينة ، وكانوا أصدقاء سوء ، وأما التي أحضرتها إلى هنا للعمل مع السيد فتكفلت بها شقيقة لي ، فعاشت معها في قرية قريبة من المدينة وكنت أرسل لها المال حتى تخرجت من الجامعة ، ومع ذلك تعلقت هي الأخرى أثناء الجامعة

بالخمر والسمر والحفلات ، وقد ولدت ولادة غير شرعية من عشيق أو صديق ، وتخلى عنها الرجل فازدادت إدمانا ودخانا ، ووافق السيد على مجيئها شفقة منه علينا ، وقدم لها العلاج في هذا البلاد ؛ ولكنها للأسف ما زالت تبحث عن المخدرات وتتعاطها ، فقد تبعها بعض رفاقها إلى هنا ، وقد حاول السيد منعها من الالتقاء بهم ؛ ولكنها تستغل فترة خروجها للاجتماع بهم وكان السيد قبل موته يريد أن ينهي خدمتي حسب قانون الضمان المحلي ويصرفها ويصرفنا جميعا ، وحتى مرات فكر بطردها قبل إنهاء خدمتي لديه ، وعندما يتحدث معنا ومعها يشفق عليها وعلينا ، ويتجاهل الأمر إلى حين ظانا أنها ربما تتحسن حالتها ، وغلب على ظننا بعد وفاة الرجل أن يغلق القصر وتنتهي الأعمال ؛ ولكن بظهور الكنز المخفي وعدم معرفة الجاني تأجل الخروج والسفر .

وذكر أنه ترك غرفة الكوي في الساعة الخامسة مساء وذهب إلى مطعم القصر ، وطلب كأسا من الماء والقهوة ، ثم أخذ يستعد لتناول العشاء عندما قرع جرس حلول موعد العشاء ، فمشيت لقاعة الأكل وتناولت ما أعده لنا الطاهي (الكسندر) وأكلنا القليل من الطعام ، وتركتنا البنت وذهبنا لصالة السهر نادي القصر ، وشربنا بعض الشاي ، وتحدثنا مع بعض الموجودين ، ثم عدت وزوجتي لشقتنا في نفس الطابق ، فكل العاملين يسكنون في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته شقتهما في الطابق الثاني ، وقبل أن ننام ـ فأنا لا أحب السهر كثيرا ـ انتشر خبر مجيء الطبيب جادور إلى القصر ، ولم أكن سمعت أن أحدنا مريض ذاك النهار أو أثناء العشاء .. وعلمنا أن السيد هو الذي استدعاه فقلقنا إلى حد ما ، ثم جاء الخبر الصاعق بوجود السيد مقتولا في حجرة من حجر الطابق الثالث ، فقد قتل رميا بالرصاص .

ورددت الزوجة بحزن وضيق واضحين ما قاله الزوج عن مأساتها في ذريتها ، وما جرى ليلة مقتل السيد بسيم ، وتحدثت عن سعيها بإنقاذ ابنتها المتعلمة من براثن المخدرات ، وقبول السيد عملها معها هنا ، وسعيه لمعالجتها في المركز الوطني لعلاج الإدمان في العاصمة بلبل خاصة بعد ولادتها سفاحا ، وذكرت لحوق رفاق السوء بها إلى هنا .

أمر العقيد حاتم بإدخال البنت (ماريانا) بعد صرف الأم بعد الأب ، فلما تأملها العقيد ظن أن عمرها قريب من الأربعين عاما سمراء هندية ، كان التعب ظاهرا عليها ، وعلامات الإدمان بادية بشكل جيد رغم علاجها الذي استمر أكثر من تسعين يوما كما يظهر ذلك في ملفها ، وكانت تلبس ملابس شبه عارية ، وكانت تتظاهر بأنها غير مبالية بالاستجواب ، وقد قبلت للعمل شفقة وعطف من السيد عليها وعلى والديها ، وكانت مأساتها واضحة على بدنها وشكلها فجلست حيث أشار لها العقيد ، وقرأ عليها اسمها وتاريخ ميلادها ومكان ولادتها ، وأنها منذ جاءت البلد لم تسافر للبرازيل ، فوافقت على كل ما قرئ عليها ، واستأذنت بتدخين سيجارة فسمح لها بذلك ، فسألها الضابط بواسطة المترجمين عن دراستها ولماذا لم تعمل في خدمة وطنها ؟ فبينت أنها عملت في مستشفى خاص ؛ ولكن بسبب تعلقها بالمخدرات طردت من عملها إلا إذا تعالجت منها فيمكنها العودة لعملها ، وتحسنت صحتها إلى حد ما ، ثم اضطرت للاستسلام لعصابات المخدرات كعشيقة وكمروجة ، وسبب وقوعها في المخدرات رفاقها ذكورا وإناثا أثناء فترة الجامعة ، وأنها ولدت سفاحا قبل تخرجها من الجامعة ، وترك المولود على باب كنيسة لتخلي أبيه عنه وعنها وعدم الاعتراف به ، وأنها تكره الحياة وتحقد على الناس ، وتلعن والديها لإنجابهم لها ؛ ولكنها أمام دموع والديها في آخر زيارة لهما للبرازيل تركت الانتحار ، وأحبت أن تأخذ فرصة جديدة للحياة ، ورحبت بفكرة السفر لهذه المدينة والعلاج الذي وعدت به ، وسافرت إليهما فعلا ، وأدخلت مركز العلاج من الإدمان وتحسن وضعها بعض الشيء ؛ ولكنها التقت ببعض الزملاء الذين لحقوا بها ، وعادت تتعاطى وتتردد على أماكن بيعها الخفية في جاد أو مدن هذه البلاد ، وكذلك التقت ببعض الشباب الذي تعرفت عليهم أثناء فترة العلاج ، والتقوا بعد خروجهم ، فكانت كلما تأخذ إجازة تلتقي بهم في العاصمة أو جاد فيمدونها بالهيروين والحشيش .. كانت تتكلم بصراحة عن حياتها ؛ ولكنها لم تذكر اسما واحدا ممن يشاركونها التعاطي سواء من أبناء البلد أو رفاقها الأمريكيين ، وكانت تتخلف عدة أيام خارج القصر من أجل التعاطي والسكر ، ومرات تعود عن طريق الشرطة ،

واعترفت أنها لم تستطع التخلص من تعاطي المخدرات ، واعترفت بقضايا جنسية مع عدد من المنحرفين ممن تعرفت عليهم خلال فترة العلاج ، وفعلا كانت تقارير اطلع عليها المحققان عن سلوكها الشائن ، وهذه أيضا من الأسباب التي كانت تدفع السيد بإرجاعها لبلدها ، وكان يؤجل الأمر حتى تغادر الأسرة كلها عندما تنقضي مدة اشتراكهم في الضمان الاجتماعي المحلي وقد حاول المحققان معرفة أسماء رفاقها ، ورفضت ذكر أسماء. فقال بعد رفضها : نحن سنساعدك في التخلص من المخدرات إلى الأبد

فقالت بحدة وضيق : لا أريد التخلص منها إني أريد أن أموت .

فتبسم الموجودون من أمنيتها فتابعت بسخط : فشلت في العلاج ، وأنا أنتظر ساعة عتقنا من هذا السجن لا أدري لماذا أبقونا هنا وقد شبع الرجل موتا ؟!

ـ بقيت لأن التحقيق لم يغلق يا آنسة ، وستخرجون من هنا وتعودون لبلادكم ؛ لأننا نسعى إلى إقفال ملف الجريمة بعد هذا التحقيق ، فلو ساعدتم الشرطة في معرفة الجاني لأغلق القصر

فضحكت قهقهة وقالت : وهل ستعرفون القاتل بعد مضي هذه الشهور على الجريمة ؟!

قال العقيد بكل ثقة : أكيد الشرطة لا تمل .. قد يتوقف التحقيق فترة حتى تظهر أدلة جديدة فيفتح التحقيق ثانية ..فالجرائم تبقى مفتوحة حتى يعرف المجرم وتغلق القضية .. فقدموا لنا المعلومات التي لاحظتموها تلك الأيام فستساعدنا في إنهاء القضية .. هل تعرفين شيئا قد نسيت ذكره في التحقيق القديم ؟

لزمت الصمت فقال العقيد : ليلة الحادث بين الخامسة والثامنة كيف قضيت تلك الساعات ؟

ـ تلك ليلة لا تنسى ؛ لأن الجريمة اكتشفت بعد الحادث بساعة أو أكثر كما سمعت .. صعدنا لشقتنا بعد ساعات العمل في الفرن الأرضي قصدي مكان الغسيل والكوي .. ثم ذهبنا للعشاء عندما قرع الجرس ، وأخذنا حظنا من الطعام ، وتركت أسرتي بعد أكل لقيمات إلى صالة السهر وقد تبعاني بعد قليل وشربت كولا لا خمر هنا ، وتركتهما لغرفة التدخين .. فالتدخين ممنوع في قاعة الطعام وقاعة السهر واللهو ، وأخذت علبة كولا ثانية ، ووجدت عددا من المدخنين ،

فجلست أدخن بينهم وأشرب الكولا .

ـ هل كان الكثير معك في غرفة التدخين ؟

ـ ليس الكثير عندما دخلت رأيت أحد السواقين يغادر الغرفة فجلست مكانه .. أذكر أن ثلاثة كانوا حينئذ يدخنون ويشربون البيبسي .. أحد الطهاة منهم .. ثم بقيت وحدي بعد خروج الثلاثة ، وظللت أدخن حتى سمعت بخبر موت السيد ، وانقلب القصر رأسا على عقب .. هناك من يبكي ويولول .. وهناك من يرتجف كأن البرد يغمره .. وهناك الصامت الجامد .. هذا في الصالة بعدما تركت الغرفة على أثر سماع الضجة ..وبعدها مشيت لشقتنا في القصر ، فوجدت والديّ يبكيان للخبر وعلى السيد . فقال لي : مات المحسن إليك أرأيت لقد قتلوه ؟ فمسحت دمعة سقطت ربما رغم أنفي .. لم أحب السيد مطلقا ..وكنت أراه سجانا لنا .. كان يمنعنا من إدخال الخمر والمخدرات للقصر.. أليست هي حياتنا ؟ لم أحبه ، وكان يكثر كلما يراني بتهديدي بطردي من القصر ورمي في الشارع ؛ كأنني عبدة عنده .. لولا دموع والديّ فيشفق عليهما ويصبر ، وكذلك رغبة السيد ببقائهما حتى يحق لهما التقاعد ويضمنان راتب الضمان الاجتماعي .. وذكرت ذلك في التحقيق القديم .. وكل العمال هنا كبار في السن سوى بعض الأطفال الذين ولدو متأخرين

ـ ألم تصعدي إلى الطابق الثالث تلك الليلة ؟

فردت بسرعة ضاحكة : لا يسمح لنا بالتواجد في الطابق الثالث ، لا يسمح إلا لخدم الطابق الثالث .. فالطابق الثالث للسيد وضيوفه .. والطوابق في الليل تغلق فنصبح في سجن فعلي يا سيدي المحقق ..ألا تريد منا أن نكرهه ؟

ـ ولكنك أتيت عن طيب خاطر ، لم يجبرك أحد بالعمل هنا حسب أقوالك ابتداء أم نسيت ؟

ـ كان والديّ قد ضغطا عليّ وعلى السيد ليقبل بعملي معهم، فرضخت ولكني ضجرت بسرعة وندمت .

ـ ألا ترغبين بذكر أسماء رفاقك هنا ؟

ـ ومن أين ستأتي المخدرات ؟

ـ سنعالجك كما وعدتك .

ـ لست بحاجة لعلاجكم ، ولا أستطيع إفشاء الأسماء ذلك يعني قتلي .

فقال مالح متدخلا : وأنت تقتلين نفسك وغيرك بالمخدرات .

فلزمت الصمت ، فأشار لها الضابط بالانصراف ، فلما انصرفت قال حاتم : لابد من السماح بالخروج كالمعتاد لن نمنع ذلك مع الرقابة عليها لمعرفة مع من تلتقي في الخارج ، فقد ذكر الحرس والسكرتيرة والسكرتير تعاطيها للمخدرات ومحاولة إدخالها للقصر في كل مرة تتأخر فيها عن المجيء للقصر .. علينا أن نعرف يا مالح أثناء فترة علاجها في مركز العلاج مع من كانت تجلس وتتعالج .. فأسماؤهم معروفة في مركز العلاج ، وعلينا مراقبة اتصالاتها بالخارج فهي وإن كانت مدمنة فهي خطيرة وتعي بماذا تتكلم ؟ رغم أنهم اشتبهوا بها في التحقيق الأول ولكنهم لم يتابعوها بشكل جيد ، فرغم بساطتها فهي تشكل خطرا حقيقيا في نظري أيها السادة طبعا يبدو أن لا مصلحة لها في قتل الرجل حتى الآن ؛ لأننا لم نحدد هدف وغاية الجريمة .. الدافع لهذا الاغتيال .. ومن السهل تجنيدها من أجل الحصول على المخدرات والزنا أو التجسس على أهل القصر فهي متعلمة في الجامعة .. ولابد أن لها معرفة بالإنجليزية اللغة السائدة بين أغلب الأفراد الموجودين هنا .

قال مالح : كلامك معقول يا سيدي العقيد ! سنوليها اهتماما أكثر فالذي يتعاطى المخدرات يسهل السيطرة عليه واستغلاله .. وهو مستعد لكل شيء من أجلها .. فهي في نظري فتاة خطرة رغم ما يبدو عليها من تعب وهم ويأس وبؤس .

فقال ضابط الدائرة المرافق لهم : سأهتم بمتابعتها ، وأتحدث مع مدير المكافحة في المنطقة ، سنجد لديهم معلومات عنها ما دام قد قبض عليها في دور دعارة وملاهي

٢٢

مكث العقيد حاتم وفريق التحقيق يترددون على القصر ثلاثة أيام ، يصلون الساعة العاشرة صباحا وينصرفون بعد العصر ، وكان يلتقي بالسكرتير بعد أن كلفه ببعض المهام ، فسأله حسب الاتفاق بينهم عمن اتصل بالخارج بعد مغادراتهم للقصر فقال مايا: جاءنا اتصال من إفريقيا تحدث أحدهم مع السيد سينكالا وسجلت الاتصال .

ـ أحسنت وسأكلف المترجمين بترجمة التسجيل !

ـ الفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ـ كما نسميها بيننا ـ تحدثت مع شخص مكالمة قصيرة ، وكانت عن طريق سنترال .. وبعد منتصف الليل جاءها اتصال؛ ربما من نفس الشخص الذي كلمته ـ أنا لا أحسن اللغة البرتغالية أو لغة الهنود الحمر ـ وتخلل المكالمة بعض الكلمات الإنجليزية ، وهي مسجلة أيضا ، وفهمت أن المكالمة تعبر عن حاجتها إلى كمية من المخدرات هذه المكالمات التي سجلت بعد انصرافكم في اليوم الأول .. وأمور القصر والعمال تمضي كالمعتاد ، والكل متلهف لمعرفة نهاية وجوده في القصر ، فكلهم يعلم برغبة السيد الصغير ببيع القصر .

قال العقيد : أحسنت يا أستاذ مايا!

ـ العفو يا سيدي كان السيد يعتبرني ابنا له .. وقد قمت بمحاولة الترجمة ، وسأقول لك ما فهمته قبل أن تعرض التسجيلات على رجالك .. مكالمة السيد كامارا فيها خبر عن حادث سير تعرض له ابن للسيد ..يخبرونه أنه في المستشفى ووضعه حرج ، لأنه بعد وقت يسير جاء يطلب مالا ، فاتصلت في البنك وطلبت تحويل مبلغ من المال على مصرفه هناك ، وهو يفكر بتسفير زوجته إذا سمحت الشرطة بذلك ، فهذا راجع لكم حتى أبلغه .. وفهمت من مكالمة الفتاة حديثها عن حاجتها لبعض المخدرات ، ثم رغبتها بمقابلة شخص ما في العاصمة بلبل.. لم أفهم هل هو الذي اتصلت به أو شخص من قبله ؟ ولما سألها لماذا ؟ أخبرته بعودة البوليس للتحقيق في الجريمة ، وأنهم سيبقون أسرى حتى يعترف المجرم بجريمته .. ووعدها المتصل بتأمين كمية مخدرات لها ، وعليها أن تصبر حتى يصرف العمال عن مهامهم وتعود لبلادها، وفي

الصباح بعد الإفطار طلبت مني النزول لجاد ، فأخبرتها أن الخروج متوقف حتى تأذن الشرطة وصرخت فيّ ووصفتني بالظلم والجلاد وصرفتها بهدوء .. وفي الليلة التالية حاولت الحديث مع أحدهم فلم يرد عليها أحد .

بعد سماع تقرير مايا عن ردة أفعال سكان القصر على فتح التحقيق من جديد ، جمع العقيد حاتم جميع الموجودين في القصر في قاعة السهر أو نادي القصر ، وتحدث معهم عن الجريمة ، وحذرهم من إخفاء المعلومات عن العدالة ، ونقل المترجمون تحذير العقيد لهم ، ولم يعترف أحد أنه شاهد شخصا يغادر قاعة الطعام وصالة السهر إلى الطابق الثالث ، لم يقر أحد بشيء ، وسمح لهم بالخروج إلى مدينة جاد أو العاصمة كالمعتاد حتى ينتهي التحقيق ليسمح لهم بمغادرة البلاد ، ووعدهم المحقق أن يكون ذلك قريبا ، وبعد انصرافهم همس للسكرتير : استمر في تسجيل المكالمات وإخباري بها لقد اقترب الحل يا سيدي .

كان الاشتباه في نظر المحقق الحارس الإفريقي والفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ، وكانت مكافحة المخدرات قد استعدت لمتابعتها عندما تخرج من القصر ، فكان العقيد يرى أن أحدهم استغل فترة انشغال القوم بالطعام ، وتسلل للطابق الثالث عن طريق المصعد وغدر بالرجل وأن سلاح الجريمة مخفي داخل القصر بعد أن هرب بطريقة ماكرة استغفل فيها الحرس إن لم يكن الحارس الإفريقي اللاعب الأساسي في الجريمة .

وفي المساء أعلم السكرتير العاملين في القصر بأنه سيسير رحلة للمدينة لتغيير الجو بعد هذه التحقيقات وستستمر للمساء ، وجاءت حافلة سياحية في الصباح لتقل الراغبين بالنزول للمدينة للتسوق ، وطلب الخروج عشر نسوة وثلاثة رجال ، منهم الإفريقي الذي أخذ المزيد من المال ليحوله لبلده .

وفي التاسعة صباحا تحركت السيارة واستقرت بعد ساعتين بالقرب من السوق الكبير في المدينة جاد كالعادة المتبعة ، ونبه عليهم السائق على بداية موعد العودة الخامسة مساء .

وكانت الحافلة تحت مراقبة البحث الجنائي حسب التنسيق بينهم وبين مايا الهندي ، فذهب

الإفريقي تصحبه زوجته إلى بنك مدينة جاد ، وحول رصيد الشيك الذي أعطاه إياه مايا إلى بلده ، ثم مشيا إلى نقطة البريد واتصلت الزوجة ، وأرسل سينكالا برقية لعنوان ما ، ثم مشوا إلى السوق العام للمدينة وإلى أحد المطعام أكلا معا ، ثم مشيا إلى إحدى دور سينما جاد وشاهدا فِلما أمريكيا قديما ، وبعد السينما اشتروا بعض الحلوى والمكسرات والفواكه ورجعوا لموقف الحافلة ، وجلسوا في أحد المقاهي المطلة على مكان الحافلة يشربون القهوة ، ويرقبون باقي الركاب ، وكل ذلك تحت مراقبة البحث الجنائي لمدينة جاد .

وأما الفتاة المشتبه بأن لها دورا في القضية ـ وإن لم يتضح بعد ـ فذهبت لأحد المصارف بعدما تركت الحافلة ، وصرفت شيكا حصلت عليه من مايا حسب طلبها ، ثم مشت لحانوت بيع خمور وزلفت إليه ، وشربت كأسا ، وبينما هي تشرب في الخمارة جلس بقربها شاب مدة خمس دقائق ، ثم غاب عنها زمنا ، وعاد ومعه فتاة أخرى أجنبية ، ثم خرجت الفتاتان من الحانة وتجولتا في بعض أسواق المدينة لمدة من الزمن ، ثم دخلتا مطعما سياحيا ، وجلستا بعض الوقت في صالة عامة ، ثم بعد جلوس استمر عشر دقائق انتقلتا لصالة خلفية ، وقضتا ساعة فيها ، ثم عادتا للصالة الرئيسية ، وطلبتا طعاما وخمرا ، وبعد ذلك غادرتا المطعم ، فمشت ماريانا لموقف الحافلة ، والثانية ذهبت حيث الخمارة ، ولما وجدت الحافلة مكانها مشت للمقهى القريب ، وأخذت بالتدخين ، وهذا رصدته الشرطة ، وبعد عودة الحافلة للقصر قبضت الشرطة على شاب وفتاة الحانة وصاحبي الخمارة والمطعم ، وبعد تحقيق قصير أفرج عنهم جميعا ، ولما تكلم العقيد مع السكرتير مايا أخبره أن الفتاة عادت، وقد أخذت حقنة مخدر ، وكانت تلوك قطعة في فمها .

الشرطة تسعى لمعرفة الرجل الذي تحدثت معه الفتاة عن طريق السنترال ليلة أول جلسة استجواب ، فتسأل العقيد : هل لهذا علاقة بالجريمة أم أن القضية تدور حول المخدرات ؟ فهناك من يزود الفتاة بالمخدرات كما ظهر لنا في جاد ؟ والمتعاطي لا يحاكم ؛ ولكن من يزودها بالمال ؟ فدخلها لا يكفي كما وضح لنا السكرتير .

كانت الأوامر أعطيت للسكرتير بالتساهل مع الفتاة وعدم منعها من التعاطي داخل القصر مبديا أن الرحيل قد اقترب وهذا سبب التساهل ، فهم يريدون الوصول لمصدر تزويدها بالمخدرات والمال لشراء المخدرات كما فعلت في جاد .

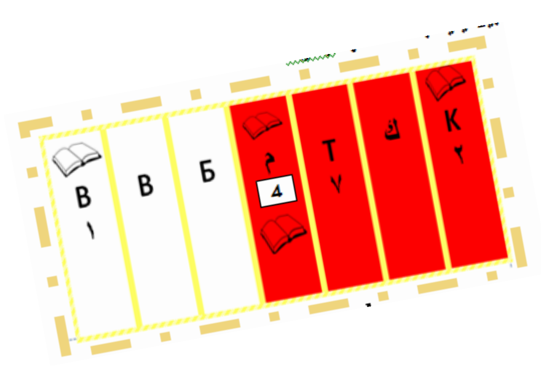


وهناك تطور آخر حدث تطور في قضية الكشف عن لغز الكنز الصحراوي ، وجرى ذلك على يد السيدة سعاد عيسى ، كانت تخبر زوجها بأنها قد تكون اكتشفت شيئا مهما في حل لغز الكنز فلما سألها عن ذلك الكشف المهم قالت: أعدت قراءة رسالة جدك مرات ومرات حتى أدركت أنه يتحدث عن المكتبة هذه .. مكتبة القصر هذا ؟

وكانت قد ساقت زوجها لمكتبة القصر ـ المكتبة التي كان الجد يحب المكث فيها عندما يمكث مع حفيده بعض الليالي ـ فقال مندهشا: اللغز هنا!!

ـ تأمل هذه الواجهة ، فهي مثل واجهات مكتبات القصر .. هل فعل جدك ذلك عبثا؟!

قال متحيرا : نعم ، إن هذه الواجهة مثلهنّ تماما يا سعاد .. وهي تشبه ما في الكرت .. نعم ، نفس الترتيب هذه الواجهة .. قسم أحمر وقسم أبيض .. وسبعة رفوف في كل قسم من الأقسام السبعة وماذا بعد ؟!



قالت شارحة: الحرف قلتم تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة من سبع لغات ، وفي الكرت صورة كتاب أربع مرات فهي تعني أربع مكتبات .. ولا تكون أربع مكتبات إلا بهذه المكتبة يا

أديب .. فثلاث صور لكتاب يقصد بها مكتبات القصر ، حرف الميم صورة كتاب أعلاه وكتاب أسفله

ـ ورقم ٤ ؟

ـ إنها رقم رفوف يا سيدي .. فلك رسائل داخل رفوف هذه الكتب أو الخزائن

هز رأسه مقتنعا وقال : جيد يا سعاد ما هي هذه الرسائل ؟!

ـ أنا فهمت من رسائل جدك أنه ترك رسالة في إحدى المكتبات ، ومع كثرة قراءاتي لهنّ أعني رسائل جدك أحسست أنها هنا في مكتبة القصر .. وأنا وضعت خطوطا تحت العبارات المعينة على ذلك ، ثم أخذت بالبحث عنها في جناح المكتبة الذي أمامنا كما ترى .. فتحت كثيرا من الكتب لعلي أجد في وسطها رسالة ولم أجد لحتى اليوم أي رسالة .. والكتب كثيرة فهل لك أن تساعدني ؟

ـ رقم أربعة التي تحت حرف الميم هل تعني اسم كتاب أم تعني الرف؟

قالت سعاد : فكرت بأنها كتاب أولا واستعرضت كتب الرف الرابع من الوسط فلم أرى أي رسالة .. والرفوف في كل خزانة سبعة فيكون عندنا سبعة رفوف تحمل الرقم أربعة ، واستعنت ببعض الخادمات في تفتيش كل الرفوف السبعة الوسطى دون جدوى سواء بدأت العد من أعلى أو أسفل فالرفوف تحمل الرقم أربعة ، لم نجد ورقة ولا رسالة ؛ ولكني متيقنة أن للرقم أربعة دلالة ما يا أديب .. وفكرت أن أتابع كل المكتبة خاصة الخزائن السبعة التي تمثل واجهة البطاقة

ـ لكن لابد للرقم ٤ من مغزى كما أنت متيقنة

ـ هذا أكيد ، علينا المزيد من التأمل والنظر ، وهذه المكتبة منها سينطلق الحل .. ما رأيك بدعوة بشر وخالي والرجال وتتناقشون في فكرتي ؟

ـ حالا

اتصل أديب ببشر ، وتحدث معه في اقتراح سعاد ورأيها ، فاستحسن الصحفي الفكرة وقال : فكرة جديرة بالاهتمام غدا ـ إن شاء ربك ـ سأتصل بالفريق ونرتب زيارة للبيت .

أطلعهم أديب عندما التقوا في بيته عن تحليلات سعاد ، وأطلعهم على العبارات التي تركها جده في رسائله ، وتركز العبارات أن لمكتبة البيت علاقة بحل لغز الكنز ، وعلق اللواء منسي خبير الشيفرات العسكرية والأمنية قائلا : تقدم جيد وممتاز يا مهندسة سعاد ! فعبارة (من هنا نبدأ) إشارة صريحة أن لهذه المكتبة دورا .. يبدو أننا أهملنا قراءة الرسائل بشكل جيد ، ولم نعطها حقها في الدراسة والبحث أيها الأصدقاء !

وقال محمد محسن : وهذه العبارة التي تضع سعاد تحتها خطا أيضا مهمة (مكتبتكم ومكتبتي) فهي تعني مكتبة أديب ومكتبة القصر الصحراوي .

فقال بشر : وهل رقم أربعة يعني الرف الرابع ، وأن رسالة تعني رسالة في الصف الرابع .. وقد قمت يا أخت سعاد أنت والخادمات بالبحث في كل كتب الرف الرابع من هذه الخزائن السبعة ولم تجدي فيها رسالة بطاقة ورقة إشارة .

ردت سعاد بصوت هادئ : نعم يا أخي فتشت كل الرفوف ، فلم أجد شيئا إلا بعض البطاقات التي تستخدم كفواصل أو علامات للقراءة وأين توقفت القراءة ؟ ولم يكتب عليها شيء .. وقد وجدت حوالي عشرين بطاقة ، وللحرص ذكرت كل بطاقة في أي كتاب وجدت ورقم الصفحة فكتبت على البطاقة اسم الكتاب ورقم الصفحة بقلم رصاص قد تكون لهذه البطاقات أهمية في خطوة ما .

وتناولت البطاقات من مغلف رسائل كبير ودفعتها لبشر الذي تأملها بعض الوقت ودفعها للآخرين.

فعلق أحدهم : لعل عليها رسالة سرية بالحبر السري الذي نسمع عنه.

اهتم منسي بالموضوع وزاد تعمقه بتلك البطاقات وبعد تدقيق قال: بطاقات لا أهمية لها ، ولا رسالة سرية فيهنّ أو عليهنّ .. هي فواصل يستعين بها الرجل للمكان الذي وصل إليه في القراءة أو الصفحة التي يبحث فيها ويلزمه أن يعود إليها ، وسبب كثرتها أنه ينساها وينشغل بكتاب آخر ، ومع الوقت تجمع هذا العدد ، وقد نجد الكثير منها لو تصفحنا عددا آخر من

الكتب .

ولكنه طلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم اسم كتاب عن البطاقة وينظر في الصفحتين التي وجد بينهما الفاصل للمزيد من التأكد من أهمية هذه الفواصل وعدم أهميتها .

وبعد عمل مرهق للنفس قال منسي : إن هذه الفواصل من غير فائدة لحتى الآن في حل لغزنا وكنزنا .

ثم أعلن لهم أن الغداء جاهز فانتقلوا إلى قاعة الطعام المعروفة لهم في قصر السيد أديب يحيى ، وكان جل حديثهم على المائدة حول اكتشاف سعاد الباهر ، وقال اللواء منسي: لابد أن هذه المكتبة لها دور فالبدء منها فقد أغفلناها في تحرياتنا السابقة ، وأعترف أن هذا تقصير .. وجاءتني فكرة بعد الطعام سأعرضها عليكم

ولما انتهوا من الطعام انتقلوا إلى قاعة استقبال ذكرتهم بقاعة الطيور في قصر الصحراء ، وقدمت لهم الفواكه الطازجة والشاي بالنعناع ، وبدأ القضم والرشف والحمد لله ، ثم الثناء على المهندس وزوجته .

فقال حسن : يا حضرة اللواء كنت ذكرت لنا أثناء الأكل عن فكرة ستعرضها علينا بعد الغداء فكرة حول كنز المهندس أديب .. والعجيب أن المهندس من نعم الله عليه أنه ليس بحاجة للكنز ولكنها رغبة الجد أن لا يباع قصره بعد موته بسرعة !

قال منسي : شكرا أخي حسن .. أنا تحدثت مع قريب لي يعمل مهندسا مدنيا ببلدية العاصمة فاقترح عليّ أن ينشأ المهندس مدينة سكنية قرب القصر سواء ظهر الكنز أم لم يظهر .. وبعد حين من الزمن سيعمر المكان .. وهو سيدعم المشروع ماديا ومعنويا لتصل الخدمات والعمران لذلك المكان أو القصر الرهيب .

فظهر الابتسام على وجه المحامي داود وقال : لقد فكر السيد بسيم قبل موته بسنوات بمثل هذا المشروع بإنشاء مساكن يوزعها على الفقراء ، ولكن المكان كما كان يقول بعيد عن العمران المدارس بأنواعها والمواصلات والبنية التحتية تحتاج لسنوات وسنوات فالمنطقة بحاجة لشوارع

معبدة وكهرباء وماء وصرف صحي حتى تصبح قرية ، ثم مدينة ؛ وربما بعد الوصول للكنز يقرر مصير القصر .. فهناك تطورات جيدة أيضا حول مقتل السيد .. ليس لديّ تفصيل من العقيد حاتم أيها السادة ؛ ولكنه أكد أن القتلة بدأوا يتحركون ، ويبدو أن الجريمة لها علاقات بعصابات المخدرات

قال شاهر : نعود لفكرة اللواء حول البحث عن الكنز

بلع اللواء لقمة من تفاحة كان يمضغها وقال : بما أننا وصلنا أن المكتبة والبطاقة يصلان لهذه المكتبة ، وأن الرف الرابع في الخزانة الوسطى قد يكون المقصود حسب إشارات البطاقة .. فعلينا تصفح كتب ذاك الرف كتابا كتابا نبحث عن ورقة مطبوعة ملصقة كصفحة من الكتاب وليست رسالة عبارة عن ورقة منفصلة أو بطاقة أخرى أو نبحث عن كتاب موضوعه حول الكنوز والشيفرات .

تعاطف الجميع مع فكرة اللواء وانتقلوا لمكتبة القصر من جديد ، وهم سبعة رجال ، فعلى البعض تصفح أسماء الكتب ، والبعض يبحث في ثنايا الكتب ، وتناول بعضهم الكتب من الرف الرابع وجلس على مقعد من مقاعد المكتبة يتصفحه ورقة ورقة ، وكان الرف يحوي عددا من الكتب السميكة ، وهي مجلدة تجليدا فاخرا ، ولها عدد من العنوانين ليست كتابا واحدا ذا مجلدات متعددة ، وبعد ساعة من الصمت المطبق سمع الجميع صرخة أدهشت الجميع صاح أحدهم وهو يرفع الكتاب عاليا : هنا الرسالة! هنا الرسالة!

ترك الجميع ما في أيديهم وأخذوا يتطلعون لبشر بدهشة حتى أن سعاد فزعت والخدم على صيحة الرجل التي خرجت منه بدون وعي بالتأكيد .

فلما هدأت النفوس قال وهو يفتح الكتاب على صفحة معينة : هذا كتاب اسمه أعمال مهمة للعالم

فعلق حسن عبد الرحمن : وهل هناك أعمال غير مهمة ؟ .. فالأعمال تكمل بعضها البعض كما أعرف .. من هو مؤلف الكتاب ؟

تبسم بشر وقال : الكتاب باللغة البرازيلية أو الأصح البرتغالية لغة المستعمر لتلك البلاد .. ترك لغته ورحل أو ذاب في تلك الملايين ؛ ولكن الرسالة بالعربية أيها الأسياد ومطبوعة ؛ كأنها صفحة من الكتاب ، وأضيفت على الكتاب عند التجليد وهي تستغرق صفحتان .. جد أديب ذكي جدا أيها الناس .. فالذي يبحث سيصعب عليه البحث في مثل هذا المجلد السميك وبلغة البرازيل .. سيبحث في الكتب العربية .

فعلق اللواء : ألم نر وسائل الحماية التي اتخذها الرجل في القصر يا بشر الرجل مثقف وفهمان ؟!



٢٣

تناول المنسي الكتاب وحيث الصفحات العربية قرأ بصوت جهوري معروف به : رسالة خاصة آه ! وصلنا للرسالة أيها الرجال فنهنئك يا سيد أديب على زوجك أولا وعلى صهرك ثانيا .. فسأقرأ الرسالة على حضراتكم فإذا وجدناها واضحة فبها ونعمت فننتقل للخطوة التالية أو المرحلة التي تليها ، وإذا لم نفقه منها شيئا سنصورها ونوزعها عليكم لتدرسوها في بيوتكم ، ونجتمع غدا مساء .. سنكون على اتصال لنحدد خطوة العمل الآتية فأنا أتوقع الرحيل للقصر الصحراوي .. فمن هنا نبدأ وهناك ستنتهي الحكاية كما يقول السيد رحمه الله تعالى .. فالوقت دهمنا فنحن قرب منتصف الليل .. فسأدع القراءة للصحفي الكبير محمد محسن المحترم فصوته رغم جهورية صوتي أراه أفضل مني تفضل يا سيدي ودفع له الكتاب ليقرأ رسالة السيد بسيم الموجودة كصفحات في كتاب برازيلي تحت عنوان :

رسالة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز أديب

عندما تقرأ هذه الرسالة ستعرف أين المرحلة القادمة ؟ لتصل إلى الكنز الذي خبأته لك ولذريتك التي أدعو الله صباح مساء أن يهبك إياها

أنا أعلم أنك لست بحاجة للمال وأنك وديع كالحمل ، وأنا وضعت هذه الأشياء الثمينة حتى تحافظ على قصر جدك .. وأما إذا وصلت لمعرفة الكنز وأسراري الخطيرة فلك أن تبيع ما ورثت عني .. تبيع قصر جدك بسيم الجدية الذي شيده ليختفي فيه من أعدائه وخصومه الكثر ، ويحمي نفسه من الأشرار والشر .. والموت حق يا ولدي لا أهرب منه أبدا .. والموت والموت لا مفر منه ؛ ولكن الحذر مطلوب ومشروع يقول القرآن خذوا حذركم

أنا لا أحب أن تعجز من الوصول إليه ؛ ولكن إذا عجزت يا ولدي فسلم الأمانة لذريتك جيلا بعد جيل .

عندما تقرأ هذه الرسالة عليك بالرحيل إلى القصر الصحراوي كما تحب أن تسميه أنت.. اذهب إلى قصر جدك بسيم الجدية

فهنالك ستجد ثلاث مكتبات في كل مكتبة رسالة ترشدك للخطوة التالية .. لا تيأس سوف تصل لكنزك كنز جدك وأسرار جدك بسيم .. لن أقول لك من أين تبدأ ؟ من المكتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة في هذه الرسلة ستجد بين سطورها من أي طابق تبدأ وعن الكتاب الذي ينقلك إلى مرحلة جديدة .. ستصل في النهاية ستصل ..

جدك بسيم الجدية

فلما قرئت الرسالة تنفس القوم الصعداء ، وعرفوا أنهم تقدموا خطوة صحيحة للأمام ، وانهالت التهاني والثناء على المهندسة سعاد ، وحلت عليهم البهجة بعد يأس ، واعتبروا ما وصلوا إليه تقدما عظيما ، ثم تصدر الكلام المنسي من جديد وعاد يقول : في الرسالة رسائل لكم جميعا ، ففيها أشياء واضحة ، منها أنها تطلب منا الرحيل للقصر الصحراوي ، ومنها انتهاء عملنا هنا هذا في نظري واضح

وأكد الجميع فهم هذه المطالب ، وعاد منسي يقول : ويؤكد الرجل السبب في وضع هذا الكنز وأسرار حياته حتى لا يباع القصر ، ويطمع أن يبقى لذريته من حفيده أديب ؛ ولكنه في نفس الآن ترك الأمر مربوطا بكشف الكنز ؛ فإذا وصلنا للكنز فيحق لأديب بيعه والتخلص منه .. وبنى الرجل المكان أصلا لحماية نفسه من أعدائه الكثر على مر السنين ، وهو مقر أن الموت لا مفر منه ؛ وإنما تكلف ذلك البناء للأخذ بالأسباب والحذر والأمان ، ومنها أيضا فهمت حل الألغاز كما تحدثنا سابقا في مكتبات القصر ، وفي هذه الرسالة من أي طابق سنبدأ البحث عن الكتاب الذي سنجد فيه إشارة للانتقال إلى مرحلة أخرى .. كم عدد المراحل ؟ لست أدري ؛ لكن كما يبدو لي من بعض الإشارات إنها سبع مراحل .. ألديك آلة تصوير الأوراق هنا سيد أديب ؟

ـ نعم

قال منسي متحمسا : نحن سبعة فعليك بتصوير نسخة لكل واحد منا ليقرأ الرسالة على مهل وفي بيته ، وغدا نجتمع من جديد أو تحددون الوقت المناسب على الهاتف ؛ ربما تعبتم الليلة وتحتاجون لتعويض سهر الليلة .. المهم يكتب أو يحفظ كل شخص الملاحظات الاستنباطات التي يراها من قراءة هذه الرسالة .

ذهب أديب وسعاد لتصوير رسالة الجد بسيم من الكتاب أعمال مهمة للعالم ، وبعد زمن يسير تم تصوير نسخ من الرسالة ، وزعها أديب على الحاضرين ، وشكرهم على تعبهم وسهرهم معه فأبدوا سرورهم بالتعرف عليه وعلى أصهاره وعلى مشاركتهم له في هذه المهمة المعقدة ، والمسرة للنفوس في نفس الحين .

وقال منسي : متى تحبون أن يكون الاجتماع القادم وساعته؟

قال محسن : أنا قد أغيب غدا أيها الكرام ؛ ولكن إذا قدح في ذهني شيء سأبوح به للسيد بشر عيسى وهو ينقله لكم .

رد منسي عليه قائلا: لا بأس ، بعد صلاة العشاء الساعة (التاسعة) سيكون لقاؤنا في بيت صديقنا المهندس يحيى .

وافق الجميع على هذا اللقاء ليلة الغد .

قال منسي: إذا وفقنا في تحديد الطابق الذي سنبدأ منه ، والكتاب الذي سنبحث عنه من خلال رسالة الجد بسيم فعليك يا أخ داود ومع المهندس بترتيب رحلة لنا كالرحلة السابقة والذي لا يسمح له وقته كالأخ داود والمهندس أديب وبشر والسيد محسن فلا داعي لرحيله معنا .. فنستطيع نحن الثلاثة بعون الله بمتابعة المهمة أنا وشاهر وحسن .

فقال المحامي متفهما : هذا جيد ! وسأرتب لكم رحلة للقصر الصحراوي قصر بسيم الجدية بالتعاون والتنسيق مع أديب والسكرتير مايا وزوجته .

قال أديب : إذا تمكنت من أخذ إجازة سأرافق القوم أو ألتحق بهم .

قال منسي: غدا نلتقي ونتحاور ، ولن نستطيع الانتقال قبل فهم لغز ورسالة هذه الرسالة.

وأخذ القوم بالانصراف بعدما توصلوا لمعرفة مرحلة أخرى من لغز السيد بسيم الجدية ، وكان السيد أديب وهو يودعهم يكرر لهم الشكر والاعتذار عما سببه لهم من قلق وإزعاج وسهر وإبعادهم عن أهلهم ، وهم بدورهم أبدوا ثناءهم عليه ؛ بل أوجد لهم شيئا يستمتعون به ، ويتحدثون به لإحفادهم وأصدقائهم ، وأنهم يعتبرون الأمر تسلية وتنشيط لخلايا المخ الخاملة كما يقال .

ثم غادر بعدهم بقليل بشر وخاله محمد محسن ، واعتبروا ما فعلته سعاد إنجازا كبيرا ومهما في حل لغز الكنز وفألا حسنا ، فشكرت الفتاة خالها وشقيقها ، وأقروا من جديد بذكاء السيد بسيم بوضعه الرسالة مطبوعة ضمن صفحات كتاب بلغة غير عربية حتى لو صدف ومسك أحدهم الكتاب سيعيده لمكانه فورا إلا إذا كان يعرف اللغة البرتغالية ، وهذا في بلد عربي من النادر إن لم يكن من المعدوم .

واعترفوا أيضا بأنها لو كانت ورقة منفصلة لربما سقطت من الكتاب أثناء هذه السنوات ، ولم يعرها أحد أي اهتمام إذا وقعت من بين صفحات الكتاب وبين يدي خدم القصر الأجانب الذين لا يفقهون لغة الضاد .

فعلق محسن بعد ذكر هذه الملاحظات : جدك يا بسيم ذو عقل نشط ومنظم

ـ شكرا لكم أيها الأفاضل سلموا لي على زوجاتكم الغاليات على قلوبنا وليسامحننا على أخذ الكثير من حصتهم .. وسلم لي على الوالدة يا بشر أمي الغالية

فقال محسن : الحاجة أم سعيد سعيدة بك يا أديب ، وهي تقدرك وتجلك .

قال بشر : كانت ترغب بالمجيء معي للسهر مع خالتك ومع بنتها ؛ ولكني بينت لها أننا في عمل وقد يستغرق منا ساعات من الليل وهذا ما حدث يا سعاد

فقال يحيى ممتنا : إنني أسعد دائما برؤيتها والجلوس معها .. فهي أم فاضلة .. أهلا وسهلا بكم جميعا .. فنحن أهل وأخوة ، وهي أمي العزيزة

ـ بارك الله فيك يا أديب ، وكما ذكر جدك في رسالته أنت أديب وحمل وديع اسم على مسمى

وضحك القوم ، وتابع بشر : وأنت يا أخية خذي بالك من حبيبنا أديب

فردت سعاد بسعادة : نحن كأننا نعرف بعضا من سنوات هو قرة العين .. وقريبا سيكون أبا بسيم .

ـ بسيم ؟!

ـ سيسمي أول ذكر له على اسم جده الذي كان يحلم بأن يرى حفيده زوجا وله أبناء ..



عندما دخل منسي بيته وجد أهل الدار نياما ، وهو يحمل عادة مفتاح البيت مع مفاتيح سيارة الصالون التي يملكها ، فلم يحتاج لقرع الجرس وإزعاج زوجته النائمة ، ولما استقر في حجرة النوم وأخذ يخلع ملابسه التي خرج بها حتى بدون إشعال الضوء مكتفيا بنور اللمبة الصغيرة الضعيفة الإضاءة ورغم ذلك استيقظت الزوجة قائلة : الحمد لله على السلامة !

ـ أنت مستيقظة يا أم ضياء ؟!

جلست قائلة : قبل قليل تركت صالون البيت ، كانت ابنتك هنا ، جاءت تسلم وتسهر مع أبيها.

ـ أي بنت؟

ـ سعاد

تبسم وقال: جئناكم أيضا من بيت السيدة سعاد .

ـ كيف ؟! جاء معها زوجها ، وانصرفت الأسرة بعد نصف الليل .

ضحك وأدرك أنها لم تفقه قصده ومداعبته وقال مفسرا : سعاد أخرى أخت الصحفي الشاب

ـ بشر !

ـ نعم ، بشر عيسى ، ونحن ما زلنا نسعى في حل ألغاز الكنز الصحراوي ، وأمس بدأت

بشائر النصر والحل تهل علينا .. الليلة وبعد صبر طويل حللنا لغزا آخر

نهضت المرأة التي كانت على علم بموضوع الكنز معتدلة ـ وكانت تعلم وتتابع رحلات الزوج إلى الصحراء لفك معميات اللغز ، وكانوا يعودون خائبين بغير جدوى ـ فلما رأى اهتمامها قص عليها التطورات الأخيرة والتقدم الذي حصلوا عليه ، فلما انتهى القص قالت بفضول وهي تضيء الحجرة : أمعك الرسالة ؟

فقال باسما : ألديك وقت للرسائل اقترب الفجر ؟

تركت السرير قائمة وهي تقول : طار النوم من عيني دعني أنظر رسالة السيد بسيم لعلي أساعدكم بخطوة للإمام كما فعلت السيدة سعاد

رجع للجاكيت المعلقة على شماعة حجرة النوم ، وتناول الرسالة منها أو صورة الرسالة وناولها لزوجته وقال باسما : حاولي فأنا أعرفك من أذكى النساء في حل ألغاز الكلمات المتقاطعة التي تنشرها الجرائد والمجلات .

فكأنها لمست همسة تهكم منه فقالت : أتسخر مني يا منسي ؟!

ـ أبدا .. معاذ الله .. هل في البلد أبرع منك وأسرع منك في حل تلك الشبكات ؟

قالت مبررة شغفها ذلك : لديّ وقت فراغ كثير بعدما تقاعدت من العمل في التدريس يا منسي وأحسن أن أقضي وقتي في الثرثرة ومع الجارات ، وأسمع من هذه ، وأسمع من تلك ، وأنقل من هنا إلى هناك .

فتمتم منسي ضاحكا ومعلقا: ربما هي الحسنة الوحيدة من وراء مثل هذه الشبكات .

أخذت تقرأ الرسالة مرة وثانية بعد جلوسها على كرسي حجرة النوم ، وقالت لمنسي الذي استلقى على السرير منتظرا تعليقها : الرسالة فيها تعيين الطابق الذي سيكون منه البدء إلى مخبأ الكنز مكتبة الطابق طبعا أقصد ؟

ـ إني فهمان عليك .. ففي إحدى مكتبات الطوابق رسالة ضمن كتاب .

ـ الرجل ترك في هذه الرسالة إشارات ترشد للطابق الذي ستبدؤون منه !

ـ نعم ، ونحن نستطيع أن نبحث في كل المكتبات ؛ لكن الكتاب الذي سنبحث عنه في أي طابق سنجده ؟ والمكتبات مليئة بالكتب.. فالرف الواحد يحوي أكثر من عشرين كتاب .. والجهة الحمراء والبيضاء سبع خزائن وكل خزانة سبعة رفوف سيكون عدد الكتب كثيرا.. وعندما نلقى الكتاب المقصود سنجد فيه رسالة ما ، ما هي لا ندري ؟

فقالت : الكثير من الكلمات تصلح كعنوان لكتاب ..وهل هذا العنوان مكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر ؟ هو عمل مرهق وشاق ؛ ولكنه سهل في نظري بعدما اجتزتم مرحلة البطاقة

ـ أنا أرى أن البطاقة ما زال لها دور في الوصول للكنز ، فقد كان لها دور في المرحلة الثانية ، فدلتنا على مكتبة قصر أديب ، وحرف الميم تأكيد للبحث في المكتبة ، وحددت الرف الرابع من الخزانة الوسطى الجزء الأحمر ، فهو الرابع يمينا والرابع شمالا والرابع للأعلى ، وكذلك الأسفل وكذلك قطريا .. فالحظ ساعدنا بعض الشيء ولا أعتقد يا أم ضياء أن الرجل جعلها سبعا سبعا إلا للإيحاء بشيء سيظهر لنا فيها بعد .. وأنا قد استويت فاسمحي لي بالنوم بعض الوقت وعند صلاة الفجر أستمع اقتراحاتك لأسماء الكتب المستنبطة من الرسالة كما قلت كتاب من اسم واحد اثنين ثلاثة أربعة.

تركت الغرفة وقالت : أتمنى لك نوما هنيئا تصبح على خير ، وأطفأت النور .

وخرجت لقاعة الفيلا ، وقالت لنفسها: قبل اختيار أسماء الكتب المحتملة عليّ بشرب كوب قهوة كبير ليستيقظ تفكيري وذهني .

دخلت مطبخها وصنعت المطلوب ، وعادت للصالون ترشف القهوة وتقرأ الرسالة مرة ثالثة وقد وضعت بجوارها ورقة وقلم لتكتب ما ألهمته من الرسالة البسيمية ، وبينما هي تجلس دخل عليها منسي فقالت باسمة : لم تنم .

قال مبررا عجزه عن النوم : شممت رائحة القهوة ، فاستيقظت الحواس .. وكيف أنام وذهني مشغول وعاجز عن فك أسرار هذا اللغز ؟

٢٤

وفي بيت السيد شاهر كان النقاش والحوار قد اشتعل بين الرجل وزوجه ، فهي كذلك قد تابعت جهود الرجل في التحقيق في قضية كنز الصحراء ، فلما قرأت الرسالة بشغف وقد استمعت للشرح من زوجها قالت : هذا جد عجيب ! رغم حبه وهواه بعدم بيع القصر وحتى لا يوصف بالأناني ولا بالظلم لهذه الحفيد وضع هذا اللغز وترك المجال لحله .. وها أنتم في أقل من سنتين حللتم مرحلتين مرحلة البطاقة أقصد الحروف السبعة الأولى من لفظ مكتبة بسبع لغات ، والليلة الرسالة الأولى .. وهذه السعاد فتاة مدهشة وذكية التي أوصلتكم لاكتشاف الرسالة الأولى من رسائل الجد بسيم التي قرأناها سطرا سطرا كلمة كلمة .. استطاعت أن تضعكم على الخط الصحيح من جديد .. مكتبة القصر كما هي واضحة الآن في البطاقة اللعينة يا شاهر .. كانت المكتبة أمامكم وشددتم الرحال لقصر الصحراء .

ـ نحن ذهبنا في المرة الأخيرة كنزهة وشم هواء .. فنحن من المرة الأولى فشلنا في الوصول لمرحلة ثانية .. اليوم الأمور تغيرت فقد نشطنا ودبت فينا الحياة .. وإن شاء الله سيحل اللغز بأسرع مما تتصورين يا أم نصر .



وكان بيت السيد حسن تلك الليلة بعد منتصف الليل مشغولا بما حصل في بيت أديب يحيى في موضوع الكنز ، وعبرت المرأة عن سعادتها باكتشاف سعاد بنت جنسها ، وقالت بسرور : أرأيت النساء ؟! دائما تسخرون من عقولنا وفهومنا .. ها هي الأخت سعاد فتحت لكم الدرب أيها الرجال !

وكانت سعادتها واضحة للعيان ؛ كأنها هي التي حلت الخطوة الثانية من اللغز واكتشفت الرسالة في الكتاب البرازيلي ، وكانت تقول بحماس : أنت خذ راحتك في النوم ، وأنا في الصباح

سأكون قد عرفت طابق الابتداء في البحث الذي أراه غير مهم .. فالطوابق ثلاثة محصورة .. أما الأصعب فهو اسم الكتاب .

ـ أحسنت يا زوجتي ! لو عرفنا اسم الكتاب نستطيع عن طريق الفهارس الخاصة بالمكتبة معرفة في أي مكتبة يستقر الكتاب ؛ ولكني من تصوري لعقلية هذا الرجل لا أرى أن الأمر سيكون بسيطا .. فكتب المكتبة كثيرة ؛ كأنها تزيد عن خمسين ألف عنوان ..لا ؛ كأنها مائة ألف ؛ كأنني فهمت الهندي مايا يقول ذلك .. فمكتبة الرجل فيها كتب ومجلات وصحف من لغات شتى ، فهو رغم أنه لم يدرس في جامعة استطاع تعلم عدد من اللغات بحكم حاجته للعمل مع جنسيات مختلفة .. فهو كما فهمت يقرأ بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية .. والقليل من الفرنسية والأوردية الهندية .. ويفهم التركية .. لكني أحس أنا أن الأمر بدأ يتحلحل .. كل بداية صعبة كما هو معروف ، ثم تتضح التصورات في مخيلة الناس .

فقالت: ألا يوجد مجال لذهابنا معكم ؟

ـ القصر واسع يسع أهل البلد ، والأمر هذا يحتاج لترتيب مع المحامي والمهندس أديب وزوجته الفاضلة .

ـ حاول ، أنا متلهفة لمشاهدة هذا القصر الذي شغلكم سنتين ، ورؤية المكتبات للمساعدة في حل ألغاز السيد بسيم .

ـ فكرة جميلة ! سأعرضها على الزملاء الآخرين الراغبين بالسفر معنا .



كان أديب في استقبال فريق البحث بعد صلاة العشاء وجلسوا في قاعة واسعة مزينة جدرانها بلوحات ممتعة للناظرين أشجار وأزهار وعصافير ، وبعد حين اكتمل الفريق ، ولم يتخلف عن الجلسة إلا السيد محمد محسن لانشغاله بصحيفته ، وأما بشر فقد أحضر معه زوجته وبعض

أولاده لزيارة عمتهم وزوجها ، وقدمت لهم المشروبات والفواكه والمكسرات وتحدثوا عن أحوالهم وصحتهم وأخبار البلد ، ثم تصدر الحديث كالعادة اللواء المتقاعد منسي الذي قال باسما ومشجعا : أرجو أنكم وصلتم لاستنباطات ذكية ومهمة من رسالة المرحوم بإذنه تعالى السيد بسيم الجدية . بعد سماعه همهمات تابع قائلا : سنبدأ من جهة اليمين ، ثم الذي يليه حتى يصل الكلام والدور لي .. تفضل سيد شاهر

تنحنح السيد شاهر وقال وهو يخرج ورقة من ثيابه ويضعها أمامه : قرأت الرسالة مرات ومرات وهي رسالة بسيطة في نظري لا يوجد فيها تعقيدات لغوية أو تركيبات غامضة .. المرحوم بإذن الله يتمنى أن يرى حفيده زوجا ، ويبن لنا أننا إذا عرفنا هذه الرسالة فستنقلنا لمرحلة أخرى في الولوج إلى الكنز ومكانه .. ففيها الإشارة لكتاب علينا أن نبحث عن اسمه ومن خلالها سنعرف الطابق الذي سيكون الكتاب فيه ، وتحديد الطابق يسهل علينا عملية البحث حتى لا نبحث في جميع المكتبات المتصلة بكنز السيد بسيم .. ويبن لنا أن الكنز وضع لحاجة في نفسه هو وثانيا لعدم التسرع في بيعه والخلاص منه من قبل حفيده ، لقد كان يدرك أنه غير محب لذلك المكان ومبغض له ، وأنه سيتخلص منه بمجرد انتقال ملكيته له حسب الميراث الشرعي .. وهو بهذا اللغز لا يحرم حفيده من المجوهرات .. وفي رأيي الأهم تملك الوثائق والمذكرات .. وهو يرى الخطورة على حياة حفيده من تلك الوثائق ، فيأمل أن تصل لإحفاده وورثتهم ..وفي الرسالة أيها السادة سبب بناء القصر وهو الحماية والحفظ مع إقراره بأن الموت حق ، وأن ما يفعله أخذٌ بالأسباب والحذر .. والمال متوفر بين يديه وكثير جدا .. ويطلب منا الرحيل للقصر عند قراءة الرسالة .. فهل نستطيع كشف اسم الكتاب ؟ .. فكل كلمة مفردة تصلح عنوانا لكتاب .. وكل كلمتين تصلحان لعنوان كتاب .. وكل مجموعة من الكلمات تستطيعون تكوين اسم كتاب منها.. فنحن بحاجة لكل عنوان من الكتب الموجودة في مكتبات القصر .. فكلمة الكنز تصلح عنوانا .. وديع كالحمل تصلح اسم كتاب .. كلمة القصر تصلح عنوانا .. بسيم الجدية تصلح اسما لكتاب .. الحذر مطلوب يمكن أن نعتبرها اسم كتاب .. أما أنا فقد عجزت

حقيقة عن تحديد كلمة أو جملة ؛ لتكون عنوانا نبحث عنه أو تحديد طابق معين لنبدأ منه شكرا لإصغائكم .

قال منسي : أحسنت يا سيد شاهر ! وقدمت لنا معلومات مفيدة .. وأعتقد أن أسماء الكتب الموجودة في مكتبات السيد لابد أن لها فهارس ؛ ولكن المشكلة تعدد اللغات فيها .. فنحن وجدنا رسالة السيد في كتاب برازيلي .. فعندما ننتقل للقصر سنجد أسماء الكتب في فهارس ولكن علينا أن نحدد بعض العنوانين .. وأنت يا أخ حسن ماذا عندك ؟

فقال حسن : شكرا ، بسم الله ..حاولت استخدام الأرقام والإحصاء والتكرار ؛ لكني بعد جهد جهيد لم أجد شيئا مفيدا يلفت النظر والفكر في لغزنا هذا.. السبب أن كلمة متكررة أكثر من مرة هل تدل على طابق ما ؟ ليس بالضرورة لأن أمامنا ثلاث مكتبات فقط .. المهم معرفة اسم الكتاب الذي سنجد فيه رسالة أخرى أو من هذا القبيل .. وهل إذا عرفنا رقما من مضاعفات الاثنين أو الثلاثة هل يعني هذا الطابق الثاني أو الثالث ؟ إن هذا تكلف غير مناسب أراه من قبل السيد بسيم .. وكما قال أخونا الفاضل طلب معرفة الطابق والكتاب لتسهيل المهمة والوقت على الباحث بدل أن نبحث في آلاف الكتب نبحث في مكتبة واحدة وخطر في بالي والسيد شاهر يتحدث عن العناوين المتوفرة في المكتبة هل يمكن حصر العنوانين التي تملكها بسيم قبل كتابة هذه الرسالة ؟

قال منسي : أرى عبارة عندما تقرأ هذه الرسالة ارحل إلى القصر الصحراوي أنها مهمة .. ثم رد على حسن فقال : نحتاج لجهد لنعرف متى تواريخ وصول الكتب للمكتبة ؟

فعاد حسن يقول: كل كلمة يخيل لي في هذه الرسالة مهمة .. متى بدأ الحديث عن الكنز يا أستاذ داود ؟

رد المحامي مجيبا فقال: كان الحديث عن الكنز متأخرا من حياة الرجل ، الرسائل التي أرسلها لحفيده وطلب مني تسليمها له عندما يفكر ببيع القصر بدأت من عام ١٩٨٤، والمكتبة كانت مليئة بالكتب ، فكانت له شقة كبيرة ومستأجرة كلها مكتبات قبل أن يستقر نهائيا في البلاد ..

فعلينا السعي والتركيز على الرسالة لمعرفة الطابق أي المكتبة التي ستبدؤون منها ، وكذلك اسم الكتاب .. وهل يكرر الرجل الرسالة في كتاب أم يستخدم لغة الرمز والرموز ؟

فقال منسي : أجزم يا أستاذ داود أن الرجل يريد من حفيده أن يصل للكنز سواء بسرعة أم ببطء.. وأنه يريد كتابا ما من رسالته كتابا لا رموزا في كلمة .. قد تستخدم كلمة كتاب بمعنى رسالة أو خطاب ؛ ولكن كما يقول أهل اللغة أل التعريف تدخل على شيء معروف عند السامع أو المخاطب أو معروف للذهن .. فعندما نسمع كلمة الجنة فيدرك الذهن والمخاطب أنها جنة الخلد في السماء أو جنة يوم القيامة .. ليست جنة في الأرض.. عندما نطلع على أسماء عنوانين كتب المكتبة إذا كان هناك فهارس سنعرف منها تواريخ إدخال الكتب أو من خلال تاريخ الطباعة

قال شاهر: أليست محوسبة؟

قال داود: فيها حواسيب ؛ ولكنها أدخلت مؤخرا قبل وفاة الرجل بزمن يسير .. وحسب معلوماتي لم نعين موظفا لفهرستها على الحاسب الشخصي إلا إذا قام السكرتير وزوجته بفعل ذلك .. وأنا لا أعتقد حصول ذلك ..أما فهارس عادية فستجدون فهارس ربما من عمل السيد نفسه .. فالسيد يعشق الكتب من صغره ، وقد اشترى عدة مكتبات خاصة من الورثة أو باعها أصحابها لملمات لمت بهم .. وهو يقرأ بعدد من اللغات ، وفي مختلف العلوم ..كانت المكتبة والكتب جليسه وأنيسه الوحيد .. فهو قضى كثيرا من أيام حياته دون امرأة .. فهو لم يكن مهتما كثيرا بالنساء لطبيعة مهنته ، وهي التنقل والرحيل .. فقد تزوج جدة أديب وهي ابنة عمه ، ولما سافر البرازيل للعمل ككثير من المغتربين العرب تزوج امرأة برازيلية حتى لا يقع في الزنا والفاحشة ، ولما اشتغل في عالم السلاح بيعا وشراء وتهريبا بسبب الحروب الناشبة هناك طلقها وكان يتردد عليها من أجل ابنة له منها ، ومرة فكر بالزواج من ممرضة تعرف عليها أثناء إقامته في المستشفى ، ثم اعتذر لها في اللحظة الأخيرة قائلا : أنا رجل مسن أخشى ظلمها معي ! لا أصلح للنساء .. فالرجل كان متزوجا الكتب .. فكل وقت لا يكون في ترتيب صفقة أو سفر

تجده مع الكتاب ؛ فلذلك جعل ألغازه مرتبطة بالكتب والمكتبات .

فقال منسي: هذا كان واضحا لنا من البداية ، واستخدامه الكتاب البرازيلي لإخفاء الرسالة يؤكد ما تفوهت به سيدي المحامي .. فهل استنتجت لنا شيئا من الرسالة يا سيد داود ؟

تبسم السيد داود وقال: لم يتح لي الوقت أن أفكر فيها ، فبعد مغادرتنا بيت أديب متأخرين كما تعلمون ، فنمت بعد وصولي البيت بقليل ، ثم عملي الصباحي لم يسمح لي بالنظر فيها ؛ ولكن في المساء قبل مجيء إليكم نظرت فيها مرتين فخطر في بالي ما أشار إليه الأخ شاهر أن يكون عنوان الكتاب { الكنز }.. واعتقدت أن السيد ربما ظن أننا سنغفل عنه عن هذه الكلمة ونجعلها عنوانا لكتاب ..أنا آسف أيها السادة .

فضحك القوم وقال منسي : لا تأسف يا أخ داود ..أخ بشر !

قال بشر : أنتم لاحظتم من البداية أنني لست من هواة حل الشيفرات والألغاز .. قرأتها وقرأتها ولم يخطر شيء محدد في ذهني ؛ فإنما هي رسالة عادية ، وعجزت أن أستنبط أي مكتبة يبدأ منها بحثنا .. وكذلك تحديد اسم كتاب معين.

التفت منسي لأديب قائلا: وأنت يا سيد أديب .. وهل وصلت لشيء أنت وزوجتك الذكية ؟

قال متبسما : أنا مثل الدكتور بشر فرغم قراءتي للرسالة كلمة كلمة وسطرا سطرا ورغم دراستي للهندسة فمن أصعب الأشياء عليّ حل الألغاز والأسرار ؛ ولكن زوجتنا العزيزة تقول إنها قرأت قصة اسمها أوديب للعقاد أو الحكيم كاتبان مصريان .

فقال منسي : عباس العقاد وتوفيق الحكيم وقصة أوديب لتوفيق الحكيم قصة عن أسطورة يونانية .

ـ نعم توفيق الحكيم ، قالت ربما يشير الجد إليها بذكر اسم أديب في الرسالة ضع ضمة على الألف فيمكن أن تقرا أُديب فيقصد أن نبحث عن تلك القصة .

هتف منسي : جميل !!

فقال حسن : احتمال .. أديب أُديب .. يمكن كتابتها بنفس الصورة الأولى مفتوحة الهمزة

والثانية مضمومة الهمزة ..وهناك من يكتبها أوديب بواو ظاهرة رسما ..وعلينا أن نعود للمعاجم إذا رجح لدينا اسم الكتاب هذا .

وقال منسي : وكلمة الكنز اسم شائع لعدد من الكتب والقصص والروايات

قال حسن متعقبا: ولكنه في العادة يضاف إلى كلمة أخرى كالقصة المشهورة جزيرة الكنز .. وسلاسل المغامرات مليئة بلفظة الكنز .. كنز السلطان كنز الغول ، وكذلك كتب اسمها الكنز بدون إضافة .. يا سادة لابد من الرحيل لمعاينة المكتبات ، عليك يا أستاذ أديب ويا أستاذ داود ترتيب رحلة أخرى للقصر .

فقال منسي : والأخ حسن يفضل أن ترافقنا زوجاتنا هذه المرة لينظرن القصر الذي كثر حديثنا حوله وغزلنا به .

فضحك داود وبشر وأديب وقال داود : والله ذلك من دواعي سرورنا أنا وأديب .

فقال أديب : على الرحب والسعة أيها السادة .. وكان جدي ـ رحمه الله ـ يستقبل فيه الكثير من الأفاضل وحجرات النوم كثيرة .. وخاصة الطابق الثالث فهو مهجور منذ موت الجد بسيم

أثنى الفريق على أديب الثناء الحسن على الأريحية التي تقبل بها الطلب ، وعاد منسي يقول : شكرا سيد أديب والشكر لحضرة المحامي ، وأنا بالنسبة للرسالة لم تخرج استنباطاتي عما تفوهتم به .. كل ما في الرسالة يصلح أن يكوّن عنوانا أو أكثر .. ووصلت أنه لابد لنا من رحلة جديدة للقصر حسب طلب الرجل منا ..عندما تقرأ الرسالة عليك بالرحيل لهناك .

قال داود : نحن حقيقة نشكر لكم جهودكم وتعاونكم وقبولكم هذه المهمة .. وسأرسل إلى هناك ملاءات أسرة وأغطية جديدة لكم ولزوجاتكم الفضليات .. وسأكلف مايا بأن يخصكم ببعض الخادمات .. والأطعمة والمشروبات ستصلكم يوميا ـ إن شاء الله تعالى ـ من مدينة جاد .

٢٥

لقد رأى الفريق أنه لابد من جولة جديدة للقصر الصحراوي بحثا عن مكان كنز السيد بسيم الجدية .. اتخذ المحامي داود المنسق والمشرف على إدارة أموال السيد بسيم في العاصمة بلبل الإجراءات اللازمة والمناسبة لسفر الرجال الثلاثة وزوجاتهم اللواتي سيرافقنهم هذه المرة ، وتلقى السكرتير مايا علما بمجيء فريق البحث عن الكنز لقضاء عدة أيام في القصر ، ووعدهم المهندس أديب باللحاق بهم في نهاية الأسبوع لقضاء ليلة الجمعة والجمعة معهم ، وقد تصحبه زوجته إذا رأت أن صحتها تساعدها على الرحلة فهي في حالة حمل .

وجاءت الحافلة السياحية الصغيرة من نفس الشركة التي اعتاد المحامي الاستئجار منها الحافلات للقصر وغيره من المناسبات ، ونقلت الرجال الثلاثة وزوجاتهم للصحراء ، وبعد ساعات ثلاث كانوا يجلسون في قاعة الطيور ، وكان السيد مايا وقرينته رامان يرحبون بهم خير ترحيب ، وكان وصولهم عند العصر ، وأعلمهم مايا أن طعام الغداء قد وصل من مدينة جاد ، وسيكون الغداء في قاعة الطعام في الطابق الثالث حيث سينامون ويأكلون ، وقد جهزت لهم ثلاث غرف للنوم .. وستكون المكتبة مكتبا لإدارة عملية البحث.. وجهزت لهم داخل غرف المنامات مواقد لعمل الشاي والقهوة وشغل البراد الثلاجة ، فشكروا مايا وزوجته على حسن الاهتمام والرعاية .

ولما خرجا أبدت النساء ذهولها من قاعة الأعمدة الرخامية الضخمة ، والحيوانات المعلقة في أعلى الأعمدة ، ومن صور السماء أي سقف القاعة ..حتى أن إحداهن من شدة إعجابها قالت : حرام مائة حرام أن يباع هذا القصر وهو بهذا الجمال .. ليبق مزارا للعائلة أو يحول لمتحف للدولة .. فهناك قصور قديمة أصبحت مزارات سياحية لدى الدول اليوم .

وقالت الثانية : يكفي أن فيه هذه القاعة الرائعة التي تنقل الإنسان من الصحراء الحارة إلى الجنة الأرضية .. الجمال والهواء البارد .

فرد منسي وهو يشاهد انبهار النساء : الجد وضع اللغز ليعيق عملية البيع أو التسرع في البيع ،

أو حتى لا يباع أصلا حتى أن بعضهم تشجع لإنشاء مدينة حوله

وأخذ شاهر يقص عرض صديق له أو قريب بإنشاء المدينة أو بداية مدينة في المكان ، وقال منسي بعدما ثرثر الجميع بأفكاره وإعجابه : سأقترح على المهندس أديب أن ينفق أموال الكنز عندما نجدها على إنشاء هذه المدينة ، ولسوف أتحرك مع الجهات المسئولة ومع قريبي رجل البلدية المهندس لإنشاء وإكمال البنية التحتية للمدينة من فتح شوارع معبدة تتصل بطريق مدينة جاد وزيادة شبكة الكهرباء والهاتف والأشياء الأخرى المهمة للمدن .. فهذا القصر نفسه كنز .. فعلينا بالضغط على صديقنا أديب بعدم بيعه من أجل روح جده العزيز .

فقال حسن مداعبا: وماذا يستفيد الرجل من عدم بيعه ؟! أليس لديه قصره في المدينة حيث عمله ؟.. وهذا قصر كما ترون يحتاج لجيش من الخدم والموظفين للمحافظة عليه .

فقال شاهر : هذا مربط الفرس .. الجد بناه للاحتماء بين جدرانه من أعدائه الكثر .. والمهندس أديب ليس له أعداء إلا إذا كانت العداوة تورث كما في معتقدات بعض الشعوب .. والرجل كانت أسرته ضحية مغامرات الجد .. وهو أخبرني أنه لم يخرج من البلد منذ ولد فيها .

قدم لهما الخدم بعض الأنواع من الفواكه والشراب البارد ، فأكلوا القليل منها ، وأكد لهم السكرتير الهندي أن الطابق جاهز لاستقبالهم ، وبينما هم يمشون نحو المصعد للصعود إلى الأعلى قال منسي لمايا : ما أخبار العقيد حاتم سيد مايا ؟

رد مايا باسما : ضابط ممتاز ! أخبرني أن تقدما جرى في التحقيق والقاتل على وشك السقوط .. لقد قضوا ثلاثة أيام في التحقيق هنا .. ونحن على اتصال مباشر .

ـ موفقون سيد مايا .. نحن مهمتنا الوصول للكنز الذي لا تعرف عنه شيئا .

ضحك السيد مايا وقال : الرجل الكبير كله أسرار ، وهو خير من يكتم الأسرار .. فكثير من صفقات السلاح تحتاج لسرية كاملة .. وهذه مهنة السيد فليس من العجيب إخفاء حكاية الكنز عني أو عن حفيده كما فهمت .. وأنا كلي شوق وفضول لمعرفة حقيقة هذا الكنز .. وأتمنى لكم كل التوفيق والنجاح .

ـ أتشك بوجود الكنز يا مايا ؟

ـ لي عشرون سنة أعمل مع السيد .. في بداية الأمر استغربت أكثر من الشك .. ولكن بما أن الرجل تكلم وكتب عنه فلابد أن لديه كنزا أيها السادة .. ولكن في القصر أين ؟!

ـ اقتربنا من الحل يا سيد مايا العزيز علينا .

ـ شكرا سيدي اللواء نحن نحترم العسكر جدا في بلادنا وتقاليدنا .. والسيد لا يكذب أبدا ، وهو نفسه كنز مليء بالأسرار .



غادرا المكتب الكائن في عمارة بسيم الجدية بمدينة جاد متجهين إلى الفندق ، وتناولا عشاءهما في قاعة الطعام ، وصعدا لجناح نومهما ـ فقد كان لكل واحد منهما حجرة ـ فبعد أن لبسا ملابس النوم غادر حاتم الحجرة وطرق على زميله مالح وقال : القهوة في الطريق أحسب أنك مغرم بها .

ـ تعودت على شربها يا صديقي .

فقال حاتم: إذن ليس لنا سفارة في بلد هذا الأفريقي سينكالا حاولت الاتصال على الرقم الذي استخدمه فلم يرد أحد حتى السماعة لا ترفع .. هذا مثير للحيرة .. هل حقا له ابن مصاب يتصل به وهو يتحدث معه من القصر وأحيانا من تلفونات عامة ؟!

فقال مالح : قد يتصل برقم وهمي .

ـ لكنه يرن في الطرف الآخر ، يسمع صوت الجرس ويسجل الحوار

ـ رغم ذلك أنا أرى أن البنت أقرب للجريمة .. رغم أنها مهزوزة ومتوترة ومتأثرة من تعاطي المخدرات والانقطاع عنها فهي خطرة .

فقال حاتم مفكرا : وأنا مثلك أكاد أجزم مائة بالمائة أنها منفذة للجريمة ؛ لكن من ساعدها

بإدخال السلاح ؟ كيف أدخلت السلاح دون أن يكشفها الحرس ؟ أين أخفته للجريمة وبعد الجريمة ؟ فحص البحث الجنائي كل الأسلحة الموجودة في القصر ، وكتبوا تقريرا لم يستخدم أي سلاح تم فحصه .. إذن هناك سلاح لم يفحص ، كيف اختفى وأين ؟ الرصاصات الموجودة في القصر لم تنقص تلك الطلقة .. لم يسمع صوت الرصاصة ، كيف فتحت الباب على السيد كيف ؟! كيف تغلبت عليه ؟ أم خدر بغاز وكيف خدر بهذا الغاز دون أن يدرك أنه غاز ؟! فلما شعر بضيق في نفسه تكلم مباشرة مع الطبيب جادور .. لم يشهد أحد على صعودها للطابق الثالث .. كيف اختارت تلك اللحظة للجريمة ؟ شاهدها الناس تتعشى معهم .. دخلت غرفة التدخين على مرمى عدد منهم ، ثم تركت الغرفة لغرفة والديها فنحن نتهمها بدون أدلة إنما إحساس وشعور .. وهذه أدلة لا يعول عليها أمام محكمة الجنايات .

ـ تلفونها بعد انصرافنا!

تنهد حاتم وقال : هذا هو الدليل على أن لها يدا في الجريمة ، اتصلت واتصلوا ثم اختفوا عندما عرفنا الشقة المتصل بها ، أخبرنا وكيل المؤجر أنهم ثلاثة أحدهم عربي .. في الصباح أعطوه المفتاح زاعمين مغادرتهم للبلد ، فهم من رعايا أمريكا الجنوبية ، فهم مستأجرون باسم أنهم طلاب مبتعثون ، ولديه أوراق تدعم قوله ، وأصحاب الشقق المفروشة يهمهم الفلوس أكثر من التدقيق في صحة المعلومات المقدمة لهم ، وأولئك الذين يعملون في المخدرات والتهريب التزوير للوثائق لديهم من الأمور السهلة ، فلم يأخذ أرقام جوازاتهم .. هو رأى الجوازات وصورهم عليها ثم أعادها لهم ؛ لأنهم زعموا أنهم قد لا يمكثون وقتا طويلا ؛ ربما ينتقلون لبلد عربي آخر ، وقضوا سنين وهو يعتقد أنهم وافقتهم الدراسة في البلد لتحصيل الماجستير والدكتوراه ..وكيف نثبت أنها القاتل وهي لم تعترف بشيء ؟ ووالداها لا يعرفون شيئا كما رأيت .. الحمد لله نحن تقدمنا شيئا ولو يسيرا وقريبين من القاتل .

ـ المعضلة كيف دخل مسدس الجريمة ؟ فالرصاصة القاتلة رصاصة مسدس وهي من نفس رصاص الحرس نفس العيار .. وكيف دخلت على غرفة السيد أم كانت الغرفة مفتوحة؟

ـ هذا الراجح أنها وجدت الغرفة مفتوحة الصدفة خدمتها ؛ ولكن كيف لم يلمحها أحد تصعد إلى أعلى ؟ هل لها شركاء داخل القصر ؟ وهناك سؤال مهم وهو لماذا قتل الرجل أثناء غياب السكرتير ؟

قال مالح : ربما استغل غيابه لارتكاب الجريمة ، وقل كيف اطمئن بسيم لعملها في القصر ؟ هل الشفقة وحدها هي التي أملت عليه إحضارها وعلاجها ؟ وهو الحذر الفطن .

قال حاتم : علينا أن نقبض على رفاقها ، على الشرطة مطاردتهم ومتابعتهم خفية ، ربما لا تعدو العملية سوى تهريب مخدرات بثياب طلبة .. لغز كبير هذه القضية .. وكيف التقت بهم ؟

ـ أعتقد يا أخ حاتم أن القضية أكبر من علاقة مخدرات ؛ لأنها سارعت بالاتصال بهم من القصر لم تنتظر حتى تنزل المدينة ..

قال حاتم : يا مقدم مالح أرأيت كيف حصلت على المخدرات في مدينة جاد ؟.. كأس خمر من خمارة انتقال لمطعم سياحي حقنة في غرفة خلفية .. هؤلاء المدمنون لهم حيل ووسائل يصلون بها للمخدرات ..والدول من الصعب عليها السيطرة على تجارة المخدرات ، فأحيانا تتساهل الدول مع هؤلاء الأجانب لتنشيط الحركة السياحية وعجلة الاقتصاد .. هكذا أجاب صاحب المطعم ، فهم يسمحون لهم ببيع الخمر والقليل من المخدرات ؛ لأن عددا كبيرا من السياح يتعاطون الخمر والمخدرات في بلادهم ، وحتى يمنعوهم من تهريبها يوفرونها لهم بطرق شبه سرية .. فتغض السلطات الطرف أحيانا من أجل الاقتصاد .. هذا يسمى القانون السري .

عقب مالح قائلا : كثير من المحظورات ترتكب باسم السياحة والاقتصاد في الكثير من دول العالم .. فهم بزعمهم يشجعون هذا القطاع وحتى يشعر السياح بالمتعة ويحسون بالحرية ؛ لذلك توفر لهم أماكن للدعارة والقمار ؛ وإن كانت هذه المواقع بأسماء بريئة ملاهي .. نوادي ليلية .. مراقص.. وهم بالتساهل هذا يدفعونهم إلى عدم التهريب وإدخال هذه المواد سرا ومع ذلك التساهل ترى السياح يدخلون كميات من المخدرات للتعاطي والبيع .. لقد عملت أثناء خدمتي في جهاز الشرطة مع قسم مكافحة المخدرات في عدد من قضايا المخدرات

فقال حاتم متفهما : أفهم ما قررت ..كما يسمح لبعض المحلات والمتاجر ببيع الكحول .. وكما يسمح للفنادق المصنفة دوليا ببيع الخمور والرقص والمجون باسم السياحة والترفيه .

ـ وهذه الفتاة أسرعت بعد وصولها لجاد بأخذ حقنة بالطريقة التي تابعناها فيها .. فهي عالمة بهذه الأوكار بكل سهولة .. وهم يزعمون بأنهم لا يسمحون للزبون بأخذ أي كمية خارج الملهى أو الحانة .. فتكون الحقنة في الغرفة الخلفية ، وتؤخذ اللقمة أمامهم في الحانة أو المطعم

ـ هذا أيضا باتفاق مع الأمن حتى لا تروج البضاعة خارج الأماكن غير المسموح لهم ببيعها .. أخبرني المحامي أن زملاءنا الذين يبحثون عن الكنز قد اكتشفوا شيئا جديدا ، وقد رحل الفريق للمكث في القصر ومعهم نساؤهم .. فلسوف نزورهم ونطمئن عليهم ونحذرهم من غدر الخائن أو الخونة .. والسكرتير الهندي يتابع الاتصالات ويسجلها ويترجمها قدر الإمكان ورجال الشرطة السرية يتابعون معنا ، فهم يسعون للقبض على الجاني مثلنا ، فالأفريقي تحت المتابعة ، والفتاة كذلك .. فالحارس يقوم بعمله بشكل طبيعي وكذلك زوجته ، والفتاة تقوم بعملها مع والديها أيضا كالمعتاد ، ثم تنتقل لقاعة الطعام صباحا ظهرا ليلا ثم تدخل غرفة التدخين حتى انقضاء فترة الاستراحة في الصباح والظهر ، ثم تعود لعملها ، وفي الليل بعد العشاء والتدخين تجلس في النادي لبعض الوقت ، وأحيانا قبل العشاء تذهب حيث البستان والحدائق الخلفية للقصر ،وتجلس عند حوض السباحة الصغير ، وهي لها غرفة في جناح والديها وتم تفتيشها خفية ولم نجد فيها شيئا مهما ، وكررت الاتصال بتلك الشقة في العاصمة ، ولا يرد عليها أحد ؛ لأننا طلبنا من الوكيل عدم إشغال الشقة لوقت يسير ، فتقبل ذلك على مضض .

٢٦

انشغل الرجال بدراسة الرسالة التي تركها لهم بسيم في كتاب (أعمال مهمة للعالم) ، وأخذوا بالتنقل بين المكتبات الثلاث ، واهتمت النساء الثلاثة بمساعدة أزواجهنّ في أول الأمر ، ثم أصابهن الملل فأخذن بالتجوال في طوابق القصر ، وصعدن إلى سطحه يرقبن الصحراء الممتدة من جميع الجهات ، فكان القصر فيها ؛ كأنه قارب في بحر أو محيط ، ثم نزلن البستان والحدائق فرحب بهن البستاني ، وقدم لهن الفاكهة الطازجة الناضجة في ذلك الوقت من السنة .. وفي الليل أقبل إليهم العقيد حاتم والمقدم مالح زائرين ، وفرحوا بزيارتهم ، ورتب السكرتير جناحا في الطابق الثالث لنومهم ، وعقد الرجال الخمسة بعد تناول طعام العشاء وإغلاق أبواب الطوابق الثلاثة اجتماعا استعرضوا فيه نشاطهم في حل اللغزين .

فقال منسي ملخصا ما فهم : إذن عندكم مشتبه به الآن ، وأنه اتصل بعد التحقيق بأفريقيا أو تلقى اتصالا أولا ، ثم اتصل هو بعد علمه بتعرض ابنه لحادث سيارة برقم ، وأرسل مالا لجهة ما في بلده الإفريقي أو لأخيه لينفقه على ولده المصاب ، وهو الذي اعترف بأنه رأى السيد قبل موته يدخل في غرفة مجاورة لمكتبة هذا الطابق ، ولكن الهندي مايا يستبعد ضلوعه في الجريمة ، وليست لديه عقلية تنفيذ جريمة كهذه .. تسلل تخدير قتل ، ويشك الضباط في الفتاة المدمنة وأنها الوحيدة التي لها صداقات خاصة خارج القصر ، وإنما المعضلة صفة الوصول للسيد وقتله ما زالت غامضة ، ولكنها استثيرت فورا عند تجدد التحقيق ، وأن إنهاء العقود لن ينتهي قبل إغلاق ملف القضية كاملا ومعرفة الجاني ، ورغم المخاطر اتصلت في شخص في مدينة بلبل كما ثبت من متابعة الاتصال ، ورد عليها في نفس الليلة بعد منتصف الليل بساعة أو اكثر ، ثم اختفى الثلاثة من العمارة زاعمين أنهم أنهوا دراستهم ، وسيعودون لبلدهم البرازيل ، وهي تحت المراقبة من قبل مايا وزوجته داخل القصر ، وهي تحت مراقبة البحث الجنائي والمخدرات عندما تغادر القصر ، وهي ما زالت تحاول الاتصال بذاك الرقم دون جدوى .

قال حاتم : فكرنا أن نرد عليها ؛ ولكننا لا نحسن الكلام بلغتها البرتغالية بإحدى لهجات بلادها

الكبيرة .. وهي بالتأكيد ستعرف أن أحدا غير أصحابها يتكلم .. ولو وضعنا متكلما بلغة أهل البرازيل فاللهجة ستفضح المتكلم .. وهم كأنهم أدركوا بتطورات حدثت فهربوا وأدركوا أن جديدا حدث في القصر ، وأن ملف القضية لم يغلق كما أشيع منذ شهور .

وتحدث منسي عن الرسالة التي اكتشفوها في حل لغزهم ، وقدمها لهم ليطلعوا على فحواها ، فلما قرأها الضابطان لم يزيدوا علما على ما يعرفه الرجال الثلاثة ، وفي الصباح كانت في انتظارهم مفاجأة كبيرة هزت القصر هزا .

قبل السابعة صباحا سمع صراخا في شقة الكوى والغسال (توماس برينو) ، فأسرع بعض المستيقظين نحو الجناح ، وطرقوا الباب بقوة ونادوا ، وقد وجدوه مغلقا ، وسمعوا الفتاة ماريانا تصيح بهستيريا تطلب منهم الابتعاد وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، فأخبروا السكرتير ، فجاء مسرعا ومعه أحد الحراس مسلحا ، ودخلوا الغرفة عنوة ، فوجدوا الفتاة في حالة هياج والدماء تملأ أرض الشقة ، وأن الفتاة قد قتلت والديها بسكينة حادة قد سرقتها من المطبخ ـ سكينة فقدت منذ أيام ، وظنوا أنها وقعت خلف إحدى الخزائن الموجودة في المطبخ ، ولم يفطنوا أنها مسروقة لعدم حدوث مثل ذلك في القصر سابقا ؛ لتوفر السكاكين الصغيرة الحجم في الشقق لتقطيع الفواكه وغيرها ـ أمسك الحارس بالفتاة بشدة بعدما استولوا على السكين تحت تهديد السلاح ،وكان مايا يقول لها بحدة وغضب : لماذا صرعت والديك ؟!

وكانت المرأة أمها لم تمت بعد وما زالت على قيد الحياة ، فلما اكتشف مايا ذلك أسرع بالاتصال بطلب سيارة إسعاف من مستشفى جاد ، ثم اتصل بالعقيد حاتم مخبرا لهم بالحادث الرهيب ، وجاء حاتم ومالح واللواء منسي بعد دقائق ، فقاموا بحبس الفتاة بغرفة ، ووضعها تحت الحراسة حتى تصل الشرطة الرسمية للتحقيق في الجريمة ، وحاولوا إسعاف المرأة المصابة بعدة طعنات في جسمها ؛ ولكنها فارقت الحياة قبل وصول سيارة الإسعاف والشرطة ، ولكنها وهي تحتضر تكلمت بكلمات خطيرة فهمها مايا ، وهي تعترف بأن هذه الفتاة ليست ابنتها ، فابنتها مخطوفة في البرازيل لدى إحدى العصابات ، وأن الفتاة هي التي قامت باغتيال السيد المحترم ،

وفارقت الروح الجسد .

وفهم حاتم ومالح ومنسي الحكاية فورا ، فقال حاتم : إذن خطفوا الابنة الحقيقية ، ودسوا الابنة المزيفة على السيد بسيم لينالوا منه وقد أفلح الملاعين .

فقال منسي : خطفوا ابنتهما وارغموهما أن يزعما أنهما والدا هذه الفتاة ، وزوروا جواز سفر للفتاة باسم ابنة الغسال يا لها من حيلة جهنمية !.. فكيف سيكتشف الرجل أو حتى مايا أنها ليست ابنتهم ؟ وهم لم يروا البنت الحقيقية .. والكوى لا يستطيع الكلام حتى لا يخسر حياة ابنته أو ربما كل عائلته ..وحتى هو وزوجته .

فقال حاتم : نعم ، وأجبروهم على التعاون والصمت إذا كانوا راغبين ببقاء ابنتهم حية .. وكانت بين الحين والآخر تتحدث معهم ليطمئنوا أنها ما زالت على قيد الحياة وليبقوا صامتين هكذا قالت الفتاة في أول استجواب ، وفي أول سفر لمايا خارج البلاد أمروها بالتنفيذ .. تخطيط وتدبير محكم ومعقد .

فقال منسي : نعم ، هؤلاء الأشقياء لديهم صبر ، ولولا ظهور الكنز لهربت واختفت .. فجواز سفرها لدى داود بحكم الوظيفة ولكن لما قتلتها ؟!

ـ منذ ذاك الاتصال واختفاء رفاقها ، وهي تعيش في حالة نفسية متوترة ، ويوميا يسمع الخدم والعمال صراخهم وشجارهم .. فكلهم ضاقوا من بعض ، وركبهم الخوف ، وعلموا أن القضية لن تغلق حتى يعترف الجاني بجريمته ، وظنوا أن النهاية اقتربت ، فكان الرجل وزوجته يحثانها على الاعتراف ، ويهددونها بالاعتراف ، وكثر الشجار بينهم ، فاخفت السكين الكبيرة عن الطهاة ، والطهاة ظنوا أنها سقطت خلف الخزائن .. لم يخطر لهم أنها مسروقة .

٢٧

وبعد ساعات معدودات أتى رجال الشرطة والتحقيقات الجنائية والإسعاف السريع ومدعي الحق العام والطبيب الشرطي ، وامتلأ القصر بهؤلاء وغيرهم من رجال المختبر الجنائي والمصورين الجنائيين ، ولما نظر الطبيب وعاين الجثتين أكد أن السكين هي أداه القتل والتي أدت إلى النزيف وكسر عظام جمجمة الرجل ، وبين أن الرجل تفاجأ بالضربة ، فلم يحاول الدفاع عن رأسه ، وكرر الضرب بعنف ، وأما المرأة فقد تعرضت لضربات في الصدر والوجه والرأس ، وقام ضابط التحقيق بسماع أقوال الشهود في أحد الغرف التي جعلت مكتبا للشرطة ، ولما انتهى تصوير الجثث ومكان الجريمة والتحريز على السكين الكبيرة أمر المدعي العام بنقل الجثث للمستشفى لإجراء التشريح الكامل ، ومن ثم الاتصال بالوزارة ثم السفارة وإخبارهم عن مقتل رعاياهم لنقلها لبلادهم إذا أحبوا ذلك .

ولما نظر المحقق إلى الفتاة قالت بتحدٍ : أنا قتلتهما ولو كان لديّ وقت لصرعت نفسي ؛ولكن حال ذلك الحارس بيني وبين ذلك .

ـ هما ليسا أبويك ؟

ـ لا أمت لهما بصلة قرابة ، طُلب مني أن أقوم بانتحال شخصية ابنتهما لقتل السيد بسيم ، وقد فعلت .

ـ حسنا حسنا ! بما أنك أقررت سنأخذك للمدينة ، وإذا أحببت أن تكلفي محاميا فأهلا وسهلا وأمر ضابط التحقيق بنقلها بسيارة إلى دائرة أمن المنطقة ، وفتشت شقة الكوى الغسال ، فلم يوجد فيها شيء مهم ، إنما وجدت مليئة بعدد كبير من صناديق الدخان ، فحملوهما معهم للفتاة ومع غروب شمس نهار ذلك اليوم كانوا يغادرون القصر وبصحبتهم العقيد حاتم والمقدم مالح الذي قال لضابط التحقيق : ما زال أمامكم القبض على رفاقها .. وشرطة العاصمة تتحرى وتبحث ، وعلى أن تسمحوا لنا بمعرفة كيف ارتكبت جريمة قتل السيد بسيم ؟ لنقدم تقريرا نهائيا للمحامي داود وحفيد السيد بسيم المهندس أديب .

كانت قصة الفتاة كما جاء في اعترافاتها المسجلة والمترجمة ، أنها تعلمت في الجامعة ، وخلالها التقت بابنة الكوا الحقيقية (ماريانا) وتصاحبتا ، ومن صحبتها عرفت اسم السيد بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي ، وكان لها صديق يكبرها بسنوات وكان يمدها بمادة المخدرات ، وأصبحت بدورها تدعم بها ابنة الكوا ، واستمرت الصداقة من سنوات الجامعة الأولى ، وكان صديقها وعشيقها يعمل ضمن عصابة في المنطقة ، ولها زعيم من زعماء المخدرات في المدينة ، وكانت الفتاتان تروجان المخدرات بين الطلاب والطالبات في الجامعة كغيرهن من الفتيات والفتيان ، فسوق التناول والتعاطي رائج في الجامعات بالإضافة للانحلال الخلقي والجنسي .. وأخبرت أن عشيقها أخبرها أن الزعيم يرغب بلقائها ورؤيتها ، فهو يبحث عن عشيقة جديدة فسافرت إليه طمعا بالمزيد من المال ، وإنها قد ملت صاحبها الطالب ، رحلت إلى منطقة يتحصن بها ، فأعجبه جمالها فور رؤيتها واتخذها زوجة أي عشيقة له وحده ، وهذه أمور مقبولة لدى رجال العصابات التخلي عن الصديقة والعشيقة لرجل لسيد آخر ، واتخذت منزلا في العاصمة وصار الرجل يتردد عليها وهي تتابع دراستها ، وقالت في الاعتراف : علمت أن صاحبي الجديد كان ابن رجل عصابات كبير ، وكان والده يمتد نشاطه إلى أغلب مدن القارة الأمريكية شمالا وجنوبا ، فكان والده له عصابة كبيرة بعكس صاحبي الابن ، ثم علمت منه أن والده الزعيم اغتيل على يد مهربي السلاح في كولومبيا وبوليفيا ، وكان المهرب الشرس اسمه سوباريو الذي قاد عملية قتل والد مانيو زوجي ، وقبل أن أتعرف عليه بسنوات التقى مانيو بسوباريو في إحدى عمليات التهريب ؛ لأن مهربي الأسلحة أحيانا يتم تمويل صفقاتهم بأموال المخدرات أو يعطون مخدرات مقابل الأسلحة المهربة ، خاصة في الحروب الأهلية ، وأقسم الرجل لمانيو أن قاتل أبيه رجل عربي اسمه بسيم الجدية ، وأن رجال الشرطة يعرفون ذلك ، فاتصل مانيو ببعض معارفه من رجال البوليس ، وعرف منهم أن السيد بسيم الجدية شارك في الكمين الذي نصب لعصابة والده ، وأنه من الشرق الأوسط فأخذ مانيو يجمع المعلومات عن هذا الرجل ؛ لأنه في عرف العصابات لابد للأبناء من الثأر والانتقام لإبائهم ولو بعد حين .. لأنه سيبقى صغيرا في

نظرهم حتى ينتقم .. ثم سافر الرجل للشرق الأوسط سائحا ، وزار مصر وتركيا وبلبل عاصمة هذه البلاد .. واستطاع أن يجمع الكثير من المعلومات عن الرجل ، أخذ يتردد بين الحين والحين إلى هنا لينال من الرجل ، ونشط عمله في المنطقة العربية لترويج المخدرات ، وعرف أن الرجل كثير السفر وكثير الحذر لأنه حاول النيل منه في البرازيل والأرجنتين ولم يوفق .. وأصبح له عملاء هنا لبيع ونقل المخدرات لمصر والخليج ولبنان خاصة ، ثم علم الرجل باستقرار السيد في القصر الصحراوي وقضى مانيو وقتا في مدينة جاد يدرس حيلة مكيدة يصل بها للقصر والنيل منه ، فكر بالترصد له في الطريق ؛ ولكن طبيعة الأرض الصحراوية لم تساعده ، وكذلك عمله في التهريب والقيادة يدفعانه للعودة للبلاد ، والرجل يملك عددا من الجنسيات أو الأصح الجوازات .. هذا كله قام به قبل أن يتخذني خليلة وقبل أن أجتمع به ، ولما ذكر الاسم أمامي أكثر من مرة تذكرت أن والديّ صديقتي في الجامعة يعملان في قصره .. فتفاجأ صاحبي بما أعلمته به ، ثم فكر بإرسالي للحياة في القصر على أني ابنة الكوا ، وكانت صاحبتي ماريانا توماس قد سقطت في وحل المخدرات والجنس مثلي ، واستطعت معرفة الكثير من المعلومات عنها وعن وأسرتها وعن حياتها .. فرتب بواسطة معارفه في السلطات بعمل جواز سفر لي باسم ابنة الكوا .. وأقنع الفتاة عن طريق أحد عشاقها أن تتصل بوالديها ليساعداها في العلاج والخلاص من المخدرات، وكانت قد تخرجت من الجامعة واشتغلت في مستشفى ، فلبى الوالدان النداء ورأوا وضع ابنتهم المرزي خاصة أنها ولدت سفاحا ، وأنا كنت قد زرت البلاد سائحة وقضيت عدة أسابيع هنا قبل دعوة والديّ (ماريانا) .. وأنا لا أستطيع أن أرفض المشاركة بعملية الانتقام مع زوجي فمصيري القتل وإلقاء جثتي في الأمازون مع كمية من المخدرات .. العمل مع العصابات لا يوجد فيه لا ..لكن يسمح بطلب وسائل النجاة .. فلما جاء الكوا وزوجته ورأوا حال ابنتهم اتصلوا بهايا والسيد بسيم لطلب موافقتهم بسفرها معهم للعلاج من الإدمان والعمل في القصر ، ولم يطل تفكير السيد بسيم بموافقته لما قرأ رسالة الاستعطاف بمجيئها معهم وعلاجها على حسابه ، وهو على علم سابق بمصير أبناء الوالدين

الآخرين .. وقبل السفر خطفت الفتاة وقابل الزعيم الكوا وأخبره عن نفسه .. فبكى الرجل وتوسل دون فائدة ، ثم وافق على سفري على أنني ابنته ، والتحقت بالعمل في القصر بعد رحلة علاج قصيرة وفاشلة ، ونجحت بالوجود في قصر بسيم على أنني ابنة الكوا توماس ، وكانت الفتاة بين الحين والآخر تتصل بأبيها وتطمئنه على حياتها وأنها ما زالت حية مخطوفة ، ولم يسمح لها بذكر اسمها على الهاتف ، كان الاتصال معنا ليطمئن الرجل على أنها قيد الحياة ، ولم تكن اتصالاتهم كثيرة .. وأنا كنت أعلم المعاناة التي يعانيها الرجل وزوجته ، وفكرت مرات ومرات بالتخلي عن المهمة ؛ لكن يغلبني الخوف على حياتي وحياة أسرتي بالفناء فأبقى مستسلمة .. وزارني مانيو وكنا نلتقي في بلبل في شقق يستأجرها له أعوانه .. واطلعته على وسائل الأمن والحماية العامة والخاصة للرجل .. وصعوبة إدخال السلاح والرصاص وأدوات القتل الأخرى دون كشف أمري .. فطلب مني تزويدي بنوع الرصاص المتوفر لدى الحراس وهذا ليس صعبا معرفته .. واستمر الانتظار ثلاث سنوات لتنفيذ الجريمة ..الزعيم لابد له من قتل السيد بسيم ولابد لي من تنفيذ العملية .. لأن حياتي وحياة صاحبتي وأسرتي وأسرتها بموت السيد بسيم ، فلا يمكن التردد .. وعرفني بالشابين في المدينة الذين ظاهرهما طلابا وباطنهما مهربي مخدرات ، وهما في الحقيقة لمتابعتي في الجريمة وتنفيذها .

وأثناء علاجي في أحد مراكز العلاج من المخدرات تعرفت على بعض هؤلاء المدمنين ، وكونت صداقات معهم ، وأخذت أرقام هواتف للاتصال بهم عند الحاجة وبعد الخروج ، وكانت الخطة أن اعمل في القصر كابنة للكوا وزوجته ، وأنني مدمنة ، وأتعاطى المخدرات ، كلما أخرج من القصر أسعى للخمر والمخدرات لأظهر أن العلاج لم يجد بي نفعا ، وأحاول إدخال المخدرات للقصر لإظهار أنني ما زلت مدمنة لأجد حيلة لإدخال مسدس كالذي يملكه الحرس ، أكون مشاغبة مع الحرس ، وفي نفس الوقت أوحي لهم أنني مسكينة ؛ ولكنها تعشق المخدرات والدعارة وأمارس هذه الأعمال عند قضاء إجازتي سواء في جاد أو غيرها من المدن ، واطمئن لي سكان القصر ما أنا إلا مدمنة مريضة تعاني .. وزارني زوجي عدة مرات ، وأعطاني مسدسا

حسب المعلومات التي نقلتها له وفككه إلى قطع ، وطلب مني تهريبه للقصر على فترات وهو يقول : صبرنا سنينا يا ماريانا ـ حتى أصبحت أنادى بهذا الاسم ـ وفي أول فرصة يغادر مايا عين بسيم القصر عليك أن تقتلي السيد ، ووفر لي قرص تخدير استعمله لتخدير السيد قبل قتله وهذا القرص إذا فتحت علبته ينتشر غازه خلال ثوان ويؤثر سريعا على مستنشقه ، وكنت عندما أخرج من القصر في بعض المرات أتغيب في المدينة يوما يومين ، وكانوا يغضون الطرف عني من أجل والديّ الذين خدما السيد منذ إنشاء القصر ، وكنت اشتري صناديق الحلوى ومن خلالها أدخلت المسدس وبعض الرصاصات وقرص التخدير وأخفيتها داخل القصر للوقت المناسب ، وأنا أحسن العمل بالمسدس ، فقد تعلمت ذلك منذ صاحبت عشيقي الأول ؛ لأننا كنا أثناء نقل المخدرات لأماكن خطرة نكون مسلحين للدفاع عن النفس ، طبعا كان من الصعوبة قتل الرجل في غرفه نومه ؛ لأنني من الصعب عليّ معرفة أي الغرف قد نام فيها ، فكان لابد من قتله قبل النوم وقبل فصل الطوابق وعزلها .. فبعد سفر مايا المفاجئ ، وعلمت أنه سيقضى شهرا في بلاده أخبرت مرافقيّ بذلك فجاء الطلب من الزعيم بالإسراع بتنفيذ الجريمة كما رتب وكما رأيت ، وجاء زوجي عاجلا وشد من أزري وقال لي: عندما ينتهي التحقيق سيتم إخلاء القصر من الموظفين ، وسأعود للبلاد وسأعيش معه للأبد ، وسيحاول الإنجاب مني ليكون ابنه بطلا مثل أمه .. وبعد تشجيعه لي غادر البلاد وأوصى الرجلين بمتابعة المهمة معي ، ولما وصل البلاد اتصل بي مشجعا .. وعدت للقصر ببعض الحلوى كالعادة التي اتبعتها لإدخال المسدس والرصاصات وقرص التخدير .. وليلة الجريمة تركت العمل كالعادة ، انتهينا من الطعام وذهبت لغرفة التدخين ودخنت سيجارة أو اكثر كالعادة زعمت أنني سأدخل الحمام ، وذهبت باتجاهه ثم غادرته إلى جهة المصعد وصعدت للطابق الثالث ، ورأيت الحارس يمر محييا للسيد ، ودخل السيد الغرفة التي قتل فيها ، وطرقت الباب عليه ، ففتح متفاجأ ، واعتذرت له عن الإزعاج الذي أسببه له ولأبي وأمي ، وطلبت منه أن يسهل سفري للعودة للبلاد .. فسامحني وقال : إنه سيدرس الأمر وإنما يؤخره من أجل والديّ الذين اقترب إنهاء خدماتها حسب شركة

الضمان الاجتماعي .. ووعدته مجددا بمحاولة التخلص من المخدرات ، وأثناء الحديث فتحت القرص من علبته ، وعندما تفتح العلبة تبدأ الرائحة بعد وقت بالانتشار فغادرته فقال لي اغلقي الباب ورائك ففعلت ، وقد تركت القرص تحت السرير ، واختبأت في إحدى الزوايا خشية أن يصدفني أحد مع أنه من النادر خروج أحد الموظفين إلى أعلى سوى مايا وخادمه الخاص الذي انهى خدمته بعد عشاء السيد كما عرفت ذلك خلال متابعتنا للسيد ومحرم علينا الصعود للطابق الثاني والثالث ..وكان معي مجموعة من المفاتيح التي تفتح أغلب الأقفال هربتها أيضا بصناديق الحلوى .. فهؤلاء الحرس عندما يأخذوا مني قطع المخدرات التي عودتهم على الاهتمام بها ، ويعرفون أنني لابد لي من إدخال جرعة من بودرة المخدرات .. ويفتحون صندوق الحلوى وينظرون فيه نظرة سريعة ، وربما تناول أحدهم قطعة ويأكلها وهو يأسف عن مصادرة المخدرات ، وأتظاهر طبعا بالسخط والغضب ، وربما أسب ثم أغلق صندوقي ، وأدخل وأنا مستمرة بالغضب على أخذ الحشيشة ، ولما طلب مني السيد إغلاق الباب ورائي وكنت أسقطت قرص المخدر بعدما فتحته أثناء الحديث معه ، فتركته قريبا من السرير بعد أن نزل من جيب سروالي المثقوب، وقبل أن أنصرف دفعته بطرف حذائي إلى أسفل التخت ، وغادرت ولم أغلق الباب إغلاقا كاملا ، تظاهرت بأنني لم أسمع الأمر ، واختبأت مدة خمس دقائق، ثم تقدمت من الباب فسمعت الرجل يتكلم بالتلفون ، ثم قطعت المكالمة ، ففتحت الباب ودخلت فأغلقت سماعة الهاتف ، وقد جهزت المسدس المزود بكاتم صوت ، وكانت السيد نائما مخدرا فألصقت المسدس قرب جبهته وأطلقت الرصاصة ، وفتحت شباك الحجرة وأخذت بقايا قرص التخدير وهي كمية ضئيلة ، وفعلت ذلك وأنا ألبس قفازات طبية ، وخرجت بهدوء وأغلقت الباب ورائي ، وأخفيت المسدس وكاتم الصوت وعلبة قرص التخدير.. أما القرص فقد ذاب كليا ، وتسللت لحجرة الكوا ، وأعلمتهما بتنفيذ الجريمة فجزعا وبكيا ، وبعد هدوءهما طلبت منهما القول بأنني كنت معهما في الشقة بعد مجيئ من غرفة التدخين ، وتناولت شيئا من المخدرات أدخلته بوسائلي الخاصة ، وأنا ابنة عصابات ونفذت عددا من عمليات البيع والنقل فالخوف غير

معروف لديّ وأستطيع بلع كمية وتبرزها .

وبينت أنها أخفت المسدس في أحد الأجهزة الموجودة في المكتبة ، وأنها كانت تسير بالجوارب عندما دخلت على السيد لتقتله ، والرصاصات أخفتها في مزهرية في أحد الممرات ، ثم نقلتها فيما بعد إلى البستان ، ثم ألقتها في الصحراء أثناء مغادرتها القصر ، فهم عند المغادرة للقصر لا يتعرضون للتفتيش ، وكاتم الصوت في سيفون حمام ، ورأت أنها تحتاج لوقت لتكتشف ، وغسلت القفازات والجوارب في الشقة ، وقالت : تظاهرنا بأننا بعد العشاء وشرب الشاي وغيره أننا في شقتنا جميعا خاصة أنا ، ولم أهتم بمقتل الرجل ، ولم أكن له أي عاطفة ؛ لأنني جئت إلى القصر في مهمة ، وهو قليل الاختلاط بمن يعملون في القصر ..وكنت أظن أن تكتشف الجريمة صباحا أو عند صلاة الفجر عندما يأتي ميعاد الصلاة ويطلب الخادم ؛ ولكنه لما شعر بالاختناق اتصل بطبيبه جادور صديق القصر ، ولما جاء اكتشفت الجريمة ، وتظاهرنا بالدهشة والمفاجأة كسائر سكان القصر ..قلقت إلى حد كبير من ضعف الرجل وزوجته ؛ ولكني ذكرتها أن حياتي وحياة ابنتهم وأسرتي وأسرتهم بخطر إذا لم نكتم الأمر ونبقى أم وأب وابنتها ، فلزموا الصمت مكرهين ومضطرين ، ورأوا كما قلت لهم إن الكلام لم يعد ينفع بعد قتل السيد ، وقلت لهما : أيام شهر اثنان ثم سيغلق القصر ، ويصرف الموظفون إلى بلادهم وسيكرمهم الزعيم بالمال والثروة والعفو عن ابنتهم الحقيقية ، فلزموا الصمت ، فقالوا أمام التحقيق ما فعلوه هم بأنفسهم ، وفقط شهدوا بأنني بعد ترك غرفة التدخين جئت للشقة وتحدثنا قليلا ، ثم انصرفت لحجرتي لمشاهدة فيديو .

ولما انتهى التحقيق وخرجنا كالعادة لجاد ولبلبل ، ظللت على نفس العادات ، فجاء مانيو وقابلني في العاصمة ، وأثنى عليّ ووعدني بإشهار زواجنا ، وحثني على الصبر حتى ينتهي صرفنا من القصر ، وأوصى رجليه عليّ ، وعاد للبرازيل عن طريق الهند .. ومنعنا من السفر حتى يغلق ملف القضية نهائيا ، وطال الوقت وسمعنا عن حكاية الكنز وتجدد التحقيق الجنائي ، فاضطررت للاتصال العاجل بصاحبيّ زوجي مانيو مخبرا بالأمر بعدما أعادوا الاتصال بي ..

والوضع اليوم يختلف عن وقت الجريمة ، لقد ماتت ابنة الكوا من جرعة زائدة من المخدرات ، وهما يعلمان بموت ابنتهما من اتصال بهم من أخت الزوجة حتى أن مايا فكر بالسماح لهم بالسفر لحضور الدفن ، ومايا ورامان لم يفطنوا أنني ابنة مزيفة ، فهم اعتقدوا أن للرجل عدة بنات ، وساورني القلق فالتهديد والتوسل الذي كانت تقدمه صاحبتي بين أيديهما للصبر من أجل حياتها اختفى ، وأخذت أتظاهر بطلبي للمخدرات والاتصال بالأوكار التي أعرفها بحكم علاقتي مع شباب المخدرات ، ومايا والحراس وغيرهم من أهل القصر يعرف ذلك عني وأنني مدمنة ..فكل خروج عليّ بالتعاطي والعودة سكرانة .. وكنت أدرك أن الشرطة تطاردني وتشك بي هذه المرة أكثر من الأول .. وقد عجزت عن الاتصال بصاحبيّ هنا ، ثم تلقيت اتصالا وعلمت أنهما سيختفيان لحين من الزمن ، وكانت المشاكل تثور بيني وبين من زعمت أنهما أبواي أدركت أن وضعهما النفسي على وشك الانهيار والإقرار للشرطة .. وأنا نفست تعبت وزاد توتري من تخلي الجميع عني ، ولم يعد يرد أحد على تلفوناتي هنا أو هناك حتى كنا ذات ليلة فقال الرجل : أنا تعبت يا (ماريانا المزيفة) من الصمت ، وماتت البنت التي كنت أصمت من أجل حياتها وبكائها حتى آيست عن حياة الرجل الذي أعمل معه .. عليك أن تعترفي للبوليس ، فهم لن يتركونا نسافر ما لم يقبضوا عليك .

ومع تكرر هذه الأسطوانة المشروخة فقدت السيطرة على أعصابي وقررت قتلهما والتظاهر بالجنون ، وأن المخدرات دفعتني لقتلهما ، وليس الخوف من اكتشاف قتلي للسيد .

قال حاتم بعدما اطلع على اعترافات الفتاة: أتذكر يوم قلت لك يا مالح إنني عندما سألت مركز الإدمان عن هذه الفتاة ؟ قالوا لي إنها لم تكن مدمنة بمعنى مدمنة ، فهي تعرف المخدرات وتتعاطها ؛ ولكنها لم تكن وصلت لمرحلة الإدمان فاستغربت ذلك.. فاليوم فهمت ذلك فهي تاجرة مخدرات أكثر منها مدمنة .

٢٨

بعد مغادرة الشرطة القصر بعد الأحداث المرعبة عقد منسي اجتماعا لفريق البحث فقال لهم :

أيها السادة الطيبون مع هذا الحدث المرعب والمؤلم للقلوب أتذكر رسالة السيد جاءني الهام أن أقرأ الرسالة الخاصة ، فوضعت الصفحتين أمامي وقرأتها مرة جديدة ، فلاحظت أن الرجل ذكر نفسه صراحة ثلاث مرات باسم جدك بسيم الجدية وفي النهاية جدك بسيم الجدية لعل هذا التكرار لاسمه في نفس الرسالة يشير إلى طابق البداية الطابق الثالث حيث نجتمع الآن .. ومقتل هذين البرازيليين ومقتل بسيم قبلهما ذكرني باسمه المكرر في الرسالة ، وذكر في رسالته الموت حق .. لعل هذا اسم لكتاب في مكتبته ؛ فليكن عملنا في مكتبة الطابق الثالث عن كتاب اسمه الموت .. الموت حق .. اسم له علاقة بالموت .

فقال شاهر : هل نشرك النساء معنا لإشغالهن بشيء ؛ لنسيان الحادث العاصف ؟

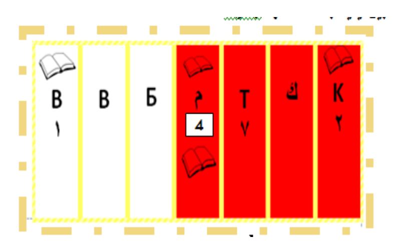
فقال حسن : جئن كما زعمن لمساعدتنا ودعمنا ، فانشغلن بالتنزه واللهو والثرثرة ، وقد غرقن بين أشجار البستان .. فلنتركهنّ على حريتهنّ ..ولا أعتقد أن موت هذه الأسرة الأجنبية أثّر فيهنّ .. لم يعد أي موت يؤثر في الناس اليوم .

فقال منسي عائدا للغز : تذكرون الكرت حرف بي **B** العمود الأيسر من البطاقة ، ولاحظوا أن **B** فوقها كتاب صورة كتاب أي مكتبة الطابق الثالث في نظري ، وتحتها ١ فلنبحث في الرف الأعلى من الخزائن السبع على أنه واحد ، ثم في الرف الأسفل على أنه واحد .

وانتقل القوم إلى مكتبة الطابق الثالث ، فلما أصبحوا أمام الواجهة التي تشبه الكرت مفتاح كل اللغز ، فقال منسي لهم :سنبدأ من الرف الأعلى من كل الخزائن السبع سنعتبره رقم واحد سأبدأ أنا من اليمين ، وشاهر من اليسار ، وأنت يا حسن من الخزانة الوسطى الرابعة سواء عددنا من اليمين أم اليسار .

ولم يطل البحث في الرف السابع من الخزانة الوسطى ، فقد وجد حسن كتابين في الرف يحملان اسم الموت ، ووجد منسي كتابا يحمل اسم الموت حق ، ومثلهم شاهر ، فقال منسي : فقبل أن

نقلب في صفحات هذه الكتب علينا المتابعة لإخراج الكتب المعنونة بالموت في هذه الرفوف السبعة .



ووجدوا في باقي الرفوف العليا كتبا تحمل عنوان الموت ، ولما انتهى التفتيش ، قال منسي : أصبح لدينا عشرة كتب فيها لفظة الموت .. كتاب الموت .. قصة الموت .. حقيقة الموت .. الموت لا مفر منه.. الموت حق .. أحياكم وأماتكم ..ملك الموت .. لا فرار من الموت .. حياتنا بعد الموت .. جاءكم الموت .. هذه عشرة كتب بعناوينها ، فبعضها كما رأيتم جاء صريحا في رسالة السيد لحفيده .. مثل كتاب الموت وكتاب الموت حق على كل واحد منا تصفح كتابا بحثا عن رسالة خاصة فيه كما فعلنا في مكتبة قصر أديب .. وإذا لم نجد شيئا نتصفح غيره .. ثم ننتقل للرف الأسفل ونعتبره رقم واحد .

أخذ كل واحد كتابا وبدأ التقليب والتحري ، ودخلت عليهم النساء وهم مستغرقون في البحث والصمت يخيم على المكان ، فشرح لهنّ منسي الأمر واشركهنّ في عملية البحث والتنقيب ، فتناولت كل واحدة مجلدا وذهبت إلى الجلوس على أحد مقاعد المكتبة يبحثن عن رسالة جديدة وكان من نصيب زوجة السيد حسن أن تجد في إحدى صفحات كتاب الموت حق شبكة مربعات ، ورأسها سهم للأسفل ، فقالت مضطربة : يا منسي يا أبا ضياء لعل هنا رسالة من السيد بسيم !

اقترب منها زوجها بعدما ترك الكتاب الذي كان يقلب صفحاته ، ونظر الشكل والحروف .

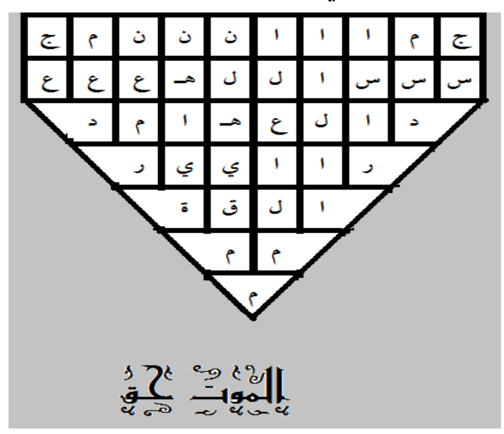
فقال حسن رافعا يده لأعلى : أجل ! توقفوا أيها السادة ، وجدت الرسالة في هذا الكتاب الذي كان يجب أن نبدأ به ؛ لأنه موجود اسمه صراحة في الرسالة الموت حق .

أخذ المنسي الكتاب من يد حسن ، ونظر الشكل ثم رسمه على ورقة بشكل مكبر عما هو في

الكتاب ، ثم تتابع القوم برسم ونقل الشكل إلى ملفاتهم وأوراقهم ، وقال منسي : أعتقد كما قال الأخ حسن الرسالة في هذا المربع أو هذه الشبكة .. ونظر لزوجته نظرة خاصة ، ولما ابتسمت لنظرته إليها قال : أم ضياء العزيزة تقضي جل وقتها تحل شبكات الكلمات المتقاطعة في كل الصحف والمجلات التي تدخل البيت ..

فقالت ضاحكة ومتحدية : سوف أحل هذه الشبكة . وكانت قد انتهت من رسم نسختها .

فلما نظرت زوجة منسي الشكل والحروف بعض دقائق قالت : أعتقد أني فهمتها ، ثم تابعت بانفعال واضح : هذه طبعا كما قال المنسي شبيهة بالكلمات المتقاطعة



شكلا .. أو شبكات إخراج الكلمات لتبقى لدينا كلمة أو جملة مركبة من كلمتين أو حكمة أو مثل .. صور شتى لهذا النموذج من الشبكات .. فالعمود الرابع من اليسار في هذه الشبكة الهرم المقلوب لدينا كلمة لها معنى كلمة نهاية وفي العمود السادس من اليسار الخامس من اليمين كلمة العالم ولها معنى ، والسهم من الشكل الهرم المقلوب انزل الطابق الثاني وابحث عن كتاب اسمه نهاية العالم .

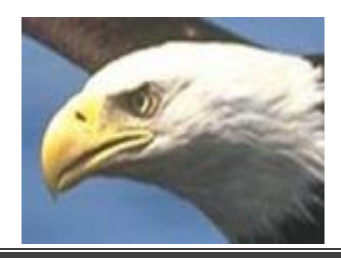
صفق الجميع للسيدة ، وكان الأمر بسيطا لدرجة مدهشة ، واحتفلوا بنجاحها بطلب إبريق من الشاي وإبريق من القهوة وبعض الفاكهة ، وانتقلوا لقاعة الطعام ، وعلق منسي وهم ينتقلون في انتظار وصول طلباتهم بصوت علني : ها قد نفعتنا تسليتك ولهوك بالشبكات يا أم ضياء .. والطابق الثاني سيغلق حسب نظام القصر بعد قليل .. وبعد شرب الشاي والقهوة سنطلب

العشاء .. فبعد هذا التقدم علينا أن نريح أبداننا بعض الوقت .. وصباحا بعونه تعالى نتابع التنقيب ؛ فإذا وجدنا كتاب نهاية العالم في مكتبة الطابق الثاني كان شغلنا صحيحا فنتابع العمل لأنه قد يكون هناك شبكات أخرى ، فنحن لم نبحث في كل الكتب التي فيها الموت .. وحتى كتاب الموت حق عندما اكتشفت الأخت (أم جمال) الشبكة ، لم نبحث عن غيرها ؛ فربما وضع لنا شبكات خداعية .. وربما كانت ضربة حظ .

قال شاهر : هذا ممكن من الرجل الذكي رحمه الله .

فهزّ الجميع رؤوسهم مؤيدين لوجهة نظر السيد منسي ، ووافق الجميع على التعمق في قراءة الورقة التي رسمها للشبكة وإبداء أي استدراك أو ملاحظة ، وأحضر الخدم المطلوب ، وقدم لهم منسي قائمة بالمناسب للعشاء والشراب .. وبعد كل ذلك من الطعام والفواكه وصلت الساعة لمنتصف الليل فانصرفوا لمناماتهم ، وطلب منسي منهم في الصباح قبل النزول لمكتبة الطابق الثاني التفتيش في الكتب الأخرى التي تحمل لفظة الموت .

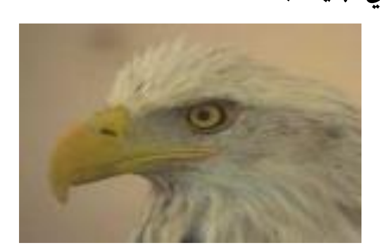
وبينما هم مشغولون ببحثهم جاءت الشرطة تبحث عن مسدس الجريمة المسدس الذي قتل به السيد ، فكان مخفيا في داخل إحدى الطابعات القديمة ، ثم أخرجوا كاتم الصوت من مكان آخر ، دلتهم عليهما الفتاة أثناء اعترافها .



٢٩

اتصل المحامي داود بأديب مخبرا إياه أنه حصل تقدم آخر في الوصول لكنز بسيم الجدية كما تقدموا في الوصول للخائنة القاتلة .

فعبر المهندس عن شكره لمحاميه ، وأثنى مجددا على مساعيه وجهوده التي يبذلها ، واعلمه أنه سيلتحق بالقصر مع نسيبه بشر وخاله محسن ، وطلب من المحامي بعد انتهاء التحقيق الجنائي أن يبدأ بصرف العمال ودفع المستحقات المالية لهم مع المكافآت المناسبة ، وتذاكر الطيران إلى بلدانهم ، فقال المحامي بعد سماعه طلبات المهندس وشكره : سألحق بكم أيضا آخر الأسبوع وهناك سنتحدث مع السيد السكرتير مايا لنبدأ في تصفية العمال والموظفين ، لأن الشرطة أنهت تقريبا تحقيقاتها وأعلمتني أن بإمكاننا إنهاء خدماتهم والسماح لهم بالعودة لبلدانهم إذا استغنينا عن عملهم.. وتابعت قضية نقل جثتي توماس وزوجته لموطنه وقريته الهندية ..وسترسل لعائلته الحقوق المالية وجميع أموال الاقتطاع من شركة التقاعد .. ولكن تبقى قضية حراسة القصر وبعض الأعمال التي لا غنى عنها مثل البستان والطعام للحرس ومايا حتى يباع القصر نهائيا .. وكذلك بعض الخدم لتنظيف القصر .. القصر يحتاج إلى هيكلة وترتيب إداري جديد يا أديب سنتكلم حول ذلك في نهاية الجمعة .



كان المنسي قد أجل البحث عندما جاءت الشرطة تبحث عن سلاح الجريمة ، وأدوات الجريمة الكاتم والعلبة ، فقضوا يومهم في البساتين ، ثم مشاهدة محطات البث الفضائي التي بدأت تشيع في ذلك الوقت من التاريخ وتزداد .

في الصباح التالي بعد تناول الجميع وجبة الإفطار قال لهم منسي : أخبرني المحامي عند اتصالي به ليلة أمس كالعادة المتبعة بيننا بتقديم فكرة له عن نشاطنا أن السادة أديب وأصهاره سيلتحقون

بنا وهو سيكون بيننا نهار الجمعة .. وسيدفع للقصر طاهيين عربين تعاقد معهم محامي جاد حتى إنهاء مهمتنا في هذا المكان ، وسيزيد عدد الخدم من اثنين إلى أربعة غير الطهاة وهم سيبدأون بتقليص سكان القصر الذين لم يعد القصر بحاجة لعملهم ، ووجبة الغداء سيستمر مطعم جاد بتوفيرها حسب مشيئتنا ورغبتنا ، وسيرسل لنا وكيله في جاد الماء المعلب والفواكه يوميا كما وعد سابقا .

فقال شاهر : فعلا الكثير من الموظفين لم يعد القصر بحاجة لهم بعد موت سيد القصر .. على الجميع أن يرحل .

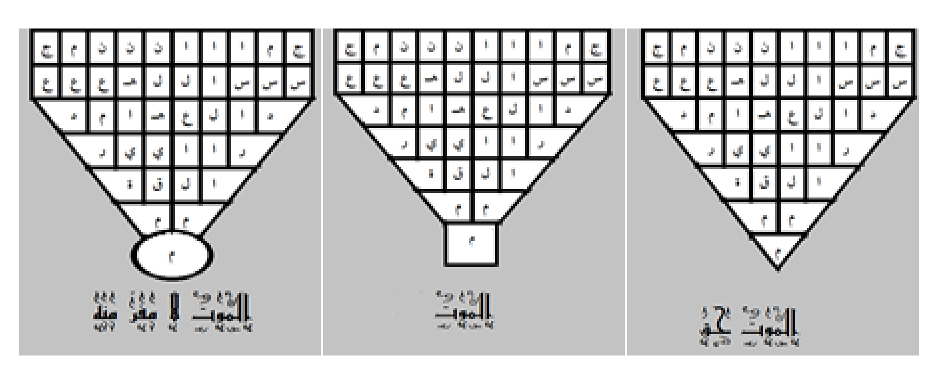
وأضاف حسن فقال : الغاية من وجودهم انتهت ، والسيد أديب كما علمتم يسعى للخلاص من هذا الكنز الكبير وحتى من شركات جده في الخارج ، وعلمت أن المحامي يسعى لتصفية شركاته أو بيع حصصه فيها .. والأمور تسير حول ذلك .. لا يريد أن يتمدد للخارج كجده بسيم .

فقال منسي : والآن بعدما أخذنا حظنا من الزاد بحمد الله وشربنا الشاي سنذهب للمكتبة هنا ونعاود النظر والبحث في الكتب العشرة التي أخرجناها من رفوفها ، ونبحث عن المزيد من الشبكات والرسائل حتى نطمئن أن الرجل يقصد فعلا كتاب الموت حق ، وأن الشبكة التي وجدتها أم جمال هي الشبكة الوحيدة التي اطلعنا عليها أول أمس .

فقال حسن : علينا فعلا أن نفتش تلك الكتب بدقة وجلد .

مشوا نحو قاعة المكتبة في الطابق الثالث ، وهناك طلب المنسي منهم إخراج الكتب التي تحمل اسم الموت من الرفوف السفلى ، فقامت النساء بهذه المهمة ، وتابع الرجال التصفح في الكتب العشرة التي أخرجت سابقا من الرفوف العليا ، ووجد القوم في أحد الكتب شبكة ثانية وتشبه الشبكة التي وجدوها ، والعجيب أنهم وجدوا نفس الشكل والحروف ، ثم وجدوا في كتاب آخر شبكة ثالثة .. وكان السيد قد جعل هذه الشبكات كصفحة ضمن كتاب مجلد كما حصل لهم عندما وجدوا رسالته المطبوعة في كتاب بلغة برازيلية .

ووجدت النسوة كتابا في الرف الأول الأسفل كتابا عن الموت ، ولكنهم لم يجدوا فيه شبكة، فقال حسن : بين أيدينا ثلاث شبكات فاعتقد أن شبكة الموت حق هي الشبكة المقصودة نهاية العالم هو الكتاب المطلوب البحث عنه في الطابق الأسفل



طلب منسي منهم النظر والتفكر في الشبكات من جديد ، فلماذا ترك الرجل ثلاث شبكات .. أللخداع أم أن الشبكات تكمل بعضها البعض ؟ فلم يجدوا اختلافا بينها إلا في رأس السهم أو الهرم المقلوب .

فتسأل شاهر : هل في ذلك رسالة يا ترى ؟!

قال منسي : أعتقد أنه فعل ذلك للتشويش ، وأيضا تسهيل الانتقال للخطوة التالية ما دامت الأشكال متشابهة رسما ومساحة وأحرفا ، وكلها تشير لكتاب اسمه نهاية العالم ؛ لأنه في العادة عندما يجد الباحث عن الكنز إحدى هذه الشبكات سيتوقف عن البحث ليحللها ؛ فإذا عرف ما عرفنا من اسم الكتاب سينزل للأسفل فورا وبلهفة .. فهي عملية للتسهيل إلى مرحلة أخرى والتشويش في نفس الحين .. وعموما إذا لم نجد كتاب نهاية العالم في الأسفل نعاود التفكير في هذه الشبكات من جديد .

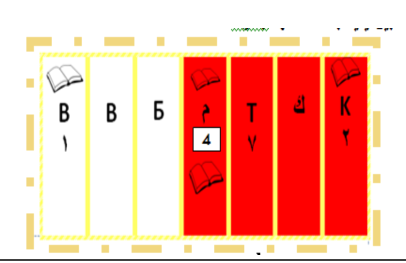
فقال حسن : كلامك معقول يا حضرة اللواء ؛ وقد يكون في وجود ثلاث شبكات إشارة لوجود ثلاثة كتب تحمل اسم الكتاب نهاية العالم .

فقال منسي وهو يهز رأسه مقتنعا : ممكن ، فهنا وجدنا في الرفوف العليا كما شاهدتم عشرة كتب فيها الموت والكتاب الذي وجدنا فيه الشبكة الموت حق أحدها .. وسنحتفظ بهذه

الكتب الثلاثة التي وجدنا فيها الشبكات قد نعود إليها في وقت لاحق .. فلتبق كل الكتب التي فتشناها على طاولات القراءة .. ولننزل للأسفل أيها الكرام .. ولاحظوا أننا في قصر أديب في العاصمة بلبل كان الكرت حرف م الرف ٤ وصورة الكتاب مرتين .. وهنا **B** الرف الأول من جميع الخزائن ..ويبقى عندنا حرف **K** رقم ٢ و **T** رقم ٧ ، فهذه الأرقام لها دلالاتها أيها السادة لم تكن عبثا أو تشويشا لابد أنكم لاحظتم هذا ؟!

فقال شاهر : صدقت وأحسنت إنها عوامل مساعدة للباحث .. فالرجل يريد منا أن نصل للكنز ببذل بعض الجهد .

أضاء منسي الذي كان يتقدم الفريق مكتبة الطابق الثاني ، وكان مايا قد أمر بعض الخادمات بتنظيفها للفريق بعدما علم أن العمل سينتقل إليها .



٣٠

وقف منسي مخاطبا لهم : المهمة واضحة بالنسبة لكم البطاقة ترشدنا للبحث في الرف الثاني أو السابع ، وليكن البحث من الأعلى كما حصل لنا في مكتبة الطابق الثالث ، كل واحد يأخذ الرف الثاني من أعلى السادس من أسفل ، ويبقى رف الذي ينهي رفه قبل غيره ينتقل إليه .. وإذا لم نجد نهاية العالم ننزل للرف الثاني من الأسفل إلى الأعلى .. فإذا لم يوجد في كل هذه الرفوف ننتقل للرف السابع من كل هذه الخزائن سواء من أعلى أو من أسفل .. هيا أبدأوا .

ولم يستغرق البحث طويلا فقد وجدوا ثلاث نسخ تحمل كتاب اسمه نهاية العالم ، وجدوها في الرفوف رقم اثنين من الأعلى ؛ ولكن منسي طلب منهم البحث في رقم اثنين من أسفل ، فلم يجدوا كتابا بذلك الاسم ، فطلب منهم البحث في رقم سبعة أو واحد على أنه سبعة من العد نزولا ، وكذلك لم يجدوا كتابا يحمل اسم نهاية العالم فيها .

فعلق شاهر : البطاقة الأساس لها دور كبير ومهم في عملنا .

فقال منسي : كل رجل منا وأهله يبحثون في نسخة عن رسالة السيد في هذه المرحلة .

بعد حين يسير قال حسن : الكتاب واحد هل لاحظتم ذلك ؟! إنما هي ثلاث نسخ لمصنف واحد .

قال منسي : جيد سيد حسن هو كما قلت ! كتاب منه نسخ .. فكما قلنا في شبكة الموت أعلى ؛ ربما هي للتشويش أو التسهيل علينا .. لحتى الآن لم نر فائدة لتكرار الشبكات في الأعلى .

قال شاهر : وجدنا في نسختنا مجموعة من الأرقام فوق بعضها البعض على شكل ملفت للنظر إنها ١٢ رقما .

تطلع إليها منسي وحسن فقال منسي : أي صفحة ؟

شاهر : ٢٩٩

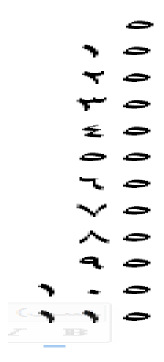
فتح منسي نسخته صفحة ٢٩٩ فقال بعد نظر : الصفحة عندي لا يوجد فيها أرقامك.. وأنت يا حسن ؟

ـ لا يوجد بها أرقام شاهر

ـ فلنتابع البحث جميعا استعرض ما تبقى من صفحات الكتاب يا شاهر

لقد كانت الأرقام التي وجدها شاهر في صفحة ٢٩٩ من كتاب نهاية العالم مرتبة على شكل صفوف ، وعلى هامش الكتاب وبقلم حبر جاف ، ليست مطبوعة ، ومضافة لهامش الصفحة الأيمن ، فبعد حين وجدت أسرة حسن الهامش في صفحة ٢٤٩ ، وفيه ١٢ رقما ، ووجد منسي وزوجته الهامش الثالث في صفحة ٣٠٩ ، فقال منسي حاسما : هذه هي رسالة السيد في هذه المرحلة ، لينقل كل واحد منا أرقامه على ورقة ، واعتقد أن كل هامش يشكل كلمة ، ومن مجموعها اسم كتاب في مكتبة الطابق الأول ، وهي طريقة شيفرة سهلة ، ويستخدمها الهواة أكثر من المحترفين.

وبعد صمت للحظات شرح قائلا : رقم يعني رقم صفحة في هذه الكتاب ، ورقم آخر يعني سطر في تلك الصفحة ، والرقم الثالث يعني حرف في ذلك السطر ، فمن مجموع الحروف ينتج لدينا اسم كتاب إذا كان الخطوة التالية كتاب ..



فأرقام السيد حسن انظروا إليها الموجودة في صفحة ٢٤٩

أعتقد أنها تعني رقم الصفحة من هذا الكتاب ؛ لأنه في الكتب من القليل والنادر أن يبلغ ويكون في الصفحة ٥٥ سطرا أو مائة سطر إلا إذا كان كتابا خاصا أو جريدة ، ربما تجد فيها مائة وخمسة عشر سطرا أو تجد في السطر مائة حرف ، ولو كانت كل كلمة فيه عشرة أحرف لبلغت مائة ، وهذا قليل خاصة في مثل هذا الكتاب نهاية العالم ، ورقم صفحة نسخة

حسن ٢٤٩ أعتقد أن هذه الأرقام إشارة لرقم الصفحة إذن نسخة حسن تعني رقم الصفحات وهو أدنى الأرقام .. ونسختي ونسخة شاهر تحتمل رقم السطر ورقم الحرف في السطر .. لذلك سنجرب مجموعة شاهر ؛ لأنها تحمل رقم ٢٩٩ كرقم للسطر ، ونسختي تعني الحرف .. ثم نستعمل نسختي السطر ونسخة شاهر الحرف ، ونرى ماذا سيكون بين أيدينا من الكلمات ؟

هذه أرقام شاهر الموجودة صفحة ٢٩٩

٥
١٥
١٥
٤
٩
١٧
٢٠
١
٧
١٩
١٧
٣

سنعتبرها رقم السطر أولا ، وهذه أرقام مجموعتي

٥
١٠
٨
١٥
١٨
٢٠
٢٠
٣
١
٢٠
١٧
١٩

سنعتبرها الحرف ، ثم نعكس واضح هذا لكم .. فاسم كتابنا يتكون من اثني عشر حرفا .

فقال شاهر : أغلب سطور الكتاب ٢٧ أو ٢٦ وبعضها ٢٤ لوجود عنوان في رأس الصفحة

قال منسي : جيد ! وهذه الأرقام التي عندك وعندي أكبرها ٢٠

فقال حسن: لنسرع العملية .. صفحتي قلنا رقم الصفحة .. ونعمل نسخة نقدم فيها أرقام شاهر ونسخة نقدم أرقامك سيادة اللواء .. ونعمل نحن الرجال مجموعة والنساء مجموعة .

ابتسم الجميع وقال منسي : فكرة طيبة .

دونت مجموعتان من الأرقام ، وأعطيت النساء نسخة من الكتاب بعد أن تأكد منسي أن النسخ أرقامها متطابقة .. ثلاث نسخ من كتاب نهاية العالم ، وأقر القوم للمنسي بخبرته في معرفة الشيفرات فضحك وقال : شيفرات المؤسسات الأمنية شيفرات معقدة .. ولكنها بين الفريقين سهلة ؛ لأن كل طرف يعرف المفتاح لاستخدامه في فك الشيفرة .. إنما يقصد من الرسائل المشفرة تمرير معلومات سرية وخطيرة ، لا يجب للموظفين الاطلاع عليها ، وإذا وقعت لدى الأعداء يصعب عليهم فهمها وتحليلها أو يتأخرون في فكها ؛ لتنفيذ ما يراد قبل معرفة العدو ..وتركيب الشيفرات معقد بالنسبة للخصم ، ومعروف بالنسبة للمرسلة إليهم الرسالة المشفرة ؛ لذلك يكون لدي الأجهزة الأمنية قاعدة بيانات لفك الشيفرات وتحليلها .. ويستخدم الجواسيس والتجسس لمعرفة المفتاح المتعامل به بين الأطراف لفهم ما يدبر ويخطط فتكون خطط الخصم مكشوفة للخصم إذا استطاع معرفة وفك الشيفرة.

وبعد ساعة من الزمن تم استخراج كتابين أحدهما اسمه أسرار في أرقام ، والكتاب الثاني اللعبة في بيتي

قال المنسي : علينا الآن أن ننزل إلى الطابق الأول .. فنحن نتقدم بشكل جيد وسريع سبحان الله وسيكون البحث أيها الأفاضل في الرف رقم ٧ كما تخبرنا البطاقة.

فقال حسن بحماس وهو يفرك يديه ببعضهما جذلا : نعم ، ها نحن نقترب من كنزك يا عم بسيم الجدية ـ رحمك الله ـ إلى الطابق الأول أيها الأبطال .. كان مجيء النساء فال حسن يا سيد منسي .

٥	٥	٥	ا
١٥	١٥	١٠	س
٢٥	١٥	٨	ر
٣٥	٤	١٥	ا
٤٥	٩	١٨	ر
٥٥	١٧	٢٠	ف
٦٥	٢٠	٢٠	ي
٧٥	١	٣	ا
٨٥	٧	١	ر
٩٥	١٩	٢٠	ق
١٠٥	١٧	١٧	ا
١١٥	٣	١٩	م

٥	٥	٥	ا
١٥	١٠	١٥	ل
٢٥	٨	١٥	ل
٣٥	١٥	٤	ع
٤٥	١٨	٩	ب
٥٥	٢٠	١٧	ة
٦٥	٢٠	٢٠	ف
٧٥	٣	١	ي
٨٥	١	٧	ب
٩٥	٢٠	١٩	ي
١٠٥	١٧	١٧	ت
١١٥	١٩	٣	ي

وقبل أن يرد المنسي قالت إحدى النساء : سنصعد للغداء ، فقد رأيت سيارة الطعام تقف أمام القصر

فاقترب بعضهم من نافذة تطل على مدخل القصر ينظر لبوابة القصر وقال : أجل أيها الناس وتحدث السكرتير مع اللواء منسي على جهاز اتصال خاص بينهم زوده به السكرتير للحديث معه مباشرة ، ومن أي مكان ، ولما اغلق الجهاز قال : نعم ، وصلت سيارة الطعام فلنصعد لمطعمنا ونرفه عن أنفسنا بالمشروبات الطيبة ، والفواكه الطازجة.. واعلموا أن ضيوفنا سيكونون معنا هذا المساء ؛ لذلك سنؤخر الغداء أيتها النساء حتى يشاركونا فيه .

قال شاهر : لا بأس يا أبا ضياء .

صعدوا بالمصعد للطابق الثالث ، وقدم لهم خادم الغرف الشراب المثلج ، ثم القهوة الحلوة .. والخادمة وضعت أمامهم أوعية الفواكه .

وبعد ساعة وصل أديب وزوجته سعاد وبشر وخاله ، ومعهم الطاهيان والخادمان الإضافيان .



غمر الفرح أفراد فريق البحث بمجيء السيد أديب وأصهاره ، ولما انتهى تناول الطعام وانتقلوا لقاعة خصصت كصالة جلوس لهم ، قال محمد محسن بعد سماعهم ملخصا لما بذل من جهد للوصول إلى مكتبة الطابق الأول : رائع رائع جدا أيها الفرسان !! نحن نسمع ونقرأ عن الكنوز وفك طلاسمها .. فها هنا نحن نشاهد فك أسرار كنز عظيم .. بوركت جهودكم لقد تقدم الفرسان تقدما كبيرا .. استعد يا مهندس أديب لرؤية ذخائر جدك العزيز.

فقدم أديب شكره الجزيل لهم ، وأثنى عليهم وعلى نسائهم الثناء الحسن ، ثم قال بشر معبرا هو الآخر عن امتنانه : حقيقة أثبتم أيها السادة أنكم أهل لحل الألغاز ، والليلة ـ إن شاء الله ـ سنبحث معكم في مكتبة الطابق الأول ليكون لنا سهم في مشاركتكم الجهد الجبار الذي

بذلتموه ..والعجيب أن مقتل الكوا الهندي وزوجته فتح على سيادة اللواء .. فقد ذكركم مقتلهم بالسيد بسيم وتكرار اسمه في الرسالة البرازيلية .

فقال منسي معترفا : فعلا إنها أعجوبة في نظري .. أهلا بكم جميعا .. وإن شاء المولى بعد صلاة العشاء نهبط لمكتبة الطابق الأول .

نزلوا جميعهم بعدما صلوا العشاء إلى الطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، وحيث نزلاء القصر وحسب طريقة البحث التي اتبعت في المكتبات العليا ، وقف كل شخص عند الرف رقم ٧ من الأعلى ، ووجدوا الكتابين سريعا دون عناء اللعبة في بيتي واسرار في أرقام واستمروا في البحث عن نسخ أخرى ، فلم يكن لهنّ تكرار ، وتبين لهم أن كتاب اللعبة هو عبارة عن مجموعة ألعاب من مختلف بلدان العالم ، من كل بلد لعبة أو أكثر ، وهي من الألعاب الشعبية المشهورة في البلاد أو المدن الكبيرة حول العالم ، والكتاب مترجم للعربية عن الإنجليزية .. باحث تنقل في كثير من بلدان العالم ، ودون تلك الألعاب لنشرها على مستوى الكرة الأرضية .

فقال المنسي مازحا : للأسف لم التقِ بمؤلف هذا الكتاب ؛ لأعرفه على ألعاب بلدنا .. يبدو أنه أراد أن يسيح في البلدان ، فاتخذ الفكرة الأساسية للكتاب للتجوال في العالم على حساب مؤسسة أو جمعية .

ضحك الجميع وقال بشر : ربما ما تفوهت به صحيح مائة بالمائة .. وأنا أول مرة أقف على هذا الكتاب ، وعلى هذا الاسم .. فما زال السيد بسيم يتحفنا بثقافته الواسعة .

وأما كتاب أسرار في أرقام فأرقام مجموعة إلى بعضها تكون نتائجها تساوي ضرب أرقام بأخرى أسرار الرقم ٩ الرقم ٨ حتى الرقم ١ ، ولفت نظرهم وهم يقلبون صفحات الكتاب أن هناك شبكات ٤×٤ ، ٥×٥ ، ٤×٥ ، ٥×٦ ، ٧×٧ شبكات كثيرة ، ومساحات مختلفة ، بدأ لهم الكتاب من تجميع أو تأليف السيد بسيم ؛ لأنه لم يكن عليه اسم مؤلف ، ولا دار نشر ، ولا سنة طباعة ، رغم أنه كتاب مجلد ، وهو يزيد عن مائتي صفحة .. طلب منسي منهم أن يقوم كل فرد بتقليبه ، ولما لم يفقهوا الرسالة المقصودة من رؤية هذا الكتاب طلب منهم منسي بالصعود للنوم

فمن يرغب بالنوم فلينم ، ومن يرغب بالسهر على الكتاب فليبق في قاعة الجلوس ، ولقى هذا الاقتراح الاستحسان خاصة النساء اللواتي يرغبن بالحديث والثرثرة مع السيدة سعاد عيسى ، وكذلك السيد محسن الرجل الشيخ ارتاح للاقتراح ، ورغم أن حياته السهر لعمله كصحفي ورئيس تحرير جريدة قديما ومجلة اليوم ؛ ولكن يبدو أن مشوار الطريق أتعبه ، وللعمر دوره ، وعرض عليهم الطهاة عشاء خفيفا ، فمن رغب انتقل لغرفة الطعام ومن لم يرغب ظل يقضم من الفواكه ويشرب الشاي أو القهوة أو المرطبات أو يقزز البزر والفستق الحلبي المالح .

وبعضهم ذهب للنوم ، وبقي بعضهم يقلبون في الكتاب ، ويتأملون صفحاته ومعلوماته ويفكرون باللغز المخفي في ثناياه ، واستمر التخرص والتخمين والفكر حتى كاد يقترب الفجر فقال لهم منسي وهو يترك الكتاب من بين يديه : جاءتني الآن فكرة قد تكون هي الحل .. لقد رأيتم في الكتاب صورا للمفاتيح صغيرة وكبيرة ؛ لعل لها دورا مهما يا إخوان .

قال بشر الذي ظل ساهرا معهم : فسر يا سيادة اللواء !

فقال منسي مفكرا ومفسرا : على بعضنا رسم هذه المفاتيح أو بعضها ، ثم نضعها على الأشكال المربعات الشبكات ، فربما تخرج لنا المفاتيح كلمات تدلنا على السر .. فعلى كل واحد منا أن يأخذ شكل مفتاح ويجربه على عدة مربعات ؛ ربما نصل لشيء ، فلابد أن لهذه المفاتيح دورا ، ثم نغير المفاتيح بمفاتيح أخرى حتى نيأس أو نلهم بشيء جديد .

فقال حسن مادحا : صدق أنها فكرة رهيبة يا أستاذ منسي.. نعم الخبير أنت في فك الشيفرات

فقال شاهر مقترحا: نكوّن هذه المفاتيح من ورق بلاستيك شفاف .

فقال بشر : جميل هذا أيضا يا أخ شاهر !..فالحروف التي يغطيها المفتاح نكوّن منها الكلمة المناسبة ثم على ماذا تدل الكلمة يا سيادة اللواء ؟

فقال منسي : على المكان الذي سنذهب إليه إلى مكان الكنز ، لم يبق كتب نبحث عنها وفيها .

مشى شاهر وحسن إلى المكتبة يبحثون عن أوراق بلاستكية شفافة التي تستخدم للكتابة أو التجليد .

وقال منسي وهو ينهض قائما: أما أنا فسأذهب للنوم أيها السادة تصبحون على خير .. و يكفي ما فعلناه اليوم ، فالساعة الثانية فجرا .

وانصرف الرجال والنساء ، وبعد حين يسير خرج شاهر وحسن من المكتبة ، وانصرف حسن للنوم ، وبقي شاهر وحده وهو يقول لحسن : لا رغبة لديّ في النوم .



صنع الشباب قصاصات من البلاستيك الشفاف الذي يستخدم للكتابة بأقلام الفولماستر ، قصوه على شكل المفاتيح الموجودة في كتاب أسرار في أرقام ، وأخذوا يضعونها على الشبكات ، فتشكلت لديهم كلمات منها غرفة ، غرف ، قصر ، قصور ، سطح ، سطوح ، شجرة ، أشجار نسر ، نسور ، صقر ، صقور .

لم توحِ لهم هذه الكلمات رغم توفر معانيها في القصر بشيء ، وفجاءة هتف المنسي قائلا : جاءتني فكرة أيها الأخوة .

التفت إليه الجميع فقال موضحا الفكرة : علينا أن نضع على المربعات ٣×٣ مفتاحا ذا ثلاث مربعات ، شبكة ٤×٤ مفتاح رباعي المربعات .. وهكذا .. فعلينا تصوير هذه الشبكات .. مجموعة تبحث في الثلاثي ، مجموعة في الرباعي ، مجموعة في الخماسي ، ومجموعة في السداسي كم صفحة هذه الشبكات يا شاهر ؟

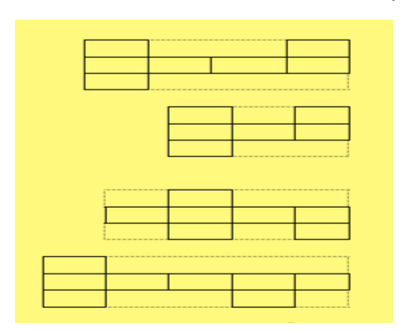
ـ حوالي ثلاثين صفحة .

استدعى أديب مايا ، وكلفه بتصوير الصفحات المرسوم عليها الشبكات ، فكل صفحة خمس صور .

وأخذ المنسي يصنع رسومات المفاتيح المصورة والمرسومة في الكتاب كما رسمها على ملفه .

ولما عاد مايا بالصور شكروه ، وأخذها منسي ووزعها على الجميع ، ثم وزع المفاتيح البلاستكية بعضهم أعطاه الثلاثي ، وبعضهم الرباعي والخماسي . وقال : من معه مفتاح ثلاثي يبحث في الشبكات الثلاثية ، والرباعي في الرباعية ، وعلى كل مجموعة أو فرد استخراج كلمات تصلح ؛

لأن تكون مكان إخفاء الكنز



وبدأ الرجال والنساء يبحثون ويضعون المفاتيح على الأشكال ، ويكتبون على الورق ما يتولد لديهم من كلمات ، وبعد حين قالت سعاد بتردد لشقيقها ومن بقربهم : إني ألمح في هذه الأشكال حلا .

قال بشر وهو يتطلع في عيني شقيقته : كيف ؟

قالت : اقترب ـ ولما اقترب منها ـ لاحظ هذا المفتاح الخماسي على هذا الشكل .. فتشكلت كلمة النسر فقط

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

فكلمة النسر في العمود الثاني من اليسار ، وكلمة النسر في الصف الثاني من الأعلى وهي معكوسة

فقال أديب : النسر مكرر مرتين ماذا يعني ذلك ؟

تبسمت سعاد قائلة : نعم ، يعني الذهاب للأسفل إلى قاعة النسر .

همس بشر : قاعة الطيور النسور فعلا هناك نسران في أعلى العمود الأوسط ذي الرخام الأسود؛

لكن هناك ثلاثة طيور على كل عمود ثلاثة طيور دعيني أحادث المنسي

ذهب بشر إلى حيث يجلس المنسي وزوجته فقال بشر : أستاذ منسي .. سعاد عندها فكرة لو سمحت بسماعها .

شرحت سعاد فكرتها للواء ، وأخذ المفتاح منها ووضعه على الرسم المختار الصف الثاني أفقيا والصف الثاني عموديا الكلمة مكررة في نفس الشكل ومطابقة لصورة المفتاح .

فقال منسي : النسور في قاعة النسور في الوسط، العمود الثاني من جميع الجهات النسور ثلاثة أليس على كل عمود ثلاثة طيور ؟

قال بشر : هي ثلاثة طيور حقا ؛ ولكن النسور اثنان فقط والثالث ليس بنسر

فاستدار المنسي لكل الموجودين وقال : السيدة الفاضلة سعاد اكتشفت شيئا مهما أيها الكرام وقد يكون هو الحل ، سأنزل أنا والمهندس أديب وبشر ونساؤنا لقاعة الطيور أسفل منا ؛ فإذا صح ما استنتجته الأخت سأتصل بكم للنزول وإيقاف البحث هنا .

نزل جزء منهم لقاعة الطيور أو غابة الطيور ، وقفوا عند العمود الأوسط الأسود الرخام في القاعة الرخامية ينظرون إلى الطيور المجسمة في أعلى العمود ، ووجدوا أن على العمود ثلاثة أطيار كسائر الأعمدة في القاعة ، منها مجسم نسران ، والثالث عقاب كبير ، فقال منسي : هما نسران حقا !

طلب منسي سلما من مايا لقاعة الطيور ، وكان السلم على شكل ٨ ، فصعد منسي عليه ، والقوم قلقون عليه لكبر سنه، فلما وصل الطير فتأمله بنظرة سريعة ، فهي تفرد أجنحتها ؛ كأنها تطير ، ثم نزل وأزاح السلم حيث النسر الثاني ، ثم صعد من جديد لينظر التمثال الثاني وبعد نظر نزل وحرك السلم للطير الثالث ، ثم صعد ينظره ،كانت الطيور بالحجم الطبيعي أو تقاربه .

صعد أديب بعدما أعاد السلم لأحد النسرين ، ودقق النظر في أحدها ، وقال وهو ينزل : ممكن أن يفتح فم النسر ، فأسفل العينين ممكن إدخال مفتاح خاص ، فالفكان يمكن فصلهما عن بعض ؛ وربما نحتاج لمفتاحين معا ، فكل عين أسفلها فتحة لمفتاح .

أزاح الشباب السلم أسفل النسر الثاني ، فصعد أديب عليه حيث تمثال النسر ، وحدق فيه وبعدما نزل قال : له فتحتا مفتاح أيضا .

فقال المنسي : أين سنجد مفاتيح هذه الأفواه ؟

استدعى أديب مايا وسأله: هل شاهد جده يصعد يوما على سلم في هذه القاعة ويفتح فم النسر دهش مايا للسؤال وقال : لم أشاهده يفعل ذلك ، رغم طول عشرتنا ، ولكن لا تنسوا أنني أغادر القصر في مهمات خاصة للرجل تستغرق أياما ، أو في زيارات لبلدي كإجازة ، وإذا أخفى الرجل شيئا عني فهو يفعله في غيابي ، وهذه القاعة من أحب الأماكن إليه في القصر بعد مكتبة الطابق الأول ، وإذا كان هناك كنز فهو سوف يستخدم شيئا سهلا ، ليس مثل هذا السلم .. وهذه القاعة لا يسمح للخدم والموظفين في القصر الجلوس فيها ، فهي استراحة لضيوفه فور وصولهم القصر .. قاعة الاستقبال الأولى ، وإذا أحببتم أن أسأل الحرس وأهل القصر عن إدخال سلم إليها للسيد أفعل .

قال منسي : إذا احتاج السيد لسلم كهذا ، لابد أن يأتيه به الخدم .. فهو ثقيل وطويل ؛ ولكنه موجود في القصر .. لماذا يستخدم هذا السلم ؟

رد مايا : هو لا يستخدم داخل القصر ، فلدينا سلالم قصيرة ومن مادة الألمنيوم ، ولكن هذا يستخدم للصيانة الكهربائية خارج القصر كتبديل لمبات الإضاءة ، صيانة سلك كهرباء ، ويستخدم في البستان لتقليم الأشجار العالية بالجملة لإعمال الصيانة ، وإذا استخدم هنا لهذه الطيور فيكون هذا قديما أثناء إنشاء هذه القاعة ؛ لأن هذه القاعة شيدت قبل استقرار السيد نهائيا في بلده هذا .

قال أديب : سيد مايا مفاتيح السيد أين هي ؟

ـ إذا كان هناك مفتاح أو مفاتيح خاصة أتصور أنكم ستجدونها في مكتبه الرئيسي في الطابق الثالث .. أو في مكتبة الطابق الأول هناك خزانة فيها أوراق ووثائق مهمة ؟

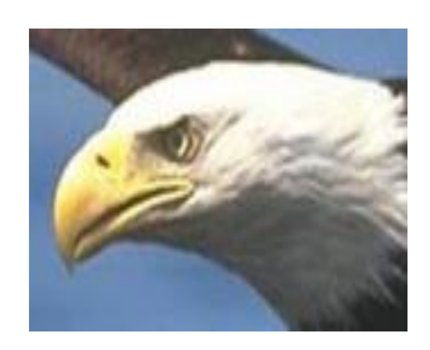
فقال منسي لمايا : أحضر مفاتيح المكتب ، وخذ معك السيد أديب ، وانظروا مجموعة المفاتيح .

واتصل منسي في فريق البحث في الطابق الثالث ، وطلب منهم التوقف عن البحث والنزول لقاعة الطيور.

فتح المكتب المهجور منذ موت صاحبه ، ووجدت فيه مجموعات من المفاتيح فقال أديب: كثيرة كيف سنبحث فيها ونجربها ؟

فقالت سعاد: لا داعي لتجربتها كلها ، فسيعزل السيد مايا مفاتيح الغرف الخاصة بمنامات السيد ، فتبقى مفاتيح الخزائن الخاصة .

تبسم مايا لما سمعه ، وأدرك ذكاء وفطنة هذه المرأة التي تزوجها أديب .. وقال لنفسه : لو كان الجد بسيم حيا لأعجب بها .. فهو يحب الأذكياء وأهل الشجاعة .



٣١

جربوا المفاتيح التي فرزوها ، فوجدوها كلها مستعملة لغير هذه النسور ، فانتقلوا للطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، فوجدوا مفاتيح الغرف التي يستخدمها الحرس وبعض الموظفين ونظروا المفاتيح التي يملكها مايا للقصر فكلها مستعملة .

فقال أديب : سلسلة مفاتيح جدي أين استقرت ؟

قال مايا : لا أدري كنت أظنها معك أو مع المحامي .. لا أعتقد أن الشرطة حرزت عليها .. فالمحامي جاء واطلع على مكاتب السيد في جميع الطوابق ، واستعرض الملفات المهمة ، ونقل بعضها لمكتبه .. يوجد خزانة معدنية سرية في مكتبه الذي كنا فيه ، وأخرى في المكتبة ، وأحسب أنهما فتحتا بعد الحادث ، واطلع على فحواهما السيد داود المحامي ، ولم يوجد فيهما شيء يدل على القاتل أو أوراق خاصة وخطيرة .. إنما هي صور عقود محليه وشراء عقارات وشقق في هذا البلد ، وأغلقت هذه الخزائن ، وأعطيت مفاتيحها وشيفراتها للسيد داود ليدفعها لك .

قال أديب وهو يتذكر : أذكر ذلك ، وهذه المفاتيح والشيفرات وصلتني فعلا ؛ ولكنها اللحظة هذه في المدينة .. فلابد من العودة للمدينة يا سعاد وجمع تلك المفاتيح ؛ وربما نجد بينها سلسلة مفاتيح جدي بسيم .. أذكر الآن أنني رأيت ميدالية عليها صورة نسر يطير ، وفيها ثلاثة مفاتيح منقوش عليها النسر .. ربما تكون هي المطلوبة إنني أتذكرها جيدا الآن .. نقلت إليّ مفاتيح كثيرة كان يستخدمها الجد بسيم .

أخبر أديب المنسي عن عدم وجود أي مفتاح يخص النسر ، وذكر له ميدالية جده ؛ ولكنها موجودة في بلبل وقال : لابد من العودة للمدينة لإحضارها .

فكر منسي قليلا وقال : ألا يستطيع السائق إحضارها ؟

قال أديب : سأتحدث مع خالتي أم سالم ، ومع داود أيضا ، أذكر أنني وضعتها في درج مكتبي يا سعاد .

اتصل أديب بخالته ، ووجد عندها حفيدتها التي جاءت للبقاء معها حتى يعودان ففرح ،

وتحدث مع الحفيدة التي فهمت عليه سريعا ، فذهبت الصبية إلى حيث أرشدها ، ووجدت الكثير من المفاتيح .

فقال لها : يا بيان ضعيها في كيس أو حقيبة صغيرة ودعي السائق الهندي يتكلم معي .

وتكلم أديب مع داود وحدثه بما حدث باختصار ، وطلب منه أن يذهب لبيته ، ويرى المفاتيح خاصة ميدالية النسر ومفاتيحها الثلاثة ، ويرسلها الليلة مع السائق الهندي.

انتقل المنسي وفريقه للغداء في الطابق الثالث حتى يصل السائق الهندي .

وفي الليل وصل السائق الهندي للقصر الصحراوي ، وسلم الحقيبة للمهندس ، وأخذه مايا ـ حيث هو قريب له ـ لقاعة الطعام ، وقدم له طعاما هنديا ، وأعلمه أنه سيقضي الليلة معهم فأرشده إلى حجرة ينام فيها .

وفي صالة السهر قال منسي وهو يقلب الميدالية التي نقش على وجهيها نسران : يبدو أنها فعلا مفاتيح لتلك النسور ؛ ولكنها ثلاث مفاتيح ..

فقال حسن : سيظهر مكان للمفتاح الثالث يا سيادة اللواء .

ضحك اللواء وقال : بالتأكيد يا أخ حسن .. تحول اللغز إلى مفاتيح في مرحلته الأخيرة .

فقال شاهر : هل ترى أنها الأخيرة ؟

التفت إليه منسي وقال : أعتقد أنها الأخيرة .. يا سيد محسن ما رأيك ؟

قال محسن : أصبح لدينا قصة كبيرة عن الكنوز.. أليس كذلك يا دكتور بشر ؟

ـ قصة كبيرة جدا يا خالي ..

فقال منسي : وفي الحقيبة دفتر صغير ؛ كأنه دفتر الشيفرات .

قال أديب : أنا طلبته ربما نحتاجه ، والسيد داود ربما يكون بيننا غدا ليشهد نهاية قصة كنز الجد بسيم .

هلل الجميع معبرين عن فرحهم بقدوم المحامي ، فهو الذي اختارهم وجمعهم لحل لغز الصحراء فمن الرائع أن يكون بينهم ، ويحضر حفل الختام .

بعدما تناول فريق البحث عن الكنز الإفطار نزلوا إلى قاعة الطيور حيث النسور ، وطلب المنسي عدسة مكبرة من السيد مايا ، فجاءت العدسة المكبرة ، وصعد شاهر السلم إلى رأس النسر وحيث أسفل العين اليمنى قال : نعم ، إنه مكان يصلح لإدخال مفتاح . أدخل المفتاح وحركه يمينا يسارا ؛ ولكن النسر لم يفتح فمه ، استعملوا المفاتيح الأخرى ولم يفتح فم النسر . فقال شاهر : يبدو أن لها مفاتيح أخرى أيها السادة .

انتقل للنسر الثاني ولم يفتح فمه هو الآخر ، فأمرهم السيد منسي المحاولة مع باقي الطيور في الأعمدة الأخرى ، وبعد حين قالوا : لا يوجد مكان فيها لإدخال مفتاح

فقال منسي : أين المفتاح لهذه النسور يا ترى ؟!

ولما لم يتكلم أحد تابع قائلا: هذه المرحلة سجلت للسيدة سعاد مرة أخرى ؛ ولكن أين المفاتيح يا سيد أديب ؟ أيحتفظ بها السيد في القصر هذا ؟ أم تراها في خزانة خاصة في أحد البنوك ؟ أم في مكان آخر ؟

فقال محسن : عليك بالحديث مع داود قبل أن يغادر المدينة .. تحدث معه يا أديب قد يكون عنده علم بهذه المفاتيح .

فقال منسي : نحن نسينا داود في هذه المعمعة ، وعلمنا أنه سياتي مساء هذا اليوم بأم أولاده وأحد أبنائه .

طلب أديب داود في المكتب فلم يجده ، فقالوا : إنه ذهب في مهمة وسيعود منها للبيت ، تحدث أديب مع بيت داود ، فردت زوجته أم محمد فطلب منها أن يتحدث معه قبل مجيئه للقصر الصحراوي .

في العاشرة ليلا اتصل المحامي بأديب ، فحدثه أديب عن فشل المفاتيح عن فتح فم أفواه الطيور وبحثوا في كل مفاتيح القصر، ولم يجدوا المفتاح المناسب ، فقال داود : تحتاجون لمفتاح خاص لديّ مجموعة من ثلاثة مفاتيح تركها جدك لدى المكتب ، وقال لي عندما أعطاني إياها : لا تعطيها لأديب إلا إذا طلبها بلسانه.. وها أنت تطلبها اليوم ، يبدو أنكم وصلتم لنهاية اللغز

فاحتجتم إليها .

أظهر أديب فرحه وانفعاله ، ووضع يده على الساعة وقال لضيوفه : ابشروا الجد ترك لدى المكتب ثلاثة مفاتيح لا تسلم لي إلا إذا طلبتها بنفسي

صفق الجميع فرحا ، وعاد أديب يقول لداود : آ .. يا داود بشرت الشباب أين ذهبت ؟

ـ أدركت ذلك قلت إنكم وصلتم لنهاية اللغز غدا بمشيئة الله سبحانه سأكون بينكم وسأحضر معي كمية كبيرة من الحلويات لجميع الموجودين في القصر تهانينا للجميع .

ولما عاد لمجلسه قال بحياء : الحقيقة أشكركم فردا فردا أخا أخا ..لقد ترك الجد ـ رحمه الله ـ ثلاثة مفاتيح لدى داود لا تسلم لي إلا عند الوصول لنهاية اللعبة أو الكنز .. شكرا سيادة اللواء شكرا أخ حسن .. شكرا أخ شاهر .. الشكر للنساء جميعا .. أنا سعيد بالتعرف عليكم ، ولن أنسى معروفكم ووقوفكم معي في حل معميات هذا الكنز .. وأنا لم يخطر ببالي أمس طلب مفاتيح من داود ، ولم أكن أعلم أن الجد ترك لي مفاتيح عند السيد المحامي أصلا وأن تسلم حين أطلبها .

غمر الفرح أعضاء الفريق ، وأخذوا يهنئون بعضهم بعضا ، ويتذكرون المراحل ، وأقام لهم أديب حفلة صغيرة ، وكلهم شوق ولهفة لمجيء النهار التالي ليفتحوا كنز السيد بسيم والسؤال المهم أين أخفى السيد الكنز؟ .. فبطن هذه الطيور هل هو المخزن للجواهر والوثائق ؟

وعند ظهيرة اليوم التالي كان السيد داود وحرمه وابن له يقفون أمام القصر بسيارتهم الحديثة ، وكانت تقف خلفهم سيارة كبيرة مليئة بالحلويات التي تشتهر بها البلاد ، فأدخلها الخدم والحرس بإدارة مايا ، ووزعت على جميع موظفي القصر ، وأخذوا حصة فريق البحث إلى الطابق الثالث ، وتم الاحتفال بأكلها وشرب المثلجات والعصائر ، وبعدما كمل الاحتفال هبط الفريق رجالا ونساء إلى قاعة الطيور لينظروا الكنز الذي اشتاقوا لرؤيته ، فأخذ أديب المفاتيح التي تسلمها من المحامي ، وصعد السلم حسب رغبة الجميع ؛ ليكون هو أول من ينظر ويلمس كنز جده ، فادخل مفتاحا في العين اليمنى أو أسفلها ففتح جزء من فم النسر، ثم نقل المفتاح للعين

الأخرى ، فلم تفتح ، فوضع مفتاحا آخر ففتح النسر جوفه كاملا ، فذكر اسم الله بسم الله ، وأدخل يده في جوف النسر وتحسس المكان وأخرج جوهرة بحجم بيضة الحمامة ، وأعاد البحث فخرجت فارغة ، فنزل وهو يحمل جوهرة جميلة تلمع في العيون ، وسلمها للواء منسي الذي نظر إليها وأعطاها لغيره ، وكان أديب ينقل السلم للنسر الثاني وكان داود يقول مازحا : إنها جوهرة حقيقية ليست مزيفة !

استخدم أديب مفتاحي النسر الذين فتحا النسر الأول ، ففتحا جوف النسر ، فوجد فيه رسالة ملفوفة ومربوطة بخيط ذهبي وهي مرتبة كرسائل القدماء ، ووجد معها جوهرة أخرى ، ونزل فقال منسي : لا تفتح الرسالة أيها الصديق حتى نرى ما في جوف العقاب .

نقل السلم حيث جهة العقاب ، واستخدم المفتاح الأخير ؛ لأن العقاب له قفل واحد ، فوجد فيه جوهرة ثالثة لا غير . فقال منسي : فهذه الرسالة إذن خريطة الكنز .

فك أديب خيط الرسالة وفتحها وقال : اسمحوا لي بقراءتها بصوت مرتفع

قال منسي : بارك الله فيك

قرأ أديب :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم يا ولدي

لقد وصلت للنهاية بفضل الله ، فأنت تستحق ما ادخرت لك من درر ومجوهرات ، ولقد تركت لك الكثير من المال مما يغنيك عنها .. فلقد راودتني فكرة بناء جزء من مدينة بجوار هذا القصر اسكنها للفقراء والضعفاء ؛ ولكن لي أعداء وخصوم أشداء فخشيت أن يتخذوهم طريقا لتصفيتي ، وهذا منعني من تنفيذ الفكرة في حياتي.

فلعلك بأموال هذا الكنز تستطيع إنشاءها عن روح جدك المفارق لهذا الدنيا .. وإن لم ترق لك هذه الفكرة فابن مستشفى عن روح الجد بسيم وبجواره مسجد .. وأما الوثائق فدعها للزمن والتاريخ فأنت لست بحاجة لإعداء.. وأنا تركت رسالة يا ولدي لدى المحامي ، وقلت له بعد

القسم أن يسلمها لك أو لورثتك بعد تملكك للكنز والهبة الربانية ..خذ الأموال من المخبأ ودع الوثائق ، ففيها خطر كبير عليك وعلى كل من يطلع عليها دعها للتاريخ والزمن .

ستجد الكنز في الطابق الأرضي تحت غابة الجوارح ، هناك خزان ماء كغرفة صغيرة ، ففي قاعه غطاء معدني لا يصدأ ولا يسرب الماء لأسفل ؛ فإذا فرغ الخزان من الماء سيظهر الغطاء وإذا رفع الغطاء ستجد بداخله سلما في جدران النفق كسلالم آبار الماء ، ومنه ستنزل إلى سرداب أقيم عند حفر الآبار ، ووضع الخزانات الكبيرة لتخزين المياه المستخرجة من الآبار الجوفية .. وسيقودك السرداب بين تلك الخزنات الكبيرة إلى غرفة محصنة بالرصاص والألمنيوم أنشئت عندما بدأت أحفر الآبار ومواضع خزانات الماء ، فهي غرفة كملجأ أخير في حالة اقتحام القصر من قبل عصابات كبيرة ، وفيها خزائن معدنية مصفحة فيها المجوهرات ومذكرات جدك بسيم ووثائق أخرى ، كنت في أول عهدي بالقصر أهبط إليها كل سنة مرة ، ولم يكن يستخدم الماء في ذلك الخزان كان فارغا من الماء ، وفيما بعد سمحت بملئه بالماء ، وكنت أجتهد عندما أدخله أن لا يراني أحد ، فأزعم أنني أريد أن أنام في غابة الطيور فأتسلل إليه واضع الجواهر التي تتيسر لي والوثائق الهامة للعمل ، وما أضفت من مذكرات .. وتوقفت عن ذلك النزول بعدما سمحت لهم بملئه بالماء عام ١٩٩٠ م .

هذه الرسالة كانت تغير وتبدل في آخر كل سنة ، وكذلك الرسالة التي ستجدها عند داود .. طريقة حل الكنز كملت في سنة ١٩٨٤ م بعد انتهاء بناء جميع القصر .. لكن هذه الرسالة كنت إذا قدرت لي الحياة أغيرها برسالة جديدة هي والرسالة التي عند داود ، وهو سيؤكد لك أنني كنت أطلبها في آخر شهر من السنة ، ثم أعيدها إليه بعد أيام حتى إذا مت تكون الرسالات جاهزة .. ستقول كيف كان يفعل جدي لتبديل الرسالة في جوف النسر ؟ والأمر يحتاج لسلم طويل وكبير الأمر سهل يا أديب ويا أبناء أديب .. في مكتبة الطابق الأول تحت احدى الطاولات الثقيلة المعدة للقراءة هناك بلاطة متحركة فإذا نزعتها ظهر لك ظهر النسر وفي ظهره ثقب تستطيع إدخال يدك فيه وتدخل وتخرج ما تشاء .. استهوت جدك الأسرار والأنفاق التي يقرأ

عنها في القصص والروايات والتاريخ .. فهكذا تخيلت هذا القصر ولكن الواقع يا ولدي ليس كالحقيقة .. ربما القدماء كانوا أقدر منا على صنع الأسرار والسراديب الغامضة .. وإذا أحببت أن تعرف المزيد عن جدك بسيم الجدية تصفح مذكراته وبعض يومياته .. شكرا لك ، قد تكون هذه الرسالة الأخيرة هذه السنة .. وقبل الوداع فاعلم أن مفاتيح الخزائن المعدنية في غرفة السرداب في نفس السرداب والتفاصيل في الرسالة التي بين يدي السيد المحامي داود .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



قال منسي بعد قراءة الرسالة ، وكان قد خيم الصمت المطبق عليهم : هنيئا لك الكنز يا أديب وها نحن قد وصلنا للنهاية أيها الأصدقاء !

كرر أديب لهم الشكر على الجهد المبذول لحل لغز السيد بسيم ، ثم قدم لهم الشكر المحامي ، واعتذر لهم عن الأوقات التي حرمهم منها مع زوجاتهم وأحفادهم ، ثم قال : هل نصل للغرفة السرية يا أديب أم نتوقف؟ والرسالة التي أشار إليها السيد بسيم موجودة لدينا ، وفعلا كان في آخر كل سنة يطلبها لمراجعتها ، ثم يعيدها بمغلف جديد حتى توفاه الله ﷻ ، فهي محفوظة في خزائن المكتب السرية .. والوثائق يطلب منك عدم نشرها حرصا على حياتك

قال منسي مؤكدا هذا المقصد : نعم ، الرجل خائف عليك ، وتذكر كيف صنعوا وصبروا ليصلوا إليه ؟ قد زوروا وانتحلوا وجندوا وصبروا حتى نالوا منه ـ رحمه الله ـ أفضل أن يبقى الكنز حيث هو لحين من الزمن .. فأنت حسب علمي لست بحاجة لأموال ، وترك لك الجد عقارات تستطيع أن تنفق منها على جميع الأملاك من ضريبة وصيانة وخدم القصر وغير ذلك .

فبعد صمت قال أديب : إنني بعد هذا الجهد الكبير ليحزنني أن أتخلص من هذا القصر ؛ فربما تشاورت مع أخي داود أبي محمد في الابتداء والشروع بتأسيس مدينة في هذا المكان ، وتقديم

بعض بيوتها أو كلها للفقراء عن روح جدي كما كان يحلم .. وأعتقد لو تيسر تأسيس لمدينة هنا سيكون في قلبها مستشفى ومسجد ، وإن عجزت عن فعل ذلك سيكون مبنى المستشفى متبرعا فيه في المدينة وكذلك الجامع.. فصاحب هذه الثروة العظيمة يستحق من حفيده كل شيء.

شكر الجميع همة الشاب وبره وحسن وفائه ، وقدم أديب الجواهر الثلاث لمنسي وشاهر وحسن قائلا : هذه لكم جزاء إشغالكم في قضيتي هذه .. وسأقدم للأخ بشر والسيد محسن مثلهما وكذلك صديقنا داود .. ليس ذلك أجرا ؛ بل للذكرى والصداقة التي جمعتنا خلال هاتين السنتين .

فرفض الرجال الهدية ، فأقسم أديب يمينا على عدم رد هدية جده قائلا : لولا جهودكم الجبارة لظلت كل الأموال تحت الأرض أيها السادة .. من لم يشكر الناس لا يشكر مولاه ﷻ .

فعاد الرجال لشكره والثناء على كرمه من جديد ، وقال منسي : غمرتنا بكرمك يا ابن الأكارم الطعام والشراب والفاكهة والمنام والتسلية .. ونحن لما طلب منا الأستاذ فهم أحاجي الجد لم ننتظر أجرا يا أخ أديب ؛ إنما كانت المحبة والأخوة

قال أديب بحياء ظاهر : أعرف ؛ ولكن هذه للذكرى والصداقة التي نشبت بيننا .

فقال منسي: إننا سعداء بالتعرف عليك وعلى حرمك المصون التي سهلت لنا متابعة المشوار ، وأحسنت في ختم المشوار ، وأكرمنا بالالتقاء بالصحفي الشهير محمد محسن وابن شقيقته الدكتور بشر عيسى ، وسنبقى أصدقاء ورفاقا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الناس الموت .

وقدم الشكر السيد شاهر لأديب وزوجه ، وللمحامي الذي اختاره للمساعدة في حل أحاجي هذه المهمة الممتعة للذهن والعقل ، ثم قدم حسن أيضا شكره وامتنانه للجميع للمهندس وقرينته سعاد ، وصعدوا للغداء أو العشاء ، ثم جلسوا في صالة الطابق الثالث يتذكرون ما صنعوا ، ويشربون الشاي والقهوة والكولا ويأكلون المكسرات والفواكه حتى قالت إحدى النساء : لا أدري كيف نعود لبلبل ولم ندخل غرفة الكنز ؟! ألا تخشوا من افتضاح أمرها ؟ أهؤلاء الخدم ألا يفشون سرها ؟ ويطمعون في الاستيلاء عليها .

تطلع بعضهم ببعض ، وقال منسي : أيفعلونها ؟ ماذا تقول يا داود ؟

ـ لست أدري يا سيدي .. أتحبون أن نخرج الكنز ؟ والوثائق ماذا سنفعل بها ؟! فهي هنا في تصوري أكثر أمنا من أي مكان آخر .

فقال المنسي بحيرة : المكان أظنه عرف .

قال داود : إفراغ الخزان يحتاج لوقت ، ونحن عن قريب سنبدأ بصرف العاملين في القصر ، ولن يبقى إلا القليل كالحرس وبعض الطهاة والسكرتير وزوجاتهم ، وعندما ينهي البوليس القضية يقلص عدد الحرس إلى واحد وزوجته ، لم نعد نحتاج لحماية أحد ، وقريبا ستقدم الفتاة لمحكمة الجنايات العظمى ، وهم كما أخبرني حاتم يبحثون عن أصحاب الفتاة الذين اختفوا ليلة بدء التحقيق الثاني ، وأكد لي حاتم أنهم لم يغادروا الحدود بشكل طبيعي إلا إذا تنكروا وخرجوا بجوازات أخرى ، ويمكننا وضع حرس جديد محلي ؛ فأنا أقترح على الأخ أديب الانتظار في إخراج الكنز ماذا يقول أديب ؟

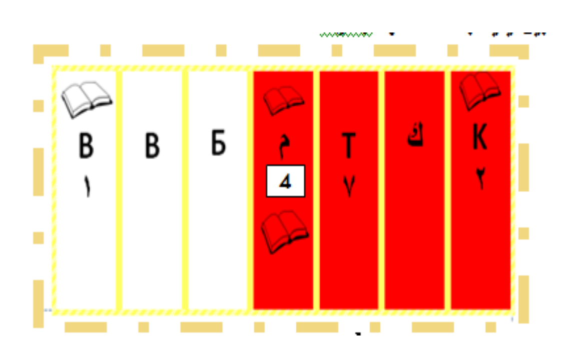
قال أديب : حقيقة أنا من رأيك، وفكرة الاستعانة بحرس محلي جيدة أو حتى بواب بعائلته فقط لكن من يقبل أن يعيش في هذه الصحراء من أهل البلاد ؟

ـ إذا توفر لهم الإمداد بالطعام سنجد من يقبل العمل هنا .. وهذا عمل مؤقت حتى نصرف كل العمالة ونعطيهم مكافآتهم المالية المستحقة لهم .

فتدخل منسي فقال :وأنا بعد تفكير من رأيك يا دكتور داود .. فمكان الكنز الآن معروف وهو مكان آمن .. وعملية استخراجه هذه الأيام غير مهمة في نظري .. معذرة للجميع .. ونحن علينا أن نكتم الأمر ونحصره بيننا خاصة النساء .. أرجوكنّ أن تكتمن الأمر ولا تثرثرن عن مكانه حتى نرتب لعملية إخراجه .. والخطر يكمن على حياة المهندس من شيوع خبر الوثائق والمذكرات فتسعى إليها الدول والعصابات وأجهزة المخابرات العالمية ، فالأفضل أن يكتم أمرها إلى حين من الدهر .. وعلى الأخ أديب الاستمرار في اتخاذ جانب الحذر واستخدام السيارة المصفحة في تحركاته حتى يختفي ذكر الجد بعد عدد من السنين .. والكنز معروف ما هو ؟ فقد

قال جدك في رسائله إنه عبارة عن مجوهرات تحصل عليها من خلال رحلاته في أنحاء دول العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. عبارة عن ماس وعقيق وياقوت وعقود لؤلؤ وغير ذلك مما يسمى بالأحجار الكريمة .. ويبدو أن لهذه الغرفة بابا سريا ربما يتصل بالصحراء ، صمم كل ذلك أثناء مرحلة حفر الآبار ؛ ربما أوهم العاملون في الموقع بأنه نفق لمرور الماء كمجرى نهر صناعي صغير .. فمكان الكنز أمان أكثر أيها الأصدقاء .. ومعذرة للنساء اللواتي ربما بهذا الكلام حرمتهن من متعة النظر لتلك الجواهر التي لن تختلف عن الهدايا التي تكرم بها علينا المهندس أديب .

شكر المحامي السيد منسي ، وأكد أن هذا هو الخيار الأفضل حتى يفكر المهندس ماذا يفعل بهذه الثروة التي ورثها عن جده حلالا زلالا ؟



٣٢

أعلم مايا سكان القصر أنهم سيسرحون من العمل والعودة لبلادهم وإنهاء خدماتهم ، وسيقدم لهم أجرهم كاملا وزيادة رواتب ثلاثة أشهر ، وسيمنحون مكافآتهم ، وثمن رحلة الطائرة لبلادهم .

وقال : صاحب القصر ـ كما تعلمون ـ بناه ؛ ليكون حصنا له ؛ ولكن يد الغدر والخيانة نالت منه فيه ، والوارث لهذه الأملاك ليس بحاجة لنا ، وأنه قد يبيعه أو يمنحه للدولة ؛ لتسفيد منه في قلب هذه الصحراء القاحلة . وأعلمهم أن إنهاء خدماتهم سيكون رويدا رويدا ، وأعلمهم أن التحقيق الجنائي على وشك الانتهاء منه بعد اعتراف القاتلة بقتل السيد ، وقتل من زعمت أنهم والداها ، واستقبل العاملون الأخبار بوجوم وبعضهم بفرح يسير؛ لأن ترك الإنسان لما اعتاده ليس بالأمر الهين والطيب .



ونشط داود بعد العودة لبلبل بالاتصال بشركاء بسيم ومحاميه في خارج البلاد لتصفية وبيع حصص السيد ، وخلال شهور كانت الأمور تسير كما يحب داود والمهندس ، والنتائج النهائية ستتحقق بعد سنة أو أكثر ، هناك حسابات معقدة لبعض الشركات وفروعها في العالم .

أنجبت سعاد مولودها الأول ، وغمر الفرح القصر والأهل ، وسماه أديب على اسم جده بسيم امتنانا لما قدمه له جده من مال وثروة ، جعلته في مصاف السادة الكبار ورجال المال على مستوى العالم ، وكانت تنازعه نفسه بترك العمل موظفا مهندسا في شركة .

ووفد الأهل والأقارب والأصدقاء يباركون لهما الطفل ، ثم صنع لهم في يوم محدد وليمة كبيرة التقى فيها جميع أعضاء فريق البحث عن الكنز والتحقيق في مقتل السيد كالعقيد حاتم ومساعده المقدم مالح ، والتقت نساؤهم بسعاد ، وأظهروا عواطفهم الرقيقة والنبيلة نحوهم ،

وقد فرحوا لميلاد السيد بسيم الصغير ، وتأكد لهم أكثر وفاء المهندس لجده ، وأنه محب له رغم المرار الذي تركه مقتل أسرته والديه وإخوانه في نفسه بسبب مخاطرات السيد الكبير .



اطلع المحامي داود من قبل العقيد حاتم أن الشرطة قد ألقت القبض على الشخص العربي الذي كان مرافقا لأصحاب الفتاة البرازيلية القاتلة ، وهو مروج للمخدرات بين فتيان وفتيات المعاهد والكليات ، وهو من رواد مراكز العلاج ، وتعرف على الفتاة من خلال مركز العلاج من الإدمان أو هي تعرفت عليه ، وظلا على تواصل بعد خروجهما ، وتبين للشرطة أنه لا يعرف عنها وعنهم سوى القليل من المعلومات بسبب اللغة ، وهو الذي عرفها على عدد من رفاقه في التعاطي والإدمان ، واستطاعت السيطرة عليهم وسلمتهم لزملائها البرازيليين ، فكانوا يقومون ببيع ونقل المخدرات بين المدن والحدود ، وبعضهم سقط في أيدي شرطة المكافحة ، وهم يقبعون في السجن ، وبعضهم أخذ فترة علاج كما هو متبع باعتبار متعاطي المخدر مريض بحاجة لعلاج أكثر من الحبس ، وكان هذا الرجل العربي يحلم بمغادرة البلد والعمل مع العصابات الدولية عن طريق الفتاة ورفاقها ، وهو لا يعلم الغاية الحقيقية لوجودهم في البلاد سوى تجارة المخدرات ، وسمع عن القتل والجريمة ؛ لكنه ظنها في نطاق تجارة المخدرات ، وأخبر الرجل أنه افترق عن زميليه بعدما اتصلت الفتاة مخبرة عن تجدد التحقيق في جريمة مقتل السيد بسيم ، واعتقدوا أن لدى البوليس شيئا جديدا للقيام بالتحقيق من جديد . فقال : لما تلقينا ذلك التلفون المرعب انزعج الشابان واجروا اتصالا دوليا من خارج الشقة ، ثم عاودوا الاتصال بالفتاة ، ثم في الصباح تم تسكير حساب الشقة ، وزعموا أنهم وجدوا سكنا جديدا ، وأخلت الشرطة سبيله .

قال حاتم للمحامي : وهو ما زال تحت المتابعة الخفية أملا بالوصول للشابين شركاء الفتاة في

الجريمة ، وأما الرأس الكبير مانيو فعاجزة الشرطة عن المطالبة به ؛ لأسباب كثيرة في نظر الشرطة ، فالرجل الزعيم مانيو هو معروف للبوليس الدولي وعلى قائمته أصلا ؛ ولكنهم متحصنون في أماكن سرية من الصعب الوصول إليها .. فهؤلاء المجرمون يملكون سفنا ويخوتا وغواصات كما يشاع غير الأوكار في مدن وقرى أمريكا الجنوبية .

وتابع حاتم : حتى أن الشاب لا يعرف أسماءهم الحقيقية.. فهؤلاء أسماؤهم مركبة وأجنبية ليس من السهل ترجمتها وفهمها على شاب ذي ثقافة محدودة .. المهم أن العملية كلها انتقام في انتقام من السيد بسيم الذي ساعد أو شارك في قتل أبيه المجرم الكبير في إحدى عمليات بيع السلاح أو تهريبه .. فهؤلاء الانتقام عندهم دين ، وله أهمية كما فهمنا منها للسيطرة على عدد من العصابات والمناطق كما تفعل الوحوش البرية الضارية .

قال داود : الشرطة لا تريد تقديم الفتاة للمحكمة حتى يتم القبض على صاحبيها الأجنبيين بالذات ، ونحن بدأنا بإخلاء القصر من هؤلاء الأجانب ، فقد أصبحوا عبئا على موازنة القصر وطلب أديب التخلص منهم ، وإكرامهم غاية الكرم لعملهم الطويل مع جده .. واليوم لم تعد لهم فائدة بعد وصول التحقيق إلى نهايته تقريبا .

قال العقيد حاتم : لا بأس يا سيدي ، فليست الشرطة بحاجة لشهاداتهم ، فلو أبقيتم على السكرتير مايا .

ـ سيبقى هو وزوجته وحارس واحد وطاهي واثنان من الخدم وعمال البساتين ، وستقام حملة صيانة للطابق الأول خاصة وباقي القصر عموما .. والحارس الإفريقي قد أنهيت خدماته ، وإذا احتجناه عند المحكمة وافق على المجيء وتقديم شهادته في أي وقت إذا كان على قيد الحياة ، وكذلك تعهد كل من صرف بالعودة للشهادة إذا احتيج إليهم .. حاول قاضي التحقيق تأخير سفرهم فذكرت له العبء المالي الذي ترتب علينا لبقائهم منذ مقتل السيد بسيم .. ندفع لهم مرتبات وأجورا دون فائدة تعود علينا بعد مقتل واغتيال السيد .

فقال حاتم : سأحاول الاتصال بهذا العربي ؛ لعلي استطيع الحصول على معلومات منه عن

الرجلين الهاربين لنعجل في تقديم القضية للمحكمة للنظر فيها .

ـ هذه خدمة كبيرة تقدمها لنا عقيد حاتم ، ونشكر جهودك في تقدمنا في معرفة اليد الأثيمة التي نالت من السيد .

ـ أرجو أن لا يكونا قد هربا .

ـ لو ثبت خروجهما من البلد لعجل هذا في المحاكمة ، فيحاكمان غيابيا وينتهي الموضوع ، فيطلبان من البوليس الدولي .

ـ فعلا يا حضرة المحامي .. على كل حال سأبذل جهدي وخبرتي في الوصول إلى نتيجة ـ إن شاء الله ـ سيد داود .

ـ لك كل الحب والتحية يا سيدي العقيد .. والأخ أديب لا ينسى جهودك معنا

ـ بلغه سلامي وشوقي وتحياتي .

ـ حضرت وليمة ولادة ابنه بسيم .

ـ نعم ، ولم يتسنَ الجلوس معه كثيرا كنت على موعد .

٣٣

من المعلوم أن الشاب الملقب بسحام ليس له يد في مقتل السيد بسيم ، ولم يعرف بالحادث إلا عندما حدثت الجريمة ، وبالتأكيد أنه لم يكن يعلم بارتكاب الفتاة الوديعة التي تعرف عليها في مركز العلاج من الإدمان أنها هي تلك المجرمة ؛ ربما عرف دورها الخطير ليلة اتصلت برفاقها وأسرعوا بالهرب والاختفاء .

هو كغيره كان يظن أن الفتاة تعمل في القصر الصحراوي مع والديها ، وأنها جاءت من بلادها للعمل والعلاج شفقة وعطفا من السيد بسيم ، ثم لحق بها زوجها وأصحابها ، فقد كانت تخرج معهم في سهرات خاصة ؛ ولكن هل كانوا يجرؤن على معاشرتها وهي عشيقة وزوجة سيدهم ؟ لم يكن عنده جواب .

خلال فترة العلاج التقت بالشاب سحام وغيره ممن جاءوا راغبين بالعلاج من سموم المخدرات واستطاعت تجنيده للعمل بتجارة المخدرات ، خاصة صغار التجار والمروجين بين الطلاب في الجامعات وحتى المدارس الثانوية ، وكان يراوده الحلم بالسفر للبرازيل والعمل في تجارة المخدرات مع العصابات الكبيرة وعلى مستوى العالم ، ولما غادرت مركز العلاج أخذت تتصل به ويتواعدان على اللقاء ، فأصبح صديقا لها في البلد ، وجاء مدينة جاد عددا من المرات ليلتقي بها ، وعرفها على بعض الزملاء عندما تنزل بلبلا ، والفتاة متعلمة كما نعرف ؛ورأت العمل في المخدرات أفضل من العمل بوظيفة حكومية أو شركة خاصة ، وهي جاءت بلبل لعمل خاص كلفت به ، جاءت على أنها ابنة الكوا توماس المتورطة في تعاطي المخدرات والتي هي بحاجة لعلاج وعطف وشفقة من الآخرين ، ورغم تعاطيها للمخدرات فهي لم تصل لمرحلة الإدمان ؛ إنما كانت تتظاهر بذلك لغاية في نفسها ، وإنما هي تتعاطها للمرح والكيف ؛ولكنها أحبت تجارتها والعمل مع العصابات ، فأحبت المال والثروة عن طريق التجارة بها ، فكانت تعمل على زرع فكرة أنها مدمنة ومتورطة في التعاطي بين أهل القصر وبين أصحابها العرب ، وتشاركهم حفلاتهم الماجنة بين الحين والآخر ، وكان مايا لا يرى أنها تشكل خطرا في القصر لزعمها أنها

ابنة الكوا وزوجته ، وهما لم يشككا في ذلك ، والأوراق تؤكد ذلك ، وجواز سفرها عليه اسم السيد الكوا واسم زوجته ، والسلاح غير مسموح بدخوله دون علم ومعرفة له وللحرس ، وكان من الصعب الوصول إلى غرفة السلاح ، ولا يصلون إليها إلا عن طريق غرفة السكرتير و الحقيقة أنها نجحت بخداع السكرتير والسيد بسيم وغيرهم ، وكانت تشارك الكوا وزوجته الشقة ؛ كأنها ابنة جاءت للعمل والعلاج من الإدمان فعلا ؛ ولكنها فشلت في العلاج ، وظلت تتعاطى وتحاول كل مرة إدخال مخدرات للقصر ولو بشيء بسيط ؛ فصار الاعتقاد السائد أنها مريضة ، وما زالت تتعاطى ، فيشفق عليها الحرس وسكان القصر .

وعرفت أصحابها بسحام واستخدموه في نقل المخدرات بين المدن ونقاط الحدود لتهريبها للدول المجاورة أو الاستلام للبضاعة ، وظلت على ذلك الأمر حتى اغتالت الرجل كما ذكرت لنا في اعترافها بعد قتلها للكوا وزوجته ، وكان في حساب مانيو أن القاتل مجهول وسيغلق الملف وبعد حين سيغلق القصر ، ولن يكتشفها أحد ، ولكن ظهور حكاية الكنز والبحث عنه أخرت إغلاق القصر ، فطلب منها زوجها الصبر والبقاء في القصر حتى لا يصبحا طريدة العدالة الدولية ، ثم تجدد التحقيق في الجريمة من قبل محقق خاص ، ومعنى ذلك أن التحقيق سيعاد فتحه حتى يعرف الجاني ، وهي اتصلت بهم لتأمين جواز سفر آخر لها للهرب حسب خطة الطوارئ ، فطلب منها الاستمرار في القصر مع الاستمرار في أخذ المخدرات ، ثم اختفى الرجلان ، وانقطع عنها الاتصال .

التقى العقيد حاتم بالسيد سحام في مقهى عمومي اختاره الأخير بنفسه ، فقال سحام : إنني أعرفك قبل أن تتقاعد ، أنت تعمل مع جهاز الشرطة والسرقة والقتل ، أما أنا فكانت علاقتي مع شرطة المخدرات .. وأنا لا دخل لي في جريمة قتل السيد بسيم ، ولا جريمة قتل الكوا وقرينته .. بل أنا لم أعرف بدورها في الجريمة الأولى إلا عندما تجدد التحقيق ، وقتلها للرجل وزوجته ،فاستوعبت دورها الكبير في الجريمة الأولى .. علاقتي معهم علاقة مخدرات .

قال حاتم مشجعا : هذا معروف لي وللشرطة ، ومن أجل ذلك تخلت عنك شرطة الجرائم ، ولم

تحبس وتقدم للقضاة .. أنا رغبت بلقائك صراحة أقولها لتساعدنا في إلقاء القبض على الرجلين أو تساعدنا في إثبات خروجهما من البلد .

ـ عندما اتصلت الفتاة بالشقة تلك الليلة رد عليها من اسمه الكسندر ، وكان حديثهما بالبرتغالية كما أفهم من حديثهما لبعض ، وهي بالطبع لم تتحدث معه عن الجريمة صراحة ، فهي تعلم أن السكرتير يسجل الاتصالات .. فقال الكسندر كما فهمت أن التحقيق عاد من جديد فخرج من الشقة بعد أن رطن لصاحبه بكلمات ، وخرج وعاد بعد ساعة أو أكثر وفهمت أنه اتصل بالبرازيل ، وبعد حين اتصل بالقصر بالفتاة ، واعلم أنهم يتكلمون بالرموز من خلال كلامهم ، وأنا كنت ليلتها معهم في الشقة ، وكان معنا بعض بنات الهوى ، ولما جاء الاتصال طلب مني صرف الفتيات ، فتسللن خارجات ، وقد أخذن أجورهن وانصرفن ، واعلم أن دخول الفتيات ممنوع ؛ لكن بشيء من التنكر ؛ ودفع بعض المال للحرس يغضون الطرف ، ثم خرج كما قلت وأجرى محادثة من خارج الشقة ، ولما عاد هاتف القصر في آخر الليل ، وفي الصباح دفع للوكيل باقي حسابه وغادرنا الشقة. وقال لي فريدي : الشرطة يا سحام في قصر الجدية ويحققون في الجريمة من جديد ووضع صاحبتنا صعب هذه المرة .. وكان الكسندر غاضبا عليها ؛لأنها تكلمت معه من القصر ، فالأصل أن تتحدث معنا من بريد جاد ،وكان الكسندر يتحدث معها بلغة مفهومة بينهم ، مشينا مائة متر عن المجمع السكني للشقق المفروشة ، وركبنا سيارة أجرة إلى وسط المدينة ، ونزلنا في فندق صغير وشعبي ، لنا معرفة بمديره ، يأمُه سياح أجانب الذين يحبون قضاء أيامهم في الأماكن الشعبية وتوفير بعض المال .. وتركنا الكسندر وطلب مني البقاء مع فريدي ، وسافر إلى جاد ، والتقى بالفتاة كما علمت بذلك بعد رجوعه ، وفهمت من كلامهم بأن الأمر جد خطير .

ـ أين التقى بها ؟

ـ في مطعم سياحي معروف لنا ، وكان ذلك أثناء أخذها للحقنة ، فهو كما فهمت رتب لها هذا اللقاء للخروج وأخذ المخدرات والاستمرار في لعبة التعاطي ومحاولة إدخال كمية منها للقصر

ـ لم يقل صاحب المطعم ذلك .

ـ نحن نزود صاحب ذاك المطعم بالمخدرات في بعض الأحيان .. فلما رجع من جاد طلب مني الاختفاء سبعة أيام ، ثم العودة إلى الفندق فندق الوزة البيضاء .. ولما عدت حسب الأوامر ، لم أجدهما .. أخبرني صاحب الفندق أنهما غادرا بعدي بيومين ، وعدت ثانية وثالثة ، ثم استوعبت أنهما تخلصا مني ، وهم خائفون من صحبتي لهم في هذه الفترة الحرجة ، ثم علمت من الصحف بالقبض على الفتاة بجريمة قتل والديها في قصر الجدية .. لم أكن أعلم أنهما ليسا بوالدين لها وأعتقد يا سيدي العقيد أنها فعلت ذلك من نفسها ، ضاقت ذرعا من وضعها بعد تخلي الجميع عنها ، فتصرفت تصرفا فرديا ، ومن الصحف علمت أنهم لم يكونوا أهلها .. هذه قصتي معهم وأنا قلت للشرطة عندما مسكوا بي وأنا في زيارة لبيت أمي المطلقة ، وتعيش وحدها بجوار أحد إخوتي المتزوجين ، قلت لهم ما تفوهت به أمامك الآن .. فليس لي دور في جرائم القتل سواء الأولى أم الثانية .

ـ ألا يمكن الوصول إليهم ؟ ألا يمكننك مساعدتنا ؟

صمت سحام لثوان ثم قال : حقيقة يا سيدي أن ذلك صعب ، فالكسندر رجل ماكر وحذر حتى من رفيقه فريدي .. فهو ابن عصابة قوية .

ـ كيف كنت تفهم عليهم ؟

ـ من المعاشرة وهم يحسنون العربية إلى حد ما ، وإن لم يتكلموا بها ، فهم يفهمون عني ويكلمونني بها ؛ لأفهم المهمات التي كنت أكلف بها .. طبعا ليس كما نتحدث نحن بها ..وهم يخلطونها بلغتهم .. وكنا نتوقف أحيانا لفهم المطلوب بالضبط ويوضحونه لي بصبر .. فكان الكسندر يتحرك باسمه هذا ، وكذلك فريدي ، أما أسماؤهم في الجوازات فلا أعرفها ، ولم أرى جوازاتهم نهائيا .. وهم يتنكرون بشخصيات أخرى عند الحاجة .. اعلم يا سيدي أنني كنت بريدا لهم .. أنقل المال أنقل مكان تسليم البضاعة إحضار النساء المومسات لهم .. وكله بثمنه يا سيدي العقيد ..وهذه حياتنا القذرة ..وكنت أحلم بالرحيل لبلادهم .

ـ هل رأيت زوجها مانيو وقابلته ؟

ـ حصل أن قابلته ، وكلفني بمهمات خفيفة ، وهو زوجها بالتأكيد ، وكان يأتي للقاء بها ، واليوم أفهم أنه كان يأتي لمتابعة قضيته وانتقامه .. وها أنا أرى اليوم أنهم تخلوا عنها وتركوها لنفسها حتى لم يكلفوا محاميا بالدفاع عنها .. زرتها في السجن ، وقالت لي أرغب بالموت يا سحام ، الكل تخلى عني ، وتركوني تحت رحمة الكوا وزوجته .. وهي زوجته ؛ لأنها لم تكن تسمح لأحد أن يعاشرها .. كانت تخرج مع الكسندر في مشاوير خاصة ، ولا أدري ما يكون بينهما ، فقد شاركتها في جلسات تحشيش ورقص ، ولم تمكني من مضاجعتها ، فأدركت أن مانيو شيء مهم في العصابة .

ـ اعترفت بأن مانيو سيدها وعشيقها ، وأنه وعدها بالزواج الشرعي إذا حققت له انتقامه .. ويسرني خدمتك يا سيد سحام ، وأشكر شجاعتك وصراحتك .. وإذا احتجت لخدمة مقدورة فأنا في خدمتك .. وإذا وجدت جديدا أو جد شيء مهم فاتصل برقم الشرطة أو النجدة .. ولن ينسى لك البوليس أي خدمة تقدمها لهم وأي تعاون معهم .. وإذا تحتاج جديا لإدخال لمركز العلاج ؛ فأنا مستعد أن أقدم لك هذه الخدمة وتوصية لهم .

تنهد سحام بعمق: وقال : إنني أفكر بذلك جادا

ـ أنصحك بذلك ، وليس خطأ أن تصحح حياتك كأغلب البشر ، وتخلص من هذه السموم التي أنهكت بدنك .



ذكر حاتم للضابط المحقق في جريمة القصر عن أسماء الرجلين الهاربين ، وأنهما يتقنان التنكر وربما يحيون بجوازات سفر غير المعروفة للسلطات والمطار والموانئ

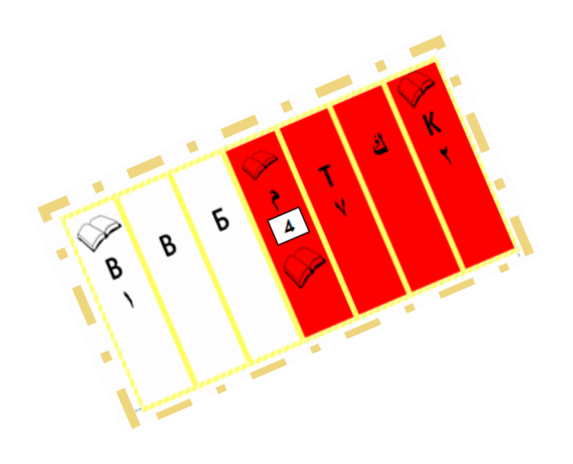
وقال حاتم : أنا أرجح أنهم هربوا بعد مفارقة سحام لهم .. وأقدمت الفتاة على القتل بعد يأسها

منهم ، ولم يعودوا يتحدثون معها ويقابلونها سرا وعلنا ، فأدركت أنها أمست ورقة محروقة ، فوجدت في الجريمة تنفيسا لغضبها وتوريطا لهم لتهتم الشرطة بمطاردتهم .

ـ لقد حاولت الانتحار أكثر من مرة في السجن ، وأتصور أنها ستفعل ذلك عندما تتهيأ الفرصة لها .. فهي أجرت كذا اتصال من السجن في البرازيل ؛ ولكن بلا فائدة ، لا يرد عليها أحد .. وتحدثت مرة مع أمها الحقيقية تطلب منها العفو عنها .. يبدو أنها أسأت لها في يوم من الأيام .

ـ عليها أن تتحمل ما جنت يدها .. وما أهلكت من الشباب ببيع المخدرات والسموم .. فهل يستحق هؤلاء الناس العطف والشفقة ؟!

ـ الجريمة والعقاب .



٩/ ١٠/ ٢٠١١

جمال شاهين

* لغز القصر الصحراوي *

كانت حياته في خطر كبير لكثرة الخصوم

فشيد قصرا في قلب الصحراء

ووفر فيه كل وسائل الحماية المعروفة

وأخفى فيه كنزا ومذكراته

وطلب من ورثته ألا يتخلص منه إلا بعد حوزته للكنز والمذكرات

وقتل في النهاية داخل القصر

فكان هناك لغز الكنز ولغز القتل



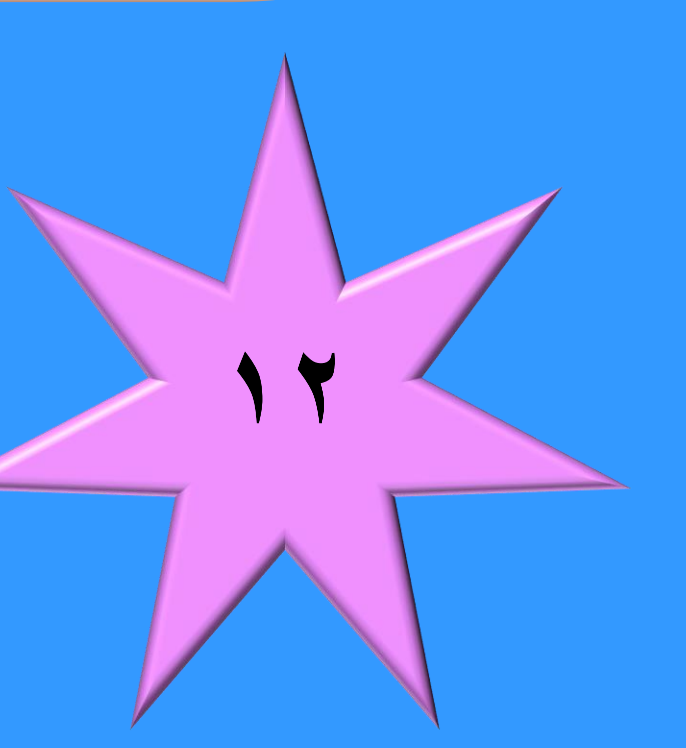
التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالِم المزيف		



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين





الزواج الخطأ

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

الزواج الخطأ

جمال شاهين



الأرمل

الإنسان خلق محبا للحياة ، وكلما كبر سنه زاد تعلقه بها ، ومتمنيا لو يعمر عمر النبي نوح عليه الصلاة السلام ، وكلما كبر ضعف ، ووهن بدنه وعقله ، وكلما وهن احتاج لدعم ومساندة ، وأكبر الدعم يقدم له من الزوجة حتى لو كانت ضعيفة عليلة .

فلما بلغ السيد نوفل بكر السبعين ترمل ، أصبح بلا زوجة ، فازداد غمه وحزنه من موتها ، ومن وحدته .. أمسى وحيد قصره ، وحيد حجرة نومه .. هو تاجر كبير ، ومستورد أخشاب معروف ، ومن عشرات السنين .. وكان يلقب بملك الخشب في البلاد كلها .. فيملك المال والثروة ، ووفر لأبنائه الستة المال والتعليم والسكن والرفاهية والحياة السعيدة .

ابنته الكبرى اسمها عالية أم لعدة أطفال ، وتسكن في حي قريب من سكن والدها ، وزوجها قريب لها ، وتخرجت من الجامعة ، وعملت موظفة في الدولة حتى تقاعدت من سنوات خلت وابنته التالية اسمها فاطمة ، وتعلمت كأختها ، واليوم هي مثل شقيقتها متقاعدة من العمل الصحي ، حيث عملت في أكبر مستشفى في المدينة ، وتسكن المدينة مع زوجها الطبيب الذي ما زال يمارس العمل ، لم يتقاعد بعد .

والابن الذكر الكبير اسمه مفتاح ابن خمس وأربعين سنة عند وفاة أمه سميحة خضر ، وبيته عمارة بجوار قصر والده ، يسكن في شقة منها قام على إنشائها بعد أن منحه والده تلك القطعة من الأرض ..وبنى ابنه عمارة ضخمة من سبعة طوابق ، اتخذ طابقا منها لسكنه ، والشقق الأخرى مؤجرة ، وقد درس الرجل في كلية التجارة ، وتخرج محاسبا ، وعمل مع والده في تجارة الأخشاب ، ثم استقل عن الوالد ، ويملك عدة شركات هو وأولاده وبناته .

والوالد له فيلا وقصر من طابقين وسط حديقة من الأشجار أنشاها عندما استقر في حي الأنباء في ضواحي المدينة العاصمة للبلاد .

وابنه الرابع يحمل اسم عادل نوفل بكر ، تخرج من الجامعة مطلع شبابه كمحاسب كشقيقه ، وعمل في شركات مطلع تخرجه ، ثم سافر للعمل في أمريكا الجنوبية ، وتعرض لحادث إطلاق

نار ، فعاد للبلد ، وأنشأ شركة خاصة به ، ثم فلست ، وصفيت ، وتزوج الثانية عند الأربعين ، وعاشت معه الزوجة حتى فلست الشركة ، وطلبت الطلاق ، وانسحبت من الشركة حيث كانت شريكة ، واستثمر الرجل في سيارات الأجرة ، ابتاع مكتب سيارات أجرة ، وله بيت على قطعة أرض، وهبها له والده .. بيت من طابق واحد ، وهو متعلق بالحشيشة والشراب المسكر ولا تخلو حياته من بنات الهوى .

والابن الخامس المهندس محمود ، وهو يصغر عادل بسنة واحدة فقط ، وله عدة مصانع في البلاد ويعيش بعيدا عن والده كشقيقه عادل .

والبنت الأخيرة والسادسة فدوى نوفل ، تعمل في قطاع الطيران خريجة إدارة أعمال ، وتعيش مع زوجها بمدينة أخرى ، وعمرها عند موت أمها حوالي خمس وثلاثين سنة .

ماتت سميحة خضر ، وبقي نوفل وحيدا أرملا عجوزا ، وقد ترك مباشرة العمل الذي اعتاد عليه منذ سنوات ، فله أكثر من عشر سنوات متقاعدا ، يتابع العمل عن بعد من مكتبه داخل قصره الجديد الذي انتقل إليه قبل التقاعد بشهور ..للبيت عدة خدم .. بعضهم دوامه يومي ، وبعضهم ساعات ، لديه خادم فليبيني من سنوات ، وخادمة سريلانكية هندية ، وهناك بستاني ومساعده يعملان في النهار حتى العصر، ولا ينامان في القصر ..وكانت هناك امرأة عربية تتردد على القصر لمساعدة زوجته ، ثم تنصرف قبل الظهر ، وبعد موتها ما زالت تتردد على القصر بضع ساعات تساعد في تنظيف المطبخ ، والغرف وتنصرف .. والأهم أن لدى السيد نوفل طاهيا في الأربعين من عمره ، عربي الجنسية ؛ ولكنه بارع في الطهو .. هو يعمل ليلا في أحد الفنادق ، وتعاقد معه نوفل على خدمته نهارا من الثامنة صباحا حتى العصر أي بعد انتهاء وجبة الغداء.. أعجب بطعامه أثناء مكثه في الفنادق لاستضافة موردين أجانب .. وقبل الشاب العمل في قصره مقابل مبلغ مغر من المال .. فأعطاه ضعف ما يتعاطاه من الفندق .. وله خمس سنوات يعمل في القصر .. وكان الطابق الأرضي يسكن فيه الخدم ، والطاهي له حجرة يستريح فيها خلال ساعات النهار .. وفيه قاعة للولائم والطعام ..والسيد مكتبه وحجرة نومه في الطابق

الثاني .

لم يرث السيد الغنى عن والديه ؛ إنما أصبح غنيا بساعده وفطنته ، وبتوفيق من الله أولا ، فبنى نفسه وعلم أولاده أحس تعليم ـ كما يقول ـ سواء كانوا ذكورا أم إناثا وساعدهم بالبناء لبيوتهم وبزواجهم ..كلهم نجحوا في الحياة العملية إلى حد كبير إلا عادلا ، فأنه ما زال يتخبط بمشاريعه وحياته.

وترمل هذا الرجل الشيخ ، وهو في هذا العمر ..فبعد حين يسير أحسن بالوحدة والوحشة رغم وجود الخدم والطاهي عويس الذي يبدأ عمله قبل التاسعة وحتى الثالثة عصرا ، ويقوم بإعداد الطعام للسيد ، ولأهل القصر .. ويشرف على غداء السيد ، ويحضر الطعام للعشاء ، وأحيانا يشرف على وجبة الفطور إذا تأخر السيد بالنوم.

أخذ السيد بعد أسابيع من الترمل يفكر بالزواج ، إنه بحاجة لأنثى تشاركه الفراش والغرفة كيف ينام وحيدا وبين يديه الأموال ؟!

ويقول مفتاح الابن الأكبر ، والمجاور له في السكن : لم تنته الأربعون على وفاتها يا أبي .. اصبر عاما ..ماذا سيقول عنك الأصدقاء والمعارف ؟!

فيصيح محتجا : أصبر عاما ..أنتظر سنة .. ولماذا سنة ؟! أنام في الغرفة وحدي! هذا ظلم.. أنا أريد زوجة تنام جنبي يا مفتاح !

ـ لديك الخدم والطباخ.

ـ هؤلاء ينامون معي!

ـ قصدي في القصر .. عيب يا أبي أن تتزوج وتربة أمنا لم تبرد .

قال نوفل بضيق وسخط : أنت تقدر أن تعيش بدون امرأة ..وهل تقدر أنت تعيش بدون أم نوفل؟!

ـ أنا أقول اصبر سنة زمان .. ونبحث لك عن امرأة مناسبة لسنك .

ـ مناسبة لسني! أنا يا حبيبي أريد أن أتزوج بنت عشرين .. أريد المزيد من الذرية

ـ معقول يا أبي تريد أن تعود لتربية الأطفال !

صاح غضبا : معقول يا مفتاح ! بالعكس أنا اليوم متفرغ للتربية أكثر من أيام زمان .. أريد ذرية لأشعر أنني ما زلت شابا في عنفوانه.

صاح مفتاح : اصبر وبعد عام تزوج طفلة رضيعة .

ـ لن أصبر شهرا ، ولا يوما ، سأبدأ بالبحث من هذه اللحظة .. أنا في غنى عن بحثكم ومساعدتي .. أنت تضمن حياتي لسنة .. أنا كنت أريد الزواج قبل موت أمك .. ولما احتججتم وزعمتم أن مرضها سيزيد ، صمت وها أنا أعيش بعدها بدون رفيق أو أنيس أهذه عيشة ؟!



كل مشاورات ومحاورات الأب نوفل مع أبنائه وبناته باءت بالفشل ، وكلهم رفض الزواج قبل انقضاء سنة على الأقل من تاريخ وفاة أمهم ، واعتبروا فعل ذلك عيب في حقها وحقهم وحقه سيبدو أمام الناس ؛ كأنه ما صدق أن تموت ، فكان رده على اعتراضهم بأنه صبر أكثر من اللازم فأمهم لم تكن منذ سنوات صالحة للمعاشرة الزوجية ، ولولا بغضه للتعدد لتزوج في حياتها ، ولولا أنها أم العيال لطلقها وتزوج عليها ؛ لكنه تحمل من أجل خاطرهم ومشاعرهم ، ولسقمها .

لذلك كان يقول للطاهي عويس عند وجبة الغداء : كلهم لا يحبون سعادتي وزواجي ! يريدون دفني بالحياة يا عويس .. يا خسارة التربية !

استمع الطباخ لشكوى السيد نوفل ، وإن استمع إليها أكثر من مرة منذ ماتت السيدة سميحة خضر .. ولما رأى أن الرجل لم يعد يصبر على الوحدة والنوم على السرير وحده ، ويكاد ينفجر من الغيظ ، قال مشجعا : تزوج .. أنت ما زلت شابا يا عمّ نوفل .. والمال يعوض العمر !

ثم قال ليكسب ود السيد نوفل : أنا مستعد للسعي لك في زوجة طيبة بنت ناس

ـ أتستطيع ذلك يا معلم عويس ؟!

ـ طبعا أستطيع يا سيدي ..البنات أكثر من الرجال اليوم .. والمطلقات كثيرات .. والأرامل متوفرات .. أنت اذكر لي المواصفات صغيرة كبيرة ، متعلمة غير متعلمة ، تحبل لا تحبل ، ذكية غبية ، نحيفة سمينة ، طويلة قصيرة ، جميلة مقبولة .. أنا مستعد لخدمتكم يا عّم نوفل بصدق وإخلاص .

ـ شهم يا ولدي! شهم يا عويس !.. عمرك كم قلت لي ؟

ـ قريب من الأربعين قدْ أولادك .

ـ مفتاح أكبر منك بخمس سنوات .. أنت من جيل محمود .. أعندك الخبرة في مثل هكذا مواضيع ؟

ضحك عويس ، وقال مادحا خبرته : يا رجل أنا زوجت كل أخواتي وإخوتي .. وعدد كبير من أبناء، وبنات الجيران .. أرامل مطلقون .. أنت اذكر الصفات ، وارم الحمل عليّ .. وسترى .

قال : ليس خطأ أن نختبرك يا معلم عويس يا أفضل الطباخين في العالم ! أنا طمعان بزوجة محترمة وممتازة ..أريد امرأة فوق الأربعين ، حملت أم لا تحمل .. هذا أمره لله ..وأن تكون أقل من الخمسين مقبولة من ناحية الحسن .. لا أريد ملكة جمال .. مطلقة أو أرملة مقبولة دون أطفال أفضل لي .. أنا عمري سبعون سنة لست صغيرا .

ـ أنا فاهم عليك يا عّم نوفل .. لا تريدها للحبل والخلفة.

ـ الأفضل لا .. عندي ستة .. والحمد لله .. المطلوب أن تخدمني وتنام جنبي.

ـ أنا فاهم عليك .. لو عندها أولاد كبار .

ـ هذا المطلوب حتى لا تطالبني بالحمل والعلاجات والأدوية .. أولاد كبار أحسن .. نحن اليوم كبرنا عن الأطفال .

قال عويس بثقة : عروسك عندي يا عّم نوفل!

ـ كيف ؟!

ـ أمهلني أسبوع عشرة أيام فقط .. سوف أقابل بعض النسوة من القريبات والبعيدات .

ـ ما هو اليوم يا عّم عويس ؟

ـ السبت .

ـ السبت من شهر نيسان .. بعد عشرة أيام نتحدث حول الموضوع .

ـ حاضر يا عّم نوفل ! سأجتهد باللقاء بهن .. الأولاد ما يغضبون من العم عويس

صاح نوفل : الأولاد لا يحبون سعادتي وحياتي ! لولا الحياء لتمنوا موتي علنا قبل موت أمهم

ـ صحيح ! هم لا يحبون أن يقاسمهم أحد التركة .

ـ جنوا لما علموا أن أمهم لا تملك الكثير من المال باسمها ، ووجدوا لها بيتا وضيعا مؤجرا ، وتتصدق بإيجاره .. واتهمني بعضهم بظلمها .. مع أننا لما تزوجنا كنّا أفقر من جمل أجرب .. والله وفقنا وفتح عليّ من خيراته ونعمه ، وصرنا بفضل الله .. اهتم يا عويس بأمر زواجي ، ما دمت أنت خبير نساء وزيجات .. وستأخذ نصيبك من الكعكة إذا تم الأمر على يديك ، ووجدت بنت الحلال التي تستر عليّ تالي العمر .

قال عويس بحماس وطمع : أبشر ..سأكون عند حسن ظنك يا أبا مفتاح يا سيد الرجال يا أكرم الناس ! نحن أصدقاء من سنوات ، وأنت ما قصرت معي .. وأنا في خدمتك بعيوني .

ـ أنت طاهٍ ماهر يا عويس ! وأحببت طَعَامك منذ تذوقته في الفندق أول مرة فأصررت أن أعرف من طهى ذلك الأكل .. وتعرفت عليك .. أنا أحب الطعام الزاكي والطيب .. وأنت تستحق كل خير .. أنت كم ولد عندك يا عويس ؟

تنهد أسفا وقال : ولا واحد ..المرأة بعافية حتى فكرت كذا مرة أن أتزوج عليها ..ولكن الرحم والقرابة .

بعد هذا الحديث الطويل بين السيد والطباخ الخاص بأسبوع أخبره بأنه وجد امرأة من معارفه يستطيع مقابلتها والتفاهم معها .. وأعلمه أنها أرملة من عشر سنوات وعمرها خمس وأربعون سنة .. ولها ولد وبنت .. شاب اسمه نافز ، عمره ثمانية وعشرون عاما ، لا يحترف أي مهنة .. عاطل عن العمل .. ولها بنت عمرها ست وعشرون سنة ، ومتزوجة اسمها نعمة وأن السيدة

هادية الأرملة ترغب بالزواج ولو من شيخ كبير .. وأخذ الشيخ عنوانها من عويس .. وقام بعد يومين بزيارتها في بيتها المتواضع الذي دله عليه عويس.. وكان في استقباله ابنها وهي ، وتحدثوا عن الزواج ، وحاجته لامرأة تشاركه الفراش ، وتحدث عن مساوئ الترمل والوحدة .. وبعد أيام يسيرة التقوا عند باب المحكمة الشرعية ، وتم عقد زواجها .. وتحدد موعد الزفاف بسرية تامة عن الأولاد والأحفاد .. وكان ذلك في قاعة خاصة ، وكان العرس ؛ كأنه عرس شابين صغيرين .. وتكفلت إدارة القاعة بترتيب الحفلة والسهرة ..وعلم الشيخ أن الأولاد علموا بأمر الزواج ؛ ولكنهم قاطعوه كلهم ، ووصف بعضهم والده بالخرف .. فأستاء منهم جميعهم ، وهدد بحرمانهم من الميراث ، وتحويل أمواله إلى الجمعيات والنوادي التي كان يدعمها وما زال واعتبرهم عاقين ولؤماء .. ولما وصلهم هذا الخبر بدأت إجراءات الصلح ؛ ولكنه رفض أي صلح ، ويرفض استقبالهم في قصره ، وإذا دخلوا يرفض النزول والجلوس معهم .. وتكرر ذلك منهم دون فائدة .. واعتبر تصرفهم بمقاطعة العرس ، وقد علموا به تصرفا أحمق وقلة أدب ، وعليهم أن يتحملوا نتيجة تخليهم عنه أمام الناس .. هم وأولادهم .. وسعت خالة الأولاد وأخوالهم ؛ لترقيع الرقع والزعم أن أمهم لو كانت حية لباركت زواجه ، وشهدت بشخصها عرس زوجها ، ولكنه أصر على الرفض ، وطردهم شر طردة ، واعتبرهم يستخفون به وبعقله وأنهم حرضوا الأولاد على معاداته ، فلعنته الخالة واتهمته بالمراهقة والطيش ، وعدم احترامها

وحاول شقيقه الأصغر منه معه، ولم ينجح بالشفاعة بينهم، فقال لهم: الأيام دواء الجراح .

وكان السيد يستقبل أصهاره وأقاربهم ، ويقدم لهم عويس الطعام اللذيذ والفطائر والحلوى والعصائر ، وظنوا أن هادية تعيش في الجنة بعدما هلكت من قلة الطعام الجيد ، واللحم الأحمر حتى أن نافزا الأعزب كانت جل أيامه في قصر السيد ، وتجرأ بعض الأيام بالمبيت في القصر ، وحتى البنت نعمة كانت تكثر من التردد على قصر السيد ليلا للعشاء والسهر بحجة حبها لأمها وكان السيد لا يبخل عليهم بشيء ، فهو يعيش في شهر العسل ، حتى أنه فكر بالسفر من أجله لولا توتر العلاقات بينه وبين أولاده ، وأقارب امرأته الميتة بعد طرد الخالة والخال.

ذات نهار قال السيد لزوجته هادية ، وهما يتناولان طعام الفطور وحدهما : هذا ابنك نافز لا يعمل ، ولا يشتغل .. دائما هنا .. هذا أمر مزعج ! .. من شهرين وأنا أقول الآن يخف يستحي؛ لكن دون فائدة .. شهر العسل انتهى يا هادية عبدو .. أنا تزوجتك أنت وحدك .

قالت بقلق : هو كما قلت لك سابقا لا يعمل عملا ثابتا .

ـ من يوم ما تزوجنا وهو يتغدى ويتعشى ، وأحيانا كثيرة ينام هنا .. ويفطر معنا .. أنا لست متزوجا نافزا ولا نعيمة!

ـ هو تعرض لحادث صدم قبل سنوات أثر على دماغه وكبده .. وخطبت له بنية ، ثم تركته يا معلم نوفل يا كبير ! .. وطول عمري أعيش معه .. نحتاج لوقت لنتخلص منه .

ـ إنه يسكر ..حدث أكثر من مرة أن فتحت له بوابة القصر ، وله ريح السكارى ومشيهم .. وهذا لا ينفع في بيتي .. أنا حجت بيت الله الحرام .. وأفكر أن أرافقك إلى هناك .

ـ يا معلم نوفل يا كبير ! تحملنا بعض الوقت ، وسأدبر أمر زواجه .

ـ أنا مستعد لمساعدته في ذلك ، عليه أن يقلل من الظهور في البيت .. بعض الأقارب يقولون : الحاج نوفل طرد أولاده ، وأحضر أولاد زوجته الجديدة أولاد الأرملة بدلا منهم!

ـ أنا أسمع هذا الكلام .. تحدثت معه قبل أن أسمع هذا منك يا حاج نوفل .. عشنا مع بعضنا عمرا طويلا .. وأنا تكلمت معه في هذا الأمر ؛ بل سمعته يقول : إنك تحدثت معه بذلك!

قال : لمحت له أكثر من مرة ، لا حياة لمن تنادي ؛ كأني أتكلم مع الكنبة أو التربيزة .. يتظاهر بالبلادة والغباء ، حتى كنت أضطر إلى سحبك لغرفة النوم لعله يشم أو يشعر وينصرف ؛ ولكنه بدل أن يعود لبيته أو مشربه يذهب للخدم طالبا المزيد من الطعام والفواكه .

قالت بهدوء : سأفعل ما تريد يا حاج نوفل يا كبير! وأتكلم معه أمامك اليوم إذا حضر .

قال السيد بحدة بينة : سيحضر ..ما هو يعتبر القصر تكية ، ودار الدراويش .. نحن تزوجنا لنعيد شبابنا يا هادية .

تبسمت وقالت : أي شباب يا حاج نوفل ! أنت تستخدم كل أنواع الأدوية لقضاء الشهوة

ودون فائدة .

حدق فيها بحدة وسخط ، وبعد صمت قال بصوت بدا مبحوحا : آنت بنت أربع عشرة سنة ؟! يا مكر النساء ! أنت تفكرينني ابن عشرين .. رهق صغير.

ـ لا ، أنا أريد أن أذكرك بأنك لست صغيرا يا حاج نوفل .

صرخ فقال : أنا لا أحب تعييري بضعفي الجنسي!

ـ أنا أريد أن أذكرك بأنك لست فحلا من فحول الرجال بعد هذه السن .

ـ المهم أنا أرحب بابنتك وابنك في المنزل في الشهر مرة أو زيارة قصيرة .. الوقت عشر دقائق ربع ساعة .. ولما تشتاقي لهم اذهبي وأقضي نهارك كله معهم .

وحدث شجار بينهم بعد هذا الحوار الساخن ، حتى هددت المرأة بطلب الطلاق ، مما زاد من غضب الرجل عليها وسخطه.

ولما حضر ابنها كالعادة أدرك أن الجو متوتر وثائر ، وهاجت أمه عليه أن يغادر القصر ، وأن الرجل قد ملّ منه ، ولم يعد يطيقه ويحتمل وجوده .. فصرخ فيها وفيه لبعض الوقت .. ولما حضر عويس ، وعلم بالمشكلة، ترجاه أن يغادر قبل طلاق أمه ، وطلب منها مالا ، فأعطته ، وانصرف حانقا على زوج أمه.

وبعد هذه المشاجرة الصاخبة أخذ الرجل يتصالح مع أولاده ،ويسمح لهم بزيارته ورويدا رويدا عادت الأمور معهم إلى ما كانت عليه قبل زواجه لهادية .. فخلال ستة أشهر من زواجه صلحت العلاقات بينهم .. وازدادت توترا وسوءا بينه وبين زوجته وأولادها ..وأصبحت حياتها معا على كف عفريت ، وكان يجد تشجيعا على طلاقها من الأبناء ، وخاصة البنات ، والبحث عن امرأة ذات أخلاق عالية .

كان في القصر شيء مزعج له ، ومستفز .. هو مجيء نافز المتكرر .. وهو غير مبال به ، ولا بأمه فظل يأتي ويأكل الطعام ويشرب الشاي ؛ كأنه سيد القصر ، وقبل المغادرة يأخذ المال من أمه وينصرف .. وحذرها تكرارا ومرارا من استقباله في بيته وقصره .. وهي غير مكترثة ، ولم تلتزم

بذلك .. ولما أدرك السيد أن التهديد لا يعبأ به ، ولا تعيره اهتماما طردها من البيت ، ووعدها بورقة الطلاق عن طريق المحامي الخاص به .. وتدخل عويس الذي حضر هذا المشهد ، وقال لها : اذهبي لبيتك .. وأنا سأهدي الأمور مع السيد .. ولن يحصل الطلاق .

وبعد مغادرتها ، سعى عويس لدى الحاج بتهدئة الموضوع ، فقال : يا رجل سكير يسكر على حسابي .. أنا أدفع ثمن المشروبات لهذا اللعين! أنا ابني عادل لما علمت أنه يسكر ويخمر طردته من بيتي ، فقلت له : أسكر في بيتك ..تعال صاحي لتراني .. وكانت أمه على قيد الحياة .

همس الطباخ عويس : هدأ نفسك يا عمّ نوفل! صحتك أهم من زعلك ..الولد هامل .. وتعود على نهب أمه ، واستغلال ضعف الأم قبل الزواج .. وإذا أنت راغب بالطلاق ، سنرتب الأمر بكل هدوء ، كما دخلنا بهدوء نخرج بهدوء ، دون شوشرة وفضائح يا عمّ نوفل!

ـ يا رجل أنا كما تعلم تزوجتها ؛ لتؤنس وحدتي .. المرأة زينة الدار ..أم مفتاح كانت عجوز مثلي ؛ لكن كانت تبعد الوحشة والوحدة ، فلما ماتت أحسست بالضيق من الحياة .. وارتفع صوته : صار القصر ملعبا لها ولأقاربها وأولادها .. ويا رجل تعيرني برجولتي ؛ كأنها متزوجة فتى مراهق .. وهي لما رأتني عرفت أنني ابن سبعين .. وهي تظن نفسها بنت صغيرة ولولا أنها امرأة كبيرة ؛ لقلت إنها كانت تعيش في حانة دعارة .. لولا أنها لا تلد ؛ لطلبت مني العلاج للحبل !

ـ حاضر يا سيد نوفل ! سنرتب الأمور .. أنت راغب بالطلاق أنا حاضر .. حاضر .. أليس هناك باب للصلح ؟

ـ أنا لست راغبا بالطلاق ؛ إنما أريد طلاق ابنها، أنا لم أتزوجه يا رجل ؛ كأنه طفل ملزق بها .. إذا تحب أن تبقى امرأة صالحة لا مانع من عودتها يا عويس .. أولادها لا يزورونها إلا مرة في الشهر .. هي تذهب إليهم كل نهار .

ـ إذا قبلت بذلك تعود وينتهي الطلاق !

ـ نعم ، إذا قبلت أن تعود وحدها أهلا وسهلا .. أنا أنفقت على زواجنا أكثر من عشرة آلاف

دينار يا عويس .

ـ نعم ، أعرف .. أنا أشرفت على الزواج .. الليلة سأتفاهم معها ، ومع ابنها وإخوتها .

اكتشف السيد في الصباح التالي أن سطوا حدث في القصر ، فقد تعرض مكتبه للسرقة ، المكتب الكائن في الطابق الأرضي ، وجدت نافذة من نوافذه مكسورة الزجاج ، وأن شخصا استولى على بعض الحلي ، ومبلغ خمسمائة دينار ، وإتلاف بعض الأوراق والملفات التي يتابع بها عمل الشركات التي هو شريك فيها أو مستثمر .

طلب الشرطة والتحقيق الجنائي فورا ، ولبوا النداء ، وجرى التحقيق ، ورفعت البصمات ، ولما لم يتهم الحاج أحدا غادرت الشرطة الجنائية المكان ، متأملين إلقاء القبض على سارق الفيلا ، وترجح لديهم أن السارق يملك مفاتيح الفيلا .

بعد هذا الحادث بأيام استطاع عويس إصلاح المرأة هادية على زوجها نوفل ، وعادت تعتذر للحاج ، وأنها منعت ابنها من المجيء إلى القصر .

ورغم الصلح والوعود التي قدمها عويس وهادية ظل نافز يجيء ؛ لتناول طعام الفطور معهم ولكن بأيام متقطعة ، يومان يغيب ، ويومان يحضر ، ووطن نفسه على تحمل كلام كلام نوفل وتحقيره ، ويتدخل عويس لتلطيف الأجواء ، وينصرف الشاب الفاسد مهددا ومتوعدا ، وأمام هذا الإزعاج المتكرر والإيذاء اتفق الرجل مع زوجته وعويس وابنه مفتاح أن يحصل الطلاق ، وإنهاء هذا الزواج الذي لم يكمل العام الأول ، واتصل مفتاح بمحامي السيد الوالد ؛ لترتيب أمر الطلاق دون شوشرة ، وتحدد أن يكون اليوم السادس عشر من الشهر نوفمبر يوم الطلاق في المحكمة بين يدي القاضي .. وكانت السيدة قد غادرت لبيتها بصحبة ولدها ؛ ليكون اللقاء في التاسعة صباحا أمام المحكمة لإجراءات الطلاق الرسمية .. فقد حصل يمين الطلاق منذ ذلك اليوم الذي اتفقوا فيه ، وتسلمت المرأة مؤخر صداقها .

ولما جاء مفتاح نوفل صباحا ؛ لأخذ الوالد إلى دار المحكمة ، قال للخادم : هل استيقظ الوالد

ـ طرقت الباب ، فلم يفتح .. يظهر أنه ما زال نائما .. لقد سهر طويلا ليلة أمس .. لقد جاء

عادل شقيقك ، وبقي معه إلى منتصف الليل .. يبدو أن السيد يعاني من ضائقة مالية ، ويريد مبلغا من المال .. ولما غادر السيد عادل ، وأغلقت البوابة ، طلب الوالد كأسا من الحليب ، فذهبت بها السيدة ،وطلب منها إيقاظه في الثامنة صباحا ، طرقنا الباب ، فلم يفتح .

صاح مفتاح : حسنا ! اصنع فنجان قهوة .. واتبعوني إلى غرفة الوالد.

صعد الدرج ، وطرق الباب ، فكان مغلقا من داخل الغرفة.. فكر .. هل حدث له شيء ؟!

جلطة فجأة !.. ضرب الباب بقوة ، ورفع صوته : أبي أبي افتح.. موعد المحكمة اقترب .

صاح في الخادم : هات المفتاح من المكتب.. يبدو أن شيئا أصاب الوالد !



الشرطة

حضرت الشرطة الجنائية ، والمختبر الجنائي ، وضابط التحقيق ، والمصور الجنائي والبصمات ، والطبيب الشرعي ،ووكيل المدعي العام للمنطقة التابع لها القصر ، وفريق من أفراد الشرطة ، وشاهد الجميع الجثة ، وتأكد الطبيب الشرعي من موتها رميا بالرصاص ، وقام المصور بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو لمسرح الحادث ، ولما رأى مفتاح المسدس في يد الضابط الجنائي وقد سمعه يقول : هذا سلاح الجريمة ! هتف فقال : هذا يا سيدي مسدس أبي ومن مقتنياته ! وأعتقد أنه كان يحتفظ به في هذه الحجرة .

ورفعت البصمات ، والعينات ، ومظاريف الرصاص ، وسمح بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ومن ثم إلى مستشفى التشريح والطب الشرعي ؛ لتشريحها وكتابة التقرير الطبي بتبين سبب الوفاة ، ووقتها ، وكيف كانت الوفاة ؟ وبناء على حديث مفتاح للمحقق أن الوفاة حدثت بعد الواحدة ليلا ؛ وذلك على حسب كلام الخادم والخادمة لمفتاح .. وكلف وكيل التحقيق الضابط المحقق حمزة شبلي بمتابعة التحقيقات في هذا الحادث.

واستمع الضابط المحقق لمفتاح ، الذي شرح سبب مجيئه المبكر لبيت الوالد ، وأنه أتى لأخذ والده إلى المحكمة المختصة بقضايا الطلاق ، لإنهاء إجراء الطلاق رسميا بعد أن تمت تسوية الأمر مع المرأة هادية عبدو .. واختصر قصة زواج والده بعد وفاة أمه قبل أكثر من سنة .. وما واجهه الوالد من وقاحة وسوء تربية ابن المدعوة هادية عبدو أدت إلى الطلاق .

وحضر المحامي أثناء الاستجواب ، وأخبره مفتاح بمقتل والده الليلة الماضية ببضع رصاصات وأنهم نقلوا الجثة إلى مستشفى الطب الشرعي .

وجاء الخادم الآسيوي ، وذكر القصة التي ذكرها لمفتاح من مجيء عادل نوفل ليلا ، وتنازعه مع الأب ، وظل الشجار بينهم لنصف الليل ، وخرج الرجل غاضبا ..وكان الأب غاضبا من اللقاء ورافق السيد عادل حتى غادر القصر ، وعاد حيث طلب السيد نوفل كوبا من الحليب قبل نومه وحملته له الخادمة لانكا .. وكان قد وصى أن يوقظ عند الثامنة ، وذهب لإيقاظه ، فلم يرد ،

وذهبت الخادمة دون فائدة ، وظل القلق يساورهما حتى حضر مفتاح .. ثم فتح الباب من الخارج واكتشفت الجريمة .. وبين الخادم أن الرجل كان مطروحا على أرض الغرفة والدماء متجمدة على السجاد ، ورأى المسدس على السرير .. وكان مفتاح لما رأى الجثة قال برعب ووهن : آ! قتل أبي ! وأخرج هاتفه بعد أن وقف أمام الغرفة واتصل بالشرطة على الفور .

قال المحقق : يعني كلامك أن السيد نوفلا حوالي الثانية عشرة ونصف ليلا كان على قيد الحياة ورأينا أن كوب الحليب ما زالت في الغرفة ..وتدل على ذلك.

وهزّ الخادم الفلبيني رأْسه" بنعم"

ـ أسمعت صوت الرصاص يا سيد دانييل ؟

ـ كنت مستغرقا في النوم.. أنا عندما أضع رأسي على الوسادة أنام في أقل من خمس دقائق .

ـ هو يغلق الباب على نفسه عندما يكون نائما .

ـ نعم ، خاصة عندما تزوج السيدة هادية .. لما ماتت السيدة سميحة كنّا نجد الباب مفتوحا في أي وقت.. نطرق الباب ، ويؤذن لنا فندخل .. وأحيانا بعد الصلاة فجرا يتركه مفتوحا يا سيدي لندخل بما يطلب .

ـ عندما لم يكن متزوجا الباب يبقى مفتوحا .

ـ نعم ، لا يغلق بالمفتاح .

التفت الضابط لمفتاح : إذن كنتم على موعد لطلاق الوالد صباح هذا اليوم .

قال مفتاح : أجل أجل يا سيدي ها هو حضرة المحامي توفيق ..كان يجب أن نلتقي أمام المحكمة وندخل على القاضي ؛ لتعلن السيدة أنها استلمت كل حقوقها الشرعية ..ونأخذ وثيقة الطلاق الشرعية والرسمية .. وتقرر أن أرافق أبي إلى المحكمة .. أبي يحسّن القيادة ؛ لكني تبرعت بتوصيله وبيتي ـ وأشار بيده ـ قريب من بيت الوالد .. نحن جيران بيني وبينه بضع عمارات.. أبي تزوج بعد موت أمي بشهرين ، وعن طريق طاهي الوالد الخاص سيد عويس .. سيحضر بعد قليل لا أدري لماذا تأخر ؟! هو عليه أن يكون هنا قبل التاسعة .. هذا الطباخ هو الذي رتب

له الزواج من هذه المرأة الغامضة .. إنها أرملة من عشر سنوات كما فهمت من أبي .. نحن أبناؤه الستة رفضنا زواجه قبل سنة على موت أمنا ؛ لكنه لم يصبر وتزوج دون علمنا ، ورغم أنوفنا .. وتصالحنا من عهد قريب بسبب هذا الزواج .. وسبب الفشل ليس نحن؛ إنما ابن فاسد للمرأة شاب لا يعمل ولا يشتغل عواطلي .. يأتي للقصر يأكل ويشرب ويشرب المسكر دون حياء من والدي الحاج .. فكان سبب النزاع بينهم حتى أدى ذلك للطلاق .. وأحيانا كثيرة ينام في القصر مما أزعج أبي للغاية ، فاضطر للانفصال .

وأخبر المحقق حمزة بحادث السرقة الذي تعرض له القصر من أسبوعين من الوقت ، وأن لدى الشرطة محضرا بذلك ، فوعد الضابط بمراجعته ؛ ولكنه اتصل بالضابط الذي أجرى التحقيق . فقال ضابط النقطة : اتصل بنا السيد نوفل معلنا عن تعرض مكتبه المنزلي لسرقة واقتحام .. فقد أخبر أن بعض قطع الحلي اختفت وخمسمائة دينار .. وتبين من المعاينة أن السارق دخل من نافذة غير محمية بكسر الزجاج بعد قصه أو قص جزءا منه بأداة قص الزجاج، ثم كسره ودخل ولم نجد بصمة لغريب .. فكل البصمات لمن يترددون على الشيخ نوفل .. والرجل لم يتهم أحدا.. وإن علمنا أن له ابنا سيء الأخلاق ..وكثيرا ما يتنازعان .. اسمه عادل .. ومعروف لدوائر الأمن ؛ ولكن السيد لم يتهمه .. فتوقف التحقيق حتى نجد لصا يعترف بفعلته هذه ، كما هي العادة .. ليس لدينا مشتبه به .. والبصمات بصمات أهل الدار ولليوم لم نصل للص .

حدد الطب الشرعي أن الجريمة حدثت بعد الواحدة والنصف ليلا وبين الثانية والنصف صباحا وأكد التشريح شرب الحليب وهو خالي من أي مادة تنويم أو تخدير ..وهذا يعرف من إفراغ المعدة والأمعاء.. وتحليل الدم .

طلب المحقق عادلا وتحدث معه عن الجريمة والمشاجرة تلك الليلة .فقال : صحيح أنني تشاجرت مع أبي .. وهذه ليست أول مرة ..كلما أحتاج منه لمال أسمع الكثير من التوبيخ واللوم والتجريح .. وإنما أطالب ببعض ميراثي كسلفة .. فيغضب ، ويشتد غضبه .. تنازعنا وفارقته غاضبا ساخطا عليّ .. وهو مثلي لم يترك دعوة إلا دعاها عليّ .. رجل يعبد المال؛ لكنني لم أرجع

لقتله ..وصحيح أنني غارق في الديون .. وبحاجة لمال ؛ ولكني لست بحاجة للقتل .

ـ على كل حال لن تحل مشاكلك المالية إلا بعد انتهاء التحقيق والمحكمة .. وإذا عرف الجاني .

قال عادل : لست بعجلة يا سيدي ! القاتل في النهاية قدم لي خدمة لم أكن أحلم بها بهذه السرعة نعم ، إنه قريب من الأسرة ؛ لذلك استغل الشجار ، وفعل جريمته .

ـ من غير الخدم يعلم بهذه المشاجرة ؟

ـ ربما تحدث أبي مع مفتاح أو محمود .. وتحدثت عن الشجار في مكتب الأجرة حيث أملك مكتب نقل ركاب .. فخرجت من هنا إلى المكتب .. وجرى حديث عن فشلي في الاقتراض من أبي وشجارنا ..وقضيت ساعة أو أكثر ، ثم عدت للبيت .. وزوجة أبي أو مطلقته تحدثت معها عن الشجار .. ظننت أنها تستطيع أن تساعدني .. فأخبرتني أنها طلقت من أيام .. طلاق لا رجعة فيه .



الاشتباه بعادل

كان الضابط حمزة يتحدث في المكتب لفريق التحقيق بعد التحقيق الأولي وأمام المدعي العام المسؤول عن القضية نجيب محمود . فقال : كان الرجل المقتول على موعد في الصباح لطلاق زوجته هادية عبدو أمام القاضي ، وذلك بعد أن رتب المحامي الخاص به إجراءات الطلاق كانوا سيلتقون أمام المحكمة .. وهذا الموعد عجل باكتشاف الجثة من قبل السيد مفتاح أكبر أبناء السيد الذكور.. وفي الليل أمس جاء ابنه عادل القصر ، وتشاجر مع والده لحاجته لمال كما يزعم وغادر القصر بعد منتصف الليل غاضبا .. وأغلق الخادم البوابة خلفه ، وعاد إلى الداخل ؛ ليقدم للسيد كوبا من الحليب .. وتبين لنا أن السيد عادلا أفشل أبناء الحاج من الناحية المالية .. فكلهم في الكشف الأولي مرتاحون ماديا ..وعلاقتهم طبيعية معا الوالد ، رغم الغضب عليهم بسبب عدم قيامهم معه أثناء زواجه الأخير ، بسبب حزنهم على وفاة أمهم منذ أشهر .. فهم ناجحون في حياتهم العملية ، ولا يعتمدون كثيرا على الوالد .. وعادل قام بمشاريع مثلهم ، وفشلت وسافر أمريكا اللاتينية ، وعاد خاسرا على أثر حادث ..ويمتلك اليوم عشر سيارات أجرة لنقل الركاب ضمن مكتب سيارات تملكه من سنتين .. وأموره المالية سيئة ؛ بل عرض المكتب وسياراته للبيع .. ولم ينفذ .. وزعم لي أنه تشاجر مع أبيه من أجل قرض ؛ ولكنه كما قال مفتاح أخذ الكثير من القروض ، ولم يسددها ؛ ربما من أجل ذلك رفض السيد إعطاءه قرضا جديدا وهو يريد خمسة آلاف دينار زاعما رغبته بشراء سيارة صغيرة لابنه الذي في الجامعة ، يريدها من والده ؛ كأنها هدية كما يقول مفتاح .. وسيعتبرها هدية من الجد لحفيده ..والوالد مشغول بقضية الطلاق والأموال التي دفعت للمطلقة .. المهم أنه رفض .. وهذا أخبر به عادل ..ويؤكد الخادمان مغادرته القصر أمام ناظريهما ، وسماعهما صوت سيارته وهي تبتعد .. ولما أغلقت الأبواب ، صنعا كوب حليب للسيد ، وأدخلته الخادمة .. ورجع كل واحد منهما لحجرته الخاصة به ..فهما من جنسيتين مختلفتين أحدهما فليبيني .. والأخرى من سيرلانكا .. كانت المرأة خادمة للزوجة الأولى .. ولما ماتت أبقاها السيد في القصر .. ولم يضغط الرجل الجرس عليهم

لما دخل القاتل عليه .. فهذا يدل على نومه أو فتح للقاتل بنفسه كما تدل القرائن .. كيف اجتاز القاتل بوابة القصر الرئيسية ؟ لم يستخدم أي عنف في فتحها ؛ بل فتحها الخادم لمفتاح عندما حضر صباحا .. وكذلك باب القصر نفسه لم يستخدم أي عنف في فتحه .. هل هو الذي نزل وفتح الأبواب لقاتله ؟ وهذا المرجح .. وهناك احتمال وجود مفاتيح مع آخرين إذا ثبت أن هناك تخطيطا للجريمة .. فالخادم أخبر أن الرجل منذ جدد زواجه كان يغلق الباب بالمفتاح عند النوم وإذا احتاج لشيء استخدم الجرس الخاص أو التلفون الداخلي بينه وبين الخدم .. والجرس يرن في غرف الخادمين فيطلبان الطعام أو الشراب ، وعند صعودهما يفتح لهما الباب الزوج أو الزوج وتلك الليلة لم يستخدم الجرس ولا الإنتركم .. وأكد رجال المختبر أن الأبواب لم يستخدم العنف في فتحها وهذا يشير إلى أن القاتل يملك المفاتيح ، وتسلل لحجرة الرجل واغتالته ، أو أن السيد بناء على اتصال نزل بنفسه لفتح الأبواب إذا ثبت أن المفاتيح لم تزور ..ودخل القاتل حجرة النوم وتحدث مع السيد وغدر .. لأن الراجح أن أداة القتل سلاح خاص بالسيد .. فيرى مفتاح الابن أن المسدس يعود لوالده ..وكل من عاش معه يعرف أن لديه مسدسا بل أكثر من مسدس .. وهذه المعلومة سيؤكدها فحص السلاح .. السؤال لماذا فتح الباب ؟ ولماذا كان اللقاء في غرفة النوم ؟.. ولماذا لم يوقظ الخدم لفتح البوابة ؟

قال أحد المساعدين : أرى أن يعاد استجواب السيد عادل ؛ لعله عاد مرة أخرى زاعما لأبيه الاعتذار والأسف .. أنا شخصيا لم أرتاح له.

قال حمزة : سنفعل ذلك ، ذاك كان استجوابا سريعا لمعرفة سبب المشاجرة المعلنة .. وجهاز الخلوي الخاص بالسيد لم تفقد منه إلا الشرائح الخاصة بشركات تزويد الخدمة لماذا الشريحة اختفت ؟ فنحن نستطيع معرفة الاتصالات التي جرت من الهاتف ، ولو بدون شريحة ، نحتاج لبعض الوقت فرقمه معروف .. ولم نجد بصمات على الجهاز .. ومفتاح أكد أن ذلك الجهاز أحد الأجهزة المستعملة من قبل أبيه .. والخدم لم يسمعوا صوت الرصاصات الثلاثة ، يزعمون أنهم مستغرقون في النوم بسبب تأخرهم تلك الليلة بالنوم .. أو تعرضوا لتهديد ما.

قال وكيل النيابة : يعني أن القاتل دخل القصر بدون أن يشعر به أحدهم .. دخل القصر ، وصعد للطابق العلوي وقتل ، وأغلق الباب ، وأخذ المفتاح ، ونزل وخرج من القصر، وأغلق الباب ، وخرج من بوابة القصر ، وأغلقها دون أن يحس به الخدم !

قال حمزة : هذا ما حصل مع الأبواب في التصور .. وهنا كما ترون احتمالين ، القاتل فتحها بنفسه ، أو السيد فتحها له .

وقال أحد المساعدين : أو أحد الخدم أو كليهما فتح له .

ـ هذا احتمال صحيح ؛ ولكن ما الفائدة التي تعود على الخدم من التواطؤ ؟ بل بعد إغلاق التحقيق سيصرفان عن عملهما ، أو التعرض للإعدام إذا ثبت تورطهما .

ـ يمكن أن يفتحا بدون تواطؤ استدراج واحتيال ، ولما حدث القتل اضطرا للصمت .

ـ هذا جائز ! صمتهما لن يطول ..والقاتل المدبر لجريمة كهذه يضع نفسه تحت رحمة خادمين .. فالاحتمالان اللذان ركزت عليهما أقوى وأرجح .

قال وكيل النيابة : هذا يدل في رأيكم أن الجريمة مدبرة ومخطط لها مسبقا رائد حمزة وليست بنت ساعتها ، أو انتظار مشاجرة بين أب وابنه .. وهل السيد عادل الفاشل في مشاريعه بهذا الذكاء ؟! وصنع المشاجرة ؛ ليكون مشتبها به ، ثم تثبت براءته .. وهل شهد سواقون المكتب أو أحدهم أنه جاء المكتب بعد نصف الليل ، وكان في المكتب أثناء وقت الجريمة ؟

قال حمزة : شهد سائقان مناوبان تلك الليلة أنه كان في المكتب بعد منتصف الليل .. ونحن ندرس صدق شهادتهما وقوتها .. أخبرا أنه عاد للمكتب ، واشتكى أمامهما من أبيه وبخله ، وكره الأب له .. وأخبر قبل منتصف الليل أنه سينصرف ، وأن عليهما انتظار السيد موسى ، وهو في الطريق للجلوس في المكتب .. فقد ذهب لزيارة أهله ووالده وطلب بعض المال منه من أجل ابنه.

ـ صرح عادل لهم بذلك قبل نصف الليل قال ذلك لأحد السواقين !

ـ نعم ، قال ذلك ، وعاد خائبا غاضبا يشتم أباه بأقبح الألفاظ، وطلب منهما قهوة ودخن بشراهة

ولما حضر عامل المكتب موسى العامل الليلي متأخرا وبخه وشتمه .. وكادا يتشاجران لولا تدخلهما ، وغادر المكتب زاعما أنه ذاهب لبيته .. وقال عادل :إنه دخل البيت ساخطا على الحياة ومتعصبا على أبيه ، وعلى بخله .. ولم يلتفت إلى الساعة عندما وصل البيت .. وليس من عادته الإكثار النظر في الساعة ؛ إنما يلبسها من ضمن الديكور والتقليد والعادة ، ولا ينظر إليها إلا عند الحاجة إلا أن الوقت كان بعد الواحدة ليلا .

عاد الوكيل يقول : لا أعتقد يا حمزة أنها جريمة بنت الساعة ! سيماها جريمة مدبرة .. وراءها تخطيط .

ـ إذا كان هو الفاعل فقد ذهب لأبيه مرة ثانية بعد مغادرة المكتب ، وقبل العودة للبيت الذي لم يتأكد لنا .. ولكن المسدس للسيد نوفل ..كيف استولى عليه ؟! وقد ذكر الخادم أن المسدس دائما في غرفة نومه ..قد يعرف مكانه مع طول الوقت .. هل يملك مفاتيح البيت كلها وبأي عذر ؟ نحتاج لمزيد من التحريات والتحقيقات .

ـ هل لدينا مشتبهون غيره ؟

ـ الخادم ، والخادمة ، زوجته هادية المطلقة شرعا ، وغير مطلقة قانونا ..ابنها نافز الذي كان سبب طلاقها الشرعي .. عامل التصليح .

ـ عامل التصليح!

ـ كان يجري في القصر عملية صيانة متقطعة ، يجرون تصليحات كهربائية في التمديدات والأسلاك ، يأتي في السابعة صباحا ، ويغادر في الثانية ظهرا ، وعندنا الطباخ عويس طباخ خاص للسيد من سنوات ، يعمل من التاسعة صباحا حتى الثالثة عصرا كل يوم فهؤلاء يمكنهم اختلاس المفاتيح والمسدس في حين غفلة .. والطباخ هو الذي ساعد الرجل في الزواج من وراء أولاده ، وهو كان يسعى بينهم في الصلح عند كل مشاجرة .. فهو يعرفها ، ويعرف ابنها وابنتها وربما قريب لها إلى حد ما كما فهمت من تعرفي به .. وجاء متأخرا صباح الجريمة .. الدافع غير واضح لها إلا في حق عادل .. قد تكون هناك لعبة أو مغامرة شيطانية ؛ لكننا سنتعامل الآن على

أن القاتل شخص واحد .. وسنقوم بالتحريات الخاصة عن الجميع ، عن الأبناء الخدم الطاهي الزوجة وابنها .. والمشتبه به الأقوى السيد عادل بلا منازع .. والتحريات جارية عليه منذ ظهر اسمه على مسرح الحادث .. ومشكلته مع أبيه ، وسننظر هل هذه المشاجرة بريئة أم مفتعلة ؟



جلس خادم قصر نوفل في غرفة التحقيق في دائرة الشرطة ؛ لإجراء التحقيق الرسمي ، وكانوا في انتظار الضابط حمزة الذي كان مشغولا باتصال هاتفي ، ولما أنهاه دخل غرفة التحقيق . وقال للخادم : شايا أم قهوة .

ـ لا شيء يا سيدي!

ـ حسنا ! جاهز يا موسى .(كاتب التحقيق)

ـ نعم ، أنا جاهز يا سيدي !

ذكر الخادم اسمه الكامل ، وجنسيته ، وعنوانه ، وعمره ، وعمله ، وكم له في البلاد ؟ وكم سنة له في قصر نوفل ؟

قال حمزة بعد أخذ إجابات تلك الأسئلة التقليدية: أنت ذكرت لنا في بيت السيد نوفل أنك شاهدت وسمعت مشاجرة بين الأب وابنه .. وكان شجارا حادا تخلله السب والشتم والتلويح بالأيدي .. وكان الحديث أو الشجار قبل نصف الليل.

ـ نعم ، حوالي الحادية عشر ليلا فتحت للسيد عادل البوابة ، ودخل وهو يقول : أين أبي؟ فقلت : يجلس في صالة الطابق الأرضي ـ هي صالة استقبال ـ وسبقني مسرعا للداخل ، وتبعته بعد أن أغلقت البوابة بالمزلاج .. فسلم على أبيه ، وجلس وأشعل سيجارة ، ودار حديث بينهما عن طلاق الزوجة ، ثم طلب من أبيه مالا ليشتري سيارة لابنه ـ وأنا أجلس قريبا منتظرا أي أمر من السيد ـ ورفض الأب .

ـ هل حاول عادل ضرب أبيه بيده بشيء أثناء حدة الحوار ؟

ـ كان يشير بيديه غاضبا من رفض أبيه إعطاءه المبلغ كهدية كقرض .. ولم أسمعه يهدده بضرب أو قتل أو موت .. كان يعيب على أبيه البخل ، وكنز المال .. والسيد يذكره بخيبته وفشله دون سائر إخوانه .. وأنه أكثرهم أخذا منه ، وأنه يعيش على الصدقات والإحسان .. وعاجز عن شراء سيارة لابنه .. وذكره أن له عشرات الأحفاد ما أحد منهم أخذ سيارة أو طيارة .. وذكر له نجاح إخوته في مشاريعهم وحياتهم المستقرة مع زوجاتهم .. يشير إلى فشله أكثر من مرة في الزواج .. ثم طلب منه المغادرة فورا .. فعندئذ عيره عادل بعجزه وضعفه أمام زوجته الأخيرة وابنها ..وأخذهم منه المال الكثير ، والعيش في القصر دون أن ينبس معهم بكلمة فهاج الحاج .. وخشيت عليه الجلطة من شدة الغضب . وقال: وغد أنت .. وغدا سأخلص من هادية وابنها الهامل الفاشل مثلك ..وسيذهب كل منا في حال سبيله .. فرد عادل : خلال شهور أنفقت عليها ما يقارب الخمسين الف ، واليوم تبخل على حفيدك طالب الجامعة بخمسة آلاف ثمن سيارة يا بخيل !

ـ يا ملعون أخذت أنت ونساؤك وأولادك أكثر من مائة الف .. هذه السيارات في شركتك الفاشلة من اشتراها لك يا خايب .. زعمت أنك ستسد كل شهر .. ولم أستلم منك شيئا من سنوات يا فاشل ! يا حقير يا ملعون ! انصرف انصرف سأحرمك من الميراث ..سأوزع الأموال قبل أن أموت !

قال حمزة : أهو قال هذا الكلام تلك الليلة ؟

ـ كلما تحدث مشكلة بينه وبين عادل يهدده بذلك ..ولما يهدأ يقول :لو لا مخافة الله لفعلت يا دانييل ! الرجل يتعامل معي باحترام يا سيدي .. لي عندهم عشر سنوات منذ ترك العمل المباشر .. فهذا تهديد ردد كثيرا .. والسيد الشاب يعلم أن والده لا يفعل ذلك ديانة .. ولا يريد كما قال أن يزرع العداوة بين أبناءه بعد موته بسبب المال .. وللأسف هو أحوجهم للمال وعادل يا سيدي سافر الأرجنتين أو تشيلي للعمل في مشاريع ، وفشل وعاد خائبا كما أسمع .. وكان الأب

قد نهض وأخذ يدفع ابنه طاردا له مع اللعن .. وأذكر للأسف أنه اضطر لسبب زوجته الأولى من الغضب؛ لأنها خلفت له مثل هذا الابن العاق الشيطان .. وظل يدفع به حتى خرج من باب القصر .. وهذه ليست أول مشاجرة بينهما ..فكلما يحتاج الرجل لمال يلجأ لأبيه بسب ديون وقروض بنكية أو دائنين .. وتحدث بينهما مشاجرة .. وأحيانا يتدخل الأبناء بالمساعدة حتى لا يحبس عادل ؛ ولكنها كانت آخر مشاجرة لموت السيد الكبير .. وظل السيد يدفع به للخارج حتى خرج من بوابة القصر الرئيسية ..وأنا خلفهم .. هو يسب وذا يسب دون حياء ومراعاة لكبر والده .. حتى أغلقنا البوابة بالمفتاح والمزلاج أيضا ؛ لذلك أنا أقول أن القاتل قفز عن سُور القصر .. والله أعلم.

ـ ملاحظة جيدة يا دانييل سنهتم بها .

ـ وعدنا والسيد يقول : ولد عاق ، قليل الحياء .. كنت أتمنى أن آراه ميتا قبلي من سوء أفعاله هات سيجارة ـ هو لا يدخن إلا إذا توتر وعصب ـ فأعطيته سيجارة وأشعلتها له .. ودخلنا القصر ، وأغلقت الباب بالمفتاح كالعادة يا سيدي ..وقبل أن يصعد لينام طلب كوبا من الحليب الدافئ .. فهو أحيانا يشرب الحليب المبستر البارد كالعصير ..ولما جهز صعدت به الخادمة التي سمعت كل شيء من وقوفها بباب غرفتها .. هم يتشاجرون أمامنا لا يعيروننا أي انتباه ..وقالت لي: إن السيد يتفرج على التلفزيون في غرفة النوم ، فأغلقه بدخولها ، وتناول الحليب منها وسمعت إغلاق الباب بالمفتاح كما يفعل منذ تزوج ثانية .. هو كان يترك الباب مفتوحا ؛ لندخل بما يطلب ، وهو على السرير ، ولا يحتاج لفتح الباب لنا .. وعندما عادت الخادمة كانت ساعتي تقترب من الثانية عشرة والنصف .. وهذا آخر الوقت الذي علمت بأنه حي .. وقالت السيدة : لقد أغلق الباب متوترا وغاضبا على ابنه .. ودخلت حجرتي بعد أن دخلت السيدة حجرتها .

ـ هل نمت مباشرة أم سهرت ؟

ـ لم أنم فورا يا سيدي! بعد دقائق من عودة لانكا فتحت الحجرة ، وتفقدت أبواب القصر الباب

الرئيسي حيث يدخل الضيوف ، وهناك باب يؤدي إلى الحديقة الخلفية ونادرا ما يستخدم .. وهناك باب بجانب المطبخ يستخدمه السيد عندما يريد الخروج للتمشي خاصة في الليل ، ونستخدمه نحن الخدم لإحضار بعض المزروعات التي يحب السيد إضافتها للطعام والشاي كالنعناع والبقدونس والبصل الأخضر .. تأكدت سيدي من إغلاقها .. حقيقة أصابني قلق من مشاجرة الليلة ، وخشيت على السيد من أعراض الجلطة القلبية أو الدماغية ؛ لكنه ربما اعتاد على طلبات ابنه فيتظاهر بالغضب ، والله أعلم ..ثم دخلت المطبخ وصنعت كوبا من الشاي ، وعدت به لحجرتي ، وسمعت صوتا حسبته صوت السيدة ، وظننت أنها قلقة مثلي .. وفعلا كانت قد أحست بي ، وقامت إلى المطبخ وأخذت كوبا من الشاي ..كانت ليلة صعبة .. نحن نحب استغلال أي ساعة للنوم ؛ لأننا يجب أن نصحى على أي جرس يصدر عن السيد خشية أن يتوعك صحيا .. والدقيقة يا سيدي لها قيمتها .. بدت لي هذه المشاجرة مثيرة وغريبة عن غيرها من المشاجرات .. وهذا تأكد بعد حدوث الجريمة .. بعد الشاي غفوت ومن خلال النوم سمعت صوتا .. ولم يقع في نفسي أنه صوت غريب .. المهم تقلبت وتابعت نومي .

ـ ما وجه الغرابة في المشاجرة ؟!

ـ لا أدري بالضبط ! لقد حضرت مشاجرات كثيرة خلال هذه السنوات ؛ ولكن كان في هذه المشاجرة غموضا !

ـ أكانت مفتعلة من طرف عادل ؟

ـ لا أدري ! لكنها أول مشاجرة تحدث بينهم بعد موت السيدة سميحة .. أكثر المشاجرات كانت تحدث مع السيد نافز ابن الزوجة الثانية .

ـ ألم تسمع صوت الرصاص ؟

ـ إذا كانت غرفة السيد مغلقة فمن الصعب سماع الصوت خارجها خاصة أنها بعيدة عن مناماتنا نحن الخدم .

ـ الرصاص صوته مرتفع وحاد ومميز !

ـ أنا لم أسمع كنت مستغرقا في النوم ؛ وربما استخدم القاتل مانع للصوت كما نرى في الأفلام

ـ قصدك كاتم الصوت .

ـ آ ، يا سيدي كما نرى في الأفلام والمسلسلات!

ـ وجدنا المسدس ، ولم نجد كاتم الصوت .

ـ لا أدري يا سيدي ! أنا لم أسمع صوت الرصاص ..والسيدة لم تسمع شيئا أو أنها خائفة .

ـ أنتما لم تستيقظا على صوت الرصاص ..هل ظللت نائما للصبح ؟

ـ لا ، السيد يستيقظ لصلاة الفجر ، ويطلبني أحيانا لشاي لقهوة بالحليب عند الصلاة أو بعد الصلاة ..وهو بعد الصلاة يعود للنوم .. وفي أحيان هو نفسه يصحو متأخرا عن آذان الصلاة ، فيصلي متأخرا ، ثم ينام بعد الفطور المبكر .. فلذلك لم يخطر في بالي أنه مقتول ، وصبرت ؛ لأننا على موعد التاسعة والاستعداد لجلسة المحكمة .

ـ استيقظت ،وظللت أنتظر الجرس، ولما لم يرن الجرس عدت للنوم .

ـ ولكن الخادمة تقول إنك فتحت باب حجرتك!

ـ نعم ، فتحت الباب ونظرت حجرة السيدة ؛ ربما رن السيد عليها .. في الأصل أنا خادم للسيد وهي للسيدة سميحة ، وكل له اختصاصه ، وبموت السيدة ظلت السيدة تعمل في للقصر .. ولما تزوج عادت تخدم السيدة هادية .. مشيت إلى باب حجرتها ووجدتها معتمة ، فعدت لحجرتي وأغلقت بابي ، وعدت للنوم .. يبدو أنها كانت مستيقظة وخائفة .

ـ هل تعلم أن لدى السيد أسلحة مسدسات ؟

ـ نعم أعلم ، وكان أحيانا يستخدمها داخل القصر .

ـ يستخدم المسدس ..كيف ؟!

ـ هو كان يحب الصيد من أيام الشباب .. وكان يرتب كما يخبر لرحلات صيد .. وكان يملك بنادق للصيد .. وهي موجودة في القصر الريفي .

ـ أله قصر ريفي ؟!

ـ له كثير من العمارات يا سيدي.. فهذا القصر أحدثها .. بناه عندما قاعد نفسه

ـ كيف كان يستخدمه في القصر ؟

ـ كان يستخدم السلاح في قتل القطط ، كان مبغضا لها ، ولا يحب رؤيتها في القصر .. ينزعج منها عندما يراها .. حدث أن كرهها منذ الصغر لأذى أصابه منها.

ـ فكان يطلق عليها النار ..أقتل منها شيئا ؟!

ـ الكثير .. هو عدو كبير لها .

ـ إذن الكل يعرف أنه يملك المسدسات .

ـ أجل يا سيدي ! وهذا أمر معروف .. ولما كان يدير العمل بنفسه ،كان يحمله معه .. وكان في السيارة مسدس آخر .. وكان أثناء الغداء يضعه على المائدة لصيد القطط خاصة إذا تناول الطعام في الحديقة أو العريش .

ـ ألم يحتج أحد على ذلك التصرف ؟

ـ ربما تعودوا عليه ..فأصبحت عاداته معروفة .

ـ أكان يسيء إليكم بالكلام وردود الأفعال ؟

ـ لا ، أبدا كان نعم السيد .. هو هادئ إلا إذا استفز من غمز أو لمز أو كلام لم يرتح له .. وحزن جدا على وفاة زوجته أم مفتاح حتى وقع في قلبي أنه سيموت حزنا وكمدا عليها ؛ لذلك عجبت لما رأيته يستعجل بالزواج بعدها مما بدا لي من الحزن عليها.

عامل التصليح

جلس عامل التصليح حسن في قصر السيد نوفل في غرفة التحقيق لسماع شهادته حيث عمل في ذلك النهار في القصر .. عرف بنفسه وعمره وعمله ومكان إقامته .. وبين أنه يعمل صيانة في القصر للتمديدات الكهربائية بعد احتراق عدد منها .. وبين للضابط أنه يعرف السيد منذ عشرين سنة ..لقد قام بتركيب الأسلاك الكهربائية له في عدة مشاريع ..وغالبا ما يطلبه للتصليح والصيانة .. فبعدما بين للمحقق علاقته الشخصية بالسيد . قال المحقق : أنت تعمل صيانة كهربائية من عدة أسابيع بسبب احتراق لأسلاك في المطبخ وغرفة "البويلر" التدفئة المركزية .. وكنت النهار السابق على الجريمة تعمل في القصر .

ـ صحيح يا سيدي ..عادة الصيانة نعملها في آخر النهار وأول الليل ، بعد ترك العمل اليومي قبل الحادث بأسبوعين حدثت مشكلة في تمديدات المطبخ ، صلحنا العطل الكهربائي ، وصيانة لمضخة الماء ، ثم تكرر الخطأ والماس الكهربائي في المطبخ والمخزن وغرفة البويلرات المركزية .. فاضطررت لتغيير الشبكة بأسلاك جديدة وأجود من الأولى .

ـ النهار السابق على حدوث الجريمة وقبل الجريمة علمنا أنك كنت في القصر في أول النهار وأول الليل .. هل لاحظت شيئا لم تعتاد عليه أثناء تواجدك في القصر ؟

ـ كان مسار العمل كسائر الأيام تناولت الغداء على مائدة السيد .. السيد لا يرى في ذلك حرجا فهو كما أعلمني لم يولد يأكل في معلقة من ذهب .. الله فتح عليه وأكرمه .. وسمعت منه ذلك اليوم أنه انتهى من زواجه الثاني ، وغدا سيتم إثبات الطلاق قانونيا .. وأنا أعلم بحدوث الطلاق من أيام .. وعادة يشرف الطباخ عويس على مائدته بالإضافة للخادم الفلبيني فهذا الطباخ تعاقد معه السيد على إعداد طعامه من سنوات .. فهو يحضر صباحا عند التاسعة ولا علاقة له بوجبة الإفطار ..عليه وجبة الغداء للسيد وزوجته والخدم والضيوف .. فبعد أن يتفق على الطعام المطلوب مع السيد أو الزوجة الميتة قبل موتها .. فيذهب بسيارة القصر للتسوق وشراء اللحم والخضار والأغراض التي يحتاجها للطهو .. في القصر سيارتان سيارة فخمة جدا لمشاوير السيد

كان لديه سائق فليبيني منذ تقاعد عمليا في قصره هذا ؛ ولكنه ذهب في إجازة لبلده ولم يرجع قيل إنه مات.. والله أعلم .. والسيد يقود بنفسه منذ شب كما يقول .. وبينما نحن نأكل حاول عويس دفع الحاج عن التراجع عن الطلاق .. وأنها تحسب طلقة رجعية ما دامت الشهور الثلاثة لم تنقض ـ والمرأة قريبة لعويس ـ وهو الذي وفق ورتب زواجها بغفلة عن الأولاد .. لكن السيد نوفل قال : فات الأوان ، ولم تعد صالحة للزواج ، ما دام ابنها في حضنها .. وقال إن المحامي أتم الإجراءات والجلسة في التاسعة صباح الغد يا عويس .. أنا لم أدر أني تزوجت العائلة كلها .. وأنا لم أخذ حريتي في بيتي .. وسكت عويس وأوقف الشفاعة بعد سماعه رد الحاج الغاضب وبعد الغداء حضر المحامي وعمل جلسة مع الحاج .. والحاج عندما نشتغل عنده في بيته أكثر وقته يقضيه معنا يتابع العمل ونتحدث ويتسلى إذا لم يغادر لزيارة أو عمل .. فتركنا وجلس مع المحامي ..كما سمعت الخادم يخبره ونحن نغادر القصر قبل صلاة العصر .. كان الرجل ينصرف من عند السيد ، وعرض عليّ توصيلي في طريقه .. فأنا أعرفه شخصيا واستعان بي لأعمال خاصة به .. فاعتذرت وشكرته .. وقلت سنذهب لإحضار بعض الأشياء ، ونعود ليلا .. وأنا أغادر لمحت السيد يتحدث مع عويس ؛ لأنه هو ينصرف في الثالثة عصرا .. فهو ينتقل للعمل الليلي في فندقه .. وهو بعد وجبة الغداء ينتهي عمله .. وكان الوضع طبيعيا في القصر لم ألحظ توترات وقلقا على وجه السيد .. وبعد صلاة العشاء عدت للقصر ؛ لأني احتجت لإكمال الشغل في غرفة التدفئة .. واحتجت لأداة لأخذها في صيانه في بيت أحد الأصدقاء .. وفتح لي الخادم دانييل الفلبيني .. وذهبت بصحبته لغرفة وضع العدة والأدوات ، وقمت بعمل بسيط في الغرفة وأنا أغادر لمحت الحاج ينظر إلينا من إحدى نوافذ القصر فأشارت إليه محييا ، وفعل مثلي .. وكان الوضع طبيعيا أيضا يا سيدي !

ـ لم تكلمه هذه المرة .

ـ هو كان في الداخل وأنا في الخارج .. حييته برفع يدي ، وفعل مثلي .. وأغلق الخادم البوابة ورائي ؛ ولكني قبل مغادرة المنطقة لاحظت سيارة تتقدم أمام القصر وينزل منها السيد عادل

ابن السيد .. وكان متجها لبوابة القصر ولم أسلم عليه .. وهو لم يفعل أو كأنه لم يرني .. وكان الرجل رغم الليل طبيعيا يمشي كما أعرفه .. ولم أحضر المشاجرة التي علمنا بها بعد سماعنا موت الشيخ رحمه الله تعالى .

ـ هل كان أمام القصر سيارات غريبة أو لمحت أحدا يتمشى ويتجول حول القصر وجه غريب شيء قد يكون له دلالة بعد الجريمة .

ـ لم ألمح شيئا غريبا أو ملفتا للنظر .. ولم أر إلا سيارة عادل تقف أمام بوابة القصر .. لكن الرجل بعد سرقة مكتبه حدثني عن تركيب أجهزة إنذار .. فذكرت له أن شركات أمن خاصة تفعل ذلك لمراقبة القصر وربطها بالشرطة كما تفعل الشركات العامة والمتاجر .. فقال : أريد أجهزة داخل القصر فحسب . . فذكرت له أني أستطيع فعل ذلك أجهزة تحذيرية غير مربوطة بشركات حماية وأمن .. وذلك الحديث جرى بعد سرقه الحلي والخمسمائة دينار .. ووعد بتوفير الأجهزة ولكنه كان مشغولا بقضية الطلاق .

قال المحقق : في هذه الحادثة ألم يشك بأحد ؟ ألم يتهم أحدا ؟

ـ هو بشكل حازم لم يفعل كما أخبرني ، قال: ربما تكون السرقة مستقلة عن كسر الزجاج وفتح الشباك . تسأل : كيف ؟!

ـ يعني أن أحدهم سرقه ، ثم افتعل السرقة . قال: هو شك في أحدهم!

ـ شك قال لي بابن زوجته نافز ، فهو رجل فاسد .. وقال: قد يكون عادل .. فاستغربت ، وذكرت له أنه يعمل ، وله سيارات يؤجرها . فقال : صحيح هو صاحب سيارات ؛ لكنه يبذل المال على الخمر والنساء .. وهذه أول سرقة تحدث بالبيت .

ـ هذه معلومة جديدة يا حسن حديثك ممتع .

ـ لولا الجريمة ما تعرضت لذلك يا سيدي ! فأنا محب للسيد ، ومحب أن يلقى قاتله الجزاء الأوفى السيد في التحقيق لم يتهم أحدا ..فالاتهام ليس سهلا.

هادية

حقيقة واضحة للشرطة أن كل من يتردد على القصر يعلم أن لدى الرجل أسلحة نارية ـ وهي مرخصة قانونا من دائرة مراقبة الأسلحة ـ بحكم هوايته الصيد منذ أيام الشباب .

أحضرت السيدة هادية وابنها لمكتب التحقيق ، ولما انتهى الكاتب من كتابة اسمها وعمرها وعملها وإقامتها بعد طلاقها ، قال الضابط : كم يوما لك تاركة بيت الزوجية ؟

ـ حوالي عشرة أيام .. إن لم يكن أسبوعان .. لقد فشل السيد عويس في إصلاح ذات البين بيني وبين الحاج نوفل .. وأنا لم أستطع ردع ابني من الذهاب لقصر السيد .. تعود عليّ .. هو لم يتزوج فظللنا نعيش معا كل هذه السنوات ..وهو طول عمره يعتمد عليّ في الطعام والشراب واللباس والسكن ؛ فليس من السهل تخليه عن ذلك .. وهو بدون امرأة .. والرجل مصر على رفضه ، وإبعاده عني .. وهو يرفض الحياة بعيدا عني .. فوافقت على الطلاق بعد هذه الشهور من الزواج .. وسيدفع لي حقي كاملا .. وقد استلمت نصفه فعلا .. وعند جلسة المحكمة كنت سآخذ الجزء المتبقي من الحق المالي .. وهذا رتبه المحامي سليم محمود .

ـ أنت موافقة على الطلاق .

ـ حصل الطلاق .. ورمى اليمين عليّ أمام المحامي وعويس ..فماذا أفعل ؟!

ـ ماذا تفعلين ؟! كنت جاهزة للذهاب للمحكمة .

ـ حسب الاتفاق كنت جاهزة .. ورغب ولدي بالتأجيل طمعا بقرشين زيادة .. ورفض المحامي ذلك

ـ هل تعرفين الأسباب لقتل زوجك ؟

ـ كانت مفاجأة لي أن يصل العنف للقتل !

ـ ألم تلاحظي خلال شهور حياتك في بيت الرجل أي خطر يهدد حياة السيد ؟

قالت بحزم : لا ، لم ألحظ أي خطر سوى خشيتي أن يموت بسكتة أو جلطة من شدة غضبه في البداية من أبنائه ، ثم من ابني .. وكنت أنزعج من هوسه بقتل القطط التي تدخل القصر

كان لديه عقدة وكره مثير للدهشة تجاه الهررة !

ـ أتعتقدين أن الجن قتلته ؟

ـ أسمع عن حكايات كهذه .

ـ وهل هذه الحكايات يا ترى صحيحة ؟!

ـ أسمع أنا ، لم أر ..ولكنه قتل في مسدسه الذي كان يصرع به تلك القطط !

ـ كيف سنعرف أن الجن قامت بقتله كما أخبرت عويسا وغيره يا أم نافز ؟

قالت بخوف : لا أدري! كيف يقتل في حجرته وهي مغلقة ؟! ولا أحد يسمع صوت الرصاص من الخدم .. هذا أعتقد فعل الجن أو جني دفع عادلا للاعتداء عليه ويغدر به .

ـ لكنّ عادلا غادر القصر والرجل حيّا .. والرجل قتل عند الواحدة والنصف حسب تقرير الطب الشرعي أي بعد ساعة ونصف من انصرافه .. هل الخادم يحقد على السيد ؟

ترددت في الرد ، وتوقفت لحظات ، وقالت : الخادم هو رجل طيب .

ـ هل أساء له الخادم أو حاول مغازلتك ورآه الحاج أو بهدله الحاج خلال وجودك في القصر ؟

ـ الحاج نوفل طبعه الهدوء ؛ ولكنه إذا ثار وتعكر مزاجه لا يعرف أمه من أبيه .. ولم يكن بيني وبين الخادم شيئا مريبا .. ولم ألحظ أنه حاول التحرش بي أو حتى مع الخادمة التي تسكن بجواره من سنوات .. لم يكن بينهم أمر قبيح .. وأنا لم أنتبه لشيء حتى أني سألت الحاج مرة لماذا لا يتزوجان ؟ فقال : كل له زوجة وأولاد .. وأنا من اهتمام السيد .. وهي كانت تهتم بأم مفتاح وهي تهتم بك اليوم ..وكل واحد منهما من بلد .. هو فليبيني ، وهي من سيلان .. ولم أر بينهما أي عداوة أو اهتمام بالعلاقات الفاسدة .. فكان السيد يرى أنهما بعيدان عن الزنا والفاحشة .. وكل له حجرته .. ولكنهما يشتركان في الطعام .. وأنا نفسي خلال فترة إقامتي في القصر لم ألحظ عليهما شيئا سيئا .. وحتى يمكنني أن أقول بصراحة إن ابني حاول مرة الإساءة للمرأة فنهره الحاج بغضب وشدة وبصق عليه.. وقال محتجا : ألا يكفي السكر والعربدة الآن تريد الفحشاء في قصري يا لك من مجرم ؟ ولزمت أنا الصمت .

ـ ما كان رد فعل ابنك ؟

قالت: تمتم بكلمات غير مفهومة فحسب ، ولزم الصمت مثلي .. ولم يرد على الحاج .. فهو يعلم كم بغض الحاج له .. وبعدها لم يحاول نافز الكلام مع الخادم ولا الخادمة .. وإذا احتاج لشيء إما أن أقدمه أنا أو الخادم أما المرأة فلم تعد تقدم له شيئا .

ـ الآن توقف موضوع الطلاق .

ـ لا أدري كيف ستسير القضية !

قال : الآن سترثين ثروة كبيرة .

ـ يقول المحامي إنني اعتبر مطلقة شرعا .. ولو مات موتة طبيعية ؛ ربما ورثت ما دمت في العدة وعلمت منه أنه كتب الكثير من ثروته للجمعيات والنوادي ونادي الصيد العضو فيه ومؤسسات أيتام .. ولا أدري هل عدل الوصية بعد تصالحه مع أبنائه أم لا ؟!

ـ هناك القصور والعمارات والإيجارات والشركات .. الثروة كبيرة .. أنت تعيلين ابنك ..هل سيتزوج ابنك مما حصلت عليه من السيد ؟

ـ أنا لم أستطع التوفيق بين الزوج والابن ..وحاولنا تزويجه .. وعرض السيد المساعدة ؛ لكنه معقد من جهة النساء كما يقول .. وابني تعرض لحادث سير ؛ ربما أثر عليه عقليا .. فقد تأثر دماغه .

ـ سنتحدث معه بعد قليل .. هناك شخص سعى لمنع الطلاق في المحكمة !

ـ لا أدري إن كان ذلك صحيحا!

ـ ألا تشكين في ابنك ؟!

قالت بدهشة مصطنعة : ابني يقتل السيد ! ولماذا ؟!

ـ ظن أن الطلاق ما دام لم يسجل في المحكمة بأنك سترثين ويذهب إليه .

قالت : ابني فاسد ، يسكر ، يتعاطى المخدرات، يزني.. أما أن يقتل فهذا ظن ووهم ..لا أعتقد فهذا يحتاج لقلب مجرم .

ـ هو أحد المشتبه بهم .. فعادل نوفل يستفيد من موت أبيه بحل مشاكله المالية وابنك يستفيد مما ترثين .

ـ قلت أنا لا أرث

ـ سوف ترثين .. مات وأنت في العدة ..والطلاق لم يسجل في محكمة الطلاق .. ابنك مشتبه به ولم نقل أنه القاتل .. هناك فرق يا سيدة هادية!

ولما خرجت من غرفة التحقيق أدخل السيد نافز ، وعرف عن نفسه وعمره واستأذن بتدخين سيجارة فسمح له ، وطلب له فنجان قهوة وكأس ماء .. ولما انتهى من القهوة والتدخين . قال له المحقق : أتعرف شيئا عن الجريمة ؟

وبدون تردد وبصوت حاد أجاب : لا!

ـ أنت كنت تتشاجر مع السيد نوفل كثيرا خلال مدة زواج أمك منه!

ـ باللسان فقط .. لم أرفع يدي عليه ، ولم أهدده .. فهو كنز بالنسبة لي .. فحياته تهمني .. وأنا لا أحقد عليه .. كان يكره كثرة زيارتي لأمي .. كان يكره ذلك ؛ بل يكره زيارة أختي وأقاربنا لها وأنا لم أتعود على فراقها.

ـ السيارة هذه لك . يشير إلى السيارة التي حضر بها لمكتب التحقيق .

قال : اشتريتها قبل شهر عندما طرد السيد أمي وأراد تطليقها أول مرة .. عادت للحياة في بيتنا فأعطتني المال واشتريتها .. الرجل لم يكن يبخل عليها بالمال بسبب ضعفه الجنسي ؛ لتبقى معه

ـ أتعرف حجرة نوم السيد ؟

ـ طبعا أعرفها ، ودخلتها أكثر من مرة لأحضر شيئا لأمي أو أخذ من مالها .. وجالست أمي فيها عندما يكون الحاج خارج القصر.

ـ أتعرف مكتب الحاج في القصر ؟

ـ أعرف كل القصر حتى الغرف الأرضية دخلتها .. لي أكثر من سنة أعيش معهم .. أنا لا عمل لي يا سيدي.. تعرضت لحادث سبب لي إعاقة عقلية .. أما أن أقتل الدجاجة التي تبيض ذهبا

فلا يمكن فعل ذلك .. ورغم طلاقه لأمي نحن كسبنا منه الكثير من المال .. فلسنا بحاجة لقتله.

ـ ربما بموته قد ترث أمك مالا .

ـ أنا لم أقتل ..وكيف سترث وهي مطلقة وأخذت حقها ؟! وستأخذ المزيد عند إعلان الطلاق رسميا .. أمي تشتغل وتنفق عليّ منذ الحادث .. وأنا أضطر أن أمكث أياما طريح الفراش بسبب المرض والحادث .

ـ ليلة الحادث لم تقترب من القصر .

تردد لحظات وقال : ولماذا أقرب القصر ؟! كان الأمور مرتبة في الصباح أمام المحكمة .

ـ هل تعلم أن السيد كان يشك بأنك سرقت مالا من مكتبه ؟

قال باستغراب : يشك فيّ! ولماذا يشك فيّ ؟!.. أأفتح مكتبه لسرقة خمسمائة دينار ؟

ـ هكذا تحدث الحاج لأحد الناس .

ـ أنا لم أسرق ..أنا آخذ من أمي المبلغ وأعتمد عليها ..ولم أقتله يا حضرة الشرطي كان وقحا ويكرهني .

ـ لقد لاحظ أنك كنت تغازل الخادمة !

ـ فعلت ذلك مرة وأنا سكران .. وبهدلني ، وتكلم يومها بكلام سيّء لولا أن من طبعي التحمل لأسأت له .. كنت أخشى طلاق أمي .. ولم يكن مضى على زواجها سوى شهرين .. ولم أتكلم مع الخادمة بعدها نهائيا .

قال الضابط وهو يقف : حسنا يا نافز ! أنت مشتبه بك لحتى الآن .. وممنوع من السفر خارج البلاد ..وإذا غيرت سكنك عليك أن تخبرنا حتى نغلق القضية .. وإذا عندك ملاحظة شيء لاحظته رأيته عليك أن تخبر به تحت طائلة المسؤولية .

ـ لا لم ألحظ شيئا ، ولم أسمع شيئا يفيد التحقيق .. وأنا ماكث في المدينة حتى ينتهي التحقيق .

حادث دعس

قال عويس للمحقق : أنا كما أخبرتك عند لقائنا في القصر يبدأ عملي حسب الاتفاق مع السيد في التاسعة صباحا ، وينتهي في الثالثة ظهرا ..وأي تأخير يكون بثمن ؛ لأنني ليلا أعمل في الفندق طاهيا .. ومهمتي كما شرحتها سابقا الإشراف على وجبة الغداء بعد إعدادها وتجهيزها وأحضر وجبة العشاء ، ويقوم على خدمة السيد الخادمان العاملان في القصر .. فاليوم السابق للجريمة لم ألحظ شيئا غريبا أو مختلفا عن الأيام السابقة .. كان اليوم كسائر الأيام رتيبا .. لم يكن هناك سوى الاهتمام بموعد إشهار الطلاق رسميا .. فالرجل صمم على الطلاق بشكل نهائي ، واستلمت السيدة بعض حقها .. وهي تعرضت لأكثر من طلاق خلال الشهور بسبب ابنها .. فكان المحامي يرى أن هذا طلاق لا رجعة فيه ؛ ولكن لم تسجل أي طلقة سابقة رسميا فقال لي بعض المحامين : إنها لا تحسب ، ويمكن عودتها إليه .. وحاولت ؛ ولكنه رفض ، واعتبر نفسه متزوجا العائلة .. وسبب اهتمامي بالأمر يا سيدي المحقق ؛ لأن المرأة تمت لي بطرف قرابة وأنا الذي أقنعتها بالزواج من الحاج نوفل .. وقلت لها صراحة : المال سيعوضها عن الحياة الجنسية .. فأنا أعرف الحاج ، لي خمس سنوات أعمل معه .. وقبلت أمام إغراء المال .. وهو منذ ترمل أخذ يتحدث عن الزواج ؛ ولكن أولاده كلهم رفضوا زواجه قبل مرور سنة على وفاة أمهم .. وهو أصر ، ونفذ رغبته .. وخاصموه بضعة أشهر ، ثم رضوا بالأمر الواقع ، وإن بقي بينهم الجفاء ، خاصة البنات أنا أعرف الأم هادية أكثر من ابنها نافز .. كان مزعجا للحاج وثقيل الدم كما يقال وسيئا .. ولم يكن يهتم لطلاق أمه ..إنه يريد ذلك .. يريد المال الذي ستأخذه من الحاج بسبب الطلاق .. وقد يكون سبب ذلك الحادث الذي أثر على رأسه وعقله .. وكان لا يستحي من الجلوس على مائدة الحاج .. ويأكل معهما .. وحاولت أن أجعله أن يأكل معي في المطبخ ، فلم يبال ؛ بل أصر على مشاركة أمه المائدة .. المهم طفح الكيل .. ولما تصالح الحاج مع أبنائه قوي عزمه على التخلص من نافز .. ولما عجز أراد التخلص من الجميع .. سعيت باستمرار للإصلاح بينهم ؛ ولكني لم أسمعه يهدد السيد بقتل ولا غيره .. مرات يضطر للرد

على شتائم الحاج ، وأكثر المرات يسمع ولا يهتم ..والسيد عادل أعرفه كابن للحاج من زمن .. وهو لا يأتي القصر عادة إلا لطلب المال .. ولم أره تلك الليلة ؛ لأني أفارق القصر قبل دخول الليل ؛ ولكني سمعت بمشاجرته مع أبيه .. وهي لم تكن الأولى .

ـ إذن أنت لا تستطيع أن تشتبه بأحد !

قال بقوة : طبعا لا أستطيع يا سيدي ! صحيح أن عادلا كان سيئا مع الوالد ؛ ولكنه كان كما يقول يحتمله من أجل أمه زوجته المرحومة .. وليس بالضرورة أن ينجح كل أبناء الرجل ، لابد من خائب بينهم .. وهو يعتمد على أبيه في تدبير معيشته .. ونافز سيّء ، وأمه ضعيفة أمامه .. أما القتل فلا أعتقد أن يفعله أحدهما قد تكون نظرات نافز للسيد أثناء سبه وشتمه حادة وحاقدة لكن القتل لا أعتقد .. ربما تمتم بكلمات مبهمة غير واضحة ؛ لكن لا تهديد فيها.

شكره الضابط ، وقال : إذا ذكرت موقفا قديما حديثا يفيد التحقيق لا تبخل به علينا .. هذه جريمة قتل لا مزح فيها.

وبينما الضابط ينهي التحقيق مع عويس رن الهاتف في المكتب فتوقف عن الكلام مع عويس وقال : نعم ، حادث سير ! وما لنا نحن فيه يا ملازم عماد ! آه الضحية امرأة الحاج نوفل السيدة هادية عبدو .. كانت تقطع الشارع وصدمتها سيارة ، ولاذت بالفرار .. هي في المستشفى .. فعلا قد يكون الحادث حادثا متعمدا .. هل تعرف شيئا عن القاتل وأراد التخلص منها ؟ إنها لم تتكلم ضد أحد يا ملازم عماد .. سأبعث إيادا إلى المستشفى، اهتموا بالموضوع والحماية ، سنتابع تحقيق الحادث.. هي ما زالت حية شكرًا لك يا ملازم عماد ، لو كان المحاولة بغير السيارة ؛ ربما كانت موضع شبهة .. لو قتل الرجل سما ؛ لكانت مشتبها به وكانت في بيتها عند تعرض السيد للقتل .. لم تكن في بيتها كانت عند ابنتها .. على كل تابع موضوعها .. فابنها مشتبه به كما ابنه مشتبه به .

وضع السماعة وقال لعويس الذي كان ينتظر الإذن بالانصراف : قريبتك هادية صدمتها سيارة كادت تؤدي بحياتها يا عويس ! وذلك قبل ساعات ، والسيارة لاذت بالفرار ، لم تتوقف

لإسعافها .

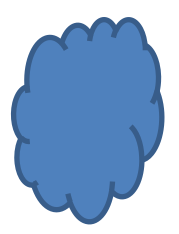
ـ لا إله إلا الله .. مسكينة السيدة هادية!

ـ كانت في إحدى العيادات ..وهي تقطع الشارع صدمتها سيارة دون أن تتوقف .. وهي بين الحياة والموت .

ـ أتظن يا سيدي أن الحادث متعمد ؟!

ـ في مثل هكذا ظرف يوجد مثل هذا الاحتمال .. القاتل ما زال طليقا يا عويس .. وابنها يسوق سيارة اشترتها له من قريب .. وهو الوارث لها يا عويس ، ويمكنه سرقة مفاتيح بيت السيد دون علم أحد .. وبصماته موجودة في القصر ؛ لعل السيدة تعرف شيئا عن المجرم .

ـ أنا حاولت الإصلاح بينهم لآخر دقيقة ؛ ولكنه قال انتهى الأمر ، وستأخذ حقها وزيادة يا عويس .. أنا لا أنسى مساعدتك لي في الزواج .. فلذت بالصمت إلى فرصة أخرى .. وها هو قتل قبل مجيء الفرصة الأخرى .



ظل الملازم عماد يتابع حالة السيدة هادية المصابة بحالة دهس ، وعلم أنها بعد مغادرتها العيادة الخاصة التي تتابع فيها العلاج من سنوات في شارع محمد فهمي .. وبينما هي تقطع الشارع إلى الجهة الأخرى فاجأتها سيارة صغيرة صالون بقوة كما أخبر شهود العيان ، واستمر السائق في الهرب ، لم يتوقف للحظة .. واتصل المارة بسيارة الإسعاف ، ولم يتمكن أحد من التقاط رقم السيارة ، وتمكن أحد الشهود من تحديد لون السيارة والماركة العالمية .. وهذا لا يساعد على إلقاء القبض على السائق الهارب إلا بعد معرفة رقم السيارة .. فالرقم هو الذي يسهل عملية القبض على السائق أو مالك السيارة ؛ لأنه مميز ، ولا يملكه أحد آخر ، بخلاف النوع واللون وبينما المرأة تعاني وتحتضر أخبرت الطبيب المشرف على حالتها أنها ليلة وفاة السيد نوفل بكر

كانت في القصر . وسمع ذلك طاقم التمريض ،ولم يدركوا مغزى هذه الرسالة ، ولفظت المرأة أنفاسها ،وهم يعجبون من كلام المرأة الأخير ، فقد كانت الضربة عنيفة أودت بحياتها بعد انتهاء الأجل المقدر لها من عند الله .

نقل الكلام للضابط المتابع لحالتها ومنه لحمزة الذي استغرب منه ، ولكنه شرح للضابط عماد مختصر جريمة قتل السيد نوفل ، وأن هذه زوجته ؛ لكنها في حالة طلاق ؛ ولذلك قال لعماد : ألم تقل شيئا عن لقائها بالحاج نوفل ؟ ومتى كانت في القصر ؟

قال عماد : أنا نقلت لك كل ما قالته أمام الطبيب والممرضات .. وسأعاود الحديث مع الفريق

ـ لا تفعل .. سأقوم بلقائك ، ونتحدث معهم سوية.. يبدو أنها قتلت عمدا يا ملازم عماد !

ـ ومعها جهاز خلوي تم التحريز عليه .

ـ جيد قد يساعدنا كشف الاتصالات بالتحقيق في الحادثين .. فالرجل قتل منذ عشرة أيام .. وهي سترث عنه المال الكثير لو عاشت ،، فهنا صار لدينا مشتبه به مهم وهو ابنها .

لما عرف حمزة رقم السيدة من الطباخ عويس طلب من شركة الاتصالات المتعاقدة معها كشف بمكالمتها في الشهر الأخير لحتى وفاتها .

ولما انتهى دفنها والعزاء المعتاد في المدينة أحضر ابنها للتحقيق في ملابسات وفاة أمه هادية ، فسأله : ألم تكن مع أمك يوم الحادث ؟

ـ أنا أوصلتها إلى العيادة ، ووجدت عددا من الناس في العيادة ، فقلت لها : سأجلس في أحد المقاهي ساعة من الزمن .. وإذا أنهت العيادة قبل ذلك تتصل بي وتنتظرني على الشارع المقابل للعيادة حيث اتجاه طريقنا .. ولما أنهت العلاج عند الطبية نوال فتحي لم تتصل بي .. ولما أنهيت اللعب ، غادرت ، ثم علمت لما دخلت العيادة أنها تعرضت لحادث سير وهي تقطع الشارع إلى الجهة المقابلة ، ونقلت للمستشفى ، فاتصلت على رقمها ، فلم يجب ، وتحدثت مع أختي ، فذكرت أن الشرطة اتصلت بها تبلغها بالحادث ، وأنها تجلس في المستشفى ، والأم في غرفة العمليات، ووضعها حرج وصعب، فمشيت إلى المستشفى الموجودة فيه .. تابعت الوضع ،

واستمعت لنعيمة ، ونزلت كافتيريا المستشفى وشربت قهوة ، ودخنت وصعدت ثانية .. فأخبرت أنها تنازع وتحتضر ، ثم توفاها الله تعالى ، فأخذنا بالبكاء والنحيب ..كان موتها صعبا على روحي .

ولما خفت موجة البكاء أمام الضابط ، قال : رحم الله الفقيدة يا نافز ! لكنها قالت أمك وهي تحتضر إنها ليلة مقتل زوجها الحاج نوفل كانت في القصر ماذا تقصد بذلك ؟

حدق الشاب بالضابط للحظات وقال : أمي قالت ذلك !

ـ نعم ، قالت للطبيب والممرضات .. وأنتم أنكرتم ذلك أثناء الاستجواب !

ـ أنا لا أعلم بهذا اللقاء يا سيدي .. نحن قبل وفاته بأيام ونحن نعيش بعيدون عن قصره .. عدنا لبيتنا ، وكنا ننتظر الصباح للذهاب للمحكمة ، وتسجيل الطلاق رسميا ، واستلام باقي المال الذي اتفقنا عليه من أجل إنهاء هذا الزواج .

ـ هذا علمناه .. والكل ينتظر توقيع الأوراق .

ـ نحن اتفقنا مع المحامي على إكمال الطلاق ولا أدري كيف كانت أمي تلك الليلة عند الرجل

ـ هل ذهبت وحدها دونك ؟!

ـ تذكرت .. ليلتها لم تنم معي في البيت ، ذهبت للمبيت عند نعيمة .. أخذتها إلى هناك .. وهبطت إلى المدينة للسهر والشراب .. وعدت للبيت مع الفجر .

ـ سنتطلب نعيمة وزوجها للشهادة على ما تقول .. وسجل الهاتف هاتف أمك طبعا يثبت لنا أنها أجرت مكالمة مع رقم السيد نوفل الساعة الثانية إلا ربع ليلا ليلة الحادث .

قال بثقة : الجواب عند نعيمة ؛ وليس عندي .. ولماذا تذهب له في مثل هذا الوقت ؟ ! وهم متفقون على الطلاق عند التاسعة صباحا.

ـ ربما أرادت الصلح وإلغاء الطلاق .

قال متشككا بهذا المقصد : لا أعتقد ذلك سيدي!

أكدت نعيمة صحة الاتصال ، وأخبرت أن أمها لم تعرف النوم تلك الليلة ، واتصلت بالحاج ،

فطلب منها المجيء للقصر تلك الساعة للتفاهم ، وقام زوج نعيمة بتوصيلها للقصر على مضض ، والحاج نفسه فتح لها البوابة ، وبقي زوجها في سيارته ، ولما رجعت بعد ربع ساعة أو أقل قالت لزوجي : قد يلغي الحاج الطلاق . فقال لها : والاتفاق مع المحامي . فقالت : المهم أن يبتعد نافز عن القصر ، وعادوا لبيتي حوالي الثانية والنصف .

فقال الضابط : كان الرجل حيا عند الثانية .

ـ على كلام أمي كان حيّا

ـ على كلام أمك .. لماذا قالت ذلك عند الموت ؟!ولم تخبر بذلك أثناء الاستجواب

ـ لا أدري ؛ ربما الصدمة بالحادث ، وخشية الاتهام بالجريمة .. وأنا قلت ما قاله زوجي .. نحن فوجئنا بالجريمة .

وطلب الضابط زوج نعيمة للتحقيق ، وأمر بتتبع خطوات نافز ليلة الجريمة .



تغيرت الأمور بقضية مقتل نوفل بموت مطلقته دهسا أمام عيادة تتردد عليها قبل زواجها ، وتبين للضابط أنها كتمت أمر الزيارة الليلة خشية تورطها في مقتله ، وتوريط زوج ابنتها، وظهر أن له مصلحة في مقتل نوفل بالإرث الذي سيعود إليها قبل إتمام الطلاق رسميا ولموته قبل انتهاء العدة ، فأصبح أحد المشتبه بهم ، وتغير وقت ارتكاب الجريمة .. والطبيب الشرعي حدد عددا من الساعات ، ولم يحدد الوقت بالضبط .. فانتقل حمزة المحقق لقصر السيد لإعادة الحديث مع الخادمين .

وكان السيد مفتاح قد أنهى خدمات عويس الطاهي ، وأبقى الخادمين ريثما ينتهي التحقيق وتوزع التركات ، وإما أن يصرفهم أو ينقلهم لأماكن أخرى ، فلما قابل المحقق الخادم قال : ذكرت ليلة الجريمة أن السيد دخل غرفته غاضبا من ابنه عادل .. وكان ذلك بعد إغلاق البوابة وراءه .. وباب القصر الرئيسي .. وطلب كوبا من الحليب الدافئ صح هذا .

ـ أجل يا سيدي! هذا ما حدث ، وكان ذلك بعد منتصف الليل بقليل .. وصعدت بالكوب

السيدة .. وقبل أن أنام قمت بجولة على الأبواب الأخرى للقصر والنوافذ ، وشربت الشاي ، ورقدت، ثم استغرقت في النوم .

ـ نعم ، واستيقظت فجأة على صوت ، وظننت أن السيد قرع الجرس .. وتبين لك أنه لم يرن ، وفتحت باب الغرفة ، ومكثت دقيقة أو أكثر تتنصت ، ولم تخرج ، وعدت للنوم .. هل استيقاظك هذا طبيعيا أم بسبب شيء ؟

ـ استيقظت فجأة .. ولم أحدد السبب .. ظننت الجرس ، ثم توهمت ذلك .. وظننت أنني كنت أحلم .

ـ ألا تعتقد أنه جرس البوابة الخارجية ؟

ـ لا .

ـ كم مكثت على الباب ؟

ـ قد تكون دقيقة أو أقل .. كان المكان هادئا يا سيدي .

ـ هل نمت من جديد ؟

ـ نعم ، تقلبت بضع دقائق ، وغرقت في النوم ، ولم أستيقظ إلا بعد آذان الفجر

ـ أنظرت إلى الساعة عندما استيقظت ؟

ـ لم أنظر إليها ..وأنا جاهز للاستيقاظ عند رن الجرس .. فالسيد سنه كبيرة ومعرض لخطر صحي مفاجئ .. ومرات كما أخبرتك أن السيد يترك غرفته ويتمشى خارج القصر من البابين الأخريين صيفا شتاء .. يتدثر بمعطف خاص ويتمشى في المطر حول ممرات القصر والبستان ولكن تلك الليلة لم أشعر به يفعل ذلك .. فهو يتعمد لبس خف خاص حتى لا يزعج النائمين خاصة امرأته أم مفتاح ، فهي تتضايق من خروجه في الليل بعد دخولهما غرفة النوم ؛ لكنه تعود على ذلك كما أسمعه يبرر فعلته .

ـ اذهب واستدعي السيدة .

جاءت السيدة ، ولما جلست قالت : نعم سيدي!

ـ عندما استيقظت تلك الليلة ، وفتحت الباب لمحت الخادم خارج الباب .

قالت بتوتر ظاهر :لمحت رأسه يا سيدي !ولا أعلم هل كان داخلا أم يريد الخروج ؟! وسمعت الباب يقفل .. وكنت قد استيقظت فزعة على صوت صرخة مكتومة فظننت أني أحلم لم أكد أنام عندما استيقظت مرعوبة .. وفتحت الباب فلمحت رأس السيد .

ـ نحن علمنا أن السيد نوفلا حوالي الواحدة والنصف قد استقبل زوجته هادية وفتح البوابة الرئيسة وباب القصر ودخلت معه غرفة النوم أو المكتب ، ثم غادرت ألم تشعري بذلك ؟!

ـ لا ، كنت نائمة، وكثيرا ما يخرج السيد يتمشى في الليل في حدائق القصر وممراته الخارجية .. نحن نلبي النداء عند الاستدعاء .. هكذا الأوامر يا سيدي .. استيقظت على الصوت ، وظننته مناما .. ولما اكتشفت الجريمة تيقنت أنها صرخة من السيد كانت صرخة الموت .. ولما أغلق السيد دانييل بابه فعلت مثله ، مع أني استغربت من استيقاظه في نفس استيقاظي .. أغلقت بابي بالمفتاح كما أمرني السيد منذ حادث السيد نافز خشية تسلله إلى غرفتي .. فهو سيد شرير !

ـ هل أساء لك الخادم يوما ؟

ـ لا ؛ ولكنه رجل، وهو متزوج .. هو صديق جيد ملتزم حدوده .

قال الضابط المحقق لزوج نعيمة: ما عندك ؟

ـ يا سيدي الضابط بعد صلاة العشاء عدت للبيت ، فوجدت حماتي عندنا .. وهذا أمر معتادون عليه قبل زواجها ، وبعد زواجها من السيد الكبير .. تعشينا معها ، وكان ابنها الفاسد قد تركها وذهب لخماراته وملاهيه كعادته.. سهرنا لنصف الليل ، وتحدثنا عن الطلاق .. وكنت نصحتها منذ زمن بالتمسك بالسيد إذا لم يكن من أجله من أجل ثروته بعد موته .. سترث الكثير .. كنت مغريا لها بالصبر والبقاء ، وأن عليها تزويج ابنها لتخلص من مضايقته لها .. وبعد نصف الليل اتصلت به وفتح الرجل هاتفه .. ثم طلبت مني أن أذهب بها إلى لقاء السيد ..وأنا كنت أحب لها الصلح وإلغاء الطلاق كما حصل في مرات سابقة .. وقد ناقشت ذلك مع المحامي ومع ابنها اللعين .. وكان المشكل هو نافز إذا ابتعد عنها حلت القضية .. وافق الحاج على الصلح إذا تعهد

نافز بالبعد عن أمه والقصر ، فرفض ؛ ولكنه قال : أجرب الزواج .. ولما سمع الحاج موافقة الشاب على الزواج قبل على مقابلة السيدة حماتي فوصلنا إلى بوابة القصر .. وكان الحاج في انتظارها ، فبقيت في السيارة ، ونزلت ودخلت القصر مع السيد ، وغابت ربع ساعة على الأكثر ثم غادرت البوابة . وقالت وهي تجلس بجواري : ستسجل طلقة واحدة أمام القاضي ، وسيعطيني فرصة جديدة . وعدنا للبيت ، وفي الصباح جاء الخبر الصاعق بهاتف من المحامي وأخذنا نتابع التحقيق ، ومن الذي أجرم بحق السيد الكبير ، وغدر به .. ونحن ابتعدنا عن القصر بعد الثانية ليلا بدقائق .

ـ إذن القتل حدث بعد مغادرتكم ؛ لأن الطب الشرعي حدد الوفاة بين الواحدة والثالثة صباحا والرجل كان حيّا بعد الثانية بناء على كلامك .

ـ نعم ، وأقسم على ذلك إنه كان حيّا قبل الثانية بربع ساعة أو ثلثها ..خرجت السيدة ، ولم أشاهده يغلق البوابة خلفها ؛ ربما بعد ابتعادنا فعل ذلك.



مزيد من النقاش

عقد الضابط حمزة وفريق التحقيق جلسة في دائرة الشرطة بحضور وكيل الادعاء المكلف بمتابعة القضية والحق العام وقال: ما الدافع لهذه الجريمة ؟

قال حمزة : الدافع الواضح للعيان المال .. عادل يريد المال .. وأكثر الإخوة بحاجة للمال .. ونافز يريد المال .. وهذا بئر نفط لا يجب أن يغلق .. فهذا كنز بالنسبة له إذا ورثه عن أمه التي تعتبر زوجة ، وهي في العدة .. وهناك نعيمة وزوجها يستفيدون من الكنز .. والرجل كان يدفع ليعوض عن ضعفه الجنسي وشيخوخته .. والذهب والمال له بريق عند النساء كما هو معلوم .. والشاب ابنها من أجشع الناس ،وخاصة أنه عطيل لا يحب العمل ..وبموت أمه سيرث الكثير من الثروة .

ـ وهل يقتل أمه ؟

ـ يبدو لي أن أمه تعرف شيئا خطيرا ومهما ، وخشي أن تضعف ؛ وربما اعترف لها بقتل السيد أو التآمر على قتله ، ثم ندم على اعترافه ، وإلا كيف عرفت السيارة الداعسة أن السيدة في العيادة ذلك الوقت ؟! وقد عرف أن أمه تركت الحاج حيّا ؛ لأنهم في التحقيق الابتدائي كانوا يسهرون عند نعيمة أخته ، ثم تبين لنا أنه أوصل أمه وذهب للسهر واللهو .. لكن الذي يحيرني أيها السادة ضعف شخصيته ، بدا لي ضعيفا منهوك القوى ، لا يستطيع القتل والتخطيط لجريمة كهذه .. القتل يحتاج لقوة وشجاعة .. كدخول البيت والتسلل للطابق العلوي وإطلاق النار .. شخصية نافز ضعيفة متوترة قلقة كيف رأيتموه أنتم؟!

قال الملازم : كان مرعوبا أثناء الاستجواب .. يحاول التظاهر بالشجاعة وعدم الخوف واللامبالاة

قال الوكيل: وهكذا رأيته أنا .. يحاول التظاهر بالقوة وتماسك الأعصاب .. فالإقدام على جريمة مدبرة يحتاج لجرأة وقوة قلب لينجح .. هو لم يكن في موقف دفاع عن النفس ليقتل .. وسرقة مسدس تحتاج لشجاعة كذلك.

قال حمزة : أله شريك ؟

ـ لن يضع نفسه تحت رحمة شخص كهذا .

ـ لماذا التزمت الأم الصمت عن تلك الزيارة ؟! واعترفت وهي تموت أنها قابلت أو زارت الحاج تلك الليلة .. وسجلات النقال الذي تملكه تؤكد اتصالها برقم السيد في الليل .. فالقاتل إذا كانت مقتولة ألا يعلم أن لديها خلويا ؟ ولماذا سرقت شريحة خلوي السيد ؟ هل القاتل اتصل بالسيد قبل مقتله ؟ وفتح له الباب بناء على اتصال خاص ؛ لكنه يستطيع الاتصال بشريحة غير موثقة " استعمل وارم " كانت الشرطة تنظر للحادث كحادث سير اعتيادي .. فهي بذلك تقول إنها قتلت عمدا .. ومن القاتل للسيد نوفل ؟

ـ هل لدينا مشتبهون غيرهما ؟

ـ السيد عادل المشتبه الأول أدلة غيابه عن مسرح الحادث قوية ، فأهل البيت يشهدون على عودته قبل الثانية للبيت ، ولم يخرج حتى تلقى خبر الجريمة صباحا من مفتاح .. كان في المنزل فليس أمامنا إلا نافز .. كيف ارتكبت الجريمة ؟ هذا ما زال ضبابيا .. لم يره أحد منذ غادر القصر يعود للقصر أو يحوم حوله .. المرأة شهدت أن الرجل كان حيّا في الثانية صباحا .. رفاق المقهى يذكرون أنهم غادروا المقهى منذ منتصف الليل ، وزاروا الخمارة .. وعند الصبح وصل بيت شقيقته .. وكان في حالة سكر معتادة كما قال زوج أخته .. والخمار شهد أنه شرب خمرا في خماراته كما تعود على ذلك .. والقتل حدث بعد الثانية ليلا بناء على كلام المرأة وزوج ابنتها .. هل ذهب سكرانا ليقتل السيد ؟ هل يملك مفاتيح الأبواب بحكم تواجده في القصر ؟ هل قالت المرأة تلك الرسالة لتدافع عن ابنها ؟ لأنها تشك فيه .. تريد أن تقول أن ابنها بريء .. وأنه مات بعد الثانية .. تحرينا عن كل أولاده .. ولم يتكلم أحدهم بشيء يفيد التحقيق ..وهم يعتمدون ماليا على أنفسهم ما عدا عادل .

ـ ولا دليل ضده لحتى الآن .. ووقت الجريمة كان يغط في النوم كما يزعم الشهود

كلما تعمق تفكير المحقق في الجريمة ووقتها وجد في وجهه السيد نافزا ابن القتيلة إذا كانت

مقتولة عمدا .. وهو أكثر الناس فائدة مادية من الجريمة الأولى والثانية .. ولكنه كان بعيدا عن مسرح الحادث في الجريمة الأولى .. ولم يكن في القصر تلك الليلة إلا إذا كان الشهود كاذبين ومزورين .

قال الضابط لنافر : اسمع أيها الشاب هل ترى أن دعس أمك كان متعمدا ؟

ـ فكرت بذلك كثيرا يا سيدي .. لو كان الدهس متعمدا كيف عرف الجاني العيادة وموعدها وخروجها ، وإنها ستقف على الرصيف المقابل لعمارة العيادة إلا إذا شككتم بي ؟

حدق فيه الضابط المحقق في جريمة نوفل وقال : أنت أكثر الناس شبهة يا سيد ؛ ولكن شهودك ليلة الحادث رفعوا عنك الاشتباه .. فأنت بين الواحدة والثالثة لم تكن على مسرح الحادث .. فقد كنت في الحانة ومع الشلة إلا إذا ثبت تواطؤهم معك .. فنحن نتحرى عنهم ، وعن صاحب الحانة .. هل ترى أن زيارة أمك لزوجها تلك الليلة أنها أوقفت الطلاق ؟

قال : السيد نوفل متردد في الطلاق ، رمى عليها عشرات أيمان الطلاق خلال تلك السنة ؛ لكنها لم توثق في المحكمة .. كان الاتفاق إنهاء الحياة الزوجية بينهما .. وتم الاتفاق على ذلك ، وقبضت أمي مبلغا للموافقة على الانفصال .. والسيد عويس قريبنا طباخ السيد وسبب هذه الزيجة كان يتوسط بيننا دائما ، ويصلح بيننا باستمرار .. وكاد السيد أن يلين في المرة الأخيرة ؛ ولكن كانت عقدته أنا أن أخرج من حياتهم .. وكانت هناك فكرة أن أتزوج لأبتعد عن حياة أمي ؛ ولكن زواجي غير مضمون النجاح .. والبعد عن أمي قد يفشل زواجي ، وقد أستمر في التردد عليهم فكان الخلاص هو الطلاق ، وأخذ مبلغ من المال تعويضا غير الحقوق المقررة في عقد الزواج .. أما لماذا اتصلت أمي بالسيد تلك الليلة وذهبت للقصر بصحبة زوج نعيمة ؟ فلا علم لي بذلك الترتيب إلا بعد إعلان وفاة السيد غدرا .. وبعد الحادث بأيام .. وهل اتفقا على الصلح كما أخبر زوج أختي لست أدري .. لا أدري الحقيقة .. لم أشاور في ذلك .. لكن السيد عويس كان يبذل الجهد لعودة المياه لمجاريها لآخر الوقت .. والرجل يعرف طبيعة ونفسية الحاج حتى أنه قال مرة : يا هادية الرجل محترم وجواد وإذا أصر على طلاقة سأتزوجك على زوجتي

قال الضابط : عويس قال لها ذلك .

ـ عندما يغضب السيد يتدخل للإصلاح ؛لأنه السبب في زواجها منه وتعرفنا على السيد نوفل.. وهو الذي أقنعها به زوجا رغم كبر سنه .. وقد استفاد منه بقرشين مال ؛ لأن أولاد السيد الستة رفضوا زواجه قبل مضي سنة على وفاة أمهم ؛ لكن الحاج لم يطق الوحدة منذ دفن السيدة زوجته وهدد وتوعد ، ولم يعره الأبناء أهمية ؛ فكان السيد عويس البطل .. والسيد لا يصلح للنساء فهو ضعيف القوة الجنسية .. فلجأ للأدوية والعقاقير دون فائدة .. فلذلك لجأ للمشاكل معي والتحجج بي للتخلص من زواجه .. وأنا كنت معهم من أول أيام الزواج .. وحاول عويس إبعادي عنهما لفترة .. وتدخل عويس المستمر أخرّ الطلاق قانونيا ورسميا.. وكما تعلم طلع الفجر على مقتل السيد ، فلم يكمل الطلاق قانونا ، ولم نقبض باقي المبلغ المتفق عليه بيننا وبعضهم يقول إننا سنرث في هذه الحالة قصدي أمي ..وأنا وأمي واحد .. ولم يكتمل الطلاق بسبب موته.. وبعضهم يقول حتى لو وقع الطلاق شرعا فهي في العدة ، وسترث حصتها الشرعية .. وهذا امر سيقرره المحامون ..وأنا لا دخل لي في حادث دعس أمي ـ رحمها الله ـ يا سيدي

قال : العجب أن الناس شاهدت الحادث ، ولم يحاول أحدهم أخذ رقم السيارة !

ـ هو كان يسير مثل الصاروخ ، هو لم يتوقف ؛كأنه دعس فرخة!

ـ لكنه سيقع ، نحن عرفنا نوع السيارة ولونها ..وعممنا على جميع محطات الصيانة أوصاف السيارة وماركتها العالمية ؛ لأننا إذا قبضنا عليه سنعاقب كل محطة غطت عليه ، وغسل السيارة عندها ، وعليها أن تتحمل المسؤولية ؛ بل أخبرك أن بعض المحطات أخبرت بذلك ، ولم يكتمل التحقيق بعد .. سيقع السائق ، ويعاقب على هربه وجريمته .

السائق الهارب

أسفرت تحريات وتعقبات الشرطة إلى الوصول للسيارة التي قضت على حياة السيدة هادية في شارع العيادة التي تتردد عليها من سنوات شارع ديك الجن ؛ وذلك عن طريق إحدى محطات التصليح والصيانة .. واعترف السائق أن سيارته تعرضت للصدم في ذلك الشارع ؛ وإنما الذي صدم سائق آخر ، وأنه يعطي السيارة لبعض المعارف ..وتبين أنه يؤجرها مقابل بعض المال والقانون لا يمنع دفع السيارة الخاصة لأحد مقابل مال أو دون مال .. وتبين للشرطة أنه في ذلك التاريخ أجرت السيارة لشخصين ..استأجرها صباحا شاب اسمه مهند صابر وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت مع شخص اسمه خالد نعمة ..وتكشف للبوليس أن السيد خالدا أجرها لشخص اسمه نضال خوفو .. والسيد نضال من أصحاب السوابق .. واستأجرها من خالد بخمسين دينارا لمدة ثلاث ساعات ، ثم اتصل به عند الخامسة مساء مخبرا له أن السيارة في محطة صيانه ، وعليه استلامها من هناك .. والمحطة أخطرت الشرطة بذلك برقم السيارة ولونها عندما بلغوا بقصة السائق الهارب .. ونضال خوفو صاحب سجل أمني إجرامي ، وليس له عنوان معروف .. فوضع اسمه على نقاط الدخول والخروج .. وإنه مطلوب للشرطة في قضية دهس ، ولما اطلع حمزة على ملفه قال لمعاونه عماد : أترى أن هناك جريمة ؟

ـ الوضع المتصور للحادث يشير إلى ذلك يا سيدي المحقق ! فترتيب وصول السيارة إلى السيد نضال يدل على أمر مبيت .. هو أخذ السيارة المستأجرة من صاحبه خالد ..وهو الذي اتصل بخالد ؛ ليذهب ويتابع تصليح السيارة بعدما صدمت بها المرأة .. من كلّف نضالا وعرفه على الضحية ؟ من دفع له وأقنعه بفعل ذلك ؟ لابد أنه شخص يعرفه .. الحادث يبدو مدبرا .. هل نافز سعى لقتل أمه ؟ ولماذا ؟!.. المال يصل إليه من أمه دون الجريمة ؛ وربما ترث القصر .

ـ القصر أوقفه السيد لأحدى الجمعيات .. وأوقف قصرا آخر لنادي الصيد الذي كان عضوا فيه .. وقد علمت من المحامي تفاصيل الميراث.. الحاج نوفل بعد زواجه الأخير أراد من الغضب حرمان الورثة من المال أو تقليل حصتهم ، فأوقف وتبرع بكثير من العقارات .. ولكن

بين لي المحامي أنه يمكنه التبرع بالثلث فحسب أو يكتب هذه العقارات رسميا لجهات معينة ففعل ، واعتبر أن أبناءه ليسوا بحاجة لمزيد من المال .. وهو يملك الكثير من المال والشركات الشريك فيها .. إذن علينا القبض على السيد نضال خوفو .. وهكذا يستخدمون السيارات الخاصة يا عماد .. هذا يؤجر هذا .. وهذا يؤجر ذاك لتضليل الأمن !

ـ هؤلاء يؤجرون بدلا من شركات تأجير السيارات .. يأخذ المستأجر السيارة مقابل عشرين دينارا .. ويؤجرها لآخر بمبلغ أزيد لعمل أمر غير مشروع للتهريب للسرقة .. وصاحبها يزعم أنه أعطاها لصديقه عند انكشاف السرقة أو التهربية وهكذا .

ـ وهذه ليست مخالفة قانونية .. فهو لا يعمل كسيارة الأجرة .. لا وثائق .

ـ من ناحية نظرية ممنوعة ومخالفة ؛ لأنه ممنوع تأجير السيارة الخاصة ؛ لكن ضبط ذلك صعب إلا إذا اعترف المستأجر بذلك ، وثبت ذلك ؛ لكن يجوز إعارة السيارة لأي شخص يملك الرخصة المناسبة للقيادة .. ومالك السيارة هو مسؤول عند جهل السائق الذي كان يقود عند الحادث والمخالفة .. والسائق أثناء الحادث هو الذي يتحمل المسؤولية القانونية .. فأغلب السيارات مملوكة لتجار وملاك ومؤسسات كما تعلم ويسوقها موظفون بإذن من أصحابها مقابل راتب .. ومرتكب الحادث هو الذي يتحمل للعقوبة الفنية والعقابية .. فيحق لكل مالك سيارة دفعها لغيره .

ـ القصور موجود في كل قوانين الدنيا والخدع والحيل لا نهاية لها .. أنت لو طلبت سيارتي لقضاء حاجة لا أمنعها عنك .. وقد تضع فيها بنزينا أو لا تضع ..هل ستحاسبني عليه ؟! الثغرات موجودة ..لا يشترط القانون على السيارة أن لا يسوقها إلا مالكها ؛ ربما مالكها لا يملك رخصة قيادة ، ويملك السيارة وغيرها .

ـ ظروف القضية توحي بالجريمة .. حوادث السيارات لا يخلو منها يوم حسب معلوماتي .. حادث يومي.. أما كجريمة فهو قليل .. وهناك من يهرب عند الحادث لخوف لسبب ما .. ليس لأنه قتل ودعس ؛ فربما لم يمت المدعوس .. والسبب في قضيتنا ربطها بقضية اغتيال السيد نوفل

قال حمزة : ليس أول حادث دعس مر علينا ويهرب الفاعل! .. فبعضهم يهرب يظن أنه يتخلص من الشرطة بذلك ، ومن أجل الهرب من الحقوق المترتبة على فعلته ؛ لكن أين الهروب من الله سبحانه ؟!

ـ نعم ، من هرب من عدالة أهل الأرض لن يهرب من عدالة رب الأرض والسماء ـ هل سيستغرق القبض على نضال وقتا ؟

ـ لقد تم التعميم على مداخل ومخارج البلد كلها ومراكز الشرطة في البلد كلها .

كان السيد مفتاح في مكتب المحامي ، فلما استراح قال : ما آخر أخبار الجريمة ؟!

تنحنح المحامي وقال : للأسف لا جديد لدى الشرطة .. المحقق حمزة لم يصل لشيء جديد .. ابن المرحومة هادية زوج أبيك يظهر أنه بعيد جدا عن الجريمة .. لقد كان ساعة الجريمة يخمر في خمارة بعد مغادرته المقهى ..والسيد عادل شقيقك المشتبه الآخر أيضا بريء ..وهذا جيد الأسرة يا أستاذ مفتاح .. يقولون إنه كان في بيته ساعة الجريمة .. وليس لديهم أي مشتبه غيرهم الآن ..وامرأة أبيك كانت آخر من رأى الحاج حيّا تلك الليلة .. وزوج ابنتها رَآه يستقبلها عند بوابة القصر ويفتح لها ـ وهو لم ينزل من سيارته ـ دخلت وقضت مع الحاج عشر أو ربع ساعة ثم عادت إليه تقول لصهرها : الأمور ستحسم صباحا ـ إن شاء الله ـ ولكن البوليس يرى أن الاعتداء عليها في شارع ديك الجن بعد خروجها من العيادة جريمة .. وقد استطاعت الشرطة الوصول إلى السائق الهارب أو قل معرفة اسم السائق الهارب .. وهو ذو سوابق جنائية معروف للشرطة .. ولكن هل الحادث قضاء وقدر أم جريمة ؟ لم يحسم الأمر لدى الشرطة .. هذا سيتضح عند القبض على الرجل .

ـ أفهم أن الشرطة قد تربط بين الحادثين .. وهل إذا عرف قاتل هادية يعرف قاتل أبي نوفل ؟!

قال المحامي : لا دليل حاسم على الربط بين الحادثتين ؛ إنما إحساسات ضباط الشرطة ..ولأن السيدة اعترفت للأطباء أنها قابلت الحاج ليلة مقتله .. واخفت ذلك عن التحقيق خشية إلصاق التهمة بها .. الخوف .. والضابط يعتقد أنها قالت غير ذلك من الكلام .. ولم يفهم عنها

الممرضات كل ما قالت .

تنهد مفتاح وقال : هذا يعني أن الأمر سيطول !

وتنهد المحامي مثله وقال بملل واضح : إنهم يعتقدون كما نعتقد نحن أن القاتل من ضمن معارف الحاج .. فأحدهم استغل الظروف ، وارتكب الجريمة .. والشرطة عادة تشك في أقرب الناس للضحية ..فالزوجة والزوج والأصدقاء والأقارب أول المشتبه بهم .. والسؤال البدهي الأول من المستفيد من الجريمة ؟ ! فدافع المال سبب مهم لارتكاب الجرائم العنيفة .. وأكثر الناس يهمهم موت الحاج شقيقكم عادل والسيد نافز ؛ وذلك عن طريق أمه .. وهو كما ذكرت لك ثبت أنه لم يكن على مسرح الجريمة كما يقال .. والخدم لم يعرفوا بزيارة السيدة لأبيك تلك الليلة إلا من الشرطة .. تلفونها أكد أن مكالمة جرت بينها وبين الحاج تلك الليلة ، وأتت للقصر بعد منتصف الليل ، وقابلت الحاج على قول زوج ابنتها ، ورآه قد فتح لها البوابة الرئيسية للقصر وغابت ربع ساعة في الداخل ، وغادرت حسب أقوال صهرها .. وفهم منها أنها ستعود للقصر وتسجل طلقة واحدة ، وترجع لذمته .

ـ لقد نصحنا الأب أن يؤخر زواجه لمرور سنة على وفاة أمنا ؛ لكنه رفض الإصغاء وظن أنه شاب صغير فليعجل بالزواج .. وكان اختياره سيّئا امرأة شعبية ابنة أحياء فقيرة ، لا ذوق لديها ولا حياء .. كانت بذيئة اللسان وقحة يا أستاذ ..أبي ظن أنه ما زال ذلك الفقير وابن الفقير ، وعليه أن يتزوج من الفقراء .. فقبل الزواج من ابنة حي شعبي.. نسي نفسه وأنه من وسط اجتماعي تغير عن طفولته .. كنت أخجل من الجلوس معها .. ألفاظها سوقية ؛ لكن كان علينا الرضى بالأمر الواقع ، والتظاهر بالرضا .. للأسف نسي نفسه وموضعه الاجتماعي ذلنا آخر عمره .. رجل أعمال كبير تزوج امرأة جاهلة لم تتعلم في أي جامعة !

كان محامي نوفل يعلم بغض وحقد أولاد نوفل على زوجة أبيهم ، فقال مخففا من توتر وغضب مفتاح : هذا قدر الله يا مفتاح ! المرأة حسب معرفتي بها من خلال الوالد وزيارتي للقصر لا بأس بها ؛ لكن ابنها هو سبب المشاكل .. ظن نفسه متزوجا للحاج معها .. غداء عشاء نوم .. يأتي

للقصر سكرانا .. لم يعد الوالد يطيق ذلك .. والطباخ عويس لم يستطع إبعاده عن أمه والقصر وقد فكروا بتزويجه ليهجر القصر ؛ ولكنهم خشوا فشله في الزواج والمزيد من المشاكل .. وسبب ذلك تعرضه قبل زواج أمه من أبيك لحادث سير .. وسبب له مشاكل عقلية واضطرابات دماغية .

ـ عائلة سيئة جشعة ! لقد نسي أبي من أجل شهوته الميتة نفسه وموقعه الاجتماعي منذ عقود .. ولقد صار سخرية للأصدقاء والأقارب والعائلات .

ـ تعلق بالنساء ، لم يعد يتحمل الوحدة .

ـ قلنا له سنة واحدة ، ثم سنزوجه ابنة عائلة كبيرة ؛ ولكنه كلّف الطباخ بالبحث عن زوجة أرملة .. وبماذا سيأتي له الطباخ إلا بامرأة من طينته وطبقته السيئة ؟ !

لقد رحل إلى رحمة الله .. وانتهينا من حضرة الطاهي .

ـ ولكنه ماهر جدا في الطهو يا مفتاح ، ويعمل في فندق كبير !



تلقت الشرطة إخبارية عن وجود جثة في أحد منازل حي وادي وهدان ، وتوجهت الشرطة والدوريات الأمنية على الطرق الخارجية إلى العنوان المذكور حيث وجدت الجثة في حجرة مهجورة ، وهي في طرف بعيد عن الحي المأهول ، وتبين لرجال الأمن أنها كانت لحارس في أحد المحاجر القديمة .

حضرت الفرق المحققة.. الفريق الجنائي والمختبر الجنائي والطب الشرعي .. وتبين لهم أن الجثة لها عدة أيام ، وعلى الطب الشرعي تحديد وقت الجريمة وتاريخ الجريمة ، وكانت مخنوقة بسلك معدني ، وظهر في المكان آثار حديثة لعجلات سيارة واحدة .. وكان في الغرفة الوحيدة موقد نار ، وأدوات طعام ، وإبريق شاي وغلاية قهوة ، وفانوس أو سراج يعمل بمادة الكيروسين

الكاز .. فهو مكان يصلح للاختفاء وليس للحياة .. ولما انتهى التصوير الجنائي ورفعت البصمات وفتش المكان وما حوله رفعت الجثة لسيارة الإسعاف ؛ لتنقل إلى قسم الطب الشرعي في المستشفى القريب من المنطقة لإجراء التشريح العميق للجثة .. وتبيين سبب الوفاة ووقتها ، وكيف ماتت ؟ وكانت الجثة في حالة سيئة ، وتبين للشرطة أن الاتصال كان من هاتف أرضي عام .. وعرفت الشرطة أن القتيل كان مطلوبا للشرطة ومطاردا من قبلها بسبب حادث سير .. فدخل حمزة المحقق على خط التحقيق ، فذهب مع فريقه لمعاينة مكان الجريمة ، ومعهم الفريق المكلف بالبحث عن الجاني ..وأمام معطيات التحقيق ومعرفة شخصية الضحية سيكون التحقيق والبحث مع أصحاب نضال خوخو واستئجار السيارة من خالد ..وأصبحت التحقيقات والتحريات حول مالك السيارة وسلسلة المستأجرين للسيارة ومن لهم معرفة بين نضال وخالد ، وأن السيد نضالا كان يطلب من خالد استئجار سيارة من مؤجر ..وكان خالد يطلب من معرفة له استئجار سيارة ، ويستأجرها هو منه بدفع أجرة بزيادة بضعة دنانير ، ويقوم نضال بسرقة أو تهريبة أو دعارة بواسطتها .. ولم تستطع الشرطة إثبات أكثر من ذلك ، وشهد أكثر من شخص على مثل هذا الفعل .

الشرطة تبحث عن الذي كلّف نضال بهذه المهمات المعقدة التي أدت إلى قتله واغتياله واعترف أحد رفاق نضال أن المكان الذي قتل فيه يختبئون فيه من مطاردة الشرطة ، ويخفون فيه صفقات مخدرات أو تهريبات أجهزة ممنوعة في البلاد .. والمكان معروف لعدد من العصابات واللصوص وأكد هؤلاء الرفاق أن نضالا لا يعمل وحده ؛ إنما يستعين بهم وببعضهم في بعض المهمات الأقل خطورة مقابل المال والدفع الفوري والاختفاء الصوري .. ورجح البوليس أن المتصل هو القاتل ، فلما رتب أموره وعلم أن الشرطة لم تكتشف الجثة اتصل مخبرا عنها بمخبر مجهول .. وقررت الإدارة مراقبة المكان خفية ما دام مستخدما من قبل المهربين والمجرمين .. فهم رأوا أنهم بحاجة لصيد يتردد على المكان .

وأثمرت الرقابة السرية بالقبض على ثلاثة مهربين حشيش ، وظلت الرقابة على المكان والموقع

وتبين أثناء التحقيق أنهم يعرفون السيد نضال خوخو ، ولا يعملون معه .. واعترف أحدهم أنه عرف المكان من نضال ، ودل عليه عصابته وجماعته ، واشتغل معه مرة واحدة في تهريب كمية من الذهب المسروق لأحد التجار ؛ وذلك قبل عشر سنوات .

كان حمزة ومساعده عماد يتحدثان عن مجريات التحقيق في سلسلة الجرائم ويتسألان : من استأجر نضالا لدعس المرأة هادية ؟! وما علاقتها بقتل الحاج نوفل ؟ ..اعترف أحد رفاق نضال أن الرجل كان يدبر لعملية كبيرة ؛ ولكنه لم يفصح له عنها أو عن تفاصيلها ، وظن أنها عملية تهريب كبيرة ؛ وليست عملية دعس أو قتل ، فلم يعملوا معه لقتل أحد ، وهو بعد دعس المرأة اختفى عن الرفاق ، وشاع أنه خارج البلاد أو المدينة حتى ظهرت جثته في ذلك القفر البعيد المحجر المهجور

قال حمزة : قضيتنا معقدة يا حضرة الملازم أو قل تعقدت وكبرت ! كنّا بواحدة أصبحنا بثلاثة لماذا كل هذا التعقيد ؟! هل هي مترابطة يا عماد في نظرك كما نرى ونعتقد اليوم ؟ هل قابلت هادية الحاج نوفل حقيقة يا ملازم عماد ؟

ـ إشارة مهمة !

التقى المحقق في جريمة نوفل بمحقق جريمة نضال الضابط نزار ؛ لتبادل المعلومات والافتراضات . فقال نزار : أنتم تعتقدون أن السيد نضالا دعس المرأة عمدا وتنفيذا لأمر من قبل شخص يتحكم فيه أو لحساب شخص ما .. وأن نضالا اختفى على أثر الجريمة بعد وصلوكم للسيارة التي تم بها الحادث ، واختفى في ذلك البيت المهجور ، والمستخدم من قبل ا لمهربين واللصوص ، وقضى فيه حياته قتلا وخنقا ؛ ولكنكم تقولون إن بين الحادثين أكثر من أسبوعين .

قال حمزة : صحيح ! هو لم يختف مباشرة ؛ ربما لما علم بوصولنا للسيارة المرتكب بها حادث الدهس .. وكان بين مقتل هادية وزوجها نوفل أكثر من أسبوع .. هادية تبين من اعترافها أثناء الاحتضار لدى الممرضات والأطباء أنها كانت ليلة الحادث في بيت زوجها خفية ، وقابلته

ليعدل عن الطلاق .. فحادث الدهس أطلق لسانها بالاعتراف ؛ وربما قالت غير ذلك من الكلام ولكن الأطباء والممرضين لم يحفظوا كل ما قالت لعدم الاهتمام أول الاعتراف .. لقد قضت معه في القصر أكثر من عشر دقائق حسب أقوال زوج ابنتها الذي أوصلها بنفسه للقصر ومقابلة السيد ، ولم يطلع الفجر على الزوج وهو حيّ .. هل قتلته ؟ الرجل ينفي أنها فعلت ذلك ، وكانت هادئة عندما خرجت ، ولمح أحدهم يفارقها عند الباب ، لكنه لم يعرفه ، وتوهم أنه الحاج كما فعل ذلك عند الاستقبال .. ونحن نرى أن الكلام أمام الأطباء ناقصا ؛ لأننا لم نفهم سبب هذا .. الاعتراف لا يدل على قاتل على شريك .. هل لها دور في الجريمة ؟! أم تعرف المجرم .. وهذا الراجح لدينا .. فهي اعتبرت نفسها مقتولة لتصمت عنه ، ولمعرفتها للجاني .. وتحقيقات الحادث وصلت إلى أن المقتول نضال هو الفاعل .. كان يعرف يوم العيادة أو بوجودها في العيادة ذلك الظهر .. وانتظر حتى قطعت الشارع ثم دهمها .. فهي قطعت منتظرة ابنها في السيارة التي ابتاعتها له بعد زواجها من السيد نوفل وقبل مقتله بأسابيع .. فهو الذي أوصلها للعيادة ، وذهب للهو والقمار على أن تتصل به بعد خروجها من العيادة .. تبين لنا أن ابنتها تعلم بذهابها للعيادة .. وتكلمت معها أثناء وجودها في العيادة في انتظار دورها للدخول على الطبيب .. وابنها يعلم .. تعرضت للدعس وهرب الفاعل الذي تبين لنا أنه نضال خوخو قتيل المحجر المهجور منذ عشرات السنوات .. والسيارة التي ارتكب بها الدهس خضعت لسلسلة من الإيجارات لتضليل الشرطة للعملية هذه أو غيرها من التهريبات .. ثم قتل الرجل الهارب بظروف غامضة كما تعلم في مكان بعيد عن المدينة العاصمة .. في مكان يستخدمه المجرمون الفارون والمهربون ، اختفى حتى بلغنا عن وجود جثته ؛ فإذا كانت قصة هادية جريمة متعمدة فهذه الجرائم بينها رابط أو أن القاتل والمجرم واحد .

قال نزار : وأنتم لم تعرفوا قاتل السيد !

ـ كان الاشتباه في البداية حول ابنه عادل ؛ حيث تشاجرا ليلة الجريمة ، ثم تبين أنه وقت الجريمة لم يكن على مسرح الحادث .. هناك من شهد على وجوده في بيته .. وابن المرأة المدعوسة هادية

أحد المشبوهين لم يكن ليلتها في القصر أو قربه ، فقد كان في حانة يسكر مع رفاقه .. وخدم البيت من جنسيات أجنبية لماذا يقتلون ؟ وعامل التصليح لم يكن ليلتها عند الجريمة في القصر والطباخ الخاص لا يرقد في القصر ينتهي عمله عصرا ، ولا مصلحة مادية له في قتله .. والمرأة وزوج ابنتها لا مصلحة لهم في قتله .. ونضال لم يشاهد حول القصر ولحساب من سيقتل ؟! دافع القتل البين لمقتل نوفل المال .. وأكثرهم حاجة للمال ابنه عادل ، وليس لدينا دافع آخر لحتى الآن.

ـ والجريمة لابد لها من فاعل .. وباقي أفراد الأسرة وضعهم سليم .

ـ ثبت لنا ما عدا عادلا أن أمورهم المالية طيبة وسليمة ، ليسوا بعجلة لمزيد من المال .. فهم أصحاب ثروات وشهادات جامعية ، فأوضاعهم ممتازة إلا ذاك العادل .. وكان في وقت الجريمة في البيت نائما أو سكرانا إلا إذا كلّف نضالا أو غيره .. وهذا ما نحاول إثباته لليوم .. والجريمة تحتاج لرجل يعرف القصر ونظامه جيدا ، ويملك مفاتيحه أو قل مفتاح غرفة الحاج نوفل .. ويعرف أن للسيد مسدسا في حجرته ..وإن كانت معرفة ذلك ليست صعبة لاشتهار الحاج بالصيد .. ويملك قصورا للصيد في أطراف المدينة ..وإنه صياد قطط في داخل قصره .. فالقاتل قتله بمسدسه ، وفي حجرة نومه .. وقد استخدم كاتم الصوت .. فهو قدم للقتل .. وأخذ شريحة إلكترونية لهاتف الحاج .. فالخدم لم يسمعوا صوت الرصاص كما شهدوا ، وأطلقت ثلاث رصاصات عليه .

ـ إذا عرفنا قاتل نضال ،فقد نعرف قاتل السيد نوفل .

ـ نعم .

قال نزار : حسن هذا ! اسمع يا رائد حمزة .. نحن تلقينا إشارة مهمة أن النضال هذا بدأت حياته السيئة مع زوج هادية الأول والد نافز .. فهو يعرف المرأة قديما بمعرفته لزوجها .. أحد المعتقلين من أصحاب نضال ذكر أن غريبا زوج هادية عبدو له صداقة مع نضال ، وعملا معا في بيع وتهريب المخدرات .. وكانوا يوفرون المخدر لبعض زبائن الفنادق الكبيرة .. والسيد

عويس الطباخ المعروف لكم ، وطباخ السيد نوفل لجزء من النهار هو صديق لغريب زوج هادية الأول.

ـ هل السيد نوفل رجل تهريب ومخدرات ؟

ـ لا ، لا ، ليس هذا قصدي .. هو تاجر أخشاب كبير كما تعلم .. وهو تارك للعمل منذ عشر سنوات .. فهو شريك ومشرف على بعض المتاجر .. وهو تعرف على عويس الطاهي من تردده على فندق عويس للمشاركة في حفلة أو تكريم زائر أجنبي مصدر له .. فأعجب بطهو عويس وأخدمه عنده منذ خمس سنوات .. واهتمامنا به ؛ لأننا عرفنا أنه الذي يهرب المخدرات لزبائن الفنادق بغض طرف من الإدارة .

ـ نحن لم نر للمخدرات دورا في الجريمة ، رأيناها جريمة بسبب المال والميراث ؛ لأن السيد المقتول لا علاقة له بالمخدرات حسب تحرياتنا عنهم .. عويس كان لدينا مجرد طاهي يعمل في وضح النهار ، وفي الليل في الفندق الكبير .. وتعرف على السيد فعلا عن طريق تناول الطعام في الفندق .. ويعمل في القصر بضع ساعات فحسب .

قال الضابط نزار : عويس هذا له معرفة بهادية وزوجها ، وله معرفة بنضال خوخو لتأمين المخدر للزبائن المهمين لدى الفندق .

ـ زوج هادية مروج مخدرات ! ونعرف أن عويسا قريب لهم .

ـ نعم ، بعض رواد الفنادق يطلبون الحشيش والممنوعات ، فيقوم عويس أو غيره بتوفير هذه المواد المحظورة خفية وسرا .. وإدارة الفندق تغض الطرف للمحافظة على الزبائن من الشخصيات المهمة .. وذلك حتى إذا قبض على مروج وبائع صغير تكون الإدارة بعيدة عن التحقيقات والقانون والمشاكل .. وإنها أمور فردية .. فغريب والد نافز كما أخبر المعتقل كان واسطة نضال بين عويس والفندق أو يتظاهر أنه واسطة ؛ لأن نضالا وغريبا أصدقاء وتجار لها فيقوم عويس ببيعها للأجانب متظاهرا أن الإدارة تجهل ذلك .

ـ عويس إذن واسطة بين المهربين والتجار والفندق .

ـ نعم ، نعم ، هذا ما نعرفه عنه .. لم يسجل عليه قضية كبرى ؛ليحقق معه .. فاهتمامنا بقضية مقتل نضال لاهتمامنا بالمخدرات .. فعويس يتحصل على العمولة من الطرفين ، وهو طاهي ماهر ، وله زوجة ، وابن وحيد يعمل في التدريس ويسكنون في بناية واحدة .. نحن نرى أن علاقته لنوفل علاقة طعام وإعجاب بطهوه ، وسلمه الرجل مطبخه .

ـ وهذا ما علمناه .

ـ ركز على علاقته بهادية ؛ لأنه كما علمنا منك ومن غيرك أنه هو الذي زوجها للسيد نوفل .

قال حمزة : نعم ، وذلك أثناء التحقيق الأولي.. بعد وفاة زوجة نوفل رغب الشيخ بالزواج رغم بلوغه السبعين من العمر .. منذ الشهر الأول رغب بذلك ، فرفض أولاده التسرع في الزواج قبل مضي سنة على وفاة أمهم .. تقاليد مهمة لديهم ؛ ولكنه رفض الاعتراض ، وتدخلهم في حياته ، وغضب منهم جميعا .. وساعده الطباخ في تحقيق ذلك الزواج من تلك الأرملة القريبة له ، وأصبحت السيدة وابنها سادة القصر لبضعة شهور حتى تصالح مع الأولاد ، وعادت الأمور لسابق عهدها ..وكان السيد قد ضاق ذرعا من وجود ابن زوجته معه في القصر ، وصبر على مضض .. والمرأة فوق الأربعين ليست صغيرة ؛ لكنها كسبت مالا وفيرا بعد ميراثا ؛ لكنه ينتظر انتهاء التحقيق في مصرعه .. وهذا الابن تعرض لحادث سير قبل زمن من زواج أمه من السيد نوفل ، فأصبح على أثره عطيلا عالة على أمه ، فلم يستطع الابتعاد عنها بعد الزواج ، وأصبح القصر مكانه ، ويذهب في آخر الليل للمبيت في شقتهم قبل الزواج ..وكان السيد في أول عهده بالزواج ومقاطعة أولاده له يصمت ويصبر ويتذمر بضعف .. ولما تصالح مع الأولاد ارتفع اعتراضه على وجوده في القصر ، وكثرة تردده وأقارب زوجته على القصر .. وكان الشاب يأتي للقصر سكرانا مما زاد الطين بلة .. وتعرضت أمه لعدة طلقات ؛ ولكنها لم توثق رسميا .. وكان عويس الطباخ يصلح بينهم لعدة أيام ، ثم تحدث المشاكل من جديد .. وعجزت الأم من الخلاص من ابنها .. فطردهما الحاج لفترة ، ثم تصالحا، ثم رتبوا الطلاق رسميا .. وتحدد موعد جلسة أمام القاضي ؛ ليكون الطلاق قانونيا وشرعيا.. وفي الصباح أصبح الرجل مقتولا

بظروف غامضة ؛ ولكنها قبل لفظ نفسها بحادث السيارة ذكرت أمام الفريق الطبي أنها كانت في بيت الحاج نوفل ليلة موته ، ولم نفهم سبب قولها هذا الاعتراف وهي تحتضر .. هل القول ناقص ولم يكتمل ؟! هل قتلت ؟! هل لها يد في القتل ؟! زوج ابنتها ثبت لدينا بُعده عن الجريمة والتآمر ، وليس له سوابق جنائية وملفه نظيف ، وكذلك زوجته .



اجتماع

عقد الرائد حمزة وفريقه اجتماعا لمناقشة القضية التي كلّف بها ، وهي قضية مقتل السيد نوفل في قصره ، وجلس الفريق حول الطاولة المستديرة في دائرة الشرطة فقال : هناك تطورات في القضية قد تغير مسار التحقيق ، فقد ظهرت المخدرات في القضية ، وليس المال والطمع فحسب .. نحن رتبنا أمرنا على أن الدافع المهم للجريمة أموال السيد نوفل.. فالطباخ عويس طباخ القصر نهارا وطباخ الفندق ليلا .. فهو غير عمله كطاه فهو معروف لدى دائرة المخدرات بإدخال المخدرات بأنواعها إلى زبائن الفندق بعلم الإدارة أو بجهلها أو التظاهر بالجهل مقابل عمولة يأخذها من المهربين أو التجار ، ومن زبائن الفندق .. وهذا العويس يوفرها لهم عن طريق رجل اسمه غريب قريب له أو معرفة قوية ؛ ولكنه ميت من عشر سنوات .. وهذا الرجل الميت هو والد نافز وزوج هادية الأول .. وقد ترملت عنه .. وغريب هذا كان زميل ورفيق نضال خوخو المعروف في وسط المهربين بالتهريب وترويج المخدرات في البلد ، وما حولها من البلدان .. ونضال كما تعلمون قتل في محجر بعيد عنا ، وتبين لنا أنه قتل منذ أيام من قبل البلاغ .. ونضال هو المتهم بدهس هادية .. وهادية زوجة نوفل .. وعويس يعرف هادية ونوفلا وغريبا ؛ وربما نضال .. وقد يكون هو مزوده بالمخدرات بعد وفاة غريب .. وهو الذي زوج هادية الأرملة للعجوز نوفل .. وأحد أصدقاء نضال بين للشرطة أن نضالا كان صديقا لهادية رغم ترملها .. وكاد يتخذها بعد ترملها زوجة .. والمرأة معروفة لدى دائرة المخدرات من أيام حياة زوجها ؛ ولكنها لما ترملت لم يعد لها نشاط في التهريب والترويج .. وعويس خلاصة وسيط بين طالبي المخدر في الفندق ومروجي البيع كنضال وغريب وغيرهم ..ويأخذ العمولة من الطرفين .. فنريد التحقيق حوله ، وهل له علاقة بالجريمة ؟ وهل هناك مخدرات في القصر وقصور نوفل ؟ هم يؤكدون أن نوفلا تاجر أخشاب فحسب ، لا علاقة له بالمخدرات ، ولم تستغل تجارته للتهريب .. وهل عرف شيئا عن عويس جعله يغدر به ؟..هل هو هناك أكثر من طاهي في القصر ؟ هل تعاطى نوفل المخدرات كزبائن الفندق ؟ وألحق عويسا كطباخ لذر العيون وتوفير

المخدر له ؟ وأنا سأطلب نافزا مرة أخرى للتحقيق ؛ لأعرف قوة وضعف العلاقة بين أمه وعويس ، وعلاقتهم بنضال ومعرفتهم به .

قال وكيل الادعاء : قضيتنا معقدة يا حمزة !

ـ نعم ، يا سيدي .. هي من البداية غامضة رغم أنها بدت بسيطة عند الوهلة الأولى .. رجل عجوز يقتل في عقر داره سيكون السبب المال والميراث ..كنت أظن أننا سننتهي منها خلال أيام وليس أسابيع وأشهر .. لم يكن عويس ظاهرا بدور معين .. وما زال دوره غامض إذا كان له دور في الجريمة .. ونضال لم يظهر على مسرح جريمة القصر .. وللأسف خدم القصر ليس لديهم معلومات وأعاجم لا يفهمون ما يدور في القصر ..فهم لم يسمعوا شيئا مهما ، ولا عرفوا بمجيء هادية .. ولا ساعة إطلاق الرصاص .. مهمتهم تقديم الخدمة ، وتنظيف القصر .. سأعود لزيارة القصر والحديث معهم .

ـ وماذا يفيد التحقيق إذا كان للرجل يد في المخدر ؟

ـ يكون السيد نوفل قد هدد عويسا بفضحه .

ـ هو معروف يا رائد حمزة لدى المكافحة بأنه وسيط لزبائن الفندق فقط وبغض نظر من الإدارة

ـ هناك كلام سمعته من نافز عن عويس لم ألق له بالا آنئذ .. وهو أنه وعد أمه بالزواج منها إن طلقها الحاج ، وأصر على ذلك ؛ لترجع وتعود للسيد.. وذلك لما طردها وابنها إحدى المرات ، وعادت بناء على شفاعته المتكررة .. فهناك علاقة قوية بينها وبين عويس ، وقد كان صديقا لزوجها غريب .. وزبونا عندهم .. وله مصلحة تكشفت لنا الآن وصداقته كذلك لنضال خوخو .

قال : أي مال سيكون للزوجة سيستفيد منه نافز ونعيمة وزوج نعيمة .

ـ إذا عرف قاتل نضال سيعرف قاتلنا يا سيدي ! وإذا عرفنا قاتلنا سنعرف قاتل نضال !

ـ والمرأة هل قتلت عمدا ؟

ـ الظواهر تدل على ذلك.. لكن كيف عرف القاتل نضال وقت خروجها من العيادة ؟! ليترصد

لها ويدعسها هي ، ولا يخطئها ، ويصيب امرأة أخرى .. جريمة محبوكة .

ـ ولن يعرف أحد أن المقصود هادية نفسها ..إنه حادث دعس متكرر كل يوم في شوارع مدننا

ـ عندما نعرف عويسا أكثر ربما يتحرك الموضوع .. فدوره في القضية غامض .. فهو يعرف القصر والحاج ونافزا والمسدس ونظام الخدم .. إذا اتضح أن له هدفا في القضية والمعمعة سيكتشف الكثير من الغموض .

ـ أنت متفائل !

- لابد من معرفة الجاني والوصول إليه .

▲

لبى نافز غريب دعوة الشرطة ، فهو كسائر أولاد نوفل ينتظر انتهاء التحقيق ؛ ليرث حصة أمه ويعرف قاتل السيد ، فلما جلس أمام المحقق حمزة رُحب به ، وقدمت له القهوة ، أشعل سيجارة ونفث منها عدة نفثات ، فقال حمزة : هل تتابع أنت قضية دعس والدتك ؟

قال متظاهرا باللامبالاة : علمت من أختي وزوجها أنكم تتهمون رجلا اسمه نضال ..وقد وجدتموه مقتولا في الصحراء .

ـ جيد ! اسمع يا سيد نافز .. أنت تعلم أنك كنت أحد المشتبه بهم في قضية مقتل سيد القصر .. وثبت بعدك عن مسرح الحادث تلك الليلة .. وقد توصلنا بالتحقيق المضني أن قتل أمك كان متعمدا ..وأن السيد نضالا المقتول في الصحراء كما تقول هو المنفذ للدعس .. فكيف معرفتك به ؟ فقد كان صديقا لوالدك قبل موته من عشر سنوات .. وهو يعرف والدتك حق المعرفة.

ـ بل هو صديق للعائلة رغم هلاك أبي .. أنا مات والدي وأنا ابن أربع عشرة سنة .. ونعيمة تكبرني بعامين .. فنحن نعرف السيد حق المعرفة كشخص وصديق للأسرة للوالد والوالدة .. وهو معروف لدى العائلة بتجارة المخدرات وبيعها وتهريبها .. أبي كان سائقا يعمل على سفريات خارجية بين عواصم الدول العربية وتركيا وأوروبا الشرقية .. وكان أحيانا يعمل على شاحنات سيارات كبيرة هكذا قضى حياته ..ونتيجة هذا العمل تعلم التهريب وتعاطي

الحشيش وغيره لزيادة الدخل والكيف .. كان مهربا صغيرا يعمل لغيره .. هذا علمناه من أمنا لما كبرنا ووعينا .. كان والدي ، وكذلك والدتي من أهل السكر والتدخين وبعض المخدرات وتعرف أبي على أمي في مدينة طرابلس في لبنان وتزوجها .. وعاد بها لبلدنا هذا .. وكان السيد نضال يكلف الوالد بنقل المخدرات المزروعة بالدول العربية إلى دول أخرى .. فهو صديق الوالد منذ تعرفا .. وبعد موت أبي بانقلاب سيارته وموته ظل صديقا للعائلة .. وعلمنا أنه فكر بالزواج من أمنا بعد ترملها ولم يحدث النصيب كما يقال ..ولما مات أبي لم يترك لنا الكثير من المال .. فكان ينفقه على شرابه وقماره .. وترك لنا الشقة التي نعيش فيها قبل زواج أمي من نوفل والسيارة التي كان بها مقتله بيعت بمبلغ زهيد .. فهذه يا سيدي قصة أبي مع نضال .. وأنا لما تعرضت لحادث بسبب الشراب أيضا فأثّر الحادث على بدني وعقلي .. فأصبحت ضعيفا لا أستطيع العمل المتتابع .. وساعدتنا بعض الجمعيات حتى تخرجت نعيمة وعملت في أحد البنوك .. وتعرفت على زوجها وكانت تساعدنا إلى حد ما .. وعشنا .. وكان نضال يتكرم علينا بين الحين والآخر ببعض المال .. والسيد عويس ظل يدعم الأسرة حتى تعلمت أنا ونعيمة ؛ ولكن الحادث أبعدني عن العمل كليا ..فهو قريب لأبي ولي قرابة بعيدة .. وهو الذي أقنع أمي بالاقتران من السيد نوفل لتستفيد قرشين كمهر وميراث .. وهو استفاد عمولة مثلنا .. والسيد نوفل مطمع كصندوق مال .. فهو كبير في السن غير قادر على الجماع .. فزوجته الميتة منذ عشر سنين لم يقربها لمرضها ولضعف طبيعته ؛ لكنه رغب بالزواج ظانا بأنه سيعود شبابا .. وليقنعها به تعهد بالزواج منها إذا فشل الزواج بسرعة عندما يكتشف السيد أنه لا يصلح للنساء .. وعويس ذو زوجة عليلة من عهد بعيد يرعاها ابنهما الوحيد .. وهو كما تعرفون طباخ فندق وحفلات خاصة .. وصاحب كأس وبعض الميسر .

ـ والمخدرات .

ـ ربما .. أنا لا أعرف عنه ذلك .. هو يساعد ويرشد إلى من يبيع ويشتري مقابل سمسرة فبعض رواد الفنادق التي يعمل فيها يوفرها لهم مقابل المساعدة وبغض نظر من أصحاب الفنادق ..

فهذا معروف عنه ، والشرطة كما يقول تعرف ذلك عنه .. وكان أبي يوفرها له عن طريق نضال ثم تعرف على نضال وغيره مباشرة ؛ لأن أبي أحيانا كثيرة يكون في رحلة تستغرق أياما وأسابيع فعرفه على نضال ورفاقه ..وأنتم تزعمون أن نضالا قتل أمي ..ونضال قد مات فهل هذه الحقيقة ؟! الله أعلم ..وتباع المخدرات بواسطة خدم الفندق ينقلون الرسالة لعويس ، وهو يفهم الطلب لأني أحيانا كنت أذهب بها له مقابل حصة من المال .. أريد أن أعيش وأشرب .. المال مذلة للرجال !

وقف حمزة وقال : استدعِ يا عماد الطاهي عويس .. شكرًا نافز أفندي .. قد تكون قضيتنا أشرفت على النهاية؛ لتكسب ميراث أمك ، وتصبح ثريا .. السيد نوفل لا يتعاطى المخدرات

ـ نوفل ! أبدا هو رجل نظيف ، يصلي ويصوم ويقرأ القرآن !



عويس

لبى عويس نداء المحقق حمزة وجلس في غرفة التحقيق ، وسمح له بشرب القهوة وتدخين سيجارة ؛ ليذهب ما به من توتر ، وسمع الضابط يقول : عويس سبق أن تحدثنا معك حول مقتل سيد القصر نوفل ، وبعد دعس السيدة هادية ، وترجح لدينا القصد الجنائي ، وتبين لنا أن الفاعل يعرفها ويعرفك ..وهو القتيل نضال خوخو .. فعلمنا أن لك علاقة ومصلحة بالسيد نضال الذي قتل في مكان مهجور على الطريق الصحراوي .. وأكد السيد نافز هذه العلاقة!

ـ لقد التقيت بالضابط المحقق في مقتل السيد نضال .. ونضال شخص معروف للبوليس كتاجر مخدرات ومهربات .. وهو سجين سابق ..وأنا تعرفت عليه عن طريق والد نافز وزوجته هادية التي دهسها ، كما أصبح معلوما للناس من شهر مضى .

ـ جيد يا عويس ! علمنا أنك مهدت الطريق لبيع المخدرات لزبائن الفندق الذي تعمل فيه وغيره ، وخاصة للأجانب والغرباء .

ـ هذه قضية أخرى يا سيدي ! وهذا تعلمه الدولة ، وتغض النظر عنه لدعم قطاع السياحة .. وأنا أستفيد بعض المال .. وإن بدا سريا فهو معلوم ..أنا لا أدخل المخدرات للبلد من الموجود

ـ هذا معروف لدينا يا سيد عويس ! ولا يهمنا ذلك .

ـ أنا مهنتي الطبخ خاصة الطعام الشرقي القديم .. عملت في مطاعم سياحية كبيرة والفنادق الكبيرة .. هناك أناس يحبون المطبخ القديم والتقليدي كما أن هناك من يحب الطبخ الغربي .. وأتقن بعضه ، ولست بارعا فيه .. أثناء العمل في هذه الأماكن عرفنا أن بعض الرواد يطلبون المخدرات كالحشيش والمار جوانا كما يسميها الأمريكان والمهلوسات .. ومع الوقت أصبحت أستطيع المساعدة بمعرفتي لقريبي غريب وعلاقته بها ..وقد كان معروفا في العائلة الكبيرة بتعاطيها لعمله وسفره الدائم فساعدني بتوفيرها خفية للزبائن .. والإدارة لا تتدخل في منعها ولكن يكون الطلب عن طريق خدم الغرف والقاعات .. ونتيجة لكثرة سفر قريبي غريب اضطررت للتعرف على مروجين غيره لتأمينها لهم في أي وقت .. الحاجة أم الاختراع .

قال حمزة ضاحكا : الحاجة أم الاختراع.. جميل هذا منك!

ـ وهي وأنت سيد العارفين تباع ولو سرا في الملاهي والنوادي الليلة وحانات الخمور للزبائن الموثوقين .. وأنا أجمع بين التاجر والزبون .. إما في أماكن عامة أو مقاهي أو موقف سيارات الفندق حسب رغبة الزبون .. وأخذ عمولتي من الفريقين .. أنا لا أبيع ولا أشتري .. مجرد وسيط .. وقلت هذه الخدمة بمعرفة أصحاب المطاعم والفنادق دون قرار رسمي كما يقال .. فهي أماكن الأصل ألا تباع فيها أو تُمارس بحكم القانون العام .. وهذه الأصناف كما أسمع أنها مباحة في بعض الدول .. ولا تحرمها خاصة بعض الأنواع كالحشيش .. والفندق لا يتقاضى عليها أجرة ؛ إنما يسكت عن تعاطيها وإدخالها للزبائن .. الخدم هم يخبرونني بالأمر وأنا أتصرف بخبرتي وبسرية تامة .. ويؤمنها غريب قبل موته أو نضال أو غيرهما ؛ لأنه لا يصح ترك الزبون ينتظر ظهور ووجود هذين الشخصين .. هناك غيري سيدبرها لهم .. ورجال المكافحة يعرفون هذه الواسطة ؛ لأنها تؤمن بكميات ضئيلة للتعاطي فقط .. وأيضاً لنجاح السياحة .. وهؤلاء قادمون للفرح والانبساط والكيف ؛ وليس فقط مشاهدة الآثار القديمة وتصويرها .. والسياحة كما تعلم تحتاج للكيف والدعارة وتوفير الممنوعات .

ـ أفهم ذلك .. فالسائح طائر مهاجر ..فمطلوب أن يترك أكبر كمية من المال لدعم الحركة السياحية والدخل القومي .. صراحة هل للسيدة هادية علاقة بالدعارة على ذكر الدعارة ؟!

سكت عويس دقائق يفكر ثم قال : هي أرملة منذ أكثر من عشر سنوات .. وأنا تعرفت عليها بحكم قرابتي لزوجها الأول .. علمت ولم أتحقق أنها كانت زوجة قبل أن يتزوجها غريب .. هو تعرف عليها في ملهى أو حانة خمارة في طرابلس الشام .. وأتى بها وتزوجها .. والحق أن زوجها كان يكلفها بنقل الممنوعات سواء للخارج أو الداخل .. وولدت له نافزا ونعيمة ، وأنت تعرفهم .. ولما مات زوجها الأول غريب كان وضعها المادي سيئا ومأسويا .. وكان الرجل يبيع ويهرب لقضاء شهواته وملذاته .. حاولت بعد ترملها العمل بالدعارة والنوادي الليلة والبارات ؛ لكنها كانت كبيرة فوق الثلاثين ، ليست مرغوبة كثيرا للقوادين .. أولئك

يحبون الفتيات الصغيرات دون الثلاثين .. لم توفق في بيع جسدها كثيرا .. وأقول بصراحة إنها حملت سفاحا بعد ترملها .. فاضطرت لعمل عملية إجهاض فأصبحت تقدم خدمات جنسية للكبار فحسب .. وكنت حقيقة أوفر لها الزبائن في الفنادق والنوادي الليلة التي أعرف أصحابها فتستفيد هي بعض المال وصاحب الملهى والفندق نصيبا منه .. وتنفق على أبنائها حتى تعلموا وتخرجوا من الجامعات ..وساعدت نعيمة قبل زواجها وبعده بمساعدة أمها وأخيها .. وتوقفت المساعدة بزواجها من السيد نوفل الذي كان بحاجة لخدمة جنسية بدون معاشرة مباشرة .. كنت أتصل بها وتحضر لمكان ما ويأخذها الزبون إلى حيث يريد سواء في شقة خاصة أو الفندق أو الملهى .. لم تكن تُمارس الجنس بعد الإجهاض ؛ إنما تقدم خدمات يسمونها جنسية الشباب يبحث عن الصغيرات ، والكبار يبحثون عن الكبيرات ؛ وربما لي أكثر من خمس سنوات لم أطلب منها خدمة كهذه يا سيدي ؛ ولكن ربما عن طريق نضال فبينهما علاقات جنسية من أيام زوجها حتى كادت تطلق لما عرف غريب بذلك ؛ ولكن نضالا هدده وخوفه فسكت عنها ولما رأيت السيد نوفلا يرغب بالزواج أي زواج .. المهم أن يكون على فراشه امرأة يلهو معها .. تحمست وأقنعتها بالزواج منه والحياة معه .. قد تعجب إذا قالت لي إنه رجل كبير لا يصلح للنساء ، وكانت ابنة خمس وأربعين سنة .. فذكرتها بسنها وستعيش معه كم سنة وتغرق بالمال والأشياء .. وللعلاقة بيننا وافقت وقبلت الزواج والحياة كخادمة للسيد وتغرف من مال السيد مالم تغنمه في حياتها كلها .. ولكن ابنها أساء للحياة في القصر ، وسبب الكثير من المنازعات للسيد ولأمه حتى وصل الأمر لنهايته وهو الطلاق .

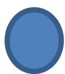
ـ لكن نافزا يقول إنك وعدتها بالزواج إذا طلقت وفشل الزواج .

ـ قلت لها ذلك لإقناعها .. وأنا لي نصف زوجة .

ـ سيد عويس هل السيد نوفل يتعاطى المخدرات ؟

ـ لا ، كان الرجل من أهل الصلاة ، ويذهب لصلاة الجمعة في المسجد كالناس .. الرجل من كبار التجار ، وكان يحكم إدارة عدة شركات أيام قوته .. وكان يعمل حفلات ومناسبات في

الفنادق والمطاعم الكبيرة للموظفين ولضيوفه الكبار الذين يستورد من بلادهم للترحيب بهم وكان يطلب مني في بعض الأحيان ـ أراه مضطرا ـ بأن أقدم خدمة من نساء ومشروبات لهؤلاء الأجانب .. وقد تعرفت عليه من خلال الفنادق التي عملت بها .. فأنا كما قلت لكم أتقن الطهو القديم ، وتعرفت عليه من خلال الخدم، فقدموني إليه وتصاحبنا إلى حد كبير .. وطلب مني قبل سنوات العمل لديه في القصر لنصف نهار مقابل أربعمائة دولار شهريا .. والمبلغ مغر لي ، فقبلت ، فأعمل على توفير وجبة الغداء ، وتحضير المطبخ ، وأجهز وجبة العشاء .. وأنصرف .. وأي دعوة يدفع أكثر .. فكان عملي يبدأ من التاسعة صباحا حتى الثالثة شتاء والرابعة صيفا لطول النهار .. وفي الليل أعمل بفندق.



عاود حمزة ونزار الاجتماع لمناقشة القضايا ، فقال حمزة : هل قتل نضال السيدة للعلاقة القائمة بينهم بشأن المخدرات والجنس ؟ولماذا قتل هو الآخر ؟! هؤلاء يقتلون لاحتراق أوراقهم لدى العصابات .. ونحن لا نرى أثر عصابة في جريمة نوفل .. ونضال معروف بعمله وحده في السنوات الأخيرة من حياته .. ويستعين بالآخرين بمهمات معينة ، ثم يصرفهم مقابل عمولة يدفعها لهم .. وقضى نصف عمره بين السجن والتوقيف .. والمرأة قبل زواجها من نوفل كانت تعمل في الدعارة بشكل متقطع ومتباعد .. تعمل شغلا خاصا بها عن طريق عويس ونضال وربما آخرين لم نعرفهم .. وزوّجها عويس للرجل للهفته على الزواج وعودة الحياة إليه بعد ترمله ..وعويس كان يحلم بثروة من ورائها ؛ لكن ابنها سبقه إلى ذلك .

ـ قد يكون صادقا بما اعترف به ؛ لكنها مع نضال كانت تكلف بترويج ونقل بعض الصفقات السريعة ، وكانت له كعشيقة .. هو لا زوجة ولا أولاد .. وابنها يزعم غير ذلك.. وأنها تركت المخدرات من وفاة أبيه ، وأنها شريفة لا تُمارس البغاء ، وهي أشرف أنثى على الأرض كلام ابن فاسق .. كانت تتحصل على المال بعد ترملها من التوزيع والنقل والجنس .. نضال يستخدمها عند الاضطرار ، فهي مكشوفة ومعروفة لرجال المكافحة .. ونحن نتظاهر أحيانا بالجهل ؛

لنعرف الوجوه الجديدة ، ولا أعتقد أنه وصل لمرحلة أن يقتلها بسبب المخدرات .. فهي كانت غنية في السنة الأخيرة ، وليست بحاجة لنقل بضع غرامات لتأخذ بضعة دولارات أعتقد أنها دعست لإخفاء شيء تعلمه عن مقتل نوفل .. وعويس يتردد عليها في الزمن الأخير لماما ، لم يعد بحاجة لخدماتها لزبائنه .. فلديه معارف غيرها ، وأصغر سنا منها ..فهو ليس الوحيد في الفنادق يقدم نفسه للسياح والخدم ، فغيره كثير .

ـ لو كان لدى عويس هدف في قتل السيد لماذا ؟! سيعود المال لابنها أو للسيدة أولا .. وهي تدفع لابنها ليصمت عن فجورها وخمرها ، وقد ترث القصر كله ؛ولكن السيد لما رأى موقف أولاده من زواجه أوقف كل القصور والمنازل التي يملكها لدائرة الأوقاف الرسمية ، وبعضها للنوادي والجمعيات التي يساعدها بالتبرعات

ـ يخيل لي يا حمزة أن الرجل زوّجها لنوفل ليتزوجها بعد موت الرجل موتا طبيعيا أو جنائيا .. طمع بثروة الحاج لما رأى لهفته على الزواج .

قال حمزة : هل لهذا الطباخ يا سيد نزار هذه العقلية المدبرة والمخططة لمثل هكذا جريمة أو جرائم ؟ هل يصلح أن يكون رأسا ؟ لا يبدو عليه الذكاء أمامي .. إنسان يعيش على الهامش .

ـ ضابط المكافحة يقول إن السيد نضالا يملك عقلا إجراميا كبيرا ، وقدرة على السيطرة والإقناع لصغار المجرمين .. وهم يستغربون من طريقة قتله .. والسيدة هادية فتاة بار وخمارة لا تشكل خطرا .. هي تقدم خدمات مقابل مبالغ بسيطة ؛ لتشرب وتدخن وتأكل طعاما فخما هي لا تتعاطى ؛ ربما جربت ذلك في حياة زوجها الأول .. إنها متعلقة بالخمور بجميع أنواعها لعملها في أول شبابها عاملة خمارة .. وقد علمت من ابنها يا حمزة أنها كانت تستغل فرصة خروجها من القصر لزيارة ابنها أو شقيقها أو ابنتها لتشرب كأسا هل يدري السيد بذلك ؟

ـ لم نهتم بهذا يا نزار ؛ لأننا كنا نرى أنها بعيدة عن تنفيذ الجريمة ، وما زلنا ؛ لكنها ربما لعبت دورا دون قصد منها .. هي تشرب ولم تكن مدمنة كما أخبر عويس عنها .. لا تشرب حتى تسكر تشرب لتعودها على ذلك والسيد .. كان يريد امرأة تشاركه الحجرة ..ولما تغضب كانت تعيره

برجولته .

ـ هي بالنسبة له محترمة ، ولم تكن تُمارس البغاء لأنها غير مرغوبة من أهل الزنا ولكن إذا أتيحت لها فرصة تقدم عليها دون تردد بعلم عويس أو بدون علمه .. ولا تمانع بتقديم خدمة جنسية لكبار السن .. والسيد رغم ذكائه ونجاحه في الحياة العملية كان مع النساء تقليديا يثق فيهن أو قل فيها .. وهي ليست جميلة ليحرص عليها أصحاب النوادي وعلب الليل .. باختصار علمنا أنها تقدم خدمات جنسية لمنحرفين بحكم تعودها على ذلك مقابل المال .. تغيرت حياتها في القصر إلى حد ما ؛ ولكنها بقيت على حالها المنحرف .. زواجها كان لزمن وضمن لعبة .. لعويس دور فيها ولنضال أيضا.

ـ هل من خطر على حياة عويس ؟!

ـ لا أدري أصدقاء نضال في السجن يرونه نكرة مجرد مراسل بريد .. عندما يطلب منها خدمة ولا علاقة له بتجارة المخدرات .. حياته المطبخ والشراب والسكر وقليل من الميسر .

قال نزار : يمارسه مع زبائن الفندق وأصحابه في الحي أو المقهى .. يتسلى ليس مدمنا عليه .. وعلى كل حال نحن وضعناه تحت المتابعة والرصد ، ونتتبع أخباره .. طريقة استئجار السيارة مريبة يا حمزة السيارة التي دهست المرأة .. وسجل هاتفها فيه عدد من الاتصالات مع عويس ونضال وحتى ليلة مقتل السيد نوفل سجل أكثر من اتصال معه ، بعضها مجرد اتصال دون كلام ضرب رقم فقط .

ـ هو كما نعلم صديقها ، وهو طباخ نوفل ، وكان يتدخل كثيرا في الإصلاح بينهما ، ويصبرها على الحياة الزوجية .. وابنها هو الذي كان يفسد الأمور والحياة الزوجية .. وهو الذي دفع السيد للتصميم على طلاقها على غير رغبة عويس .. وترتب في النهاية أن يكون الطلاق قانونيا لدى المحكمة ..والفائدة لم تكن كبيرة .. عشرون ألف من الدنانير المحلية .. فهذا مبلغ بسيط أمام الميراث .. هل هناك تدبير بينها وبين عويس ؟ من المنفذ ؟ هل يذهب السيد لفتح البوابة له بنفسه ؟

ـ يستطيع الاستيلاء على المفاتيح .. فله مدة يعمل في القصر .

ـ لم يثبت أنها كانت تعطي عويسا مالا .. العكس هو الصحيح يا نزار ؛ إنما استفاد من إقناعها بالزواج منه ، وأخذ هديته من السيد .



أصبح البيت المهجور أو الغرفة الوحيدة المهجورة تحت مراقبة دوريات الشرطة ، ورجال مكافحة تهريب المخدرات ، فقد رفعت عند اكتشاف الجريمة جميع البصمات التي وجدت هناك وقد تم تصوير المكان والجريمة وآثار عجلات السيارة ، وعرفت الشرطة من المكافحة أن لنضال زوجة تزوجها خارج البلد ، وأحضرها معه ، ولم يوثق عقده عليه في بلده ، وهي تعمل معه في التهريب حسب المعلومات المثبتة عنها ؛ لكنها لم توقف أو تحبس في البلد ، واعترفت المرأة الأخيرة فريدة للشرطة بأن زوجها أودع لديها قبل موته بزمن مبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي ولما سألته عن مصدرها من أين ؟ قال : صفقة فقط! وبعد أيام قليلة أعطاها خمسة أخرى ، وقال : باقي الصفقة ! واعترفت أنها تساعده في التهريب كلما احتاج إليها ، وبينت للبوليس أنه يعقد صفقاته في البيت أو المقهى ، وهناك أماكن أخرى تجهلها ، وأخبرت أن جل وقته في المقاهي والحانات ، وأنها تزوجته منذ سنة ونصف ، وأخبرت أنها لم تلد منها ، وهما اتفقا على ذلك ، واعترفت أنها لا تعرف الكثير عن حياته وأسراره ، وأنها تعلم أنه رجل شرير ومحتال ، ويعمل في التهريب ، وهي بحاجة لماله أكثر من بدنه .

ورجحت الشرطة أن هذه الصفقة قد تكون بسبب قتله لهادية عشيقته وصديقته لعشرات السنين ، وأنها لم تكن صفقة مخدرات لعدم دخوله وأعوانه في هذه الفترة بمهربات وممنوعات ولضآلة المبلغ ـ وهي فترة مقتل نوفل ثم هادية ـ فهي صفقة لقتل المرأة التي عاونتهم بالقضاء على نوفل بعد أن صمم على طلاقها ، وأنها تعرف شيئا عن الجريمة ، ظنوا أن هلاكها بحادث

سير سينتهي بموتها وتقييد الحادثة ضد مجهول .

وأعادت الشرطة التحقيق مع نعيمة وزوجها أنور في شأن تلك الليلة الغامضة والزيارة الغريبة، وأعادت المرأة أن أمها كانت عندها دون شقيقها ، وكانت تتحدث في الهاتف هنا وهناك ، وتكلمت ليلتها مع السيد ، وطلبت اللقاء به قبل الذهاب للمحكمة لإجراء الطلاق قانونيا ، ولما قبل السيد الزيارة تلك الساعة من الليل اضطر أنور لحملها في سيارته . وقال : أنا لن أدخل سأقف أمام القصر . وأكد الزوج هذه المعلومات ، وأنها رنت عليه من هاتفها عند وصلوهم للبوابة الخارجية ، وفعلا كان في الانتظار ، وفتح الباب وأدخلها ، وحياه بيده بالإشارة ، وكان يلبس كوفية حول رأسه، وأنه يعرف هيئة السيد ، لقد جلس معه عشرات المرات في القصر خلال سنة زواجهما ، ودخلت السيدة وغابت ما بين عشر وربع ساعة ، وخرجت وردت الباب وراءها ، لم ير السيد عند إغلاق البوابة .. هي ردت الباب ، ودخلت السيارة ، وأعلنت أن الأمور ستحل في الصباح ، وقبل الذهاب للقاضي .. وفهم من كلامها أنها سترجع زوجة للقصر ، وخلال العودة لم تتكلم كثيرا لزمت الصمت ..ولما سئل عن سبب عدم إفصاحها عن هذا اللقاء أثناء التحقيق الأول ، وتكلمت عند الموت . فقال: أنا لم أدر ماذا قالت في ذاك التحقيق ؟ ولا حتى ابنتها ، ولم نهتم بما قالت لكم .. كنّا نحس بقلق أن يكون لنافذ دور في الجريمة للمشاكل القائمة بينه وبين السيد .. وإنه ذهب في ساعة غضب وسكر وقابل السيد وقتله ، وأراد الانتقام لأن السيد عويسا بهدله وحقره .. وفاض به الكيل فلما سمعنا بهذا التصريح في المستشفى أكدنا ذلك اللقاء يا سيدي المحقق ..أنا لم أنزل من السيارة ، ونحن كنّا نسعى للصلح بينهم .. أنا ونعيمة وعويس وبعض أقاربهم .. أوكد فتحت البوابة ، ودخلت ، ورفع الرجل يده محييا ، وأدخلها .. لم أذهب للسلام عليه .. وهو بالطبع لم يفعل .. وانتظرت حتى عادت بعد وقت قصير ، وفهمت من كلامها معي أن أمر الطلاق انتهى ،وأن الصلح قادم وباركت لها العودة ، وعدت بها لبيتي ، وجاء الخبر صاعقا في أول الصباح .

مشى حمزة ونزار للمستشفى الذي ماتت فيه هادية ، واجتمعوا مع بعض الممرضات اللواتي

شاهدن اللحظات الأخيرة للسيدة ، وكررن ما قيل للشرطة ، وإنها كررت تلك المعلومة أمامهن " أنا كنت في بيت الحاج تلك الليلة "

فقال نزار : هكذا قالت !

ـ نعم ، فعرفنا أن ذلك شيء تعرفه الشرطة .

فقال حمزة : أتراها لم تر السيد ؟ وأن القاتل هو الذي فتح لها الباب واستقبلها ، وأشار بيده لأنور ليوهمه أنه الحاج نوفل ، وأنه سيد القصر .. لقد أخبر مفتاح أن البوابة كانت مغلقة ، وأن الخادم هو الذي فتح له ، وسمع صوت المفتاح ، وأخبره الخادم فور دخوله أن غرفة السيد مغلقة ، والسيد لا يفتح وأنه كان على وشك الاتصال به .

ـ التقرير الطبي يؤكد أن الجريمة كانت في ذلك الوقت .

ـ التقرير الشرعي يضع ساعتين لحدوث الوفاة الواحدة والثالثة .. المرأة تقول إنها تركت القصر في الثانية فجرا ، وكان بينهما اتصالات .

ـ قد تكون الاتصالات بينها وبين القاتل من تلفون السيد القاتل يا حمزة ..قتله بمعرفة السيدة والسيدة تعرفه ومتآمرة معه ..أتصور ما حدث .. الرجل قتل بعد الواحدة ، ورتبت ساحة الجريمة .. وجاءت السيدة تلك الليلة زاعمة أنها قابلت السيد لبضع دقائق هل هذه الدقائق حلت القضية ؟ إنها قابلت القاتل الذي لبس بعض ثياب السيد ليوهم زوج ابنتها أنه السيد .. فحياه باليد وأدخل المرأة ومكث معها تلك الدقائق ، وغادرت ليوهم المحققين أن الجريمة حدثت بعد الثانية .. ولما اختفت اختفى هو الآخر ؛ ليس بالضرورة أن يترك سيارته قرب القصر .. ولما شعر بالخطر من جهتها كلّف نضالا بدعسها ليبدو لنا أنها ماتت بحادث سيارة طائش ، ثم اضطر لقتل نضال بعد أن عرف أننا عرفنا السائق الهارب .

ـ من يكون ؟ عويس وماذا يستفيد من كل هذه الجرائم ؟!

ـ الدافع للجريمة الأولى غير واضح .. والمرجح أنه المال .. قد يكون الرجل دفعها للزواج منه لترثه ويتزوجها كما تحدث ابنها .. ولما صمم الرجل على الطلاق عجل بالفتك به .. فهي لعبة

بين يديه فهي سترث ما دامت زوجة ، لم تطلق قانونيا ، وما زالت في العدة الشرعية كما هو معمول به في بلاد المسلمين .

ـ وهل ترى أن عويسا بهذه القدرة والمكر ؟

ـ هو ليس بهذه القدرة الذهنية والمكر .. الظروف خدمت الرجل .. هو لم يفكر بالجريمة ابتداء لحظ لهفة الحاج للزواج ورفض الأبناء ولجوء الرجل إلى طباخ فلم يصدق عويس ما يحدث واستغل الظروف .. وتذكر هادية أنها امرأة تقدم الخدمات الجنسية لكبار السن والشواذ .. ورتب أمر الزواج والصفقة مع السيدة .. ولا تنسى دوره المستمر في الإصلاح بينهم ؛ ولكن ابنها أفسد خطته وحياتها ، وصمم السيد بعد صبر على إنهاء الزواج .. وقد يكون أحد الأبناء والبنات طلب منه ذلك ليقوما بتزويجه بعد مرور العام على وفاة أمهم .. فهي لم تكن مقبولة منهم .. وكانوا يرونها فتاة شوارع وبارات .

قال حمزة : هذا صحيح ..لا أحد يتكلم عليها بالحسنى .

ـ فلما خشي الفشل ..تطورت الجريمة في قلبه وذهنه .. ولو استخدم السم بالقتل لانفضح ؛ لأنه طباخ السيد ، واتُهم بذلك فورا .. وهو بحكم عمله في القصر هذه السنوات يعرف مكان المسدس أو المسدسات التي يصطاد الرجل بها القطط .. ويستطيع تقليد المفاتيح دون أن يعرف أحد بذلك .. وهو الذي أقنعها بالزواج بعد ترملها كل هذه السنين ومن رجل عجوز هو يعلم أنه لا يصلح للزواج .. وكذا مرة كاد يفشل الزواج بسبب ذلك ، وتأكد عجز الرجل التام ولكنه يرممه .. فهم كانوا يتوقعون موت الحاج خلال شهور أو سنوات قليلة على الأكثر ليتزوجا ويتمتعوا بثروة نزلت عليهما من السماء .. وهو الذي يستطيع إقناع السيدة بالمجيء تلك الساعة من الليل بزعم مقابلة السيد .. نحن بحاجة لمعلومات دقيقة عنه .

ـ المرأة لم تقابل ذات الزوج ! ـ الخدم لم يشعروا بما جرى .

ـ استيقظوا على صوت غامض لهم .. صوت داخل القصر ، ثم عادوا للنوم ؛ لعلهم سمعوا صرخة الميت ، لم يسمعوا صوت الرصاص .

عاد حمزة يسأل : ولماذا دفع عويس خمسة عشر ألف دولار لقتل السيدة شريكته وهو يريد أن يرثها ؟ فموتها يمنع عنه الزواج والمال .

قال نزار : هو لم يفكر بموتها إلا مضطرا للحفاظ على حياته هو .. فبعد الزواج يقتسمان المال فالمرأة فاسدة قبل أن تعرفه ؛ ولكنه استغل فسادها لصالحه .. يقدمها لزبائنه مقابل المال .. وهي معتادة على ذلك ؛ وربما منذ حياة زوجها ما دام أتى بها من بار لبناني .. وقد عملت إجهاضا بعد ترملها .. وكانت تنقل المخدرات لغريب ولنضال ، وتقدم خدمات جنسية لمن شاء لتسكر وتخمر .. وقل نشاطها في السنوات الأخيرة لكبر سنها ، ولم تقبل الزواج من الشيخ ابتداء كما أخبر ولدها لولا تدخل عويس القوي .. أما لماذا قتلها فقد أصبحت خطرا عليه ؛ ربما خشيت أن تلبس الجريمة ابنها ما دام ابن السيد أبعد عن الاشتباه بعد أن شكت الشرطة بابنها .

ـ هذا الكلام إذا كان الفاعل لقتلها نضال بتكليف من عويس ..إذن علينا معرفة تحركات عويس في الأيام التي قبل الجريمة.. التحقق من حركات عويس في تلك الفترة .. هو لا يملك سيارة ؛ ولكنه يملك رخصة القيادة .. هل هو الذي خطط لنضال لاستئجار تلك السيارة ؟لا أكاد أحتمل أن يكون هذا الرجل بهذا الذكاء والتدبير .. لقد التقيت به عدة مرات .. هل يعرف تلك الطريقة الملتوية في الاستئجار ؟ هو وسيط جيد في مثل هذه الحيل . .لعبها هو ونضال .. أنا لم أقابل ذاك النضال ؛ ولكن من كلامكم يدل على أنه أذكى وأخبث من عويس قبض خمسة عشر ألفا أمع عويس هذا المبلغ ليدفعه لنضال ليدعس ؟ ثم قتل نضالا المجرم العتيد كيف تركب هذه ؟

ـ حبة مخدر يا حمزة يرقد الثور لدقائق لساعات .

ـ مخدر ..ممكن هذا!

متابعة

"الاشتباه سهل ؛ لكن إثبات التهمة صعب" هكذا قال عماد لما سمع كلام حمزة الذي نقله عن نزار المحقق في جريمة مقتل نضال .

فقال حمزة : هم يشتبهون أن عويسا وراء هذه الجرائم ، وأنه قتل نضالا ..كيف ؟! فهم لا يعرفون .. هم يجعلون علاقته الشخصية بنضال وهادية احتمالا لارتكاب الجريمة ..ومع أن الرجل تحت المتابعة منذ جريمة نضال ما زال واضحا لا غموض في تصرفاته ..إني لا أصدق أنه بهذا المكر والفطنة يا عماد .. وهو لا يفارق العمل كما يقول المخبر أو فريق المراقبة .. هل يعقل أن يكون هذا الرجل بكل هذا الذكاء والمكر ولا يترك وراءه دليلا عليه ؟!

ـ في جريمة القصر يا سيدي لو وجد الدافع والسبب فباستطاعته ارتكاب الجريمة لمعرفته بنظام القصر ، ويستطيع تقليد المفاتيح كلها ، وسرقة المسدس ، ويستطيع سرقة المكتب بأن يأتي ليلا ويكسر الشباك ؛ ولكن القتل مصلحة وغاية .. لمن يقتل لمصلحة هادية؟!

ـ يقتل لمصلحة الثروة المنتظرة .

ـ وأولادها وزوج ابنتها

قال : الزوج يرث .. أليس كالأبناء والابنة بعد الزواج ؟تكتب له نصيبه وحصته ..ونحن نعلم أن الرجل كان له عليها سلطة منذ ترملت ما دام قد كان يقود عليها ويعطيها لتدخن وتشرب ويعرف ماضيها وحاضرها

ـ ولماذا جند قاتلا لها ؟ وهي لم تعترف بدخول حجرته ، وكانت هناك تمثيلية على زوج ابنتها ليشهد أن السيد حيّ عندما قابلها كما يعتقد المحقق نزار .

ـ ولماذا اضطر لارتكاب جريمة ثالثة ؟! وقد دفع مبلغا كبيرا لنضال إذا صح ذلك مقابل قتل هادية

ـ الحل لهذه الأسئلة عند القاتل .. سنقوم بتحريات أدق عن تحركات عويس يوم ارتكاب جريمة قتل نضال أين قضى ذلك اليوم؟

قال : كيف سنثبت ذلك؟

ـ عليه هو أن يتحدث عن تلك التحركات .. أين قضى تلك الأيام ؟ اذهب للفندق وحاول معرفة متى فارق العمل ذلك اليوم؟ ..وإننا سنطلبه بعدما يطلبه نزار ، ويعرف تحركاته تلك الأيام الأخيرة من حياة نضال.. المسافة بين المدينة وذلك المكان كم تستغرق من الوقت؟

قال عماد : قد تحتاج أكثر من ساعتين

ـ سنحسبها بالدقة .. ولا تنسى المسافة بين الشارع العام والمحجر ، وأنها طريق ترابية .. والسير عليها ليس كالسير على الطريق المسفلتة ..وكم من الوقت قضى معه قبل أن يغدر به ؟ وهل مشيا لذلك المكان معا ؟ فهو ينكر معرفته لذلك المكان ؛لأنه لا يعمل بالتهريب .. وهو معروف لدى أجهزة المكافحة للمخدرات إذا ثبت الغياب عن العمل سنحتاج لجردة حساب

وبينما هما يتناقشان في الموضوع رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث الضابط نزار وبدا لهما منفعلا وهو يخبر أن عويسا كان مريضا تلك الأيام ، ومتغيبا عن الفندق وادخل المستشفى قبل الحادث بيوم ، وغادره بعد ثلاث ساعات إلى بيته .. وأعطي إجازة من الفندق ، وشهد ابنه وزوجته وزوجة عويس أنه خرج من المستشفى للبيت ، وقضى أيام الإجازة طريح الفراش .

ـ تطور خطير يا نزار!

ـ نعم ، علينا أن نبحث عن الحيلة التي التقى بها بنضال .. فالرجل رغم بساطته وتظاهره بالنزاهة فهو ماكر وخبيث كما تبين لي من اللقاء بزملاء العمل

ـ أرجو يا سيدي الضابط أن يثبت ارتكابه للجريمة فورثة نوفل ينتظرون انتهاء التحقيق والمحكمة لتوزيع التركة ، وحتى الجمعيات التي كتب له يتصلون من أجل الأموال ، ولهم محامون يطالبون بذلك .

ـ عسى أن نغلق هذه الملفات الثلاثة يا حمزة ..علينا أن نثبت خروجه من المنزل تلك الأيام أثناء فترة المرض .. وستكون النهاية .

النهاية

جاء عادل نوفل الفندق لمقابلة عويس طاهي قصر والده قبل مقتله ، فاعلم أن السيد موقوف لدى الشرطة مشتبها به في قتل السيد نضال خوخو .. فطلب حجز غرفة وصعد إلى الطابق الثامن ، ودخل الغرفة التي جهزها خادم الفندق ، وطلب مسكرا للغرفة وخدمة الغرف الفندقية .. واغتسل ولما خرج وجد المائدة المطلوبة جاهزة فتناول الطعام وسكر وصرف الخادم وكرر الاتصال على عويس دون فائدة .. وبينما هو في هذا الوضع رن الهاتف الخاص بالغرفة .. فرفع السماعة وسمع أحدهم يقول له : عويس على الخط سيد عادل .

ـ أهلا عويس لماذا خطك مغلق؟

ـ أنا لدى البوليس .

ـ سمعت .. لماذا ؟

ـ متهم بقتل نضال المهرب سأعترف .

ـ أنت لست القاتل .. بماذا ستعترف ؟

ـ سأعترف بدوري في هذه الجرائم .

ـ الخط مراقب

ـ الشرطة تسمع المكالمة

ـ حسنا اعترف يا عويس عليّ أن أغلق الخط.. اعترف يا عويس اعترف . واغلق السماعة .

وبعد إنهاء المكالمة سمع صوت طلقة في الغرفة ، فزع أمن الفندق إليها ، فتحت الغرفة التي سمع صوت الرصاصة منها .. كانت غرفة السيد عادل أطلق الرجل رصاصة على رأسه فأردت بحياته .. انتحر !

حضرت الشرطة ، والطبيب الشرعي الذي أكد وأعلن الوفاة بعد المعاينة .. وكانت ورقة على منضدة مكتوب عليها "أنا القاتل" عادل

استدعي الرائد حمزة ونزار فقال حمزة : إذن هو القاتل ..قاتل والده !!

ـ هذه الحقيقة .. كان يريد نصف مليون من أبيه فرفض .. فهدده بالقتل .. فلم يهتم الرجل .. فقتله بمساعدة عويس وتهديده .. الرجل الذي يقدم الخدمات مقابل المال .

قال عويس : أنا أعرف السيد عادلا منذ سنوات قبل أن أعمل طباخا في قصر والده .. وهو أفسد أبناء السيد نوفل وأفشلهم .. ولكنه كما كان يقول السيد : ابني ، ولابد أن يكون أحدهم خائبا وسيئا في العائلة إنه ابني رغم أنفي .. كان نضال صديقه في تقديم المخدرات له والنساء الماجنات ..كان يهوى المتعة والزنا والشراب والخبث والنصب ..وكان ينزل هذا الفندق الذي أعمل فيه وعرفته من خلاله .. وكان يسافر لقبرص واليونان وتركيا للدعارة والملاهي المشهورة في مدن تلك البلاد .. سافر أمريكا للتجارة والمشاريع ففشل هناك كما فشل هنا .. واستقر كصاحب مكتب سيارات أجرة ، وبمساعدة كبيرة من أبيه نوفل ..ولكن أكثر السيارات رهنت للبنوك أو بيعت .. الوالد كذا مرة أقال عثرته لأنه ابنه ، ومن أجل خاطر أمه التي ترمل السيد عنها .. كان يعرف هادية وأنها فتاة دعارة ولا أعتقد أنه مسها جنسيا قبل زواج أبيه منها أو بعده لم تكن تروق له ..أنا لما أدركت أن السيد يريد امرأة ليجدد شبابه كما كان يزعم .. رأيت أن تلك المرأة ستقدم له تلك الخدمة كما تقدمها لزبائنها ..لم تصمد كزوجة ..كنّا نأمل وفاة الحاج بعد شهور ..ونكسب وإياها بعض المال الكثير الذي لدى الحاج .. لم يعجب ذلك عادل رغم تبريراتي له ودفاعي عن ذلك ..وأن طلاقها سيكون أسهل من زواجه لابنة عائلات ..فسكت على مضض .. طالبه عادل ببعض الميراث .. فقال له بقوة : لما أموت يصير ميراثا يا فهيم .. اصبر لم يعد في العمر بقية .. طلب نصف مليون .. رفض الوالد هذا الكلام .. وكنت أعرف ذلك بحكم قربي من الحاج خاصة عند وجبة الغداء فيتكلم أمامي دون تردد .. لي سنوات أعمل عنده .. وأنا من وقف معه عند حاجته للزواج .. وكان يعتبرني كوالد لهادية أو شقيق أكبر .. قام هو بسرقة مكشوفة للمكتب ؛ ولكنه لم يجد سوى نصف الف دينار .. وبعض قطع الذهب.. سكت الأب وإن شكى الأمر للشرطة ؛ لتخويف الابن من المخاطرة مرة أخرى واقتحام غرفة نومه .. ورفض إقراضه كقرض لأنه لا يسد .. وقد اقترض الكثير كما قال ..

هددني الرجل بالقتل إن لم أتعاون معه على الخلاص من أبيه .. سرق مسدس أبيه ومفاتيح غرفة النوم والقصر ..كنت تلك الأيام أظنه لن يقتل إنما هي مجرد حركات صبيانية .. قلت ربما يقتحم حجرة والده ويهدده ليوقع له على شيك ـ كما فهمت منه ـ تحت تهديد السلاح .. كانت هادية مرعوبة مثلي منه ومن ماضيها .. وكانت هادية على وشك الطلاق كما تقرر مع المحامي والسيد .. كان دوري أن أتصل بهادية التي ستكون في بيت ابنتها كما أخبرني السيد عادل لتحضر إلى القصر في الثانية ليلا بصحبة زوج ابنتها .. نحن لم نكن نرى إلا التهديد وتوقيع الشيك .. كنت أجلس في سيارة في منطقة معتمة قريبة من القصر كما طلب مني .. قتل أباه بعد أن تظاهر ليلا أمام الخدم وعامل التصليح بتشاجره وصراخه مع الوالد .. وخرج مطرودا غاضبا وأن المشاجرة كانت بسبب رفضه شراء سيارة جديدة لابنه في الجامعة .. وبعد نصف الليل تسلل للقصر حيث انتظرته في السيارة .. حسب ما أخبرني أن والده رفض التوقيع على الشيك فاضطر لقتله .. وألقى المسدس على سريره وغادر القصر .. وطلب مني الاتصال بهادية التي أتت تمثل دور مقابلة الزوج لإلغاء الطلاق المقرر صباحا وأخذت كما قال عشرة آلاف دولار .. اتصلت بها وطلبت منها أن تضرب على رقم السيد الذي أصبح بحوزة عادل .. وتظاهرت أمام ابنتها وزوجها أنها تتحدث مع السيد نوفل وصدقوا ذلك .. ثم قام أنور حياء لتوصيلها تلك الساعة ولما اقتربت من القصر اتصلت على رقم السيد ، وفتح لها عادل البوابة وقضيا عشر دقائق حول القصر .. ثم انصرفت .. ولما انصرفت السيارة غادر عادل البوابة ومشى إليّ وهو يهددني بالقضاء عليّ إذا تحدثت عن وجوده في القصر أو عن مجيء هادية ليلا ؛ لأنها لا تعرف أنني قريب من القصر .. تورطت فكان عليّ بالصمت .. ومن فعل فعلته لن تهمه حياتي .. وأوصلته للبيت ، وعدت للبيت مرعوبا بعد أن عدت للفندق وشربت بعض الخمر ..كانت ليلة سوداء في حياتي وكان ذهابي للفندق بعد أن أعدت السيارة ممن استأجرتها منه حسب ترتيب السيد عادل طبعا هادية لم تكن تعرف بقتله إلا لما حضرت للقصر .. وقابلته لتنفيذ خطة التهديد .. وبعد أن هدأت الأمور أرادات هادية ابتزاز عادل بعد التحقيق الأول وإخفاءها ذهابها للقصر .. فكلف

نضال بالقضاء عليها دعسا مقابل مبلغا من المال .. ولم تقتل فورا ، واعترفت للشرطة بذهابها للقصر .. وأعتقد أنها قالت لهم إنها لم تقابل الحاج تلك الليلة ، وعاجلها الموت .. واضطر عادل لقتل نضال لما عرف وكشف أنه القاتل لها ، فاستدرجه لذلك المكان المعروف لهما ، وأسقاه مخدرا ، ثم خنقه بسلك كهرباء .. ولما لفظ أنفاسه أزال آثار الجريمة ، وغادر المكان إلى الحدود ثم عاد واتصل بي قائلا : نم مرتاحا يا عويس ، وستقبض المائة ألف عند استلام الميراث .. كنت قلقا على حياتي لقد أصبح وحشا يفترس .. لا أدري لماذا لم ينل مني ؟! ولماذا لم تكشف هادية ذهابها للقصر للشرطة ؟! ربما أراد أن تكون ورقة أخيرة لتضليل الشرطة عن وقت حدوث الجريمة .. أغواني بمائة الف لم قدمته له في جرائمه .. وما كنت أستطيع أن أرفض .. كان يخطط ويدبر .. وأنا أنفذ وأطيع .. أنا اتصلت بها في بيت ابنتها لتتصل على رقم السيد .. ولما أرادات الابتزاز لم تتحدث معي فكان القتل .. وكان دوري معرفة وقت ذهابها للعيادة وإخبار نضال نضال مهرب وقواد ليس له على القتل ؛ لكنه صديقه وهو محترف قيادة .. والمبلغ بالنسبة له مغريا هي ساعة أو دقائق ويملك هذا المبلغ .. وعشرات حوادث السيارات تحدث في المدينة .. وأنا أستحق أيها السادة أي عقوبة ؛ لأنني جبان .. واستسلمت لقواد وأجرمت في حق الأصدقاء ، وعلى رأسهم السيد نوفل .. لم أكن أظن أنه سيقتله .. إنما هو مجرد تهديد وتوقيع على شيك ؛ ولكن لما تعرف بجريمة ستخشى على رقبتك ، وستلزم الصمت .

"تمت القصة"

جمال

* الزواج الخطأ *

أصر بقوة على الزواج بعد ترمله

عارض الابناء بقوة

كانت الزوجة الجديدة سيئة الخلق

فكان الطلاق وكان القتل

واسفر التحري عن نهاية عجيبة ومؤامرة لئيمة

راح ضحيتها قاتل القطط بدون سبب



التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالم المزيف		



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



نفس الشعب

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

نفس الشعب

جمال شاهين



عالم الغرب

شارع خالد في المدينة العاصمة الكبرى يمتد لأكثر من خمسة كيلو متر طولا ، في منتصفه جرى الحادث في شارع جانبي متفرع عنه اسمه شارع احمد بن حنبل جرى حادث الاغتيال .

الحادث جرى في أول النهار ، وقع مع الشروق ، لما بدأت الناس تغادر المنازل إلى أعمالها وأشغالها ووظائفها قبل ضغط المواصلات والطوابير .

كانت سيارة صالون سوداء ألمانية الصنع توقفت في أول الشارع الفرعي ، ونزل السائق كما ظهر للشهود ، وأطلق النار على راكب كان بجواره وأرداه قتيلا . وكان الحادث أمام دهشة المارة ، السائق يطلق النار على الراكب الوحيد معه ، تجمهر الناس حول السيارة والسائق ، كانوا يحدقون في القتيل والقاتل كما بدا لهم ، سمع الناس صوت الرصاص ، كان الرجل يقف جهة باب الراكب ، وبعد اطلاق الرصاص أخرج سيجارة وأخذ بالتدخين ، وقد ألقى المسدس في المقعد الخلفي للسيارة ، تكاثر الجمهور ولفظ القتيل أنفاسه أمام دهشتهم ، وبدا للناس أنه في الخمسين من عمره .

اتصل أحد أصحاب البقالة بالشرطة ، وخلال دقائق كانت أقرب سيارة نجدة تقف معهم .

وقال ضابط الدورية مخاطبا السائق الجالس على مقدمة السيارة يدخن واحدة تلو الآخرة : أأنت قتلته ؟!

فهز رأسه " بنعم "

اتصلت الشرطة بالإسعاف الفوري ، وفريق التحقيق الجنائي ، ومكتب المدعي العام للدولة

قال ضابط الدورية : لست مواطنا محليا يبدو !

قال بهدوء : أنا من عرب عق .

فتجرأ ضابط النجدة فسأل : ماذا فعلت ؟!

قال السائق القاتل بجرأة : أمرت بقتله .. وأنا سائقه.. وبرتبة ملازم مثلك .

دهش الضابط وقال : ماذا ؟! أمرت بقتله وأنت سائقه!

ـ نعم

ـ حسنا .. هي جريمة سياسية إذن !

توجه الضابط للجمهور المحيط والمستمع وصاح : أيها الناس! بارك الله في جهودكم وتعاونكم .. الرجل اعترف بإطلاق الرصاص .. والجريمة جريمة سياسية.. فاذهبوا إلى أعمالكم .

فبدأ الجمهور بعد صياح الملازم يقل رويدا رويدا حتى لم يبق إلا القليل والأكثر فضولا .

حضر المحققون والبحث الجنائي والطب الشرعي ومندوب المدعي العام ، ولما بدأ التحقيق الابتدائي قال السائق بتوتر بدا خفيفا : هذا الدكتور القتيل هو وائل البصري عالم الفيزياء النووية في عرب عق .. وأنا سائقه وحارسه الشخصي .. وأمرت بقتله ؛ لأنه كان يسعى للفرار لأوروبا ألمانيا حيث تعلم .

ودفع هوية خاصة أخرجها من قميصه للمحققين ، تبين أنه ضابط استخبارات وأمن في دولة عرب عق . أمر ضابط التحقيق المكلف بعد كشف الطبيب وتأكيد الوفاة بالرصاص بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ونقلها لغرفة التشريح في مستشفى النصر العربي ، ووضعت القيود في يد السائق الحارس ، وأدخل سيارة نقل المجرمين ، ولما انتهى التصوير بنوعيه الفوتوغرافي والفيديوي أمر المحقق بنقل السيارة إلى مكان ما.

لما سجلت البيانات والاعتراف السريع ، نقل الخبر لوازرة الخارجية للدولة التي جرت على أرضها الجريمة والاغتيال حيث نقلته لسفارة حكومة عرب عق ووزارة خارجيتها .

ونقل الخبر كذلك لزوجة القتيل التي تبين أنها عالمة كيمياء ذات عمل كبير في بلدها ، ومحاضرة في إحدى جامعتها ، وسيفرج عن الجثة بعد التشريح وظهور تقرير الوفاة والتشريح بالتفصيل ثم تدفن في مدافن الهجرة أو ترحل لبلدها.

قال الضابط الرائد نعيم : لماذا قتل يا دكتورة سهاد الفرد في رأيك ؟!

قالت بصوت متماسك : أنا زوجته ، ولا دخل ولا علاقة لي في مصرعه جهارا نهارا .. كنا أعضاء

فريق العمل في تطوير السلاح في دولة القتل والظلم والعبث .

قال نعيم مسكنا من روعها : نحن لا نتهمك يا دكتورة ! السائق الخاص بكما اعترف بإطلاق النار على الدكتور ، وأن الأوامر الأمنية صدرت له بتنفيذ الاغتيال وهو ضابط سري.. وسائق للعالم وائل.

قالت : نعم ، هو الملازم أول سريان أنا أعرف ذلك .. وقد حذرنا قبل الجريمة .. وطلب منا العودة لعرب عق

قال نعيم : ذلك صحيح كما قال.. إذن الدافع رفضكم العودة للبلاد بعد أن قمتم باتصال بسفارات أجنبية سفارة ألمانيا بالتحديد سعيا للهجرة والهرب .

قالت : نعم، رغبنا بذلك ؛ لأننا لو عدنا قتلنا .. فرغم التهديد والوعيد تحدثنا مع السفارة .. ولي لقاء قريب مع السفير أو موظف كبير في تلك السفارة .. السيد درس الدكتوراه عندهم .. ويحمل جنسية مزدوجة .. كنا نرغب بالهجرة والعمل هناك ؛ لكن أسيادنا يرفضون ذلك .. يجب أن نبقى عبيدا عندهم في مختبرات ومعامل سيئة لا تصلح لشيء .



عالمة الكيمياء

سعاد الفرد امرأة الفيزيائي وائل تعلمت في أمريكا علم الكيمياء ، والدهما عالم كبير الفرد جرير وكان مهاجرا قديما من بلد عرب عق ، وترك البلد لما سيطر الشيوعيون على الدولة مع أحزاب يسارية أخرى ، وذلك في زمن الاضطهاد والانقلابات العسكرية ، فلم يستسغ نظام الحكم الظالم والمقيد للحريات الفردية والجماعية ، والقائم على التجسس والاضطهاد ، فرأى الخروج من القطر أخف الضررين وأحسن حالا من عرب عق وبلاد الله واسعة .

واستطاع أن يكون عالما كيميائيا في أمريكا ، وتزوج امرأة من أمريكا الجنوبية تعرف عليها في الجامعة ، وولدت له سعاد وسهاد ، ولما تخرجتا من الجامعة تزوجتا من مغتربين مثلهم عرب ومسلمين ، ولم ينجح زواجهما ، وطلقتا ، وكانت سعاد في بعثة علمية في المانيا ، والتقت بالدكتور وائل الذي كان متزوجا أجنبية ، ولما التقى بسعاد كان هو الآخر مطلقا ، واتفقا على الاقتران ، وعادا للوطن ؛ لأن الدكتور كان مبتعثا للدراسة على حساب النظام الحاكم في عرب عق ، وقد قام هذا النظام القومي العروبي على أثر انقلاب على الشيوعيين واليسار الاشتراكي ، والتحقا ببرنامج يقوم به النظام يسمى " برنامج تطوير الأسلحة " في البلد وقدمت لهما كل الحوافز للبقاء والاستقرار في الوطن .

كان الدكتور مبدعا في مجاله ، ومهتما بتسليح جيش عرب عق ، كان الزعيم الملهم للدولة محبا للحروب والمعارك ، سواء ضد خصوم النظام في الداخل أو الخارج سواء في الشرق أو الشمال أو الجنوب .

كان يرى هذا البلد أنه أهم بلدان العرب تاريخا وجغرافيا وشعبا وغنى وجيشا وبشرا ،كان الزعيم الملهم يزعم لشعبه وشعوب العالم والأمم أنه فريد عصره ، وأنه عظيم سيقيم أمة خالدة وحضارة جديدة ، يكتب عنها التاريخ صفحات مشرقة ،ولما انتهت أكبر حروبه مع جيرانه التي لم يحقق فيها الأمجاد المطلوبة والنصر المؤزر والفريد ، سمح لعلماء الديار بالسياحة في بعض البلدان المجاورة ومنها بلاد الوئام حيث كانت علاقته بها متينة وقوية دون سائر بلدان العربان

فخرج العالم وائل وزوجته سعاد للسياحة في بلد الوئام كغيرهم من العلماء ، ولخشية نظام الزعيم من هربهم وتشردهم أو اغتيالهم كما يزعم أرفق معهم حراسا أمنيين على شكل سواقين لأنه يسيطر عليهم بالخوف والقتل وأسرار الدولة .

وكان الإعلال خشية تعرضهم للاغتيال من أعداء الدولة ؛ كأنهم شرذمة من الأفاقين صنعوا دولة في بلاد الإسلام لخدمة أسيادهم الغربيين .

سكن الدكتور العالم شقة ضمن أرقى أحياء وئام ، والحرس والأمن في الطابق الأرضي من البناية ، وكانت السفارة تؤمن لهم المال والطعام والخدمة كلها .

فزعيم ورئيس الوئام صديق شخصي لزعيم عرب عق ، كانت تنقلات وائل مكشوفة للأمن السري ، وكذلك اتصالاته كان متبوعا من الملازم أول سريان أو الرقيب علي وآخرين ، فهو وإن كان حرا في الحركة والكلام ، كان في الواقع محاصرا وتحت الرقابة بزعم الحفاظ عليه من القتل أو الاختطاف ، فهو مسموح له ارتياد كل الأماكن والفنادق والملاهي والمسارح والنوادي ولكن برفقة أحد حارسيه سريان وعلي ، وكذلك الزوجة سعاد الفرد ، ومهما كانت للرقابة قوة ونشاطا فلها ثغرات ولحظات ضعف وغفلة.

تمارض الدكتور وأدخل مشفى خاصا ، واستمرت القبضة الأمنية بزعم الحماية ، واستطاع عن طريق المستشفى وأحد زواره أن يرسل رسالة خفية للسفارة الألمانية التي رحبت بهجرته فهو يحمل جنسيتها ، ولديه كنز من المعلومات عن بلده ووطنه ، تسيل إليها أجهزة المخابرات الغربية، فهو عالم تطوير أسلحة ؛ لكن كيف سيتخلصون من الحرس للوصول للمطار الدولي؟ واستطاع الحرس المدرب معرفة المحاولة ، لانهم بذلك يحافظون على انفسهم وذرياتهم وأقاربهم ، فلما كشف الاتصال للأمن المراقب ، طلب منه إنهاء الإجازة والعودة لمعمله العلمي فرفض الانصياع وأنه بحاجة للراحة لمدة أطول بعد عمل عشر سنوات متواليات قبل الحرب الثُمانيّة ، فجاء الأمر بقتله قبل هربه إلى الغرب العالمي ، ونفذ الحادث بكل بساطة ، وأمام العامة وفي بلد الوئام .

ألقت الشرطة الجنائية القبض على السائق دون مقاومة أو محاولة هرب ، واعترف سريان بتنفيذ المهمة الأمنية ، وسجلت الجريمة كقضية سياسية ، وكانت النتيجة أزمة سياسية بين الحكومتين وسيكون أمر حلها للزعيمين .. كيف يقتل ويغتال الرجل في بلد الوئام؟!

وكانت سعاد العالمة الكيمائية مهددة كزوجها بالهلاك ، وزاد خوفها من القتل على أثر مقتل زوجها جهارا نهارا دون احترام للبلد المضيف، تريد انقاد حياتها المهددة بأن تسهل الدولة المضيفة خروجها لألمانيا أو أمريكا بعد دفن زوجها.

أصبحت حكومة الوئام العربي في حيرة وارتباك ، فعلاقتها كبيرة ومهمة سياسيا واقتصاديا وعسكريا بعرب عق ، وعلاقتها التاريخية قوية مع أمريكا وألمانيا والغرب عموما ، وتتلقى منهم مساعدات دائمة من عقود ، وهي تحت الحماية والمظلة الغربية منذ تولي الأسرة الحاكمة القيادة والنظام الحاكم بعد سقوط الأسرة السابقة عن سدة الحكم .

هؤلاء الغربيون يرغبون بتسفير العالمة سعاد ، وأولئك يرغبون بعودة الدكتورة سعاد لعرب عق ، ووالدها الأمريكي الجنسية يطالب بسفرها للغرب ، وحكومة عق يطالبون بالإفراج عن رجالهم بدون حكومة وقضاء ، وهؤلاء يقولون الجريمة حدثتهم على أرضهم ، ولابد من قضاء وحكم ، ليغلق الملف ، فسعاد تطالب بحق زوجها والحكم على قاتليه بالإعدام .

قال مدير الشرطة الأكبر وهو يستقبلها في مكتبه الفخم بعد أن قدم لها العزاء ، ووصف لها موقف الحكومة الحرج وقال : نحن لا نستطيع فعل الشيء الكثير يا حضرة الدكتورة .. فالجريمة كما ترين سياسية .. وحتى لو تم قتل وإعدام السائق بزوجك .. فهو موظف وأداة .. فالفاعل الحقيقي معروف لك .. وأنت تعلمين قوة علاقتنا ببلدك خلال الحرب الطويلة .. كانت علاقات مميزة وكبيرة وعلى مستويات مختلفة .. ولولا هذه العلاقة الجيدة ما سمح لكم التطواف في بلادنا .. والقاتل سلم نفسه لم يهرب .. فهو بين أيدينا .. وحكومته تطلب الإفراج عنه.. ومن أجل واحد مهما كان مقامه لا نستطيع قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية .. فبيننا مصالح كثيرة .. ولا نستطيع إعادتك لبلدك .. فوالدك الفرد ودول الغرب يريدون

تسفيرك فورا.

قالت بهدوء وترون : أعرف كل ما تقول! الحل بسيط يا سيدي ! الدكتور وقد قتل . . أبقى هنا تحت حمايتكم حتى لا تخسروا دعم بلادي لبلادكم.

قال : نخشى اغتيالك .. قد لا نستطيع الحماية لك .. فشراء الذمم سهل.. المال يا دكتورة المال سلاح !

قالت : أمنوا سفري سرا.

قال : نحن كحكومة نفكر في هذا الحل .. لكن الأمر يحتاج لبعض الوقت ليبدو لعرب عق أننا غفلنا عنك ، ولم نقصر في حمايتك والمحافظة على ذاتك .. ليبدو التهريب أمام الإعلام دون اتفاق وتواطؤ .

قالت : ما المطلوب؟

قال : أن تنتبهي لحياتك وزوارك ومخالطيك.. وعندما تخرجين من البلد لا تتحدثين عن مساعدتنا في إخراجك ؛ إنما فعلت ذلك من نفسك وبمساعدة من السفارة وخيانة من بعض حراسك .

قالت : فهمت ! الأمر واضح يا سيدي!

قال وهو يعتدل قائما ، وتفعل الكيماوية مثله : انسي بعد خروجك من المكتب هذا اللقاء .. اتفقنا .

هزت رأسها بالموافقة .



الشرطة تطمئن العموم

نشرت الصحف تفاصيل عملية اغتيال العالم الفيزيائي وائل البصري الذي دخل البلاد سائحا ثم تعرضه لعملية اغتيال ناجحة في وضح النهار ، وأن الجريمة تصنف ضمن الاغتيال السياسي والتي يعجز القضاء الفصل فيها ؛ لأن بلد القاتل هي التي أمرت بقتل أحد مواطنيها ، ولم يكن الضحية مواطنا وئاميا ، ولا لاجئا سياسيا ؛ إنما قدم البلد بصفة زائر سائح ونشرت سيقضي الجاني الأداة حكم الحق العام في السجن ، فلا تعدم الحكومة السائق رغم اعترافه بالقتل والجناية الحبس حكمه بسبب المصالح المشتركة بين القطرين الشقيقين ، واذا عفا أهل الدم سيكون هناك حكم آخر .

وكتبت الصحافة الحرة أن الموضوع انتهى ، ولا داعي للتكهنات والإشاعات المغرضة في صحف المعارضة للحكومة وسائر الأحزاب .

وقالت : على حكومة عرب عق الاعتذار العلني لدولة الوئام لقيامهم بالجريمة على أرضنا .

وورد لو كان المقتول مواطنا لتصرفت الحكومة تصرفا آخر ؛ ربما وصل الحكم للإعدام أو الحبس مدى الحياة مع الأشغال الشاقة للقصد والعمد وأداة القتل .

هذا الكلام في صحف الحكومة الرسمية وشبه الرسمية بالطبع لم يرض أحزاب المعارضة ، واعتبر تهاونا وتفريطا بسيادة وهيبة البلد ، وطالبت بالحزم وقطع العلاقات الدبلوماسية وطرد السفير ، وأشارت بعض صحفهم أن الأمر الإجرامي صدر من زعيم تلك الدولة الظالمة فهذا يدل على عدم احترام الدولة وأركانها ، وإهانة لكل مواطن صغيرا كان أو كبيرا .

وانشغل المواطنون في الوئام في قيل وقال ، ونشب العراك بين الصحف التابعة للحكومة والصحف التابعة لأحزاب المعارضة الشكلية ؛ لأنه من المعروف أن أحزاب المعارضة في بلدان العرب والمسلمين أنها معارضة هشة وضعيفة وتزويقية ؛ لأن الأحزاب تلك لا تشكل الحكومات كما نرى في بلدان الغرب ، فالحكام يختارون شخصية مقربة من النظام الحاكم ويقوم بتشكيل قيادة مدنية للبلاد ؛ حتى لو شكل حزب الحاكم حكومة فهي من ناحية سياسية ضعيفة

وبرامجها أضعف، وتعتمد على تعاليم الغرب وإرشاداتهم ، فكنت ترى صحفيا ذي قلم سيال يهاجم الحكومة ، وآخر يرد عليه ، هذا ما جرى في قضية مصرع الفزيائي وائل في بلاد الوئام ، حتى أن صحفا ومقالات في صحف دول أخرى دخلت على الخط عربية أو غربية لتزيد من اشتعال القضية ، وتسلية قراء ورق الجرائد ؛ وربما تزيد الأعداد المباعة .

التقى وزير الأمن في وئام بزوجة العالم المغدور وائل لما ارتفعت الضجة في العالم، فقال : لقد علمت بأنك ترغبين بالخروج من بلدنا ، وأنك ترين على حياتك خطرا بعد اغتيال الحراس لزوجك .

قالت بهدوئها : نعم، يا سيدي الوزير حياتي في خطر قبل الاغتيال وبعده ..وأنا حدثت مدير الأمن بهذه الأخطار ، وتحدثت مع السفارة الألمانية ، ورحبوا بسفري إلى بلادهم .. وأنا أحمل الجنسية الأمريكية .. وولدت فيها.. فأنا أعتبر أمريكية ؛ لكن زواجي من الدكتور وائل دفعني للعودة معه لبلاده .. وهي وطني الأصلي أصلا .

قال : السفارة الألمانية ماذا قالت؟

ردت : رحب السفير بنفسه بي .. وطلبوا مني التنسيق معكم للخروج ؛ كأن الأمر بدون علمكم للعلاقات القوية بينكم وبين وطن وائل.

قال : نحن نحب سفرك بدون عوائق ..ولدينا طلب من حكومتك بلدك الأصلي بإرجاعك إليهم .. ولكننا نعلم الخطر المحدق بك .. وتحدثت السفارة معنا لحمايتك وتسفيرك .

قالت : سأخرج على صورة هروب يا سيدي ! .. وقاتل زوجي هو الزعيم بنفسه

قال : أنت تتهمين صراحة الزعيم بدم زوجك !

قالت : الرجل معروف بشهوته الإجرامية وشدته بحجج كثيرة .. هو ديكتاتور ومعلوم بذلك .. هو يحب هذا الوصف .. هو يتشبه بهتلر وستالين وماو وزعيم مصر في الخمسينات .. وهو يزعم أنه أعظم وأعبقر منهم .. فكل العالم الحر يعلم دمويته وإجرامه .. فلم يقتل زوجي وائل إلا بإشارة منه شخصيا .. فوائل عالم كبير .. وكان باستطاعته أثناء دراسته في المانيا أن

يقبل عروض العمل في أوروبا والولايات المتحدة .. لكن المسكين أحب خدمة وطنه وتسديد دين تعليمهم له .. وشارك العلماء في حربهم الأخيرة .. فهو كبير لا يستطيع أحد أن يمسه بدون ترخيص من الزعيم القاتل .

قال وزير الأمن : ولكنه في مؤتمر صحفي عقده قال إن خطأ حدث ونفذ الأمر بدون علم القيادة الثورية لقرار سابق صدر أثناء الحرب وقرارات الحرب والطوارئ تختلف عن قرارات السلم والهدنة .

قالت بدون انفعال : إنه يكذب يا سيدي ! هل تريد من زعيم فرض على حكم أمة أن يعلن ويعترف أنه أمر بقتل دكتور فيزياء .. وعنده مئات العلماء.. لو اعترف بجرمه سيهربون .. هذه سياسة عامة يا سيدي الوزير ! من يحاسب في نظام ديكتاتوري؟! سمح لنا بالخروج لتوقف الحرب؛ لتغيير جو ولبلدكم فقط .. وكنا سنذهب للغرب لا حبا به ؛ بل للحرية للقانون .

قال : على كل أنت تحت حماية الأمن والمخابرات.. فلا نريد جريمة أخرى .. حتى زعيمنا العظيم غضب لحدوث الجريمة على ساحة وطننا ، وعتب على زعيمكم وتحدث هاتفيا معه شاكيا ولائما .

قالت : وماذا رد الزعيم الملهم ؟!

ابتسم الوزير وقال : لا أعلم .. ولكنه هل سيقول أنا أمرت بقتل الدكتور ؟! قال هذا قانون عند المخابرات ينص على أي شخص مهما كانت صفته عالم وقيادي يهرب للغرب أن يموت بدون محاكمة .

قالت : الديمقراطية الشوهاء خير من الدكتاتورية .. لم يحب زوجي الحياة في أمريكا لما أنهينا الدراسة في ألمانيا .. والدي وأنا رغبناه بذلك كان مخلصا لوطنه .. أحب أن يخدم وطنه ..فقد علموه وأنفقوا عليه.. واعتبر ذلك دينا في رقبته .. وها هو سدده من دمه .

محاولة الهرب

لما اشتغل العالم البصري مع العلماء في برنامج تطوير الصواريخ والسلاح في بلده العربي لم يكن مرتاحا في العمل مع الفريق الفني ، ولا حتى مع الضباط ، كان عليه ضغط نفسي رغم قيامه بتطوير وتحديث بعض النماذج من الصواريخ ، كان بينهم من يحقد عليه في صفوف الفنيين والعسكريين وحتى السياسيين ؛ لأنه عالم فقط ، لم يكن في حزب الزعيم ولا السياسة كان هاويا للعلم والفكر ، وقد فضل العمل في بلده على البقاء في أوروبا رغم الإغراءات والحوافز التي قدمت له ولزوجته للبقاء ، أحب رد الجميل لبلده الذي أتاح له الدراسة وأمور أخرى .

لكن الاحتجاج وخلق المعاذير في نظام مغلق مظلم يعنى الموت ، صمت على مضض كغيره من العلماء منتظرا فرصة للهرب ، لما توقفت الحرب بعد سنين طلب إجازة لإراحة نفسه من ضغوط سنوات الحرب .

فقد سمحت القيادة العسكرية للعلماء بالخروج لبعض البلدان المجاورة لضمان سلامتهم ، ومتابعتهم باسم الأمن والحماية لذواتهم ، ومراقبتهم في نفس الوقت ، وخشية هربهم فتذمرهم أثناء الخدمة وهمساتهم كان معروفا لأمن معسكرات التصنيع والجيش ومعامل الجامعات .

سمح له بدخول دولة الوئام حيث العلاقات جيدة ، فخرج وسكن في شقة مفروشة وحديثة وهو في قرارة نفسه يريد الهجرة ، لا يحب السياحة ، فقد ساح في أوروبا حتى شبع ، هو يعلم جيدا أن سائقه ومرافقيهم أمن سري ، ولم يجتهدوا في إخفاء ذلك ؛ وربما عاداتهم وطباعهم وتجسسهم على بعض لا يسمح لهم بالتخفي والسرية ، وشارك الزملاء العلماء نزهاتهم وحفلاتهم في الوئام .

العلماء لهم أصدقاء وزملاء دراسة أو عمل أو مراسلات في بلدان من العالم ، وعادة العلماء يتراسلون، يتبادلون الأفكار ، وربما الزيارات ، وتمكن وائل من تهريب رسالة مطولة عن طريق زائر أمريكي تصادف وجوده في وئام ، والتقيا في سهرة ، ولما دخل المشفى كتب الرسالة وأعطاها للأمريكي ضمن كتاب تناوله من الأمريكي تظاهر أنه أخذه ليتصفحه ، والأمريكي

بدوره أوصلها للسفارة الألمانية في مدينة وئام العرب .

ورحبت السفارة بذلك ، وبدأت الإعداد لإخراج الزوجين سرا عن عيون أمن عرب عق ، فهما معروفان على مستوى العالم من الناحية العلمية والأكاديمية .

علم الأمن السري وأمن سفارة عق بالاتصال الخفي بين العالم وسفارة المانيا ، اكتشف الخيانة في نظرهم ، وأدركوا أن الدكتور يفكر بالهرب ، وأنه اتصل بالسفارة من ورائهم ، لأن السفير اتصل به في بيته وطلب اللقاء به في السفارة أو في بيته ، فأدرك الأمن أن الدكتور اتصل بهم بطريقة ما ، فأخبرت القيادة الأمنية في بلد عرب عق ، فطلبوا منه عدم مقابلة السفير ؛ لأنهم خشوا إن دخل السفارة لا يخرج منها ، ويتعقد الأمر ، فالسفارة أرض ألمانية في القانون الدبلوماسي الدولي ، فرفض العالم الانصياع والعودة ، فهو لم يقض إجازته بعد ، وهو لن يقابل السفير ، وهو مازال مريضا متوعكا لم يبل من الوعكة التي أدخلته المشفى .

وكانت إحدى الحيل المطروحة أن يمكث في المشفى ، ويستبدل حتى يصل المطار وتتحرك الطائرة ، رفضت السفارة لبلده باستمرار علاجه في وئام وسيكمل المعالجة في عق ، فرفض الاقتراح . فصدر الأمر بتصفيته علنا وفي وضح النهار ؛ كما وصفنا الجريمة في أول القصة ، وظهر أمام العامة أن السائق سريان أطلق عليه الرصاص ، ومات أمام الجمهور ، وانتظر الجاني حتى حضرت الشرطة والتحقيق . وهكذا تخلص النظام القاسي من عالم الصواريخ المتطورة ؛ لتفكيره بالهروب إلى أوروبا ، فهم الذين علموهم فعليهم أن يخدموهم حتى الموت وها قد مات .



السائق لم يقتل

تبين للتحقيق الجنائي أن المسدس الذي استخدم في الجريمة في شارع ابن حنبل مسدس السائق لم يكن هو أداة القتل ؛ أداة الجريمة سلاح آخر ، كما قال خبراء فحص الأسلحة ، وأن السائق كان كاذبا ، وتظاهر هو بالفاعل ، وكان مخادعا للتحقيق ، إذن هناك فاعل آخر ، ومسدس آخر لم تخرج الطلقات القاتلة من مسدسه الذي سلمه للشرطة ، وشهد الناس أنهم سمعوا صوت الرجل في نزعه الأخير ، وفسر أن القتل حدث ، ثم فعل المشهد الاستعراضي أمام الناس لتضليل التحقيق ، وأن الرجل مات قبل وصول الإسعاف ، ليقال إنه قتل من رصاصة السائق التي على أثرها هرع الناس لمسرح الجريمة ، تمت عملية القتل في مكان آخر ، ولم يشهد أحدهم هرب أحدهم ، وعندما تجمهر الناس ، لم يكن إلا قاتلا واحدا ، ووقف السائق أمام العامة يخبرهم بأنه الفاعل ، وضباط الدورية أدركوا الجريمة بعد دقائق من حدوثها . والسائق يصر أنه المنفذ ، ولا يوجد بحوزته سلاح آخر ، وتعقد الأمر لدى البوليس فكيف يقدم السائق للمحاكمة وثبت أن سلاح الجريمة الذي على المسرح لم يكن أداة القتل ؟ فأين القاتل ؟ أو أين مسدس الاغتيال ؟ هذا اعتراف يضلل الشرطة .. كان الأمر سهلا في البداية .. قاتل .. مسدس .. اعتراف.. لم تعقد القضية إلا أن الموت غيب الدكتور وائل .. وقالوا للسائق لماذا ضللت الشرطة بزعمك القاتل؟

رد ببرود وثقة : أنا أنفذ تعليمات.. أنا ضابط أمن مخابرات.. عليّ السمع والطاعة .. لا أناقش فيما اؤمر .. أنا صحيح لم اطلق النار ؛ وإنما تظاهرت بإطلاق النار أمام الناس والجمهور .. عليّ أن أفعل ما طلب مني.

قال المحقق : هل قتل قبل تظاهرك بالقتل ؟ ربما قتلته أنت قبل التظاهر وتخلصت من سلاح القتل.

قال المشتبه به : هذا يفصل فيه القضاء إن وصلنا إليه .. الطاعة العمياء مهمة رجل المخابرات العربية والعالمية .. وهكذا قانون الضبط العسكري نفذ قبل أن تفكر .. لا اعتراض

قال المدعي العام المكلف بالقضية لمدير التحقيق والشرطة: نحن في حيرة أيها السادة !.. هناك قاتل .. وهناك معترف بالجريمة .. فعلينا البحث عن الفاعل الحقيقي .. فالقضية كما تعلمون تشغل الرأي العام والرأي العالمي.. وحتى قيادتنا مشغولة بهذه القضية التي بدت بسيطة .

ضابط التحقيق : هذه جريمة صريحة جريمة نظام .. وبدون القبض على مطلق النار فلا فائدة من حبس السائق ..وما اعترافه سوى إزعاج للشرطة .. والرقيب علي لم يكن على مسرح الجريمة أو كان ولم نره ؛ لأننا انشغلنا بسريان ؛ فكان بالإمكان هربه على راحته .

ـ خدعنا بالاعتراف .. الفاعل أعوان الزعيم

التقى المحقق المقدم بسريان وعلي وأعلمه أن الرصاص لم ينطلق من مسدسه عند إلقاء القبض عليه

فقال : أنا عبد مأمور .. لا أعرف من أطلق الرصاص .. وممنوع أن أتكلم إلا بما قلته أن أزعم أني القاتل.

قال : أنا أعلم أنك جندي صغير لا قيمة لك عندهم ..نحن نعرف بعضنا بعضا

ـ هل أنت تستطيع رفض أوامر أسيادك أيها المقدم .. فالناس عبيد الأسياد.. ولو علقنا عشرات النجوم على أكتافنا.. فلا تجعل نفسك سيدا عليّ .. أنا قتلت اقتلوني .. هل بعد الموت شيء؟!

قال مقدم الشرطة : ليس مهما ما تعتقده يا سريان! .. أنت عبد .. أنت سيد .. نحن نرى أنك ضللت الشرطة .. وتركت المجال لهرب القاتل .. وما لم يقبض عليه ستبقى القضية رهن التحقيق وستبقى موقوفا على ذمتها .. وبعد الحكومة والقضاء لا يهمنا الإفراج أو الإعدام .. نحن نقوم بواجبنا الأمني .. القضاء شأن آخر .. جريمة قام بها مجرم فيجب إمساكه لنقدمه للقضاء فينتهي دورنا .

قال الملازم المتهم : حتى لو عرفت الفاعل .. هل تراني أستطيع الإشارة إليه ؟ ! ربما السفير فعل ذلك ؛ ربما السكرتير العسكري فعل ذلك .

قال : أنت اعترفت بالقتل على مسرح الحادث مرغما مكلفا فلن نستطيع اتهامك سوى بتضليل

الأمن بعدما تبين ؛ لأننا لم نجد سلاحا آخر معك عند القبض عليك .. الجريمة نفذت بيد غيرك فأنت شريك .. وستبقى حبيسا حتى يقبض على شريكك .

قال : صدق يا سيدي المقدم أنا فعلت ما طلب مني حرفيا .

قال المقدم : ومن هو الذي أمرك ولقنك هذه التمثيلية ؟

قال باسما : رجل زارني بعد أن بلغنا أن العالم يسعى للهرب والاختفاء .. ولابد أن يكون من موظفي السفارة أو أرسل من هناك .. كان بصحبة السكرتير العسكري وقال اسمع من هذا .. فعلمت أنه موثوق به ومن الوطن فسمعت ونفذت .

قال : هل ترى أنك في أمان من الإيذاء والتصفية إذا أطلقنا سراحك؟

تنهد السجين : لا أدري! لكن تعلمنا أنا حياتنا كل ساعة في خطر .. من يعمل في مثل هذه الأجهزة .. لا يعرف شيئا .. وأن بقاء النظام أهم من حياة أحدنا .

قال : لا نستطيع تقديمك للقضاء بجريمة قتل العالم ..ولكنك المتهم في الحقيقة.. من الفاعل؟

ردد همسا : أعوان الزعيم .. أعوان الزعيم أكيد هم الفعلة

ـ الزعيم بنفسه!

قال سريان : الزعيم بنفسه إذا غضب على وزير أو ضابط أو ابنه يفعل الفعل بنفسه .. ممكن أن يقتل أمه وأباه .

قال : نحن في بلدنا الوئام لنا اليد التي ارتكبت فعلت .. الزعيم أمر ابن الزعيم فهذا ليس لنا .. نحن من أول وهلة اعتبرنا الجريمة سياسية ولمواطن زائر .. والقضية صارت قضية رأي عام ؛ فإذا ساعدتنا سنوفر ونؤمن لك اختفاء وجواز سفر .

ـ أنا المتظاهر بالقتل فقط.. لم أمر بالقتل ولم أقتل.

قال : لكنك ضللتنا وأتحت الفرصة لهرب الفاعل الحقيقي .. ولم نتابع التحريات بسببك .

قال : تابعوا البحث.

الإفراج عن الجثة

قررت السلطة الإفراج عن جثة العالم ، وشاركت زوجته وبعض الأفراد في نقله إلى إحدى مقابر المدينة تحت رعاية أمنية مشددة ، وكان الجمهور عددا بسيطا من الأصدقاء لهما ، وكانوا قد صلوا عليه في مسجد صغير ، وبترتيب أمني مع وزارة ورعاية المساجد ، ومن ثم بعد إنهاء مراسم الدفن نقلت الأجهزة الأمنية الدكتورة سعاد الفرد إلى بيت آمن تابع لجهاز الاستخبارات العسكرية ، حتى يبث في أمرها ، فحكومتها تلح على عودتها بصفتها عاملة في برامج التسليح الحربي وتحمل أسرارا عسكرية لبرامج التسليح الوطنية ، وهي ترفض العودة بعد ترملها ، واغتيال شريكها في الحياة ، وترغب بالعودة لوطنها أمريكا أو المانيا للعمل فيها ، والحكومة القائمة في موقف حرج .

فالحكومة بينها وبين عرب عق مصالح وأعمال وأموال وتجارات تنفع المصانع والتجارة والشعبين ، ومصلحتها مع الغرب الحماية والتبعية منذ عهد الاستعمار والانتداب ، وخلال الحرب الباردة ظلت وئام تحت المظلة الأمريكية الغربية، وظل الدعم قائما لنظام الحكم والنظام ويهمهم استقراره ، ويقدمون الهبات المالية والعسكرية المستمرة .

وقد تحدث السفيران مع رئيس الدولة في وئام ، كانت القضية سياسية بامتياز ، وقد تفاعلت معها الصحف والمحطات الإعلامية في الغرب ، والمرأة تحمل جنسية أمريكية ، وقد ولدت هناك ووالدها وأمها وأختها كل عائلتها هناك ، فهي لم تعد عربية ، هي أمريكية من أصول عربية .. فكيف تسلم لبلد لا تحمل جنسيته إلا بالزواج من وائل ؟

لقد كانت مدينة وئام في وضع لا تحسد عليه إزاء هذه الجريمة التي وقعت على أراضيها، طالما كانت العلاقة قوية ومتينة أثناء حرب السنوات العشر ، فقد شاركت وئام الحرب بدعم قوي وقوات مسلحة لعرب عق ودعم قومي ومالي وسياسي واقتصادي ، وقد ذهب ضباط كبار وميدان للمشاركة في الحرب ، وموقفها كان واضحا دون ضبابية وغباش.

كثير من دول العربان كان موقفها السياسي والمالي والإعلامي ملتبسا وضبابيا رماديا أثناء القتال

الدامي الشرس ، وكانت وئام تقدم الدعم العسكري واللوجستي والمخابراتي وصور الأقمار العسكرية التجسسية لعرب عق.

ومن المعروف تاريخيا أن الدول المستعمرة ظلت مستعمرة ، خرج الاستعمار العسكري ، وترك حكاما يتبعون له ، وثقافة شائعة فيها لغة وبعثات ، فهي دول هشة ممزقة شمالا وجنوبا ووسطا كلٌ يخضع للغزاة بثياب عربية ووطنية وقومية ، لا حرية ولا ديمقراطية ، ولا رأسمالية ولا شيوعية ولا اشتراكية ، ولا قومية ولا وطنية ، أمم يرثى لها ، حروب قائمة ، وحروب نائمة ، شعوب متصارعة كل يوالى المستعمر المغتصب ، الحال صعب ، استعباد استبداد ظلم ضياع ثروات ، عسكر مهزوم مترهل ، اقتصاد ضعيف ، شعوب وجدت للاستهلاك والعيش على الفتات، هذا حال العربان عند مقتل الفيزيائي وائل ؛ فلذلك كان دولة الوئام في حيرة وارتباك وحيص وبيص ، صداقة قوية مع عرب عق ، ومع ذلك كانت مسرحا لاغتيال عالم خدم بلدة سنوات وسنوات ، فلا تقدير لموقفهم معهم ووقفتهم الشجاعة في تلك الحرب الضروس .

وحتى عرب عق كانت خائفة وجبانة من اغتيال الزوجة ، فهي أمريكية وإلا كان الحرس يستطيع قتلهم في الفيلا سوية ، فهم يعيشون معهم ؛ لكنهم خشوا ردة فعل الغرب تجاههم .



القبض على السائق

الشرطة أخلت سبيل الملازم سريان وعلي ، وظلا تحت المراقبة الخفية على أن يخرجا من البلاد وحتى تنتهي القضية شكليا . وكان القصد من إخلاء سبيلهما الوصول لمن أطلق الرصاص إن أمكن ؛ ولمعرفة من سيتصل بهم ؟ لإتمام إغلاق الملف شكليا أمام القضاء .

فعادا لشقة الأمن والسفارة ؛ وبما أنهما رجلا أمن فهما سبب إخلاء سبيلهما ، وإنهما تحت المراقبة ولم يطل خروجهما فقد تعرضا لاغتيال ، مما دفع الشرطة للقبض عليهما من جديد.

فقال سريان للمقدم : لقد أصبحت حياتي في خطر وعبء وأنتم السبب.

ـ كيف نحن السبب ؟!

ـ لأنكم لم تمسكوا الجاني .

ـ أنت لم تتعاون معنا !

قال سريان : صدقوا أنني لا أعرفهم .. عليكم بالسكرتير العسكري القابع في السفارة ؛ ربما تغير خلال هذه المدة .. وعليكم بمسؤول الأمن في السفارة.

قال : بأي صفة؟! لا يصح ذلك مع دبلوماسي ، ولم يخالف القانون.. لم يكن على مسرح الحادث .. ومن واجباته متابعة ضباط بلده هنا .. وينسق عمليات بيع وشراء الأسلحة .

مضت ثلاثة شهور على القضية دون القبض على القتلة الفعليين ، ودون بيانات واضحة من سريان وعلي ، فقررت الشرطة والادعاء العام إغلاق ملف القضية ضد مجهول ، ولا محكمة ، ولا سجن لاحد ، وتم إخلاء سبيل السائقين سريان وعلي ، وأعطيا رقم هاتف أمني اذا احتاجا لمساعدة ، ولم يعودا للشقة إياها، واختفيا بما يحملان من أسرار بين عموم ملايين الناس . وخفت صوت الجريمة وتلاشى الحديث عنها ، والأحداث لا تقف ، واستطاع سريان الخروج من البلد إلى أمريكا اللاتينية ، وبمساعدة الشرطة ، هرب إلى أفريقيا ثم إلى أمريكا ورجع إلى عرب عق.

المرأة تسافر المانيا

بترتيب مع موظف أمني في سفارة المانيا ، وتعاون من مخابرات وئام تم ترتيب سفر سعاد الفرد سرا ، وبعيدا عن الإعلام .

فقد كانت تعيش وحيدة مع خادمتها الآسيوية ، وليلا تم تأمين انتقالها للسفارة ، وبعدها أمنت السفارة نقلها إلى المطار الدولي ، وهناك تولى الأمن السري الألماني من ترحليها برحلة سرية إلى فرانكفورت ، وخلال ساعات كانت سعاد في أجواء أوروبا ، وسلمت لمجموعة أمنية أخرى وبعد حين يسير تعاقدت للعمل في مركز بحوث ألماني في برلين الغربية .

لقد طلب منها ألا تظهر في الإعلام إلى حين ، ووافقت السفارة على هذا الشرط ، والدكتورة قبلت الشرط وذلك خوفا على حياتها في أوروبا ، وذلك أن المانيا وأوروبا الغربية قدمت دعما قويا لعرب عق خلال الحرب أو الحروب التي خاضتها ضد دول الجوار ، فقد باعوا أطنانا من الأسلحة والذخائر والأجهزة والمواد الخام لصناعة الذخيرة ، وقطع الغيار ، وتقديم المعلومات الاستخبارية ، كانوا كأنهم شركاء للحرب ، فالحرب مصدر لبيع السلاح وتجارته والخلاص من المصُنع القديم ، وتشغيل المصانع .

فألمانيا بعد هزيمتها في الحرب الثانية لم تخض حربا رغم انقسامها إلى دولتين كما هو معروف من نتائج الحرب الكبرى . وعرب عق لهم أعوان وموظفو سفارات في الدول الغربية فكان لابد من إخفاء هرب سعاد عن الأخبار . وللحقيقة أن أمر خروجها من وئام ظهر في صحف عق ، وسكتت وئام بالتعليق على الخبر ، وكذلك حكومة بون الغربية ، وصحف البلدين لزمتا الصمت. وكما قلنا وقال غيرنا الأحداث متلاحقة ومتسارعة ، ولم يكد الناس يفوقون من حرب العشر حتى دخلت عق في حرب جديدة مع عرب التا تو ، وزادت شرخ الانقسام العربي الضعيف أصلا .. أصاب الجميع الحيرة عن السبب الحقيقي لحرب جديدة وفتنة جديدة . وفي خضم العراك نسي الناس والإعلام قضية وائل البصري المصروع غدرا، وزوجته الهاربة إلى الغرب الألماني .

الثورة

بعد جريمة اغتيال وائل واختفاء زوجته في المانيا ببضع سنين حدثت ثورة عارمة عصفت بنظام حكم عق ، واعتقل الزعيم والقتلة ، وحوكموا صوريا واعدموا كما عدموا غيرهم ، وأصبحوا في خبر كان ، ودمرت وفنيت مختبرات ومعامل ومصانع البلاد ، وعادت كما كانت فقرا وضعفا وهوانا وصراعا حزبيا ، وفككت قطاعات الجيش ، وأصبحت البلاد تحت الحماية والوصاية الغربية الأمريكية هي وتسع دول عربية أخرى .

واشتعلت الحرب الأهلية والنزاعات العرقية والأثنية والطائفية والشعبوية والأبيضية والأسودية والعربية والأعجمية في بلاد العربان والغربان عدة أعوام قبل أن تهدأ قليلا وتسكن على رماد النار ، لقد تمزقت العروبة والقوميات والوطنيات والاشتراكيات والشيوعيات .

ونتيجة هذه الثورة المدعومة من الغرب وستين دولة تشرذم أعوان الزعيم المقتول ، وظهرت أخبار فترة حكمه للعيان وإجرامه في شعبه والشعوب المجاورة وسيرته ، وبعده تهاوت الكثير من العروش التي صنعها الاستعمار والغرب.

الأحداث تمشي وتتقافز وتتسارع غربا وشرقا ، هب وثار شعب نسانس في ثورة قوية عارمة مفاجئة على نظام حكم.. ثورة من الشعب دون عون الغرب والشرق .

فقد شبع الشعب من الظلم والطغيان ، ولم يحتمل الاستعمار والاستبداد ولو بأسماء عربية وبذلات أجنبية ، وقصات غربية ، وميزانيات تصرف على أسلحة أمنية وعسكرية للفتك بالشعوب العربية . فتحركت الأمم ضد الأحزاب الظالمة الحاكمة ، أعدت ثورة نسانس غيرها من مضارب وخيام وبلدان ، وهرب الزعيم الغاشم المتبجح ، ولم يجد ملجأ إلا دولة أشد منه ظلما واستبدادا ؛ ليموت على أرضيها بعد قليل، فالذين دعموه ، وغطوا على ظلمه ، وقهره لشعبه ، تخلوا عنه دون تردد ، دون مجاملة ؛ لأنها ثورة شعب لن يخسروا منافعهم ومصالحهم من أجل زعيم محروق مهزوم ، فهم يحمونهم من أجل مصالحهم المختلفة، والطغاة لا يتعلمون من التاريخ من فرعون ، كل واحد يعتقد أنه الوحيد الباقي ، يركبهم الغرور والوهم

والغباء ..ولا يقرأون ولا يتعظون .

فلما هرب الطاغية من الموت من شعبه انتهت مصلحته معهم ، فالمصالح هي الأهم من الأشخاص والأعيان ، وبدأ الصراع على السلطة والحكم . والانتقال من حكم الفرد الباغي المتسلط إلى حكم الاختيار ليس سهلا ، الانتقال من الاعتقال والحبس إلى الحرية والكرامة يحتاج لزمن ، التحرر من طواغيت الظلم يحتاج لوقت ، الشعوب تنظر لبعضها وتتأثر عجلة وبطأ .. بدأت تتحرك وتريد حقوقها .. النائم يستيقظ واستيقظ ، هرب زعيم نسانس حرك شعوبا أخرى . كان الزمن فعلا عجيبا ومثيرا ذلك العام ! عرفت الشعوب الضعيفة قوتها وقدرتها ، وأنها قادرة على التغيير والثورة ورفع الظلم والخلاص من الاستضعاف ، فاشتعلت ثورة في الشرق البحري والشمال البحري .. ودول الطوائف تتهاوى في أيام معدودات، سقطت العروش ، سقط عن العرش سقوطا مدويا ، والثاني سقط ميتا مقتولا بعد مطاردة في داخل البلاد .. وبدأ الدفاع عن العروش المهزوزة بالمال والمؤامرات الواضحة ، والإغراء بالمناصب والرتب والنجوم ، والتحالف مع قوى الاستعمار والاستبداد.. استغلت الثروات الكبيرة لوقف زحف الأمم الغاضبة الهائجة ، والقتل أصبح كشربة ماء، العالم كله على شفير ساخن ، ونام الثائر المجنون في السجون والحبوس وممنوع من الدخان ومن الكلام ، وبعضهم مدافع عن ثورته في زاوية ضيقة حرجة وتآمر عالمي ليعود للغفوة والنوم من جديد.



الصمت

استطاع أعداء نفس الشعب والأمة والثورات الاجتماع وإخراج الأموال وشراء الذمم لإعادة الظلم والطغيان وحكامه للسلطة ، وكذلك إشعال الحروب الأهلية بين أعوان النظام القديم ومعارضيه ، حتى سالت أودية الدم للركب ، فصرنا نرى القبور والحفر التي فيها مئات الأجساد الهالكة ، سعوا بكل قوة ومال لإخماد روح الثورات اليعربية ، وحمي الوطيس وتناحر الثوار ، وسقطت الدماء غزيرة وعزيزة ، ونشطت الهجرات الشعبية إلى البلاد الأكثر أمنا أو الأماكن الأكثر سلاما خرجت الرويبضات التي أخبر عنها رسول الأمة المحمدية ﷺ ، وسجن الثوار والأحرار ، وما زال الغضب ثائرا وظاهرا ونشطا.

لقد استطاع الخصوم إخفاء لهيب الثورة ، وعاد الثائرون إلى بيوتهم ونومهم وسباتهم كالدببة والأفاعي في فصل البرد والشتاء ، وفي فترة الصمت ظهر السفاحون والجلادون والحاقدون والدمويون ، وظهر قتلة وائل وغيره للبروز ، واعترفوا بأن الزعيم المقتول أمرهم بتلك الجريمة نطقوا لعلهم يرحمون ؛ لعل تكتب لهم حياة من جديد ، فالملفات المخفية ظهرت وبثت .

كان الفرعون القديم يزعم أنه يملك الأرض والعباد والأنهار تجري من تحته ، فمات غرقا بالماء الذي اعتز به ، ومات والناس ترى هلاكه وغرقه ، أهلك فرعون وجنوده أمام أعين الناجين.. فهل نرى ذلك ؟!

دعت بلاد عق الدكتورة سعاد وأمثالها للعودة للبلاد لإحيائها . فقالت : هيهات هيهات فات الأوان !.. فأنتم أشر ممن مضى! أنتم بعتم البلاد للغريب بزعم تحرير البلاد والعباد .. قسمتم الشعب إلى شعوب ، ونهبتم الأموال إلا للأحزاب .. لم تتحسن الأحوال ، ولم تقدموا قاتل وائل للقصاص والعدالة .. نحن لا نحب الغرب لأنه غرب ؛ لكننا نجد عدالتهم أفضل بكثير عدالتكم .. هذا اذا كان عندكم عدالة أصلا.. عدنا لنخدم بلدنا في أحلك الظروف ونطوره فحاربتمونا ورملتمونا .

الثورة من جديد

الناس ذاقت طعم الحرية ، والحرية الحمراء التي دقها الثوار عادت، ظهر ثوار جدد ، وهاجت شعوب من جديد ، يريدون الحرية والانتخاب ، الحر النزيه عرفوا قوتهم ، وفائدة تجمعهم ، وبدأت موجة جديدة من المظاهرات الشعبية حتى أطاحت برؤوس جديدة.

يا دكتورة الناس تريد الحرية ، نريد العمل ، نريد أن تبقى الثروات في البلاد .. هل تعودين؟ من يضمن السلام ؟ من يضمن الحب الوئام ؟ من يحكم ؟ الشعب أم الحكام .. لقد استبدلوا الوجه بوجه.. له نفس العين.. نفس الفم.. نفس الأنف .. نفس اللسان .. صدق أيها الإنسان ! آه ما أدراك ما اللسان؟! الكلام المعسول .. والوعد الخلاب.. إنها ذلك لأيام .. ولبسوا وارتدوا بذلات جديدة .. وتغير الديكور والسيارة .. وطاولة المكتب أصبحت حمراء بلون الثورة .. هل هؤلاء هم الثوار ؟! أما زلتم في غيبوبة ؟ .. أما زلتم نياما ؟ متى تصحا أمة محمد الرسول ﷺ ؟!

لا أحد يخبر .. لا أحد يعلم الجواب ! قل علمها عند ربي !



* نفس الشعب *

اغتيال في أول النهار

الشرطة تعرف الضحية انه عالم فيزياء

الجريمة سياسية !

القاتل دولة !!

هربت الزوجة عالمة الكيماء

الصمت .. الثورة الشعبية

مات النظام .. عاد النظام



التحقيق الجنائي والجريمة

التحقيق الجنائي والجريمة



جمال شاهين



لغز غابة البلدية

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

لغز غابة البلدية

جمال شاهين



الصديقان

جميل شاب طالب في الجامعة ، كان يجلس مع علياء صديقته في الجامعة على أريكة في ساحة من ساحات الكلية ، وكان الكثير من الجنسين يفعلون مثلهم ؛ كأنها ساحة غرام لا ساحة علم وتعليم ، فجميل صديق لها من أيام المدرسة الثانوية ، فهما يزعمان الحب والغرام من تلك الأيام ويحلمان بالزواج بعد الجامعة ؛ وبدأت القصة ؛ لأن مدرسة الذكور الثانوية ومدرسة الإناث في نفس المنطقة والمكان ، فيختلط طلاب المدرستين بعد الابتعاد عن مدخل كل مدرسة في الشارع الرئيس ، فبعد معاكسات أثناء السير في الشارع الرئيس قبلا أن يعيشا قصة عاطفية ، فيكتبان لبعضهما الرسائل الغرامية، ويتبادلان أشرطة الكاسيت والأغاني العاطفية ، وأحيانا يلتقيان في حدائق وغابات المدينة يتبادلان الحب والقبل أو الذهاب إلى دور السينما دون علم أهليهما ، ولما نجحا في الثانوية ذهبا للدراسة في نفس الجامعة ؛ لكن لم يكن تخصصهما واحدا .

قالت علياء لجميل وقد بدأ عليها الضيق : يتحدثون عن خطبتي في البيت.. ابن عمتي يرغب بالزواج ، ورشحوني له لأن الدور عليّ .

تنهد جميل بعمق وحزن وقال : خسارة بعد هذه السنين أن لا نكون لبعض ! .. جامعة سنة أولى وزواج لا يستطيعونه أهلي يا علياء !

قالت بحزن وشفقة : أعرف ظروفك .. ولا أريد أن أخسرك .. لقد أحببتك من أعماق قلبي يا جميل كما أحببتني !

ـ ما العمل ؟ ماذا يشتغل ابن عمتك ؟ ما اسمه ؟

قالت : ياسر .. هو موظف حسب علمي في شركة تجارة للحوم والمواشي.. وقد بنى بيتا جيدا .. ولم يبق على رأي أمي سوى العروس .. ووقع عليّ الاختيار أن أكون هذه العروس .

قال : هل أقابله وأحدثه عن حبنا ؛ لعله يتفهم الأمر .. ويبحث عن غيرك .

قالت بعد ضحكة ساخرة : لم يختارني هو.. أبي الذي اختار أن أكون له !

قال وهو يظهر الشفقة : نتحدث معه ؛ لعله يشفق علينا ، ويعلم عمق غرامنا ويعتذر لأبيك .

قالت علياء : إنهم يحبون زواج الأقارب يا جميل!

قال بفتور : قابليه أنت إذن ؛ ربما تعاطف معك .. وغار من الزواج منك عندما يعلم أنك لا تريدينه ولك حبيب .

قالت بحيرة : أيحسن بي فعل ذلك؟ .. أترى أن أزوره في الشركة ؟!

قال : جيد علياء ! عندما يرى أنك على صداقة وصحبة مع غيره يحمى ويغار وينصرف عنك .. ولعلي أرتب لاتصال معه عندما نكون معا في غابة البلدية فيرانا فيتأكد من صدق علاقة بيننا .. علينا أن ندافع عن حبنا وحياتنا .. لا يجب أن نستسلم سريعا يا حبيبتي !



خطبة علياء

علياء سنة أولى جامعة رفضت طلب يدها من قبل ابن عمتها ياسر رشدي ، دخلت عليه في مكتبه في "شركة المواشي واللحوم" في المدينة .

فنهض قائما ومسلما ومظهر فرحا وبشاشة مصطنعة ؛ لأنه صدم بوجودها في مكتبه دون مقدمات واتصال . فقال : مرحبا وأهلا ابنة خالي الغالي !

وبدون تمهيد ورد التحية سمعها تقول بقسوة وتحدي :سمعت أنك ستطلب يدي !

تظاهر بالسذاجة وقال : سمعت ! ممن سمعت ؟

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت : من خالك ..أبي !

عاد إلى مقعد المكتب وأشار لها بالجلوس على مقعد في المكتب وقال :حسنا! هل الكلام هنا ـ وهو يشير لطاولة المكتب ـ ينفع ومناسب .. فلنلتقي في النادي أو مقهى الشمس أو حتى في بيتكم بعد الدوام .

قالت بحدة : لا داعي لأي لقاء.. ها نحن نلتقي .. فلماذا الزواج يا ياسر؟

رد بجفاء : لم نقل زواج يا علياء ! كان الكلام على خطبة ..خطبة فحسب ولما تنته الدراسة نتزوج.

قالت بنفس الانفعال : ألم تجد إلا أنا من بنات الأسرة ؟

اشعل سيجارة وقال : خالي يريد ذلك .. أنت تعلمين أنهم يحبون أن تتزوج بنات العائلة من العائلة اذا أمكن ذلك .. أنا حدثت أمي برغبتي بالزواج وتكوين أسرة ، وتحدثت الأم مع شقيقها .. فوافق ولم ير فيّ عيبا

قالت علياء : دون رأيي!

قال : أبوك هو الذي يسمع ويأخذ رأيك .. أما أنا لا أدري يا ابنة الخال الغالية.

قالت علياء : دعك من الألفاظ الغالية

قال : أنت ترفضينني ؟ هل أفهم ذلك؟!

قالت بتعال : أنا لم أقبلك أولا لأرفضك ؛ لكني لست مهيئة للخطبة والزواج.

قال بضجر وغضب مكتوم : أنا سأخطب أنت أو غيرك يا علياء .. أبوك هو الذي يريدني .. وقال لأمي: علياء لياسر.. فتحدثي مع أبيك، ومع أمي.

قالت : لا استطيع .. أنت تحدث .. أنت تعلم قانون بنات العائلة الظالم .. هل هو دين أن يتزوجن من العائلة ؟ فلنكسر هذا القانون .

قال بلكنة تهكمية : اكسريه .. أنا لا أستطيع كسره .. ولست متعلقا بفتاة معينة .. أنا أحب أن أكوّن عائلة .. فحاوري أباك كما نتحاور في مكتب الشركة والشغل .. وتحججي بالدراسة وسنوات الجامعة الأربعة.. تحدثي معهم قبل نهاية الأسبوع ؛ لأن الخطبة كما علمت ستكون خلال الأسبوعين .. وأنا كرم مني سأنتظر حتى التخرج .. وهو مدة طويلة .

قالت : ولماذا تنتظر كل هذه المدة ؟ فأبي يريد خطبة قصيرة .

قال بابتسامة : الأمر له .. وأنا جاهز .

رفعت يدها مودعة ، وقام هو ظانا أنها راغبة بمصافحته فصافح الهواء ، خرجت مظهرة امتعاضها منه .

وقال لنفسه وهو يمشي لنافذة المكتب المطلة على فناء الشركة : لا تريدني فلتقل ذلك لأبيها .

ولما خرجت قالت وهي تهبط الدرج : سأكلم أبي وأرفض الخطبة والزواج.. أنا أحب جميلا وسأتزوجه رغم أنف العائلة .. ولا يهمني قانون العائلة السيء الذكر.

وقف ياسر مراقبا لها في ساحة الشركة ، فرأى أن شخصا ذكرا هو الذي أتى بها إلى مكاتب الشركة .

فقال : من هذا ؟ بعد تفكير قال : سيارة من ؟ لابد أنه زميل الجامعة . تبسم وقال: من أجل هذا الشقي لا ترغبين بالزواج مني.. سأعرف من هو ؟

نشأت

لما غادرت الآنسة علياء مكتب ياسر دخل عليه زميله نشأت ـ الموظف في شركة المواشي ـ محركا يده ؛ كأنه يقول له " من هذه الأنثى ؟" ففهم ياسر الإشارة وأجاب : إنها ابنة خالي موسى .. وستكون خطيبتي رسميا قريبا .

قال نشأت : حسناء بمعنى الكلمة ونحيفة ! ماذا تريد من خطيبها لتأتيه لمكتبه ؟!

عاد ياسر للجلوس ، وجلس الزميل الفضولي على مقعد قريب من المكتب.

فقال ياسر وهو ينفخ : باختصار لا تريدني يا نشأت !

قال متعجبا : لماذا ؟! ماذا ينقصك ؟.. كل بنات الدنيا يرغبن بك .. وماذا تعمل هي ؟

قال مفكرا : طالبة مستجدة .. هي التي لا تريدني من كل بنات الدنيا ..عاشقة .. إنها تحب رجلا غيري .. رجلا معها الجامعة .

قال : دعها .. البنات كثير

ضحك ياسر قليلا قبل أن يقول : أنا لم أفكر فيها أبدا .. لم تخطر في بالي أبدا .. لما أكملت بناء الشقة كما تخبر رغبت بالزواج يا عم نشأت ، فقالت أمي : لخالك موسى بنات .. دعني أتكلم معه .. قلت : لا بأس تكلمي.. ليست عيني على فتاة معينة .. فقبل خالي بي قبل أن يأخذ رأيها ومشاورتها .. للأسف غالب الناس لا يعلمون ما تفعل بناتهم خارج البيت!

عقب نشأت : وهي جاءت تطلب منك رفضها.

قال : صحيح يا صديقي ! ومن الوقاحة أنه أتى بها بسيارته أو سيارة أبيه

قال : وماذا فعلت لها؟

قال : قلت صارحي أباك بحبك وبرفضك .. لماذا أكسب عداوة خالي والأسرة من تحت رأسك ؟ فخرجت ساخطة ناقمة .

قال : الأفضل دعها!

قال : يا نشأت .. الأمر ليس بيدي .. الأمر بيد أبيها.

ـ وهل حقا لها حبيب ؟!

قال ضاحكا : وإلا لماذا أتت ؟! .. أنا سمعت عن ذلك الحبيب قبل سنوات .. وبالطبع لم أعر الأمر أهمية .. أنت تعرف حب فترة المدرسة .. يبدأ سريعا وينتهي سريعا.

قال: أتراه نفس العاشق؟

قال : لا أدري ! ولسوف أعرف .. ليت خالي يخلصني من هذه السفاهة

قال : أيرفضك خالك اذا تباكت أمامه .

قال ياسر مفكرا : خالي متعصب لزواج البنات من ذكور العائلة.

نهض نشأت خارجا لمكتبه قائلا : أتمنى لك التوفيق والخروج من مشكلتك مع زوجة الغد .

*****

لما رأت علياء جبن ياسر في نظرها ، وعدم قدرته على مواجهة أمه وخاله ، صارحت الفتاة والديها بعدم رغبتها بالخطبة والزواج قبل انتهاء الجامعة والدراسة ، وهذه السنوات يحدث فيها الكثير من الأمور والأشياء ، وبعد جدل ونقاش استسلمت الأم لاعتراضات علياء .

قالت الأم : الآن بينك وبين أبيك .. وأنا من رأيي أن توافقي .. فياسر شاب متعلم ودارس ، ويعمل في شركة كبيرة ، وعنده شقة في بناية أبيه ولا تنقصه إلا زوجة جميلة وطيبة مثلك .. وأبوك يحب ذلك يا علياء ، وهو سيسمح لك بإكمال الجامعة ؛ إنما هي مجرد خطبة.. فلن يكون هناك حبل وولادة .. ويكتب العقد بعد حين .

فصرخت : أنا لا أحبه .. ولا يدخل لي من زور.

قالت الأم : وهل أنا أحببت أباك قبل الاقتران.. الحب غالبا يأتي بعد الزواج .

قالت : وقد لا يأتي . فردت : الحياة الزوجية تسير بدون حب ..والمحاكم موجودة .. تكلمي مع أبيك .

رفض الأب موسى بشدة تأجيل الخطبة لاعتبارات كثيرة ، فهو لا يجب ولا يحب ولا يجوز أن يبدو ضعيفا أمام كبار العائلة ، وهو الذي أعطى لأخته وأقاربه ، فمن العيب والوهن والخور

التراجع بعد النطق بالعطية والموافقة ، ومن العار الخضوع لرغبة النساء .

قالت بتوسل : أنا غير مستعجلة على الزواج يا أبي الطيب .. فلم ينتظر ؟ وقد أغير رأيي فأظلمه .. ينتظر ثم أرفضه .. سيصيبه الجنون والزعل .

فقال بدون تردد : فمن العيب يا بنية أن أغير قراري لأختي وصهري رشدي والد ياسر ، وقد نطقت بذلك لهما قبل أن أسمع كلامك .. أعترف أني تعجلت .. ولم أشاورك .. وحتى أمك .. وهم وافقوا ورضوا بك .. والجامعة التي ترغبين بها سيحققها لك.. ولن يكون هناك زواج حتى لا تنشغلي عن طلب العلم.

قالت بحزن : لم أتصوره زوجا لي!

ابتسم موسى وقال : بنات اليوم عندهن أفكار عجيبة وسخيفة !.. هل ترين أني تصورت أمك زوجة لي قبل رضا أهلها .. وتراها تصورتني زوجا لها .. عشرات الصبايا يراهن الإنسان ولا يتصور أن إحداهن ستكون أهله وأم ذريته .. مرات يرى الشاب فتاة في عرس أي مناسبة ويميل إليها فور رؤيتها وتكون حليلته .. حكايات النساء والنصيب عجيبة .. وقد تبدو مستحيلة.. ابن صديق كان يعالج في مستشفى فرأى فتاة ألزم أهله بأن يخطبوها له .. على كل حال تصوريه .. هو لما رغب بالزواج لم يقصدك ؛ لكن أختي رأت ذلك للتقاليد والعادات الدارجة قالت ياسر يفكر بالزواج يا موسى وأنت عندك بنات.. فرحبت والدور لك وعليك أنت الكبيرة اليوم .. وقلت لها لا بنت معينة عنده .. قالت : لو كان مصاحبا لقال اذهبوا واخطبوا لي فلانة .. وأنت في سن الزواج .. والزواج مهم لكل الناس وللبنات أهم ؛ لأن البنت بعد سن معين تقل الفرصة أمامها كما تخبرين .. وما الذي يعيب ابن عمتك؟ والزواج لابد منه لكل الناس .. ونحن كما تخبرين نحب أن تبقى بنات العائلة في العائلة .. وهي فرصة وإلا العنوسة .. وأنت الآن في توتر وقلق ؛ ولكن بعد الخطبة ستفرحين وتنسجمين وتتغير نظرتك لياسر والزواج .

قالت بشبه استرحام : أخشى أن يشغلني عن الدراسة، ستكثر زيارته بعد الخطبة صاح

الأب : وقته كله في العمل يا علياء ! وتستطيعين ترتيب أمر الزيارات بما يناسب الدراسة وتستطيعين الحد منها .

****

جرت الخطبة وحفلتها رغم اعتراض الخطيبة ، حضرت أسرة ياسر وأقاربهم ، وكان والد علياء وأهلها في استقبالهم ، وطلبت يد علياء لياسر ، وقرئت الفاتحة ، وزغردت النساء ، وشربت العصائر ، وقدمت الحلوى ، ورقصت النساء ، ووضع خاتمي الخطبة في أصابع العروسين ، وأقيم احتفال صغير بهذه المناسبة السعيدة إلا عند العروس .، ثم بعد حين انصرف الناس إلى بيوتهم ومصالحهم .

رغم مظاهر الفرح بين الأسر والبشاشة والمجاملات والذكريات، ولبس العروس بدلة العرس البيضاء والتصوير ، كانت عروسهم حزينة مع أنها خطبة ، وياسر تقبل امتعاض العروس وتكشيرها عندما وضع الذبلة في أصبعها .. وهو يعلم أنها تقابل رفيقها جميلا في الجامعة ، وأخبره بعض من اتصل بهم على عمق صداقتها لجميل منذ بداية السنة الأولى ، وأحس أن هذا الزواج سيفشل فشلا ذريعا إلا إذا استطاع الوصول لقلبها ؛ لذلك غمز عند تلبيس الذبلة الذهبية فقال أثناء تلبيس الخاتم :جميل ! جميل منك أن تقلبي ارتباط قلبينا . وابتسم ؛ كأنه يقول: علمت بحبك لجميل . وهي بدا عليها الاضطراب لقول اسم حبيبها .

اتصل به أحدهم أن خطيبته مع حبيبها في غابة البلدية ، فتأكد له ما أحس به عندما جاءته الشركة تطلب منه إلغاء الخطبة وتركها وشأنها ، وانزعج جدا ، فقد أمل أن تنهي علاقتها به بعد الإعلان الرسمي لخطبتها ، وأن يتوقف العبث كما يراه ، فذهب إلى الغابة ليرى بعينيه ، فأخذ مغادرة لبضع ساعات ، وفكر أن يظهر لها ؛ لتعلم أنه يعلم ، ولما أشار لجميل أثناء الخطبة تضرج وجهها بالاحمرار والاصفرار.

فلم يفعل شيئا ، وما بينه وبينها خطبة وفاتحة ، وتمالك أعصابه وغضبه ، فعاد لعمله ، وازداد يقينا بعلاقة ابنة خاله برجل غيره رغم إشهار الخطبة ، وشغله الأمر وأهمه وأغمه ، وبدا أمام

زملاء العمل مشغول الذهن ويغمره الحزن وهو يحدث نفسه إن ترك سيسأل أمام العائلة عن السبب ، وسيضطر للكلام وفي ذلك إساءة لخاله وأمه والعائلة ولنفسه معهم .

اتصل بها ليلا وسألها عن قصة الشاب الذي صحبها في الغابة ظهرا ، فأنكرت فعل ذلك ، فأخبرها أنه ذهب بنفسه ليرى الوشاية ورآهما بأم عينيه ، فاعترفت وقالت: زميل في الجامعة أحب أن يدعوني للغداء في مطاعم البلدية .. وبعد لحظات صمت تابعت : اسمع بصراحة أنا أحبه يا باسر !

قال بحنق وصياح : أنت جبانة وخائنة ! كان عليك مصارحة أمك على الأقل .

أغلقت التلفون ، ثم عاودت الاتصال بعد حين .

وقالت : قلت لك لا أريدك ؛ لكنك لم تفهم.

لم يرد واغلق هو بدوره .

اتصلت علياء بجميل وأطلعته عن رؤية ياسر لهما في غابة البلدية عن وشاية تلقاها من أحدهم وعن إساءته لها ووصفها بالخائنة والجبان.

فقال جميل : من اخبره ؟

فقالت : لا أدري ! أنا لم أخبر أحدا موعد اللقاء .

قال : ولا أنا.. من سمعنا من الزملاء ونحن نتواعد؟

قالت : حتى لو سمعنا أحد ؛ فكيف اتصل بمن هو خطيبي ؟

قال : فعلا ما أدراه بتلفون ياسر ..أو شركة ياسر .. ولماذا أتى ياسر الغابة ؟

قالت : ليتأكد من حبنا وعلاقتنا .. رفض أن يترك الخطبة كما حدثتك مع علمه بما نحن فيه .

قال : على كل نتكلم غدا في الكلية .. سنجد حلا تصبحين على خير.

وضعت السماعة عندما دخلت أختها الأصغر قائلة : مع من تتحدثين ؟

ـ ياسر .. تشاجرت مع خطيب الهنا

قالت : عليك الرضا بنصيبك

قالت علياء : الرضا بنصيبي ، قد لا يكون نصيبي ويموت أحدنا قبل الزواج.

بعد هاتين المكالمتين العاصفتين بيومين وجد الناس جثتين في غابة البلدية ، وكانتا لجميل وعلياء لقد اطلق الرصاص عليهما ،وأتت الشرطة الجنائية والطب الشرعي والتحقيق البوليسي.



اشتباه في الخطيب

كانت فضيحة مدوية في العائلة لعلياء وياسر وهم يسألون من هو هذا القتيل معها ؟ ولماذا كانا في الغابة ؟ والسؤال الثالث من قتلهما ؟

حققت الشرطة مع أسرة علياء ، وأسرة جميل ، وتحدث ياسر عن الواشي وقصة الغابة ، وتحققت الشرطة من صحة الاتصال ، وتبين أنه من هاتف عمومي .

التقت جهات التحقيق بزملاء ورفاق جميل سواء في الجامعة ، أم في نادي العائلة ، وتحدثوا مع رفاق الحي ، وجميع من سئلوا أنكروا الاتصال بياسر وإخباره بخروج جميل وعلياء سوية ، وأي معرفة لهم بالمتصل ، وعلاقات الشباب والشابات أمر اعتيادي في صالات وساحات وقاعات الجامعة ، شيء لا يثير الدهشة والانتباه بينهم ، سواء كان اللقاء والجلوس علاقة عاطفية أو مناقشة ، وسواء كان اللقاء بين زملاء كلية أو شعبة واحدة .

وبين رفاق الكلية أنهما صديقان من بداية العام الدراسي ، حتى وقع في قلب البعص أنهما أصدقاء قبل الالتحاق بالجامعة ، ولم يعرفوا منافسا أو خصما لهما أو لأحد منهما ، فهما دائما معا ولم يكن الأمر خفيا . وبدا الكل مستغربا الجريمة ، وأن ما كان بين علياء وياسر مجرد خطبة وهم أقارب بعضهم ببعض، لم يزعم ياسر بحب جارف لها أو علاقة كانت تربط بينهم تطورت لزواج ، والخطبة يمكن إنهائها بطرح ونبذ الذبلة من يده .

إذن لماذا قتلت؟ ولماذا قتل جميل ؟ على الشرطة الإجابة .. المجتمع المحلي والجامعي والأسري أصابه الانزعاج والقلق . كالعادة تسري الأقاويل وتكثر الإشاعات.

وتأكد للشرطة أن ياسرا لم يغادر العمل عندما تحدد الوقت التقريبي للقتل لأي ظرف ، انصرف في الرابعة مساء كأي يوم عمل آخر ، كما شهد على ذلك عدد من زملاء العمل والمسؤول عنه ، وهو الذي كشف أمر تلفون الواشي قبل الجريمة ؛ وقال بعضهم افتراضا : ربما فعل ذلك الواشي ؛ ليدفعه ويهيجه لارتكاب الجريمة نيابة عنه بزعم الغضب والانفعال .. ويبدو أن الواشي لم يكن يعلم بأن الشاب ياسر عرف بالعلاقة بينهما منذ بدأت الفتاة رفضه وزارته في مكتبه في

شركة المواشي تطلب منها الابتعاد عنه .. وكيف رأها تركب معه السيارة الخصوصية لم تزره بتكسي أجرة ؟

اضطر البوليس إيقاف التحقيق ، أغلق الأمن الملف إلى حين حتى يظهر جديد في القضية الجنائية، كان والد علياء في شوق ولهفة لمعرفة قاتل ابنته رغم الوضع والخزي الذي حصل في العائلة.. هناك جريمة قاتل .. فمقتل ابنته مع شاب غريب لم يمت للعائلة بنسب بعلاقة بقرابة أمر مثير .. لو قتلت في مكان آخر أو غابة في الجامعة ؛ ربما كان الأمر أهون على النفس ، ولم يثر شبهات وأقاويل.. عادة ما يجلس الطلبة مع بعضهم في المطعم في الملعب أما في غابة البلدية البعيدة عن الجامعة.. فهذا يشي بأمر كبير بينهما ، ويدل على علاقة سيئة وقبيحة .

وفرح والدها والأسرة رغم المأساة لما أخبر الطب الشرعي أنها كانت عذراء بكرا لم يحصل بينهما اتصال جنسي أو اغتصاب ؛ ولم تكن في حالة حمل ؛ فكان موسى سعيدا بذلك إلى حد ما. ولكنها قتلت ! والشرطة لم توجه الاتهام لأحد ، وهو أيضا لا يتهم أحدا.

لما برد وخفت موضوع مصرع علياء بين أفراد العائلات ، والأيام تنسي المصائب والآلام ، وقلّ ذكره في الصحف همس ياسر بالزواج ، عرضت عليه أسماء شقيقة علياء طالبة في الثانوية بينها وبين الجامعة شهور معدودات ، فقبل ياسر وأعلنوا الخطبة رسميا ، وأن الزواج سيكون بعد امتحانات الثانوية العامة التي بقي لها شهران ، ونجحت الفتاة ، وحصلت درجة ممتازة وستتعلم الصيدلة أو الطب ، ولم يمانع الزوج ياسر على أن يكون الزواج قبل الالتحاق بالجامعة . وبدأ الاستعداد لحفل الزواج بعد أن تمت كتابة عقد الاقتران في إحدى المحاكم الشرعية في المدينة .

ذهب ياسر بصحبة أخيه يامن إلى حجز صالة أو قاعة لإقامة حفل الزفاف ، وكانت الأمور تسير على ما يرام ، ونسي القوم علياء وقاتلها، والحياة لا تتوقف عند حياة أحدهم أو موته. تركوا السيارة في ساحة مخصصة لسيارات الشركة المالكة لإدارة القاعة ، وهذه الساحة أو الفناء عادة مخصصة كما هو معلوم لاصطفاف ووقوف سيارات المدعوين ليلة الحفلة أو السهرة وحين تكون خالية أو قليلة السيارات فهذا يدل على عدم وجود مناسبة وحفلة .

عقدوا الاتفاق مع إدارة القاعة والصالة ، ووقعوا العقد ودفعوا المبلغ المتفق عليه بين الفريقين وهبطا إلى سيارة يامن الصغيرة ، وجلس يامن في مقعد القيادة منتظرا صعود شقيقه ياسر ، وأوشك ياسر أن يقترب من بابها الأيمن ؛ ليجلس على يمين يامن ؛ ليذهبا لمكتب كتابة وطباعة كروت الحفلة والبطاقات بهذه المناسبة ، وقبل أن يمد يده إلى مقبض الباب أطلق اتجاهه عددا من الرصاصات الغادرة ، فصرخ وسقط أرضا ، ولاحظ الناس الموجودون في الساحة السيارة التي قامت بالجريمة ، ولقطوا لونها ورقمها وعلامتها التجارية .

وكانت بعد اطلاق الرصاص تحركت مسرعة حيث كان يجلس على مقعد القيادة شخصا في وضع تشغيل للسيارة ،ولما صعد مطلق الرصاص تحركت مبتعدة هاربة. حضر الإسعاف الفوري والأمن ، ونقل المصاب إلى المشفى ، وأدركه الموت بعد ساعات . قامت الشرطة بسماع أقوال الجمهور ويامن ، وبدأت مطاردة السيارة فورا ، ولم يكن عسيرا إلقاء القبض عليها ، فخلال ساعات كانت في قبضة الشرطة بدون السائق والجاني كما قال الشهود . وكان الحادث صاعقا لأهل ياسر وأهل العروس، وكان الناس في حيرة في سبب هذه الجناية والجريمة .. فقبل شهور قتلت خطيبته علياء .. وها هو اليوم يقتل .. ما الأمر ؟!

وذكرت الصحف الناس بمقتل علياء وجميل قبل سنة ، ولاموا البوليس الذي فشل بكشف خيوط تلك الحادثة ، فلو عرفوا أسباب ومرتكبو الجريمة المزدوجة ؛ ربما ما حدثت هذه الجريمة! ورغم معرفة رقم السيارة والقبض عليها ، لم تقدم للشرطة شيئا مهما ومفيدا ، فتبين أنها سيارة مسروقة من مدة من شهر .. فذهبت الشرطة بعد تفكير عميق أن الجريمة فيها مخدرات وممنوعات . فمن المعلوم لدى الشرطة أن الكثير من السيارات تسرق لاستخدامها في التهريب والسرقة أو بيعها قطع غيار ، لكن هذه السيارة موديل قديم لا تصلح لبيعها قطع غيار .. فرجح لديهم أن السيارة استخدمت قبل الجريمة بعمل تهريب .. لكن ما دخل ياسر في المخدرات .. وبدأ الاهتمام بسيرة وحياة الرجل.

نهاية الحكاية

ارتبك التحقيق في الجريمتين ، القتل كان في وضح النهار ، اجتمع مجموعة من المحققين، والمدعين العامين المكلفين بالقضيتين ، وخبراء علم نفس وطب شرعي واجتماع للنظر في مآل الجريمتين . هل هناك مخدرات ؟

الطب الشرعي أجاب : لم يكن في أجساد الضحايا ما يشير للتعاطي . تبين أن هناك بيع مواشي سرا لياسر .. بيع لحوم خفية لمصانع معلبات اللحوم .. إذا كان مقتل ياسر لعلاقته بالشركة ، فما دخل الجامعة ومقتل علياء وجميل !

نطقت أسماء أن أختها كانت لا ترغب بالزواج منه ، وأنها أكرهت لقبوله ، وكانت ترغب أن يتركها ، فهددته بكشف أمره ببيعه اللحوم دون علم رؤسائه ؛ لتجبره على فسخ الخطبة ؛بأن تكشف أمر سرقته وبيعه للخراف واللحوم من خلف الإدارة .. ولكنها لا تدري هل فعلت ذلك ونشرته ؟ ولما سؤلت كيف عرفت ؟ أخبرت أن علياء حدثتها بذلك ، وعلياء عرفت منه اعترف لها أنه يتاجر ببعض الأموال خفية لما سألته من أين وفرت أموال البناء والخطبة.. فتحدث معها بصراحة عن ذلك ليكسب ثقتها بمصارحتها بسر خطير ، وأكد لها أن والده لم يساعده بدرهم واحد ، وأن له مصادر غير راتب العمل، فلما استغلت ذلك الاعتراف ، وهددت بفضحه إن لم يقم بفسخ الخطبة ويدعها .. قد يكون هذا سبب الجريمة الأولى . قد يكون ذلك الدافع للقتل !!

بعد هذه المعلومة عمقت الشرطة التحقيق مع رفاق ياسر في الشركة، وكشفت المستور ، وضيقت الخناق عليهم ، فاعترف بعضهم بالشراكة على الاختلاس والسرقة من وراء ظهر الإدارة ، وكان لياسر زميل علم أن ياسرا يتعرض لتهديد من خطيبته بعد أن اعترف لها بمصدر دخله الثاني ، وتمكنه من بناء البيت والخطبة مما دفع هذا الرفيق لقتل علياء وزميلها أثناء شجار افتعله في الغابة ، عندما قام جميل بصرعه على الأرض ، ووضع حذاءه على وجهه وأساء إليه ، فلما ابتعدا نهض وتبعهما وقتلهما بمسدس يحمله نتيجة شجار وتهديد .

وعلم ياسر بفعلته الجبانة ، وغضب ياسر من فعلته أشد الغضب ، ولم يجسر على الاعتراف لعمه أو الشرطة ، فهما متورطان في السرقة من شركة المواشي من سنوات .

ولما خطب أختها لتقاليد عائلية ، حذره شريكه من الزواج من ابنة خاله أسماء ، لأنه خشي منه أن يعترف لها بسرهما كما أسر لعلياء سابقا ، ويعترف لها بقتله لشقيقتها .

ولما لم يقبل ياسر تحذيره قتله مضطرا ، فهو اصبح خطرا على نشأت القاتل ، ولما سئل عن الواشي أخبر أن الواشي في المرة الأولى جميل نفسه ؛ كما اعترف له عندما قابلها في غابة البلدية ، كان يريد تهييجه على علياء .. كان يريد أن يراه ياسر مع خطيبته ، ويضطر لترك الخطبة عندما يرى خطيبته مصرة على علاقتها الغرامية مع جميل ، وعلياء كانت ترغب بأن يتركها ياسر ، فجميل هو الواشي ليذهب ياسر ويراها بأم عينيه ليغار ويترك ، وفي يوم الجريمة غادرا الجامعة سوية وذهبا لغابة البلدية ، واتصل جميل بياسر مرة أخرى ليراه معها ثانية ، فيضطر لفسخ الخطبة بإصرارها على اللقاء بحبيبها ، وإنها غير مهتمة به ، فاخبره ياسر بمكان اللقاء ، ولما علم الجاني بلقاء الغابة من ياسر ذهب لتهديدهما وحدث القتل الأول .



*لغز غابة البلدية *

صاحبها في الجامعة

أبوها يرغمها على خطبة قريبه

ترفض الخطبة وتستنجد بصديقها

وجدوا جثتيهما في غابة البلدية

ما الدافع لاغتيالها ؟!

قصة جريمة قصيرة



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



العالِم المزيف

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين

العالمِ المزيف

جمال شاهين



١

" حياة الأسرة في خطر ،إنهم يريدون أسرار برنامج التحديث في القوات المسلحة "

هذه الكلمات نطق بها المهندس الركن العميد " فارس شولكم " وهو يضع سماعة الهاتف لزوجته أم عمر التي تقف بجواره ، وكلها قلق وخوف لهذا الهاتف الليلي عند الثانية ليلا من نوفمبر (١٩٩٣) فقالت الزوجة وهي ترتجف مما سمعت : من هم هؤلاء الذين يريدون هذه الأسرار ؟ !

مشى المهندس نحو كنبة في صالة البيت وجلس عليها وزوجته خلفه ، ثم جلست قريبا منه فسمعته يقول ويردد : من هم ؟! .. لا أدري .. إنهم يهددون ويتوعدون وسينفذون إن لم أسلم الرسومات والوثائق وأرضخ لمطلبهم وأتعاون معهم .

قالت برعب : إنهم يعرفونك ويعرفون دورك في البرنامج !

قال: بالتأكيد ، ويعرفون مدارس الأولاد وأرقام الهواتف وبيتنا هذا وبيت والدي ووالدك .. والجميع بخطر إن لم أبيع لهم نفسي وشرفي ...

فقلقت الزوجة وقد أدركت الخطر الذي يتحدث عنه الزوج وقالت : وماذا ستفعل ؟!

قال: أفكر بالتحدث مع رئيس الدولة مباشرة .

قالت برعب : وقد يكون هاتفك مراقبا من قبلهم .

قال: سأضع الرئيس في الصورة .. الأمر خطير ومخيف .. فأنا منذ استلمت هذا المنصب وأنا أتعرض لمضايقات ومكالمات ، وطلب التعاون ، وأن الملايين في انتظاري في بنوك زيورخ وفينا

هتفت قائلة: ملايين .. إنهم أقوياء !

فقال فارس بقوة وتحد لمع في بريق عينيه : الله أقوى ! .. ووضع الحرس على الأولاد أمر مخيف يا نعمى .. أمر محرج ومثير للخوف والقلق في نفوسهم ..

قالت برعب : عليك إخبار رؤسائك يا فارس !

فقال مفكرا وبحيرة : الوضع دقيق وحساس .. فأي الرؤساء أكلم ؟ .. الوزير .. مدير

الاستخبارات العسكرية .. رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة .. مساعديه .. أمورنا بعد الحرب التي انتهت منذ سنوات مضطربة .. خلايا التجسس كثرت في الجانب العسكري والجانب المدني .. قل المخلصون للوطن والبلاد .. فهناك عملية تطهير وترتيب داخل القوات العسكرية والأمنية المختلفة .

فتسألت الزوجة فقالت : وهؤلاء لماذا يريدون خطط وبرامج التحديث للجيوش ؟!

فقال فارس وهو يتنهد بعمق : تباع لدول معادية أو دول صناعية أو جهات أخرى .. أو إسرائيل العدو الأول للعرب والمسلمين.

فقالت نعمى بعد صمت وتريث يسير : تحدث مع أخي خليل .. فهو ضابط أمن ومخابرات

فقال فارس : فكرت بذلك ؛ ولكنّ أخاك ضابط صغير ملازم أول ، قد لا يُسمع كلامه ويهتم به .. فهذا التهديد سيسيء للرجال الأوائل الذين استلموا المنصب من قبلي .. فهل كانوا يبيعون شرفهم العسكري من أجل المال والأرصدة ؟ فالهزيمة كانت قاسية ومؤلمة لكل الأجهزة ، وكشفت الكثير من العيوب والترهل والموت مات الكثير من الأفراد والعسكر .. أم أنا أول ضحية ومطارد لهم .. أنا على نفسي لست خائفا ؛ ولكني خائف عليك وعلى الأولاد .. وصمتي قد يسيء لسمعتي وشرفي العسكري ويثير الشبهات حولي يا نعمى .

قالت : شاوره .. فخليل شاب ذكي وفطن ربما أفادك ؟

قال: أخشى أن يتعرض للأذى .. فهؤلاء الجواسيس لهم جواسيس وعملاء فمن عادة الجواسيس أن يشكلوا شبكات سرية وجماعات وخلايا متعددة .. ولهم ثلاثة شهور يطاردونني بالهواتف والعروض وخشيت أن ألتقي بأحدهم فأقع في فخهم وأضعف أمامهم أريد أن أعرفهم من غير الجلوس معهم .

فقالت الزوجة الحائرة والخائفة من القضية المثيرة :أنا سأخبر خليلا بذلك، فهم يعتقدون أنك لا تتحدث أمامي بهذا الخطر .

قال : أنا كنت أكتم عنك ذلك قبل الليلة خوفا من بث الرعب والخوف في نفسك ؛ ولكن

قلقي عليكم دفعني للقول الليلة ؛ وربما تكون حياتي في خطر ويتخلصون مني برصاصة أو بسيارة مسرعة فلا تعرفون سبب هلاكي ؛ فهذا هو الذي دفعني الليلة لمصارحتك بسر هذه المكالمة .

فأخذت الزوجة التي تضطرب من الخوف تشجع زوجها وتثبته على الصمود والصبر وعدم الضعف لهؤلاء الشياطين .. وبعد ساعة من الحديث دخلا من جديد إلى مخدع النوم .

* * * *

كان هناك أيضا الطيار العسكري العميد " زيد عبد القادر " يتعرض لتهديد شبكات التجسس في البلاد ، فهو قائد قاعدة عسكرية لسلاح الطيران وفي فريق تحديث الجيش والسلاح ، فقد تلقى كثيرا من هواتف الإغراء والتعاون ثم بدأ التهديد والوعيد .. وهو يجهل هذه الجهات أو الأشخاص الذين يطاردونه ويطلبون الاتفاق معه .. وفي تلك الليلة من نوفمبر استيقظ على جرس الهاتف ، واستمع لتحذيرات وتهديدات العصابة ، ولم ينتبه زيد أن ابنته الشابة قد فتحت الخط من غرفتها واستمعت للمكالمة الخطيرة فاصفر وجهها وارتسم الخوف على وجهها وعينيها وبدنها وأدركت الخطر المحدق بوالدها إن لم يتعاون مع هؤلاء الأشرار .. فجلست في فراشها ووضعت الكتاب الذي كانت تطالع به .. فهي لم تنم بعد .. فأمها وأخوها محسن ظلا في العرس وعادت مع والدها .. ولما تناولا طعاما خفيفا دخل كل واحد منهما لحجرته .. فلم يغلبها النوم فأخذت تقرأ في كتاب ساعة من الزمن عندما رن جرس الهاتف فرفعت السماعة لا شعوريا أو بحكم العادة ، وقبل أن ترد سمعت والدها يرد ثم سمعت الحوار الرهيب .. التهديد والتخويف .. أخذت تفكر بالخطر المحيط بالعائلة وتتسأل عن هؤلاء المجرمين فهمست لنفسها : أبي من كلامه معهم فهو لا يعرفهم ، ولا يريد التعرف عليهم ؛ ولكنهم يصرون على تعاونه معهم أو تعرض أهله للضرر والخطر على أيديهم .. ماذا أفعل ؟! هل أحدث والدي بأنني سمعت هذه المكالمة أم اصمت أم أتحدث لأحد ؟! .. ماذا ستفعلين يا لمياء ؟!

لم تستطع لمياء النوم مما سمعت ومن التفكير فقامت ودخلت المطبخ لتصنع القهوة فسمعت

والدها يقول : لمياء ألم تنامي بعد ؟ .. ما بك ؟!

قالت: كنت أقرأ ، ولم أستطع النوم رغم شدة نعسي ونحن في الحفلة .. هل أصنع لك فنجانا يا أبي ؟

فقال بقلق : لا بأس .. هل سمعت رنين الهاتف قبل ساعة من الزمن ؟!

فقالت بشجاعة : سمعته وسمعت المكالمة من غير قصد يا أبي .. رفعت السماعة من غير قصد ولكن بحكم العادة لأرد ظانة أنك نائم فجرى ما جرى .. وأنا خائفة عليك يا أبي ؟!

فتبسم وقال : بل أنا خائف عليكم .. فأنا أستطيع الدفاع عن نفسي .. لا تخافي عليّ يا لمياء .. هل أخبر أمك وأخاك بالأمر ؟!

فقالت: محسن ممكن ؛ ولكن أمي لا أدري يا والدي الشجاع !

قال مشجعا : سأخبرهم .. وعليكم بالحذر أثناء قطع الشارع عند الركوب في السيارات أثناء تناول الطعام في المطاعم والمقاهي .. لسوف أعرف من هؤلاء الأشرار المجرمون ؟

بعدما شربا القهوة قالت لمياء : ماذا ستفعل يا أبي ؟ ألا تريد أن تكلم رؤساءك بخطرهم وإجرامهم ؟

قص عليها زيد قصة بداية التهديدات والإغراءات ثم قال : أفكر أن أتحدث مع ضابط الاستخبارات في القاعدة ؛ فلربما صدقني واقتنع بكلامي ، فهو لا يحبني منذ تصرفت معه في موقف بما لا يليق مني ؛ ولكني كنت منفعلا وأنا أعلى منه رتبة .. أخشى أن يسخر من قصتي ويعترض لماذا لم تقل ذلك منذ البداية يا كابتن زيد عبد القادر ؟ وكان القائد يقلد صوت ضابط أمن القاعدة العسكرية للطيران .

* * * *

في نفس الليلة كان بيت العالم الكيميائي " الدكتور رونسو مايكن " مسرحا لحدث خطير ، فعندما خرج من معمله الخاص الموجود داخل القصر الصغير .. ووضع له الخادم الأسمر سقراط العشاء الخفيف ، وتركه يتناول الطعام بهدوء وهو يشاهد احدى محطات التلفزيون ..

ولما رفع الطعام وأخذ يشرب الشاي كان غارقا في التفكير .. ولما اقترب الوقت من نصف الليل استأذنه الخادم سقراط بالنوم فأذن له .. ثم تكلم في الهاتف بضع دقائق ونزل لحديقة القصر .. ودار حول القصر عدة دورات ، ثم تحدث مع حراس الأبواب ، ثم قفل عائدا للبيت ، وصعد الدرجات في الطابق الثاني حيث مخدع النوم ومعمل التجارب .. فتح حجرة النوم وجلس على مقعد فيها واستغرق في تفكير عميق لم ينم ..بماذا يفكر رونسو ؟ عند الثانية ليلا طرق عليه الباب فدهش وهمس لنفسه : " ماذا يريد سقراط ؟! " ورفع صوته قائلا : ادخل الباب مفتوح فتح الباب ودخل رجلان مقنعان وأحدهما يشهر مسدسا ، وهو يتطلع يمنة ويسرة وسمع الآخر يقول : رونسو .. لا تضغط على أي زر .. ليس مهما أن تعرف من نحن ؟ .. عليك أن تعود لبلادك خلال أسبوع اليوم الثلاثاء .. يوم الأربعاء القادم تكون حياتك في خطر .. ستموت يا رونسو .. عد لبلادك ولا داعي لإجراء تجاربك هنا .. ها أنت ترى أن وصلنا إليك رغم وجود رجال يحرسون الفيلا .. هل تسمع ؟ حياتك تحت الموت .. وداعا !

لم ينبس رونسو بأي كلمة فقد ذهل وصدم فانهار جالسا على كرسيه يفكر بالتهديد الخطير ؛ كأنه في حلم وليس في يقظة ، فقال لنفسه : هل هم من أعداء الدولة ؟ أم من رجال الدولة ؟! نهض عن المقعد بعد حين وأخذ يتطلع من ستائر النافذة وهو يقول : من أين دخلوا ؟! هل في الحرس من خائن ؟! المال يهين الرجال .. الحارس بقليل من المال يتساهل وينسى واجبه .. هل أحدث أحدا بقصة الليل ؟ هل أكلم الحاكم الأعلى لهذه البلاد ؟ أم هل أهرب إلى بلادي كما يطلبون ؟!



٢

في قاعة تحت الأرض من عمارات المخابرات العامة ، كان مدير المخابرات يعقد اجتماعا مهما وخطيرا مع كبار ضباط الجهاز ؛ وبالأخص ضباط مكافحة التجسس وأجهزة المخابرات المعادية للدولة القطرية ، فلما شرح لهم قضية اقتحام فيلا الدكتور الخبير رونسو مايكن والتهديد الكبير الذي تعرض له طلب منهم الحركة والنشاط في رصد الخلايا والشبكات المعادية ، وتعهد أمامه مدير مكافحة التجسس اللواء حمدي رامز بالوصول للرجلين الذين تسللا للفيلا ولمن يقف خلفهم ، ولما انسحب مدير المخابرات من القاعة السرية ظل فيها مدير مكافحة التجسس اللواء الركن " حمدي رامز " ومدير الاستخبارات العسكرية اللواء مروان احمد ومساعدوه في كل أسلحة الجيش البر والبحر والجو ومساعدوه في مختلف التخصصات ، ونائبه اللواء الركن " مرسم لازمي " فأعاد اللواء حمدي التأكيد على المسارعة في الوصول للرجلين ومن خلفهما فإن رئيس الدولة مهتم بالقضية .. ولما سأله أحدهم عن الخبير الكيميائي رونسو أجاب حضرة المدير " هو بخير ولكن حياته في خطر " ثم سكت لحظات ثم قال : بالتأكيد أن العصابة والأعداء سيعرفون أنه لم يسافر وأننا أخفيناه بمكان سري "

وعرض عليهم مدير دائرة مكافحة التجسس صورا تقريبية لرجلين ملثمين والقامة واللباس ثم قال : هذا أمر صعب في الواقع وقد يكون من المستحيل التعرف عليهما من هذه الصور المتخيلة لقلة المعلومات التي أدلى بها العالم ؛ ولكن رجل الأمن ربما استفاد من ذلك في ظرف ما .

وحثهم الضابط الكبير على قراءة تقارير المخبرين المختلفة ؛ فلربما يستفيد أحدهم من عبارة أو جملة من أحدهم.. ولما فض الاجتماع ارسل مدير المكافحة العسكرية اللواء مروان وراء المقدم " أمين حسن" وكلفه بمتابعة قضية المهندس فارس شلوكم ، فقد طلب مني الرئيس مباشرة الاهتمام بهذه القضية ، فالرجل خاطب الزعيم مباشرة ، فشكره أمين على ثقته به

وقال أمين : أرجو أن أكون عند حسن الظن .. سأرتب لقاء سري مع المهندس لأسمع كل

ما عنده .

قال : تحرك بسرعة فالمهندس قلق للغاية .. مفتاح الحركة بينكم" آمين " مرتين .. ضع رقابة حول البيت ، رقابة ذكية لا نريد أن يشعر بها هو ولا أفراد العائلة أي شعور وحس .. فارس يحمل أسرارا مهمة وخطيرة عن مشروع التحديث والتطوير ؛ فاذا سقط فأن ذلك سيشكل لنا كارثة .. لا تنسوا مراقبة هواتف البيت العامة والخاصة .. اذهب الآن وخطط للقاء به بلقاء سري جدا جدا .

عاد أمين حسن لبيته بعد أن أطلع على ملف المهندس فارس من قيادة الجيش والأمن العسكري رجل نظيف وذكي شجاع وسلوكه جيد خلال سنوات الخدمة الطويلة وملتزم بالأنظمة والتعاليم بشكل ممتاز وترقى في درجات ورتب الجيش بشكل اعتيادي ويحمل عددا كبيرا من أوسمة الاستقلال والحرية والشجاعة والفروسية والصقور ووصل إلى منصبه بجدارة واستحقاق بدون واسطات .. وقرأ ملف الدورات التي اشترك فيها الرجل وعرف مكانها وزمانها ، اطلع على كل ذلك قبل أن يدخل البيت ، وبعدما استراح ساعة من الزمن أخبر زوجته أنه في مهمة فلا تقلق عليه ، ودخل غرفة خاصة بالفيلا الخاصة به .. وتنكر بشخصية أخرى شخصية قاضي محكمة شرعية إسلامية .. ومن باب صغير خلف الفيلا نفذ إلى الشارع مشيا على الأقدام حتى وصل للشارع العام الذي يبعد عن البيت مائتين خطوة وأشار لسيارة أجرة فأقلته إلى حيث يقطن المهندس فارس وقبل الوصول للبيت بمائتي خطوة تقريبا نقد السائق أجره ومشى نحو بيت المهندس فارس شلوكم .. وتحدث مع بواب القصر فقال البواب الكهل : نعم يا مولانا القاضي .

قال أمين بلهجة بطيئة وثقيلة : السيد فارس أموجود في البيت ؟

ـ نعم يا سيدي القاضي .. هل من حاجة إليه يا مولانا ؟

كان أمين يتفرس بالبواب الشيخ بشكل خفي ودقيق فلما سمع السؤال رد قائلا بنفس اللهجة السابقة : قل له إن القاضي موسى يريده في تعيين قريب وتسجيله في الجيش يا سيد ..

فأدرك الحارس البواب أن القاضي يريد أن يتوسط المهندس لقريبه بالعمل داخل الجيش ، فشعر بالفرح وقال : البيك لن يبخل عليك بذلك يا سيدي القاضي .. وأنا اسمي عبد السلام محمد يا مولانا القاضي .

قال : بارك الله فيك يا أخ عبد السلام .. اتصل بالمهندس .

اتصل البواب بالداخل فردت الزوجة فحدثها عن زيارة فضيلة القاضي موسى للمهندس في شأن واسطة لقريبه ، ولما حدثت زوجها بأمره وأمام دهشتها أمر بإدخاله ، فأغلق البواب الباب وتقدم بين يدي القاضي حيث صالة الفيلا حيث استقبله المهندس ، والهم واضح على وجهه وبادي في عينيه ، رحب الزوجان بالقاضي موسى ثم انصرفت الزوجة لإحضار القهوة فهمس القاضي بأمين حسن فذعر المهندس وقال : أهلا بالصديق أمين حسن .

ـ أنا الآن القاضي موسى سالم .

وأخذ بتشجيعه على الثبات والتحمل للإيقاع بالمجرمين وتواعدا على اللقاء في مكان رسمه له أمين .. ولما عادت الزوجة وجدت زوجها يعد الشيخ القاضي بالتوسط لقريبه في التعيين لدى القوات المسلحة ، وشربوا القهوة جميعهم ثم غادرهم القاضي موسى ، ولما انصرف الرجل عاد الانبساط للمهندس فارس ، وعلم أن الدولة مهتمة بقضية مطارديه لتوريطه في التجسس والعمل ضد أمن البلد ، فعادت لنفسه الثقة برجال المخابرات والمكافحة رغم الهزيمة القاسية التي لحقت في البلد في الحرب الأخيرة مع العدو المتربص .

لما خرج المهندس فارس من الاجتماع الأسبوعي مع رئيس الأركان العامة لم يغادر القيادة نحو مكتبه في معسكرات تحديث الجيش ؛ بل سار نحو مطعم الأفراد والجنود الصغار ، وهناك في نادي الأفراد التقى بأمين حسن ، ثم مشيا معا نحو غابة صغيرة وعندها ثكنات الحراس والجنود وتحت شجرة جلسا فاستمع أمين للمهندس الركن العميد قصة الاتصالات والإغراءات فقال : بعدما تم تعييني رسميا في المنصب .. تحدث معي شخص مهنئا وأثناء الحوار والمجاملة أخبرني أنه رسول جماعة مهتمة ببرنامج تحديث الجيش وأنهم يرغبون بلقائي .. فاعتذرت ثم تكرر

الاتصال منه ثانية وثالثة وأنا أترجاه أن يبتعد عني وكان يعرض عليّ خلال ذلك مجرد لقاء واحد فقط .. فأبيت وتحدث عن الملايين والأرصدة والحساب المفتوح فأخذت أعامله بالشتم والسب وهو يقابلني بالضحك ثم أخذوا يتهددونني وأنني اذا أصررت على عدم التعاون معهم سيعملون على تدمير حياتي أو قتلي أو أولادي أو أقاربي .. وأنا حائر بالرد ولمن أتحدث ؟! .. وآخر ما كان اتصالهم بي منذ عهد قريب بعد نصف الليل وفي هذا الشهر نوفمبر الذي نحن فيه ولحساسية الموضوع وخطورته وخلال لقاء قصير برئيس الدولة أسررت له بذلك الخطر الداهم ، فوعدني خيرا وتحدث مع اللواء حمدي رامز مدير مكافحة التجسس ، ثم وعدني حمدي رامز بلقاء معك وها نحن نلتقي يا حضرة المقدم .

فقال أمين : اطمئن يا حضرة العميد سنكون عند حسن الظن إن شاء الله تعالى .. وأنا قرأت ملف خدمتك بالتفصيل وملف الدورات التي شاركت فيها هنا وهناك .. فوجدتك نموذجا للعسكري الملتزم الناجح .. واطلعت على ملفات زملائك في مشروع التحديث والخطط المعروضة والدراسات وأظن لحتى الآن أنكم على قد المسؤولية الملقاة على عاتقكم .. وأمام ذلك يا سيدي العميد سنبدأ العمل ونحن مطمئنون لإخلاصكم للدولة والنظام ونحن نريد أو قل أنا أريد منك أن تقبل اللقاء مع هؤلاء ، وعليك أن تشعرهم أنك وافقت لأنك خائف على أفراد الأسرة وأقاربك من غدرهم ، ولديك بعض الحاجة للثروة الكبيرة .. عليك بالمراوغة يا سيدي قبل الموافقة وأنا سأقدم لك الأوراق التي ستدفعها لهم أثناء العمل معهم اذا اضطررنا لذلك .. وأنا سأدبر طرق اللقاء بك خفية للتشاور ومعرفة أسرار كل لقاء .. ثم هم بالطبع ربما بل قد يكون من الأكيد أنهم لن يلتقوا بك بعد هذه الممانعة بسرعة سيحاولون معرفة سبب رضوخكم وتغير موقفكم بعد تشددك في الرفض .. ناور وراوغ .. سيتعاملون معك بحذر وذكاء ويجب علينا أن نكون نحن أذكى وأفطن منهم .. وهذا التعاون بينا يجب أن يكون سري للغاية لا تحدث به أحدا لا زوجة ولا ولدا ولا أخا ولا صديقا .. وأنا سأتردد عليك ابتداء على صورة القاضي موسى مظهرا أنني أضغط عليك من أجل تجنيد قريبي وبعد حين ستراني

بشخصية أخرى .. تأكد أني معكم بكل ثقل وقوة .

فقال فارس وهو منشرح الصدر رغم المغامرة المقبل عليها : أنا الآن مطمئن لقدرة مخابراتنا وكفاءة رجالنا وحماة أمننا ولن تخلو البلد من المخلصين .. أشكرك يا مقدم أمين لقد عادت إليّ الثقة والقوة من جديد .. وسنعيد بناء القوات العسكرية .

وانصرف الرجلان كل من جهة ، عاد المهندس فارس لمعسكره ، وهو منشرح الصدر مطمئن للخطوة القادمة ، وقد جاء العرض سريعا ففي الليل رن جرس الهاتف فرد فارس فسمع الصوت يقول له : إنه في خطر وإنه سيتعرض لضربة قريبا . وذكر له قصة الخبير الكيميائي وهي لم تكن سر فقد تحدثت عنها الصحافة المحلية ؛ ولكن نسبها الرجل لجماعته فهذا خطير .. فقال المهندس بعد تردد وجدل وصراخ : أرجوكم اذا أردتم إيذاء شخص فليكن أنا .. لا تؤذون أحدا غيري .

فظن الرجل أن المهندس قد وهن وضعف وقال :هذا شأننا ، ولن نبدأ بك فربما عندما ترى ابنك ميتا تقبل التعاون معنا ..

أحس المهندس أن الرجل بلع الطعم فقال المهندس : أمهلوني أياما أو أسبوعا أفكر بجد في الأمر .. أرجوكم أن تدعونا بسلام ..

الصوت : سأصبر ثلاثة أيام وبعدها إن لم توافق على المقابلة سيحدث لابنك عمر شيئا ما ..

فتظاهر المهندس بالجزع : أرجوك .. أرجوكم أعتقوني لوجه الله .. أرجوكم ..أخشى أن يكون خط الهاتف مراقبا فتسيئون لي أمام رؤسائي .

ضحك الصوت : ولو كان الخط تحت المراقبة لا تخف لن يسيء لك أحد ..

أغلق الهاتف وانقلب مسرورا مما أثار عجب زوجته من ذلك وقالت : من سيؤذون ؟!

فقال بهدوء أعصاب : لعنهم الله يريدون إيذاء عمر .. ما العمل ؟ لقد حدثت الرئيس بذلك الخطر فوعدني خيرا ؟ فقالت: هل سنمنعه من الذهاب للمدرسة ؟!

قال : وهل يصعب عليهم الوصول إليه؟ .. فقد دخلوا على الخبير الكيميائي رونسو المحاط

بحرس ومخابرات .. سأتفاهم معهم مرة أخرى وألتقي بهم وأعرف ماذا يريدون بالضبط ؟ .
فهتف بقلق ودهشة : ماذا قلت ؟!



جهاز تعقب

كان المهندس فارس يفكر بطريقة يتصل بها مع المقدم أمين ليخبره بهذا الاتصال والتطور في القضية ، فكان في حيرة فأمين لم يعطه رقم هاتف أو جهاز لاسلكي ليتصل به عند الحاجة إنما كان الترتيب أن يكون أمين هو المتصل به وقتما يشاء فكان في حيرة ، وبينما هو في معسكره اتصل به أمين حسن ، ففرح بذلك الاتصال الهاتفي وكاد يحدثه بالعرض الأخير للعصابة ولكن أمينا قال له : ستراني !

ولما خرج المهندس من باب المعسكر مساء قال له احد حراس الباب وهو يشير إلى سيارة مدنية تقف قريبا من مدخل الوحدة العسكرية : هذا الشخص يريدكم يا سيدي العميد !

تطلع المهندس إلى السيارة المشار إليها فوجد فيها أمينا فصف سيارته وتركها وذهب للسلام على أمين، وجلس معه وقص عليه أمر الهاتف . فقال أمين : نحن سمعنا كل شيء .. وقمنا بتسجيل المكالمة .. فهاتفك يا سيدي تحت الرصد والمتابعة .. أنا جئت لأوكد لك ثانية أننا معك واذا وعدوك بلقاء في مكان معلوم لنا سنكون قريبين منك .. وأما اذا استعملوا أماكن ملغزة سأتصل بك لأعرف المكان .. تذكر أننا نحن الذين سنتصل بك .. لا تفكر بالاتصال بنا فلابد أنهم يراقبونك ؛ كما نفعل نحن .. فتجنيد عميل يحتاج إلى جهد كبير من الشبكات التجسسية إلى اللقاء .

انسحب المهندس من سيارة أمين ، وعاد لسيارته ثم ابتعد عن المعسكر الذي يعمل فيه ، وبعد حين يسير تبعه أمين بسيارته الصغيرة ولما وصل رأس الشارع سار باتجاه مخالف لسيارة المهندس

ولما انقضت الأيام الثلاثة لم يتردد رجل الشبكة بالاتصال ليلا عند الثانية صباحا ببيت المهندس وبعد التحية قال الرجل : هل فكرت ؟!

رد المهندس بصوت هامس : كيف سأراك بدون أن يعرف أحد من الخلق بهذا اللقاء ؟! .. لقاء تعارف وقصير قبل الاتفاق على أي شيء .

أبدى المتكلم سروره وقال : انتظر منا عنوان المكان .. سلام يا مهندس فارس ..

وضع المهندس السماعة وقال : حتى كلمة عميد لم ينطق بها من الفرح .. دائما يا عميد فارس .. يا عميد فارس .. أما الآن فلم يقل عميد .. ظن أن العميد سقط وخاف .. لعنهم الله !

تلقى العميد فارس رسالة قصيرة من العصابة مطبوع عليها اسم مكان ووقت اللقاء الخطير والقصير .. وملاحظة " الرجاء حرق هذه البطاقة " بالطبع لم يحرقها فارس واحتفظ بها .

وكان موعد اللقاء قريبا .. ولما التقى به أمين على باب المعسكر كالمرة السابقة واطلع أمين على البطاقة الرسالة وانصرف ، وعلى اثر ذلك غادر فارس الوحدة العسكرية .. والسؤال الذي يدور في ذهنه " هل لرجال الشبكة مجندون داخل الوحدة التي يعمل بها من أجل تطوير وتحديث أسلحة الجيش الحربي ؟! "

يوم الثلاثاء التاسعة ليلا من أول أسبوع من ديسمبر ١٩٩٣ كان العميد فارس يزلف من باب نادي الشملاوي وعلى مائدة خالية جلس ينتظر الرجل المجهول الوسيط بينه وبين رجال الشبكة الخطيرة .. طلب كوبا من الشاي وبينما هو يرشفه اقتربت منه سيدة طويلة القامة وحيته وجلست على كرسي على نفس مائدة العميد وهي تقول : أتسمح لي بالجلوس يا عميد فارس ؟ تطلع فيها لحظات وقال : تفضلي .

ولما جلست قالت وهي تتطلع في وجهه : كيف حالك ؟ .. أنا مدام سلمى .. أنا من طرف الجماعة .

قال : أي جماعة يا مدام سلمى ؟!

قالت: يسلم عليك " أبو سويلم " كثير السلام ؟

قال : آ .. أبو سويلم .. أهلا وسهلا ما أخباره ؟!

فقالت: تمام .. بعد نصف ساعة سأنصرف أيها الصديق .. فاتبعني لا تخشى شيئا

قال : أين ستذهبين بي ؟!

فقالت: في مكان آمن .. هذا مكان ملغوم برجال الأمن السري .. سنذهب بعيدا عن عيونهم وعيون الفضوليين .

ونادت على النادل وطلبت عصيرا باردا رغم جو ديسمبر المعروف ببرودته ، ثم أخذت تدردش مع العميد عن الحياة والأحلام والمال والعميد فارس يقول لنفسه " أول مرة أسمح لنفسي بالجلوس مع امرأة كهذه طويلة اللسان وثرثارة تسب الزعماء والحكماء غير وجلة .. ما سر هذه الأنثى ؟! .. يبدو أنها شبكة دولية .. يا رب سترك .. ولماذا اختاروا هذا النادي الليلي .. والعميد فارس يسهر في نادي ليلي .. يا لله !! "

فلما سألته عما يحدث به نفسه قال : هذه أول مرة في حياتي أدخل نادي ليلي يا مدام سلمى وأجلس مع امرأة ثرثارة مثلك .. هذا ما افكر به

فضحكت وقالت : ستتعود يا بيك .. هنا الكثير من علية القوم .. في صالات القمار أو قاعات الرقص والمجون والزنا ..

فقال متهكما : ومثل هذه الأماكن في بلادنا ؟

فضحكت ثانية وهي تقوم : وأكثر .. بعد قليل الحق بي سيظن هؤلاء السكارى أننا سائرون لقضاء شهوتنا .. أو نحن ذاهبون لصالة الرقص .. سلام .

ابتعدت المرأة ودفع فارس المتصبب عرقا كثيرا ثمن الشاي والعصير ومشى خلف المرأة وشاهدها وهي تخرج من الباب الخلفي للنادي وفتحت باب سيارة تقف في الشارع وقالت : هذا باب الهرب للزبائن إما من زوجاتهم أو أزواجهن أو من البوليس اذا كان هناك مطلوب وفار .

صعد بجوارها وقال مستفهما : وسيارتي ؟!

فقالت مطمئنة قلقه وخوفه على السيارة : عندما ينتهي اللقاء ستجدها أمامك .. أحد رجالنا الأن بداخلها سيأخذونها ويتفقدونها من أدوات التعقب والتنصت ؛ ربما سولت لك نفسك الغدر بنا .. الحذر واجب يا سيدي العميد .. لا تقلق ..

قال : حسنا .. حسنا أيها المدام هذا من حقكم .. ونحن لم نتفق على شيء بعد .. أنا بعد اللقاء بالرجل الذي يتصل بي سوف أفكر وأقرر يا سيدتي .. لا يعني قبول اللقاء معكم القبول

دارت المرأة في شوارع المدينة الرئيسية والفرعية عدة دورات ؛ كأنها تحاول تضليل من يتبعها اذا كانت متبوعة فعلا أو موهمة فارسا بقدرتها على الهرب من ملاحقيها أو أنها تريد قضاء وقتا معينا لتتصل لموعد وساعة معينة .. فلما اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف ليلا وقفت أمام بقالة في شارع فرعي ونزلت لتشتري منها علبة سجائر وبعض المكسرات وبعض علب العصير ، ولما عادت بتلك الأشياء دفعت علبة عصير للمهندس وأشعلت لفافة وقدمت واحدة للمهندس فارس فاعتذر وقال لها بقلق ظاهر : يا مدام سلمى تأخرت عن البيت ستقلق زوجتي والأولاد لم يعتادوا على غيابي المجهول .

فقالت: اتصل بها .. وتوقفت أمام كابينة هاتف عام وقالت : هذه كابينة تحدث معها .

نزل حضرة المهندس وتكلم مع زوجته مخبرا لها بأنه قد يتأخر بعض الوقت وعاد للسيارة فقالت المرأة : نحن بالطبع يا عزيزي أمرنا دقيق ويتطلب منا الحذر .. لقد كان النادي ملغوما برجال المخابرات وأخشى أن يكونوا قد اتبعونا من أجل ذلك أكثرت من اللف والدوران .. فمرة أخرى أقول الحذر واجب يا سيدي العميد .

قال : أنت تشكين بي ؟!

ضحكت وقالت : أنا أشك بنفسي .. نحن لا نلعب يا سيادة العميد .

وعاد الصمت بينهم ومضت السيارة في شوارع جانبية حتى وقفت أمام مقهى وقالت : انتظر لحظات . دخلت المقهى وتكلمت مع أحد الرجال فتبعها الرجل وسبقته للسيارة وقالت للعميد : أرأيت هذا الرجل ؟ اتبعه .

نزل العميد وتبع الرجل الذي لزم الصمت ومشى مائة خطوة ودخل في جوف سيارة ولما ابتعدت سيارة المدعوة مدام سلمى أضاء الرجل سيارته وتحرك بها نحو عمارة كثيرة الطوابق وإلى الطابق الثامن صعد الرجلان ، وطرق الرجل بطريقة خاصة على باب احدى الشقق وبعد قليل فتح لهما فقال الرجل : مدام سلمى ! وهبط من حيث صعد .

ودخل العميد المهندس فارس إلى بهو الشقة فوجد رجلا سمينا وقصيرا في استقباله ومرحبا به وساقه إلى غرفة في الشقة وسكب له بعض القهوة وقال له : أهلا بالمهندس العزيز فارس شلوكم .. يا مرحبا .. طال انتظارنا لهذه المقابلة .

قال المهندس مظهرا بعض الحدة : أين صاحبكم ؟! الرجل الذي جنني بكثرة الاتصال والمطاردة .. نريد أن نتحدث سريعا .. لقد أتعبتني هذه الملعونة .. لقد فرت بي كل شوارع المدينة ..

أخذ الرجل السمين يهدئ من ثورة المهندس ويتعذر له فقال : يا مرحبا ثانية .. فإجراءات الأمن وخداع رجال المخابرات مطلوب .. فلربما سولت لك نفسك بالتواطئي معهم .. فاقبل اعتذارنا واغفر لنا إتعابنا لكم .. فالموضوع كما تعلم خطير وعاقبته وخيمة ..

فقال المهندس وقد خفض من حدة صوته متظاهرا بمحاولة الهدوء : أرجو أن تكونوا قد اطمأننتم يا حضرة .. على عدم تعاوننا مع المخابرات ..

فقال الرجل السمين كأنه واثق من قدرة العصابة : ما دام قد وصلت إلى هنا فاحتمال كبير أن المخابرات لم تتبعك يا أبا عمر .. مع أن النادي كان الليلة الفائتة مليئا بمخبريهم .. لا ندري لماذا ؟! أيها السيد علينا أن نثق بك يا حضرة العميد .. وليس بالضرورة أن تتبعك مخابرات دولتك .. فشبكات التجسس تقوم بهذه الإجراءات والاحترازات.. فربما غيرنا طامع بالاتفاق معك .

فقال فارس بنفس الحدة المصطنعة : هل سأتفق وأتفاهم معك أم مع غيرك يا حضرة .. ؟!

قال : اصبر أيها الرجل لقد صبرنا عليك كثيرا حتى استطعنا أن نصل إلى هذا اللقاء الخطير يا

سيدي العميد .

قال : أخشى أن يتصل بي كبار الرؤساء والقيادة .

قال : لا تخشى شيئا ستتصرف زوجتك .. ألم تتحدث معها من الكابينة كما أخبرتنا مدام سلمى

تبسم فارس لهذه المداعبة ، فالرجل يريد أن يشعره أن حركاته مراقبة ربما منذ خروجه من البيت وربما منذ خروجه بصحبة المرأة من النادي الليلي فقال : نعم ، نعم .. لقد طمأنت زوجتي فليس من عادتي التأخر عن النوم في البيت إلا لظروف العمل يا حضرة ..

وبينما هم على هذا الحال طرق الباب طرقا خاصا فقال الرجل السمين : " لعله الزعيم يا سيد فارس "

فتح الباب ودخل منه رجل معتدل القامة فقال له السمين : لقد وصل يا سيدي .. وهو في غرفة الاستقبال .

قال : شكرا مراد .

ومشى نحو غرفة الاستقبال حيث يجلس فارس وسلم عليه وعرفه على نفسه قائلا : ناصر حمزة أهلا بالأخ فارس .. أنا رسول القوم إليك .

تصافح الرجلان ورحبا ببعض وقال فارس : أنت رسول القوم .. هات ما عندك أيها الرسول لقد تأخرت عن أهلي وبيتي !

قال: لقد تأخرنا يا سيدي العميد لأجل الاحتياطات الأمنية، فنحن نقوم بعمل خطير جدا كما تعلم يا أبا عمر .. وزوجتكم على علم بسهركم .. باختصار يا سيدي العميد نحن نريد ضمك لنا .. تعمل لنا تصبح رجلا منا .. فقد وضعتك الأقدار في طريقنا .

فقال: منكم .. من أنتم ؟!

قال: ستعرف كل شيء رويدا رويدا .. المهم أن تتعاون معنا ومع الأيام ستعرفنا وتثق بنا وقد تصبح زعيما من زعمائنا .. المهم أن توافق على التعاون معنا وتطلعنا على أسرار التحديث الجديد في القوات المسلحة .. أنواع الدبابات أعدادها بلد المنشأ .. الآليات العسكرية مواصفاتها ..

الطيران .. الدفاعات الجوية .. الصواريخ أنواعها وقدرتها .. كل شيء تريدون تطويره وتحديثه يا سيدي العميد .. نريد كل المعلومات المهمة .. وعند تسلمنا أول تقرير سيوضع لك مبلغا ترضاه في حساب خاص في أوروبا حيث تشاء أو في آسيا الجنوبية .. .. المهم أن تعلم الآن أننا شبكة عالمية .. ولست وحدك في الميدان ..نأخذ أسرار الجيوش ونبيعها للخصوم .. نسرق أسرار الباكستان ونبيعها للهند وايران .. أسرار الهند نبيعها لباكستان والصين.. التسليح السوفيتي للولايات المتحدة والعكس .. وهنا لإسرائيل وغيرها

فقال: واذا كشف أمري للسلطات ماذا ستصنعون لي ؟!

قال: امر كشفك يا سيدي ليس سهلا .. ولنا رجال في كل مكان .. سندبر أمرك ، وستجد نفسك في أوروبا أو الأرجنتين أو البيرو .. نحن لا نتخلى عن أعواننا وجنودنا .. وأنت ضابط ماهر ومهم ، قد نلحقك بجيشنا السري .. ولتعلم أنك لست وحدك تتعاون معنا في هذه الدولة فموقعك الاستراتيجي دفعنا لمغازلتك حضرة المهندس فارس.

فقال: ألكم جيش سري ؟!

قال: ليس هنا .. المطلوب منك الآن الموافقة على العمل والتعاون معنا .. فكشفت لك من أول لقاء الكثير من الأسرار .

فقال: لن أكثر الجدل ، فمبدئيا موافق على العمل معكم ؛ ولكني أريد مواثيق حتى أطمئن لكم ولا تغدروا بي بعد كتابة أول تقرير .. المال وحده ليس ضمانة يا سيد حمزة .

فقال: المهم أنك موافق على العمل معنا .. هذا بالنسبة لنا الآن هو المهم .. وسنقوم ببعض الاختبارات حتى تطمئن نفوسنا إليك .. السرية مهمة جدا في عملنا .. ستصلك التعليمات ويتجدد اللقاء .. يمكنك الآن الانصراف .

فقال: أنا رضخت ليس خشية على حياتي ؛ إنما الخشية على الأسرة والأقارب.

قال: نعلم ذلك.. نعلم ذلك.

نهض الرجل قائما وقلده المدعو مراد وفعل مثلهما فارس وهو مرتبك وقال : أشكرك سيد حمزة

اختبروني كيف شئتم ؟ من المهم أن أحمي نفسي قبل تسليمكم أول تقرير .

قال: لا بأس من حقك أن تحمي نفسك .. سيكون لديك جواز سفر لدولة أمريكية وجنسيتها وتستطيع السفر به في أي لحظة إلى أي بلد من العالم .. سنقوم بتدريبك على التنكر بهذه الشخصية .. ففي أي لحظة تشعر بالخطر تنكر وارحل

فقال: جيد هذا ابتداء .. أشكرك !

وساقه مراد السمين لمدخل العمارة ، فوجد فارس سيارة في انتظاره، فتسأل عن سيارته فقيل له : اركب بعد قليل ستصل إليها إنها في الطريق .



عاد للبيت منهكا منهار القوى مضعع الفكر والعقل يقول لنفسه : " ما الذي رماني بهذه المغامرة ؟ .. أين أنت يا أمين "

لم يستطع النوم تلك الليلة ولم يستطع الكلام أمام زوجته إنما كان يقول : الأمر خطير يا أم عمر أرجوك لا تسأليني عن شيء عنهم ، يخيل لي أحيانا أنني أعيش في حلم أو أشاهد فيلما .. أنا جاسوس ؟! لمن لا أدري .. اذهبي لفراشك إن النوم طار من رأسي .

قضى فارس الليل أو ما تبقى من ساعات الليل يشرب القهوة ويفكر بالمغامرة التي تورط فيها والشبكة التي سقط بين براثنها ليلة أمس .. نادي .. سلمى .. دوران .. دكان .. مقهى .. سائق أخر .. عمارة .. الرجل السمين .. حمزة .. عودة مع سائق آخر .. ثم قال : أين كان رجال المخابرات ؟! .. هل كان أمين معي ؟؟ أم ضاع رجاله .. ؟ لا .. أمين رجل ذكي وشجاع .. الموت واحد وسأستمر في هذه المغامرة مهما كلف الأمر .. يا أنا يا هم ! .. جواز سفر أرجنتيني أو فنزويلي .. تنكر .. شخصية أخرى .. أين أنت يا أمين ؟ .. أنا ليس لدي خبرة للتعامل مع الجواسيس والشبكات .. سأتعلم بإذن الله تعالى .

٣

في مطعم أفراد وعسكر القيادة العامة للجيش التقيا فارس وأمين وحدثه بالتفاصيل عن لقائه عصابة الجواسيس فقال : من تراه رئيس كل هؤلاء ؟

قال: لا ادري يا سيدي؟ ألم تعرفوا العمارة؟

قال: فشلنا في المتابعة ، سخروا منا تبعنا سيارة أخرى.. هل يمكنك معرفة المكان ؟

فقال : كنت في سيارة لا يرى خارجها .. الزجاج اسود يمنع الرؤية .

قال: يا عميد فارس هل يدل كلامهم أنهم من البلد؟

فقال بلا تردد : اعتقد .. يتكلمون مثلما أتكلم معك، ووجوههم كوجوهنا

قال المقدم: لو قبضنا على صغارهم لن تستفيد الدولة .. هل تعلم أن زميلا لك العميد زيد عبد القادر الطيار حدث معه ما يجري معكم ؟ وكلفنا الرئيس بالتعاون معه ، فهو كما تعلم قائد سلاح الجو العسكري.

فقال : العميد زيد عبد القادر الكابتن الكبير معنا في فريق التحديث ..هل قابلهم ؟!

قال : قابل مجموعة أخرى يبدو من تفصيلات كلامك أسماء أخرى وأوصاف غير ما فهمته منك ..

فقال : أجانب .

فقال : هل هما مجموعتان مختلفتان أو مجموعة واحدة لم نتفق على تحديد الأمر.. على كل حال اذا حدث موعد جديد نبأنا به يا سيدي العميد .. القضية كبيرة أنت أكيد تحت عيونهم .



عقد مدير المخابرات العامة بحضور مدير الاستخبارات العسكرية والشرطة اجتماعا طارئا بعد أيام من لقاء فارس وشبكة العملاء واخبرهم عن خطف العالم رونسو من بيت الاختفاء،

وهذا يدل على اختراق للجهاز وللدائرة المحيطة بالعالم ، فقال تحدث يا تيسير عن الموضوع أمام الكادر من مدراء جهاز المخابرات ، وسيتم اختبار الكوادر والعناصر تحت جهاز الكذب من البواب حتى أنا ، لا يعلم مكان العالم إلا كوادر الجهاز .. تفضل تيسير.

قال تيسير : تعلمون أن دكتور رونسو تعرض في الفيلا لتهديد مباشر من شخصين مقنعين وطلبوا منه أوراق وملفات المشروع الذي يقوم به ، وقمنا بعملية تمويه ونقل لشقة آمنة وحراسة خاصة منا لفترة حتى يقبض على المقنعين.. وكيف اخترقوا السور الأمني حول الفيلا ؟ ومعرفة جهة الاعتداء .. ثم تبين أنهم عرفوا وكشفوا مكان الإخفاء الجديد وتعرض للخطف وقتل الحراس في الشقة المقابلة المكلفون بحمايته ومراقبته على مدار الساعة ، لم يسمع أحد صوت الرصاص ، وخدر الرجل وخطف وفقد بواب العمارة حياته أثناء رجوعهم بالعالم ، ويبدو أن خمسة شاركوا بعملية الخطف والقتل ، ولما حضر ضباط المناوبة التالية اكتشفوا ما حدث .. وهذا قبل ساعات من الآن قرب الثانية ليلا

فقال المدير : إذن الاختراق من عندنا في الجهاز ناس تعمل مع العصابة .

فقال مساعده : ألا يمكن أن يكون هناك ثغرة نفذ من العصابة؟

فقال المدير : الرجل رحل من أيام ، ولا احد يعلم إلا نحن المجتمعون هنا ، ومن نقودهم.

قال نائب مدير الاستخبارات العسكرية مرسم لازمي: أمين حسن والمقدم تيسير

فقال المدير : لا يعلم بنقل العالم المقدم أمين ولا المقدم تيسير وهو يشتغل على قضية العميد فارس ، والمقدم تيسير على قضية العميد زيد .. شكلوا فريق عمل لمتابعة وكشف خطف رونسو مايكن .. فالرئيس ورئيس الحكومة غاضب علينا وعلى تقصيرنا .. وتلويح واحتمال بإنهاء عملنا وارد.



٤

جلس أمين وتيسير وشركاؤهم في قضية العميدين يتناقشون بالفروض المساعدة للقبض على الشبكة أو الشبكتين عدة ساعات ، فهم على مطاردة ومتابعة لزيد حيث رتبت العصابة موعدا الليلة ، وكيف سيتخلصون من التضليل خلال التنقل في السيارات رغم رصدهم لأرقام السيارات في مطاردة فارس تبين أنها مزيفة لا مكان لها في دائرة ترخيص المركبات الوطنية .

في نصف الليل خرج زيد عبد القادر إلى ملهى ليلي خارج المدينة في الطريق إلى مدينة ومديرية أخرى ، ثم انحرف بعد الابتعاد عن المدينة بعشر كيلو مترات باتجاه الملهى والنادي الليلي "كلب سفن " الذي يديره توماس جاردلي الأوروبي وحتى كل خدم الملهى من أوروبا ما عدا الحرس الخارجي من شركة أمن محلية ، فأغلب رواده غربيين ، وكان الماء المنهمر يزداد من أبواب السماء ، صف سيارته في ساحة الملهى ، ودخل الباب الرئيس لصالة النادي ، دل على مكتب المدير توماس ، وعرف بنفسه وجلس بإشارة من توماس ، وقدم له كوبا صغيرا من الشراب ، فاعتذر عن تناول الخمر ، فهز توماس رأسه وقال : لا تشرب حسنا ! مارك في الطريق تحدث معي قبل قدومك .

لم يطل الانتظار فقد جاء مارك وصافحهم ، وأخذ بيد زيد ، وعادا لموقف السيارات المكشوف أمام صالات الملهى ، وطلب منه أن يركب بجواره وخرجا من الملهى ، والليل العاصف والظلام الدامس يخيمان على المنطقة ، ورجعا على طريق المدينة ، وفي الطريق كانت سيارة تقف في انتظارهم فأشار إليه مارك أن ينتقل إليها ، ففعل فرحب به السائق ، وكان غربيا مثل مارك ومدير الملهى ، ولزمهم الصمت ، وقبل أن يدخل المدينة الكبيرة انتقل لسيارة ثالثة ، دارت في شوارع المدينة زمنا يقارب نصف ساعة والصمت شعارهم ووقفت أمام مبنى ، وطلب منه الدخول من العمارة إلى الشارع المقابل حيث سيجد سيارة سوداء في انتظاره ، وفعلا وجدها وتحدث معه سائقها طالبا منه الصعود وفعل ، وبعد حين وجد نفسه يهبط في موقف سيارات تحت الأرض ، وركبا المصعد إلى الطابق الثامن ، ويستقبل في شقة ورحبت به فتاة أجنبية نحيفة

الجسم ، وعرضت عليه مشروبا ، فطلب قهوة ، فقد لفه الصداع من هذه الرحلة الغامضة لإجراء لقاء تعارف ، وبعد شربه القهوة سيق لمكتب فوجد رجلا غربيا ينتظره ، ويعلمه أن القيادة العليا للجيش اتصلت ببيته وأن زوجته أعلمتهم بخروجه للسهر ، وسيؤجل اللقاء لموعد آخر ، وحصل ذلك وعاد للبيت بسيارته التي وجدها مركونة في وسط المدينة.



التقى زيد وضابط الأمن السري تيسير محمد وسمع الأخير ما جرى معه ، فقال: لما فقدناك تحدثنا نحن مع البيت وزعمنا أنك مطلوب للقيادة لأمر طارئ حتى يلغو الاجتماع بك لديهم خطط تمويه شيطانية ؛ وخشينا أن يغدروا بك ، وهم كما رجحنا يتنصتون على هاتفك .. المشكلة يا سيدي أن الشوارع في الليل خالية من زحمة السيارات أو قل قليلة فتكشف عناصر المراقبة والمتابعة بسهولة .. فالحمد لله على السلامة .. هل كونت انطباعا ما عنهم؟

قال: سلمكم الله .. الملهى مديره اجنبي إنجليزي بدا لي .. ومايكل اذا كان هذا اسمه الحقيقي ، ولا اعتقد ذلك .. تحدثنا بالإنجليزية، وجميع السائقين يتظاهرون بأنهم أجانب وفتاة العمارة عربية أو إسرائيلية تتقن العربية ؛ ربما من بلد عربية جذورها .. هكذا بدأت لي من الوهلة الأولى.. ورجل المكتب شكله أوروبي.

فقال : هذا على خلاف من قابلهم زميلك العميد فارس ، هم يعلمون أننا نطاردهم .. فهل يعلمون بتعاونكم معنا ؟ فعملوا هذه الأدوار ليظهروا أنهم اكثر من جهة ؛ لكن هدفهم واحد فهذا يرجح أنهم مجموعة واحدة بعدة رؤوس.. على كل نحن سننتظر الموعد الجديد وقد يكون قريبا

*****

مع مطلع العام الجديد تحدد اللقاء ، ليلة الاحتفال برأس العام الميلادي ، تلقى فارس رسالة

بريدية قبل الموعد بأيام، وفي نفس الوقت الطيار زيد موعدا ، ستبدأ رحلة فارس بعد منتصف الليل إلى ملهى الشملاوي ؛ ولكنه لن يدخل الملهى حيث يجري السكر والصخب والاحتفال سيجد مستقبله خارج أسوار الملهى، وأما زيد فلن يذهب للملهى ويقابل توماس فسوف يكون المكان غاص بالأجانب للاحتفال ، سيجد مايكل أمام دار " سينما صن" أي الشمس، فاكثر روادها غربيون .

وكان رجال المخابرات مسرورين لهذا التوقيت ، ستكون حركة وسيارات كثيرة في شوارع المدينة والملاهي وسيسهل الانتقال دون الاشتباه بسياراتهم المراقبة.

وصل فارس لباب الملهى وظل في السيارة مدة عشر دقائق عندما رأى احدهم يقترب من السيارة يتكلم معه، فخرج ليواجه البرد والهواء الثلجي واغلق السيارة وتبع باسم السائق وركب بجواره وانطلقا في شارع الحرية، وبعد محاولات تمويه وصلا للعمارة التي دخلها المرة الأولى ، وصُعد به إلى الطابق الثامن حيث وجد ناصر حمزة في انتظاره.

وكان زيد يترك سيارته في شارع سينما صن وبعد دقائق حياه مايكل ، ويقوده لسيارته ، وبدأت حركة الخداع حتى وصل للعمارة التي زارها من قبل ، وقابل نفس الشخص الذي وضع أمامه مبلغا كبيرا ، وهو يقول : هدية بمناسبة قبولك اللقاء ، وأنت تعلم ثمنها، وهي الحصول على برامج التحديث والأسلحة الحديثة في سلاح الجو .. فإسرائيل ستدفع لنا الكثير وحتى بعض الدول العربية مهتمة بالأسلحة نوعا وكما التي تعاقدتم عليها لإعادة المجهود الحربي بعد هزيمتكم الكبرى .

وضع العميد المبلغ في سرواله ، واتفق معهم على مكان تسليمهم الملفات وكشوف التسليح وعناصر الوحدة ليستلم باقي المبلغ الذي اتفقوا عليه ، وقبل طلوع الفجر كانت قوات الجيش والشرطة والمخابرات العسكرية والمدنية تقتحم المبنى كله ، وتعتقل كل من الطابق الثامن ، وتفتش كل العمارة ، وتضعها تحت الحراسة ، ولم تسمع لاحد بالمغادرة .

فقد نجحت الأجهزة الأمنية بالوصول إليها ، واقتيد فارس وزيد للتوقيف مع رجالات

العصابة لاستمرار الخداع للمجموعة والشبكة التجسسية .

بعد أيام وجدت جثة العالم رونسو في احد ى الحدائق العامة ، وقد اطلق على رأسه النار ، واشتغلت الشرطة بالتحقيق بحضور جنايات المخابرات والشرطة العسكرية.

وهذا الاغتيال متوقعا بعد الاعتقالات التي حدثت في عمارة جوليا دابر ، وانتشر خبر مقتل الكيميائي في الإذاعات المحلية والشرطة . وفي دائرة المخابرات العامة كان المدير العام يخبر مدراء الجهاز باختفاء مساعده مرسم لازمي من يومين ، وأعلن الشك بإخلاصه للدولة والشعب ، وبعد أسبوع اعلن عن مقتله ، ووجود جثته قرب حدود دولة مجاورة .. هل كان هاربا أم مخطوفا ؟ فقد كان يرفض الجلوس لجهاز الكذب بعدما دخل الشك للدائرة واعتبر ذلك إهانة وأن يشك في إخلاصه بعد هذا العمر والترقيات والأوسمة التي تزين صدره .



٥

تلقى رئيس الجهاز رسالة خطيرة موقعة باسم العالم الدكتور رونسو مايكن الألماني الشرقي نسبة إلى ألمانيا الشرقية بعد تقسيم ألمانيا يكشف له فيها أن العالم الذي قتل كان مزيفا وأنه هو الزعيم الكبير للشبكة ، وأن رونسو هو الذي قتل حرسه ، وتم اختفاؤه لانتهاء دوره ، فلم وقعت العمارة تم التخلص منه ، ومن مرسم لازمي الضابط الذي يعمل معهم داخل جهاز الاستخبارات ، فلا تظنوا أنكم انتصرتم علينا .. سترى جماعتنا بينكم بوجوه جديدة ؛ وليكن العميدان فارس وزيد تحت حمايتكم ، لقد كان تعاونهما معنا بوقت قريب مريب لي بعدما رفضهما بشدة وعناد ، وتهاوننا في تعليل ذلك ، واحترم ذكائكم في كشف العمارة واعلم أن مدير الملهى توماس لا يد ولا علاقة له بالشبكة .. هو أداة دون اهتمام .. فلا داعي للتنصت عليه فهو قواد وسكير .

درس الضباط رسالة من زعم أنه العالم رونسو الحقيقي ، وترجح لديهم صدق ما فيها ، وأن العالم لم يكن الحقيقي ؛ لأنه بعد التعاقد معه بشهر مرض ودخل المستشفى عدة أيام فتغير وجهه وسحنته بحجة المرض ومشاكل في الكلية والصحة.

قابل المدير رئيس الدولة وقدم له التقرير النهائي في قصة شبكة الجواسيس وعمارة جوليا وخيانة مرسم ورسالة الزعيم الحقيقي للشبكة ، وأن المعركة مستمرة مع شبكات الجاسوسية في الوطن.



* العالِم المزيف *

السعي إلى تجنيد الجواسيس شغل الدول الشاغل

هذه قصة محاولة تجنيد جواسيس

والأجهزة المضادة تسعى لإفشال محاولات التجنيد

قد تنجح وقد تفشل

قصة عالم مزيف



التحقيق الجنائي والجريمة



التحقيق الجنائي والجريمة

المجموعة الثانية

١٠- ١٥

(١) مسبحةاللؤلؤ
(٢) لغز القصر الصحراوي
(٣) الزواج الخطأ
(٤) نفس الشعب
(٥) لغز غابة البلدية
(٦) العالم المزيف